

تفسير ابن عطاء الله لآيات القرآن الكريم

إعداد
ميلود ربيعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ

۱. همداء

ای آتای و أمهاتای نشه ای ز قذمواليس عا ح
و حصا ج عيبي أحب العلم وأصبو إلى الإخ. ص .

ی لی ش ای خ ای ز جعلتهم قدوة أتمثل سيرتهم علما
و عملا وإخلاصا فوصلتني بالله وعرفاً ت أدثات .

إلى روح الشيخ ابن عطاء الله السكندري ای زي
أدثثر ز ذعش فد عيی صقلی ذن ای عطای ح
و صق طای ف ای ق لثو خ س ح ش ش عا ا .

إلى زوجتي فاطمة حلف ق ح د اذ ز أمثش ع قذ
ونصف ع قذ ای ض ، والتي تد يد غ ذس ا
لا یوصف من علما ج ز ا ای ثذث .

لی مو هؤلاء أهدي هذا الجهد راجيا ثمرته حیا
ومیتا لنفسي ولطلبة العلم .

شكر واعتراف

أقدم شكري إلى جامعة تلمسان بكلياتها
وأقسامها وإدارتها وأساتذتها ومكثبتها ومجالسها
العلمية، بما يسروا لي طريق إنجاز هذا البحث
وقربوا خطواته ومساره العلمي والإداري، وبما
استفدنا من بحوثهم وتوجيهاتهم وتجاربهم.

وأخص بالذكر قسم اللغة العربية وآدابها وقسم
ما بعد التدرج على ما يبذل من التسهيلات الطلبة .

كما أقد شكري إلى القيمين على المكتبات
الخاصة والعمومية والوقفية والرقمية، بما وفروا لي
من عناوين ودراسات استفدت منها كثيرا.

شكر خاص

أتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور المشرف

خير الدين سيب

الذي قبل سيادته الإشراف على هذا البحث ولم يدخر
جهدا بكل ما أوتي من قوة وفهم، فله جزيل الشكر وجميل
العرفان.

والشكر موصول إلى السادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة،
الذين تكرموا على بمناقشة هذه الرسالة، فهم مشكورون على
ذلك، وجزى الله الجميع خيرا .

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا لا ينقطع أبدا، ولا تحصي له الخلائق عددا،
وأفضل الصلاة والسلام على حبيبه المختار، وآل بيته الكرام الأطهار، وصحبه المنتخبين
الأبرار.

أما بعد

لا يزال مدار أهل العلم وطالبه يخطّ أنوار القرآن العظيم الذي لا تنقضي عجائبه
ولا يخبو سناؤه، ولا يحاط بسرّ إعجازه. ولا تزال لغته مدار درس الدارسين، ومحط رحال
الباحثين، سواء منها لغة العبارة أم لغة الإشارة، ولا يزال الانشغال بتفسيره متواصل لا
يتوقف في كل عصر حسب جهة المتخصصين.

لقد نشأت فكرة هذا الموضوع منذ انشغالي برسالة الماجستير بعنوان "التفكير
الصوفي عند ابن عطاء الله السكندري"، فرأيت أن هذا الفكر الصوفي المتهم عموما
بتحريف اللغة عن مدلولاتها، يستند في مفاهيمه إلى آيات القرآن ونصوص السنة،
خاصة إذا تصدى لها من هو مثل "ابن عطاء الله" يفسرها ويستدل بها ولها، مستندا إلى
أساليب اللغة العربية ومعهود كلام السلف، سواء في لغة العبارة أم لغة الإشارة التي اتخذ
منها الصوفية لغة خاصة، يتواصلون بها فيما بينهم ويفهمون من نصوص الكتاب والسنة
ما لا يفهمه غيرهم.

فطالما تشوقت نفسي إلى أن يجعل الله دراستي في تفسير كتابه العزيز على نهج
يتجاوز حل الألفاظ وشرح الجمل إلى الفهم العميق بدءا بالظاهر ونفوذا إلى الباطن،
دراسة دلالية تعانق فيها الإشارة العبارة، حتى حصلت على ضالتي في موضوع هذا
البحث الموسوم بـ: ((تفسير ابن عطاء الله لآيات القرآن الكريم دراسة دلالية)).

لم يقصد ابن عطاء الله تأليف تفسير كامل للقرآن الكريم، كما فعل كثير ممن قبله
أو بعده من الصوفية، والسبب في ذلك يعود في تقديري إلى قصر عمره وانشغاله بتربية
المريدين، ثم لعدم تصدي الصوفي لأمر لم يؤذن له فيه، غير أن ارتباط مذهبه الصوفي
بالكتاب والسنة، جعله يتعرض لآيات كثيرة من القرآن الكريم بالتفسير ظاهرا وباطنا،

استدلّالا واستشهدا في مؤلفاته، كلما ناسبه الموضوع، ولم يفردّها بتفسير مستقل. وكل ما قصده بالتفسير آية واحدة في رسالة خاصة، وهي الآية 54 من سورة الأنعام تكلم فيها ابن عطاء الله عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ فَأَنَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وتتبعي لهذه الآيات ومواضعها في مؤلفاته، تجمعت لدي مدونة سميتها "آيات القرآن الكريم في مؤلفات ابن عطاء الله"، فقد جمعت عدد 306 آية موزعة على 73 سورة، فسرّها تفسيراً إشارياً، ووظفها للاستدلال على مسائل عامة وأخرى تفصيلية في التصوف وثمراته ونتائجه، أو استشهد بها على مبدأ إسقاط التدبير، أو معاني حكمه. وليست هذه سابقة فقد ظهرت تفاسير تصدى لها باحثون جمعوها من مصنفات لنفس المؤلف ونسبت إلى صاحب تلك التأليف، وطبعت مثل "تفسير ابن تيمّة" و"تفسير ابن القيم".

فابن عطاء الله أحد المنظرين لعلم التصوف في ربط مفاهيمه بالكتاب والسنة، وهذا هو منهج الشاذلية عموماً، إذ نقل ابن عطاء الله عن شيخها "أبي الحسن الشاذلي" قوله: «إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فاضرب به عرض الحائط، وقل: إن الله ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها لي في الكشف» ولذا سمي تصوف الشاذلية بتصوف العلماء، إضافة إلى أن ابن عطاء الله قد صدره شيخه "ناصر الدين ابن المنير المالكي" في علم الظاهر (أي علم الشريعة) وكان له كرسي بالأزهر يمزج فيه كلام العلماء بكلام القوم، وبهذه المكانة فقد توفرت في ابن عطاء الله شروط المفسر من علم باللغة العربية وبعلم الكتاب والسنة، ومؤلفاته تعد مصادر إلى عصرنا الحاضر، مثل: "الحكم العطائية"، "لطائف المنن"، "القصد المجرد"، "التنوير في إسقاط التدبير".

كما صدره شيخه أبو العباس المرسي في علم الباطن (أي علم الحقيقة أو علم التصوف أو علم السلوك...)، وقال: «هم يصدّرونه في الفقه وأنا أصدّره في التصوف»¹ وقال له مرة أخرى: «إذا عوفي الفقيه ناصر الدين -ابن المنير- يجلسك في موضع جدك،

ويجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية، وتتكلم إنشاء الله في العلمين»¹، ويقر عطاء الله محققا ما بلغ من المراتب فيقول: «فكان ما أخبره»، وقال في موضع آخر: «فكان من فضل الله ما لا ننكره»². وهكذا حصل الموعود، وأصبحت لابن عطاء الله الصدارة في العلمين وآلت إليه رئاسة الطريقة بعد وفاة شيخه أبي العباس المرسي، وأصبح له كرسي في الجامع الأزهر يملئ منه دروسه في الفقه والشريعة والتفسير وفي التصوف، وكانت حلقاته تعج دائما بالمستمعين المعجبين، ذلك أن لدروسه وأسلوبه في الشرح حلاوة وتأثير على السامعين³، فقد شهد له بالصدارة أعلام الشريعة وأعلام الحقيقة.

وفي هذه الرسالة نستكشف نوعية تفسير ابن عطاء الله لآيات القرآن، فقد ظهر استعماله لأدوات ووسائل المفسر من اللغة ووسائلها، وكلام السلف، والتركيز على التفسير الإشاري الذي يعتمد على دلالة الظاهر وينفذ منها إلى دلالة الباطن من باب القياس، كما نبين توظيفه للغة التصوف بمصطلحاتها في تفسير الآيات أو الاستدلال بها على المعاني والمفاهيم التي سقت لأجلها.

وقد اقتضت منهجية هذا البحث أن أقسمه إلى فصول أربعة يسبقها مدخل تمهيدي، وتعقبها خاتمة أدرجت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها، أو ظهرت في ثناياه، إضافة إلى ذكر مسائل جديدة بالدراسة ولم يتسع مجال البحث لها. أما المدخل التمهيدي فقد جاء في ثلاثة مطالب: تضمن فيها نشأة ابن عطاء الله العلمية والصوفية والتعليمية وجهوده في التأليف والتفسير. واختص الفصل الأول بثلاثة مباحث تناول فيها مصادر ووسائل ابن عطاء الله في التفسير والعلوم التي استعان بها. وتناول الفصل الثاني ثلاثة مباحث هي قضية التفسير والتأويل ومنهج ابن عطاء الله في التفسير ثم موقفه من التفسير الإشاري، كما تضمن الفصل الثالث ثلاثة مباحث كشف فيها عن البحث الدلالي في تفسير ابن عطاء الله. أما الفصل الرابع فقد انحصر في ثلاثة مباحث تمثلت

1 - المصدر نفسه ، ص 126.

2 - المصدر نفسه ، ص 125.

3 - جمال الدين الشيال . أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ، دار المعارف بمصر . (د.ط.ت)، ص 221.

في الحديث عن لغة التصوف الإشارية ومجال توظيفها في الاستشهاد بآيات القرن الكريم من خلال شواهد "الحكم" وشواهد كتابه "التنوير في إسقاط التدبير".

أما عن الصعوبات التي واجهتني في مسيرة بحثي هذا، فمنها عدم وجود دراسات سابقة تدرس منهج ابن عطاء الله، وكل ما هو متوفر دراسات في تصوف ابن عطاء الله مثل كتاب "ابن عطاء الله وتصوفه" لـ"أبي الوفا التفتازاني"، وهي رسالة نال بها صاحبها درجة الماجستير في خمسينيات القرن الماضي وتوجد منها نسخة بالمكتبة الوطنية طبعت في 1969م، وما عدا هذا فيما وجدت، إشارات من خلال شراح مصنفه "الحكم" وجدير بالذكر هنا شرح "ابن عجيبة" المسمى "إيقاظ الهمم" فقد كان يقف عند الآيات التي استدلل بها ابن عطاء الله ويبين وجه دلالتها، ولذا فقد اعتمدته كثيرا إضافة إلى تفسيره المسمى "البحر المديد".

كما اعتمد البحث على مصادر ومراجع كثيرة ومتنوعة في اللغة والتفسير والنحو والصرف والتصوف وأصول الفقه وكتب معاني القرآن والتفاسير منها: روح المعاني للألوسي وروح البيان لبرسوي والقرطبي والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور وغيرها، وكتب علوم القرآن وكثير من الرسائل الجامعية خاصة في البحث الدلالي مثل: "البحث دلالي في نظم الدرر" وأهم كتب التصوف مثل: رسالة القشيري والموسوعة الصوفية. وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن أتبع المنهج الاستقرائي التحليلي أحيانا، والمنهج المقارن في أحيان أخرى.

وقبل أن أطوي هذه الصفحات وأريح القلم من سيره ما أحوجني في هذه اللحظات إلى حمد الله تعالى وشكره على نعمته الذي منّ عليّ بها، والذي أودّ الإشارة إليه أن هذه الأطروحة قد أشرف عليها الأستاذ الفاضل الدكتور خير الدين سيب، ورغم أشغاله فقد كان نعم المشجع والمتابع والملاحظ، فجزاه الله خير الجزاء.

وأشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، الذين أسندت إليهم مهمة النظر في هذه الرسالة وتقويمها وتصفيتها من عيوبها، وأشكر إخواني الأساتذة الذين قدموا لي مساعدات بالنسخ الرقمية والورقية منهم الأستاذ "الطاهر براهيم" و"بلخير طاهري"

وغيرهما فجزاهم الله خير الجزاء، وأشكر زملائي الذين وقفوا بجاني وجددوا لي النشاط
ودفعوا عني الكلل أو الملل.

وقبل الختام فإنّ هذه الصفحات لم تبلغ حد الكمال، لأن صاحبها بشر والبشر
محل الخطأ والزلل، غير أن ما يعزيني ويدفع عني لوم نفسي لنفسي أني ما ادخرت جهدا
وما استبقيت ذخرا من أجل الوصول إلى المادة العلمية النافعة التي تخدم البحث فإن
نحنت ف﴿ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما﴾، وإن كان في البحث هنات وهفوات
فمن نفسي وتقصيري والله الهادي إلى طريق الصواب. وآخر دعواي أن الحمد لله رب
العالمين

الباحث : ميلود ربيعي

المدخل التمهيدي : ابن عطاء الله ونشأته العلمية والصوفية وجهوده في التأليف

المدخل التمهيدي :

ابن عطاء الله ونشأته العلمية والصوفية وجهوده في التأليف

المطلب الأول : ابن عطاء الله ونشأته العلمية والتعليمية .

المطلب الثاني : نشأة ابن عطاء الله الصوفية .

المطلب الثالث : جهوده في التأليف .

المطلب الأول:

ابن عطاء الله ونشأته العلمية والتعليمية

1- التعريف بابن عطاء الله.

2- نشأته العلمية وبدايته الصوفية ومسيرته التعليمية .

أ- المرحلة الأولى : حياته بالإسكندرية قبل سنة 674 هـ .

ب- المرحلة الثانية: حياته بالإسكندرية بعد سنة 674 هـ .

ج - المرحلة الثالثة : مسيرته التعليمية في القاهرة.

1- التعريف بابن عطاء الله :

أ - اسمه ونسبه ومولده :

اسمه "أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله" ويلقب بتاج الدين، وبأبي الفضل¹، وبأبي العباس²، وانفرد ابن عجيبة بذكر اسمه ونسبه بشيء من التفصيل فقال: (هو الإمام تاج الدين وترجمان العارفين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله)³.

-
- ¹ - السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي . طبقات الشافعية الكبرى . تحقيق عبد الفتاح الحلو ونحمود الطناحي . طبعة المطبعة الحسينية القاهرة . سنة 1324هـ ، ج 5 ص 176.
- ابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد اليعمرى برهان الدين (ت799هـ) . الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان دار الكتب العربية بيروت . الطبعة الأولى . سنة 1996م ، ص 70 .
- ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . دار الجيل بيروت . (د،ط) . (د،ت)، ج 1 ص 273 .
- ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ)، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة دار الثقافة ودار الإرشاد القومي القاهرة ، ج 1 ص 280 .
- السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمان (ت911هـ)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، مصر 1321هـ ، ج 1 ص 250.
- ابن عماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد العسكري (ت1089هـ) . شذرات الذهب في أخبار من ذهب . دار إحياء التراث العربي بيروت . (د. ت. ط) ، ج 6 ص 19 .
- ابن عجيبة أحمد الحسني (ت1224هـ)، إيقاظ الهمم في شرح الحكم . بيروت: المكتبة الثقافية . الطبعة الأولى . (د،ت)، ص 9 .
- ² - ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، ص 70 .
- جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ج 1 ص 250.
- ³ - ابن عجيبة الحسني ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ص 9 .

ترجموا لنسبه أنه الجذامي¹ نسبا المالكي مذهباً²، الشاذلي طريقة، فهو إسكندري الدار، وإليها ينسب فيقال: الإسكندري أو الإسكندري أو السكندري .

ولد ابن عطاء الله بمدينة الإسكندرية من أسرة عريقة في العلم حيث كان جده من العلماء المشتغلين بتدريس الفقه - كما سيأتي-، ولم تذكر كتب التراجم السنة التي ولد فيها بالتحديد، لكن بمقابلة النصوص بعضها البعض الآخر نستنتج السنة التي وقع فيها مولده على وجه التقريب كما يلي :

* تتلمذ ابن عطاء الله على يد الشيخ أبي العباس المرسى وصحبه اثني عشر عاماً³، كما توفي أبو العباس المرسى سنة 686هـ⁴، مما يدل على أن صحبته بدأت سنة 674هـ .

* كان ابن عطاء الله قبل صحبته لشيخه المرسى، فقيها يطلب علوم الشريعة ومؤهلاً لمناظرة أصحاب الشيخ المرسى، إذ جرت له معهم مقولة وخصومة أدت به إلى حضور مجلسه وتبين أمره ، فوجده يتكلم في الأنفاس التي أمر بها الشارع⁵، مما يدل على أنه قبل سنة 674هـ كان شاباً على درجة من العلم يمكنه من فهم ما يدور في مجلس الشيخ أبي العباس المرسى، على أقل تقدير ستة عشر سنة.

¹ - ابن عجيبة الحسني ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ص 9 .

- ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، ص 70 .

- جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ج 1 ص 250.

² - اعتبره ابن فرحون مالكي المذهب ، وكذلك ابن عجيبة وكثير غيرهما ، وانفرد تاج الدين السبكي باعتباره شافعي المذهب في كتابه " طبقات الشافعية " ج 5 ص 176 ، ويمكن التوفيق بين ذلك بالقول أنه كان مالكي المذهب حسن النظر في مذهب الشافعي .

³ - ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسى وشيخه أبي الحسن ، تحقيق عبد الحليم محمود ، القاهرة : دار المعارف 1992م ، ص 69.

⁴ - ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 7 ص 371 .

- جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ج 1 ص 249.

⁵ - ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسى وشيخه أبي الحسن ، ص 69-70.

بالنظر في هذه المقدمات ينتج لدينا أنه صحب الشيخ أبا العباس وهو في السادسة عشرة من عمره وهو يطلب العلم الظاهر بمدينة الإسكندرية، أي أنه ولد سنة 658هـ ، وقد ذكر هذا التاريخ الأستاذ عبد الوهاب فرحات في كتابه¹ " أبو الحسن الشاذلي² " .

ب - مكانته ووفاته :

ب-1 مكانته :

عرف العلماء والمترجمون لابن عطاء الله السكندري بعد وفاته مكانته عالما صوفيا أسهم في التربية والتأليف، وسواء كانوا صوفية أو مؤرخين أو كتّاب طبقات الفقهاء، فشهادات المؤرخين والفقهاء أبعد عن التحيز والمبالغة، ونذكر أمثلة على ذلك:

1- من هؤلاء " عفيف الدين اليافعي " اليمني المتوفى سنة 768هـ ، إذ وصفه بأنه: «الشيخ الكبير العارف بالله الخبير، شيخ الطريقين وإمام الفريقين، دليل الطريقة، ولسان الحقيقة، ركن الشريعة المطهرة الرفيعة»، وأشاد بذكر مصنفاته العديدة مبينا أنها اشتملت على أسرار ومعارف وحكم، وأنها في غاية من الجودة³.

2- قال عنه " تاج الدين السبكي " المتوفى سنة 771هـ أنه كان إماما عارفا صاحب إشارات وكرامات، وأن له قدما راسخة في التصوف⁴ .

3- شهد له "ابن فرحون" المتوفى سنة 799هـ بأنه كان جامعا لأنواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه وغير ذلك ، وأنه كان أعجوبة زمانه في كلام التصوف ، وأشار إلى أن الكثيرين قد سلكوا طريقه وانتفعوا به، وأن له نظما حسنا¹.

¹ - عبد الوهاب فرحات ، سيدي أبو الحسن الشاذلي حياته ومدرسته في التصوف ، مكتبة مدبولي الطبعة الأولى 2003م، ص 251.

² - أبو الحسن الشاذلي : : علي بن عبد الله بن عبد الجبار (593-656هـ) ، ونسبته إلى شاذلة من قرى تونس، واستقر بالإسكندرية ، ومات بالصحراء بجميثرا في طريقه إلى الحج ودفن هناك . عبد المنعم الحفني ، الموسوعة الصوفية، القاهرة : مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى 1424هـ-2003م . رقم الترجمة 178.

³ - عفيف الدين اليافعي اليمني ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان بيروت ، الطبعة الأولى، مصورة عن طبعة حيدرآباد الدكن 1339هـ، ج 2 ص 54.

4 - تاج الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج 5 ص 177.

4- ووصفه " ابن حجر العسقلاني " المتوفى سنة 852هـ، أنه كان المتكلم على لسان الصوفية في زمانه، وذكر أنه كانت له جلاله عجيبة ووقع في النفوس².

5- وأجمل " عبد الرؤوف المناوي " المتوفى سنة 1031هـ ، الحديث عن مكانته وثقافته بقوله: «إمام تاج علمه مرتفع، وشمل فضله مجتمع، وخبر نعته مشتهر، ودر حكمه منتشر، ومصنفاته مفيدة، وحلل ذكره على ممر الأيام جديدة، هجر النوم وقلاه، ولولم يكن له غير كتاب "التنوير" لكفاه..... له اليد الطولى في العلوم الظاهرة والمعارف الباطنة، إمام في التفسير والحديث والأصول، متبحر في الفقه، له وعظ يعذب في القلوب ويحلو في النفوس، وكان رضي الله عنه قد تدرب بقواعد العقائد الشرعية، وهذبته العلوم فاستدل بالمنطوق على المفهوم، فساد بذلك العصاة الصوفية فكان له من الرياسة شرف معلوم....»³.

6- شهد له أستاذه أبو العباس المرسى بهذه المنزلة قبل بلوغها، لما كان يراه من ذكائه وملازمته له، فقال له حين تلمذته عليه: «...والله ليكون لك شأن عظيم....»⁴، وقوله له: «.....»...الزم ، فو الله لئن لزمتم لتكون مفتيا في المذهبين، يريد مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر، ومذهب أهل الحقيقة، أهل العلم الباطن»⁵.

ب - 2 وفاته :

بعد حياة حافلة بالدعوة إلى طريق الله وتربية المريدين ، توفي ابن عطاء الله في سنة 709هـ، واتفق على هذا التاريخ جميع من ترجموا له، وخالف الشعراي فذكر أن وفاته سنة 707هـ، كما حدد بعض المترجمين الشهر الذي وقعت فيه الوفاة، وزاد بعضهم اليوم الذي وقعت فيه .

¹ - ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، ص 70.

² - ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة و ج 1 ص 274.

³ - عبد الرؤوف المناوي زين الدين محمد (ت 1031هـ)، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، دار الفكر بيروت ، ج 2 ص 257.

⁴ - ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص 69.

⁵ - المصدر نفسه ، ص 69.

ذكر "تاج الدين السبكي" أن وفاة ابن عطاء الله كانت في شهر جمادى الآخرة من سنة 709هـ¹. وذكر "ابن حجر العسقلاني" أنها كانت في نصف جمادى الآخرة²، ويتفق معه في ذلك "ابن العماد الحنبلي"³، ويحدد "السيوطي" يوم الوفاة فيقول : إنها وقعت في اليوم الثالث عشر من شهر جمادى الآخرة سنة 709هـ⁴، أي ما يوافق 19 نوفمبر 1309م .

توفي ابن عطاء الله بالقاهرة كما ذكر "ابن فرحون" و"تاج الدين السبكي"⁵، وزاد "ابن حجر العسقلاني" أن وفاته كانت بالمدرسة المنصورية بالقاهرة⁶، وتابعه في ذلك "السيوطي"⁷، وذكر "ابن تغري بردي" أن جنازته كانت بالقاهرة ، مشهودة حافلة للغاية⁸.

دفن ابن عطاء الله بـ "القرافة" بقرب "بني وفا"⁹، وموقع قبره بجبانة سيدي "علي أبي وفاء" وفاء" يقع على بعد 300 متر في الجنوب الشرقي لجامع سيدي "علي أبي الوفاء"، وبجوار القبر¹⁰ من الغرب قبة "كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام"¹¹.

¹ - تاج الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج5 ص 177.

² - ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج1 ص 274.

³ - ابن عماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ص 19-20.

⁴ - جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ج1 ص 250.

⁵ - ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، ص 70.

- تاج الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج5 ص 177.

⁶ - ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج1 ص 274.

⁷ - جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ج1 ص 250.

⁸ - ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج8 ص 280.

⁹ - عبد الرؤوف المناوي ، الكواكب الدرية ج2 ص 258.

¹⁰ - ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج8 ص 280.

¹¹ - ابن الهمام : هو هو كمال الدين بن مسعود السيواسي الاسكندري، ولد حوالي سنة 790، وتوفي سنة 861هـ، كان

علامة في الفقه والأصول والنحو والتصوف والموسيقى وغيرها، محققا جدليا نظارا، وكان يقول أنا لا أقلد في

المعقولات أحدا ، له مصنفات عدة مشهورة منها "فتح القدير" . السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمان

(ت 911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، مطبعة السعادة 1326هـ، ص 70- 71 .

2- نشأته العلمية وبدايته الصوفية ومسيرته التعليمية :

نشأ ابن عطاء الله في بيت له جذور في علوم الشريعة برز فيه أجداده، وكانت حياته في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، ومن أجل استيعاب نشأته فقد قسمت حياته إلى ثلاثة مراحل كل مرحلة تمثل فترة :

- حياته بالإسكندرية قبل 674 هـ (نشأته العلمية).

- حياته بالإسكندرية بعد 674 هـ (بدايته الصوفية).

- حياته بالقاهرة (مسيرته التعليمية).

أ- المرحلة الأولى : حياته بالإسكندرية قبل 674 هـ:

تمثل هذه المرحلة نشأته العلمية، وتبدأ من سنة ولادته 658 هـ بمدينة الإسكندرية إلى سنة 674 هـ ، إذ هي السنة التي تعرف فيها على أبي العباس المرسى، و في هذه المرحلة نشأ ابن عطاء الله طالبا مجتهدا في عدة علوم من تفسير وحديث وفقه و أصول و نحو وبيان و غيرها على يد شيوخ بالإسكندرية في تلك الحقبة، وفي هذه المرحلة كان ينكر على الصوفية إنكارا شديدا متعصبا لعلوم الفقهاء وفي ذلك يقول عن نفسه: «....وكنت أنا لأول أمره - يقصد شيخه المرسى - من المنكرين وعليه من المعترضين حتى حرت بيني وبين أصحابه مقالة، وذلك قبل صحبتي إياه ، وقلت لذلك الرجل: ليس إلا أهل العلم الظاهر ، وهؤلاء القوم - يعني الصوفية - يدعون أمورا عظيمة وظاهر الشرع يأبأها »¹.

ولم تف المصادر بتفاصيل عن هذه المرحلة إلا ما أشار إليه هو بنفسه، أو ما جاء عرضا أثناء ترجمته، و يمكن التعرف على شيوخه في هذه المرحلة كما يلي :

1 - ناصر الدين بن المنير : « تتلمذ ابن عطاء الله على أشهر فقهاء الإسكندرية في

ذلك العصر وهو الفقيه ناصر الدين بن المنير الجروي الجذامي الإسكندري، قال عنه ابن فرحون : كان اسما بارعا في الفقه والعربية وكان علامة الإسكندرية وتوفي بها سنة 683 هـ²، وذكره ابن

1- المصدر نفسه ، ص126.

2 - ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، ص 71-72.

عطاء الله في معرض حديثه عن نفسه فقال: (ودخلت أنا عليه – أي على أبي العباس المرسى – فقال لي: إذا عوفي الفقيه ناصر الدين بن المنير يجلسك في موضع جدك، ويجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية، وتكلم إن شاء الله في العلمين، فكان ما أخبر به)¹. وهذا يدل على أن ابن المنير يصدر ابن عطاء الله باعتباره تلميذا له في الفقه وذلك بعد بلوغه رتبة التصدر و الإفادة .

2 –الأبرقوهي: قال عنه السيوطي: « هو شهاب الدين أبو المعالي أحمد بن إسحاق بن المؤيد كان مسند الديار المصرية وتوفي حاجا في ذي القعدة سنة 701 هـ وعمره سبع وثمانون سنة »، أي ولد سنة 614 هـ، ذكر ابن عطاء الله أنه سمع منه الإسناد المسلسل إلى أبي هريرة فقال: « و اعلم أن شأن الولاية والولي عظيم و الخطب فيها جسيم و يكفيك في ذلك ما حدثنا به الشيخ المسند الجليل شهاب الدين أبو المعالي أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد الأبرقوهي رحمه الله قال: أخبرنا عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الله عز و جل قال من عادى لي وليا...»². كما روى عنه شيئا من كلام الشيخ أبي الحسن الشاذلي فقال : (أخبرني شهاب الدين الأبرقوهي قال : دخلت على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه فسمعتة يقول : يقول عز وجل عبدي اجعلني مكان همك أكفك كل همك »³.

3 – المحيي المازوني : ذكر ابن حجر في ترجمته لابن عطاء الله أنه قرأ النحو على المحيي المازوني⁴، وذكره السيوطي في ثنايا ترجمته لابن النحاس الحلبي النحوي المتوفى سنة 698 هـ ، فقال: « وكان المازوني و ابن النحاس معدودين في منزلة واحدة، إذ لقب كل منهما بشيخ الديار

1 - ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المتن ، ص126.

2 - ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المتن ، ص 43-44.

3 - المصدر نفسه ص 44-45.

4 - ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج1 ص 374.

المصرية في عصره»¹ ، وأورد ابن شاكر في ترجمته لابن النحاس ما يفيد أن المازوني كان مقيما بالإسكندرية².

4 - شرف الدين بن أبي الحسن الدمياطي : ترجم له السيوطي فقال: (شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي كان إماما علامة حافظا حجّه فقيها، وشيخ المحدثين ولد سنة 613 هـ وتفقه وبرع وطلب الحديث فرحل وجمع فأوعى توفي سنة 705 هـ³، كما ذكر ابن عطاء الله سماعه منه بالإسناد المسلسل في معرض حديثه عن حديث الشفاعة المشهور فقال: «.... وحديث الشفاعة المشهور الذي أخبرنا به الشيخ الإمام الحافظ بقية المحدثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي بقراءتي عليه أو قراءة عليه وأنا أسمع قال : أخبرنا »⁴.

5 - شمس الدين الأصفهاني : هو الشيخ محمود بن محمد بن عباد المعروف بشمس الدين الأصفهاني قال عنه السبكي : « أنه إمام في المنطق و الكلام و الأصول والجدل فارس لا يشق غباره، متدين لين ورع نزهة نعمة عالما كثير العبادة و المراقبة »⁵. وذكره ابن عطاء الله مسبوقا بقوله : (شيخنا الإمام العلامة) عند ذكره اختلاف الشيخ الأصبهاني إلى مجلس أبي العباس المرسي فقال: «.... ولقد كان علماء الزمن يسلمون له - أي لأبي العباس المرسي - هذا الشأن، حتى كان شيخنا الإمام العلامة سيف الناظرين حجة المتكلمين شمس الدين الأصبهاني، والشيخ العلامة شمس الدين الأيكي يجلسان بين يديه جلوس المستفيدين آخذين عنه ومتلقين ما بيديه »⁶.

ب - المرحلة الثانية: حياته بالإسكندرية بعد سنة 674 هـ :

- 1 - جلال الدين السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة ، ص 6.
- 2 - ابن شاكر الكتبي محمد بن أحمد (ت764هـ)، فوات الوفيات ، تحقيق: محي الدين عبد الحميد ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية 1951م ، ج2 ص 172-173.
- 3 - جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ج1 ص 181.
- 4 - ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المتن ، ص31-32.
- 5 - تاج الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج5 ص 41-42.
- 6 - ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المتن ، ص 115-116.

تمثل هذه المرحلة بدايته الصوفية، وتبدأ هذه المرحلة بصحبته للشيخ أبي العباس المرسى سنة 674 هـ وتنتهي برحيله عن الإسكندرية إلى القاهرة، وفي هذه المرحلة تعرف على طريق الصوفية، وزال إنكاره عنهم وتعصبه لأهل العلم الظاهر، فلقي أبا العباس المرسى وتدرج على يديه وفق طريقة الشاذلي، وفي ذلك يقول عن نفسه: « وكنت أنا لأول أمره من المنكرين وعليه من المعترضين لا شيء سمعته منه ولا شيء صح نقله عنه، حتى جرت بيني وبين بعض أصحابه مقالة، وذلك قبل صحبتي إياه وقلت لذلك الرجل ليس إلا أهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون أمورا عظاما وظاهر الشرع يأباهما، فقال ذلك الرجل - بعد أن صحبت الشيخ - تدري ما قال لي الشيخ يوم تخاصمنا قلت: لا، قال : دخلت عليه فأول ما قال لي: هؤلاء كالحجر ما أخطئك منه خير مما أصابك، فعلمت أن الشيخ كوشف بأمرنا، ولعمري لقد صحبت الشيخ اثني عشر عاما فما سمعت منه شيئا ينكره ظاهر العلم، من الذي كان ينقله عنه من يقصده بالأذى، وكان سبب اجتماعي به أن قلت في نفسي بعد أن جرت المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل، دعني أذهب أرى هذا الرجل فصاحب الحق له أمارات لا يخفى شأنه، فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم في الأنفاس التي أمر الشارع بها فقال: الأول إسلام و الثاني إيمان والثالث إحسان، وإن شئت قلت الأول عبادة والثاني عبودية والثالث عبودة ، فما زال يقول وإن شئت قلت وإن شئت قلت إلى أن بهر عقلي وعلمت أن الرجل إنما يغترف من فيض بحر إلهي و مدد رباني، فأذهب الله ما كان عندي، ثم أتيت تلك الليلة إلى المنزل فلم أجد في شيئا يقبل الاجتماع بالأهل على عادي، ووجدت معي أمرا غريبا لا أدري ما هو، فانفردت في مكان أنظر إلى السماء و إلى كواكبها وما خلق الله فيها من عجائب قدرته، فحملني ذلك على العودة إليه مرة أخرى، فأتيت إليه فاستؤذن لي فلما دخلت عليه قام قائما وتلقاني ببشاشة وإقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت نفسي أن أكون أهلا لذلك، فكان أول ما قلت له: يا سيدي أنا والله أحبك. فقال : أحبك الله كما أحببني ثم شكوت إليه ما أجده من هموم وأحزان، فقال رضي الله عنه أحوال العبد أربعة لا خامس لها: النعمة والبلية والطاعة والمعصية ، فإن كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر، وإن كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر. وإن كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك

شهود منته عليك، وإن كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار، فقامت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوبا نزعته»¹. وفيما يلي جوانب من تربيته الصوفية .

1- وجود الراحة من الهموم : ألقى ابن عطاء الله بنفسه بين يدي أبي العباس المرسى، يربيهما و يتدرج بها في الصفاء والتزكية حتى يذهب عنه ما يجد من الأحزان و الهموم، فكان كلام شيخه نقشا على قلبه، واستمر شيخه يتابعه في كل ما يعرض له من الخواطر، فقد سأله مرة بعد ذلك عن حاله، فقال أفتش عن الهم فلا أجده وفي ذلك يقول: «ثم سألي بعد ذلك بمدة كيف ؟ فقلت أفتش عن الهم فلا أجده، فقال رضي الله عنه:

ليلي بوجهك مقمر

وظلامه في الناس ساري

والناس في سدف الظلا

م ونحن في ضوء النهار

إلزم: فو الله لئن لزمتم لتكونن مفتيا في المذهبين، يريد مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم الباطن»². لقد أنشد المرسى هذه الأبيات على سبيل الرمز، أن القلب إذا تواصلت عليه الأنوار تحول ليله إلى نهار، ثم إنه شرط على تلميذه الملازمة أي لزوم الصفاء و إلقاء الهم والخروج عن نفسه إلى ربه ووعدته بالوصول إلى مرتبة الإفتاء في الظاهر والباطن.

2- خوفه من فوات العلم الظاهر: تخوف ابن عطاء الله أن يفوته علم الظاهر بعد صحبته لشيخه المرسى، لما يتردد بين الطلبة من القول أن صحبة المشايخ تُفوّت العلم الظاهر و في ذلك يقول: «و كنت أنا سمعت الطلبة يقولون: من يصحب المشايخ لا يجيء منه في العلم الظاهر شيء، فشق علي أن يفوتني العلم ، وشق علي أن تفوتني صحبة الشيخ رضي الله عنه»³. أدرك ابن عطاء الله قيمة الصحبة للمشايع وهي لا تقل عن طلب العلم الظاهر، فكيف يوفق بين ذلك ؟ ، دخل على شيخه بهذا الخاطر فما كان جواب الشيخ ياترى؟ ، حدثنا عن

1 - ابن عطاء الله ، لطائف المنن ، ص128-129.

2 - المصدر نفسه ، 129.

3 - المصدر نفسه ، 125.

ذلك فقال : « فأتيت إلى الشيخ فوجدته يأكل لحما بخل فقلت في نفسي: ليت الشيخ يطعمني لقمة من يده، فما استتممت الخاطر إلا وقد دفع في فمي لقمة في يده، ثم قال: نحن إذا صحبنا تاجرا ما نقول له أترك تجارتك وتعال، أو صاحب صنعة ما نقول له أترك صنعتك وتعال، أو طالب علم ما نقول له أترك طلبك وتعال، ولكن نقر كل أحد في ما أقامه الله فيه، وما قسم له على أيدينا فهو واصل إليه »¹. لقد أجابه شيخه عن خاطره الأول فأطعمه لقمة من يده، وعن خاطره الثاني فأقره على طلب العلم الظاهر مريحا إياه من التدبير، وذلك بالرضا بما قسم الله واستدل له على ذلك بفعل الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : « وقد صحب الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قال لتاجر أترك تجارتك، و لا لذي صنعة أترك صنعتك، بل أقرهم على أسباجهم وأمرهم بتقوى الله فيها »². ومن ثم لم يكن التصوف على طريق الشاذلي يتعارض مع الاشتغال بأسباب الدنيا، ولا يشترط لصاحبه الانقطاع عن المجتمع الذي يعيش فيه وذلك مثال الصحابة مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

3- قصده إلى التجريد وترك الأسباب: تحرك في ابن عطاء الله خاطر التجرد وترك العلم

الظاهر، فقال عن نفسه: « ودخلت أنا عليه يوما وفي نفسي ترك الأسباب والتجريد، وترك الاشتغال بالعلم الظاهر قائلا: إن الوصول إلى الله لا يكون على هذه الحالة، فقال- أي شيخه المرسى- من غير أن أبدي له شيئا صحبني ب"قوص" إنسان يقال له: "ابن ناشئ" وكان مدرسا بها ونائب الحكم، فذاق من هذا الطريق شيئا على أيدينا، فقال: يا سيدي اترك ما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك، فقلت له: ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما أقامك الله فيه، وما قسم لك على أيدينا هولك واصل، ثم قال: وهذا شأن الصديقين لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجهم، فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي، وكأنا كان ثوبا نزعته ورضيت عن الله فيما أقامني فيه »³، هكذا عالج المرسى تلميذه وذلك كله تعليم لمقام الرضا بما قسم الله.

1 - المصدر نفسه ، ص125.

2 - ابن عطاء الله ، لطائف المنن ، ص 125.

3 - المصدر نفسه ، ص 123.

4- حرصه على اعتناء شيخه به : تحرك خاطر ابن عطاء الله أن ينال رتبة في نفس شيخه وينظر إليه حتى يجعله في خاطره، وفي ذلك يقول: «كنت قلت لبعض أصحاب الشيخ أريد لو نظر إلي الشيخ بعناية وجعلني في خاطره، فقال ذلك للشيخ، فلما دخلت على الشيخ رضي الله عنه قال: لا تطالبوا الشيخ بأن تكونوا في خاطره، بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ في خاطركم، فعلى مقدار ما يكون الشيخ عندكم تكونون عنده»¹. لقد رد الشيخ تلميذه في هذا الخاطر إلى نفسه، وأن هذا الشعور يبدأ من نفس المريد، ويزيد مقداره وينقص عند الشيخ حسب نفس المريد، ثم إنه وعده بما سيكون له من الشأن العظيم فقال: «أي شيء تريد أن تكون، والله ليكونن لك شأن، والله ليكونن لك شأن عظيم، والله ليكونن لك كذا، والله ليكونن لك كذا، لم أثبت منه إلا قوله ليكونن لك شأن عظيم، فكان من فضل الله سبحانه مالا أنكره»².

5- تربيته على الحلم : شاور الشيخ أبو العباس المرسى تلميذه ابن عطاء الله في شخص آذاه، فأشار عليه ابن عطاء الله بالانتقام منه، فغضب منه الشيخ وقال: «أنا لا أنتقم من أحد»، وفي ذلك تربية له على الحلم والصفح والمسامحة وفي ذلك يقول «ودخلت عليه يوما فقال لي: ما تقول في فلان - رجل كان قد آذى الشيخ الأذى البالغ -، أتى إلي أصحاب فلان - بعض من كان له الأمر في ذلك الزمن وكان يتردد إلى الشيخ - وقالوا: يا سيدي هذا الرجل قد آذاك نسعى في ضربه واشتهاره في البلدين مصر والقاهرة، فماذا تقول أنت: قلت: مصلحة، فقال: كالمنكر لأي شيء؟ فقلت: ذاك حتى يُتَشَفَّى منه قال: أنا لا أَتَشَفَّى من أحد، قلت: الأتباع، قال: ولا نحمل أتباعي على التشفي، فأطرت خجلا فما توجه أحد لنا بالأذى بعد ذلك، ... واتفق بعد مدة نحو خمسة عشر عاما أن الذي كان قد سعى في إذاية الشيخ سعى في إذايتنا فاتفقت له نازلة، فصانني الله من التشفي منه، وكان الشيخ يقول: هذا الذي استشرتك فيه سيتفق لك معه مثل ما اتفق لي، فافعل معه كما فعلت معه، وهذا هو كلام الأكابر يطوى في صحائف قلوب المريدين، حتى إذا جاء وقته أظهره الحق سبحانه، كأنك قد سمعته في ذلك الوقت، وربما أحضر الله

1 - المصدر نفسه ، ص 125.

2 - ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص 125.

بفكرك شيخك الذي خاطبك به بهيئته وزيه، وربما تمثل ذلك في الخيال المنفصل، وربما حضر بوجوده الحسي عند وجود النوازل مثبتا للمريد ومعلما»¹.

6- علاجه من الوسواس: طرأ علي ابن عطاء الله الوسواس وشدد عليه، وفي ذلك يقول

عن نفسه: «وكنت كثيرا ما يطرأ علي الوسواس في الطهارة فبلغ ذلك الشيخ أبا العباس فقال: بلغني أن بك وسواسا في الوضوء، قلت: نعم فقال رضي الهس عليه، هذه الطائفة تلعب بالشيطان، لا الشيطان يلعب بها ثم مكثت أياما ودخلت عليه، فقال: ما حال هذا الوسواس؟ فقلت: على حاله، فقال إن كنت لا تترك هذه الوسوسة لا تعد تأتينا فشق ذلك علي وقطع الله الوسواس عني»². وقال ابن عطاء الله في موضع آخر وعملت قصيدة أمدحه بها فقال حين أنشدت أيدك الله بروح القدس، ثم عملت قصيدة بإشارته جوابا لقصيدة مدحه بها إنسان من بلاد أحميم فلما قرأت عليه، قال هذا الفقيه صبحني وبه رمضان، وقد عافاه الله منهما، و لا بد أن يجلس ويتحدث في العلمين، يشير الشيخ إلى مرض الوسوسة فلقد انقطع عني ببركة الشيخ حتى صرت أخاف أن أكون لشدة التوسعة التي أجدها تساهلت في بعض الأمور، و المرض الآخر كان بي ألم برأسي، فشكوت ذلك إليه فدعا لي فعافاني الله وشفاني»³.

لقد أقر ابن عطاء الله أن الله شفاه من الوسوسة ببركة شيخه و صحبته إياه، وشفاه الله من ألم رأسه بدعاء شيخه كذلك، ويبدو أن التلميذ ألقى قياد نفسه إلى شيخه، وبالمثل فقد بشره شيخه بصدارته وتقدمه في العلمين الظاهر والباطن وهذه مزية لم يلحقه فيها أحد من أصحاب الشيخ.

7- خدمته لشيخه وحرصه على رضاه : يدأب تلاميذ الصوفية على خدمة شيوخهم

قصد نيل المعارف والترقي في المقامات من أقصر طريق، وهذا حال ابن عطاء الله مع شيخه المرسى، يقول عن نفسه: «وسمعته يقول - أي شيخه أبا العباس المرسى - أريد أن أستنسخ كتاب "التهذيب" لولدي جمال الدين فذهبت فاستنسخته من غير أن أعلم الشيخ وأتيته، بالجزء

¹ - المصدر نفسه ، ص 141 .

² - المصدر نفسه ، ص 127.

³ - المصدر نفسه ، ص 239.

الأول فقال ما هذا فقلت : كتاب "التهذيب" استنسخته لكم، فأخذه فلما نهض ليقوم قال : اجعل في بالك، أن الولي لا يتفضل عليه أحد، تجد هذا إنشاء الله في ميزانك، فلما أتيت بالجزء الثاني، لقيني بعض أصحابه بعد نزولي من عنده وقال: قال الشيخ عنك: والله لأجعلنه عينا من عيون الله، يقتدي به في العلم الظاهر والباطن فلما أتيت بالجزء الثالث ونزلت من عنده لقيني بعض أصحابه وقال : طلعت عند الشيخ فوجدت "مولدة حمراء"، فقال: هذا الكتاب استنسخته لي ابن عطاء الله فو الله ما أرضى له بجلسة جده ولكن بزيادة التصوف»¹. حقا كان ابن عطاء الله ولا يزال عينا من عيون الله تفيض بالنور وتشع على أهل كل عصر، ودليل ذلك كتابه "الحكم" إذ هو دستور الأخلاق والتربية والتزكية، وإلى عصرنا هذا يشتغل به المربون ويستضيء به السالكون .

8- وعد الشيخ له بالصدارة : لقد وعد المرسى تلميذه بالصدارة في العلمين، وفي ذلك يقول : « وأخبرني سيدي جمال الدين ولد الشيخ قال قلت للشيخ - أي المرسى - : هم يريدون أن يصدّروا ابن عطاء الله في الفقه، فقال الشيخ: هم يصدّرونه في الفقه وأنا أصدّره في التصوف، ثم دخلت أنا عليه فقال لي: إذا عوفي الفقيه ناصر الدين -ابن المنير - يجلسك في موضع جدك، ويجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية، وتكلم إنشاء الله في العلمين »²، ويقر عطاء الله محققا لما بلغ من المراتب فيقول « فكان ما أخبر به » ، وقال في موضع آخر «فكان من فضل الله ما لا ننكره»³. وهكذا تبين لنا كيف تحقق الموعود ، وأصبحت لابن عطاء الله الصدارة في العلمين وآلت إليه رئاسة الطريقة بعد موت شيخه أبي العباس المرسى، وأصبح له كرسي في الجامع الأزهر يملئ منه دروسه في الفقه والشريعة والتفسير وفي التصوف وكانت حلقاته تعجّ دائما بالمستمعين المعجبين، ذلك أن لدروسه وأسلوبه في الشرح حلاوة وتأثير على السامعين⁴.

ج - المرحلة الثالثة : حياته في القاهرة .

1 - المصدر نفسه ، ص 126.

2 - المصدر نفسه ، ص 126.

3 - المصدر نفسه ، ص 125.

4 - جمال الدين الشيال . أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ، دار المعارف بمصر . (د.ط.ت)، ص 221.

تمثل هذه المرحلة مسيرته التعليمية، لقد تمت لابن عطاء الله مراحل التدرج والتربية على يد أستاذه المرسى فكان يعرض عليه خواطره، ويتنور به في طريقه وينفي عنه ريب النفس وحظوظها، وتحقق بالصدق مع شيخه فحرص على خدمته، حتى انتزع من الشيخ المرسى رضاه، فبشره بالصدارة، والإرث للطريقة بعد موته، ورحل ابن عطاء الله إلى القاهرة — بعد أن استأذن شيخه — فالتحق بالجامع الأزهر وأخذ حظه منه، خاصة بعد أن صدره الفقهاء في الفقه، وصدره شيخه المرسى في التصوف، فكان وارث علمه والقائم على طريقته والداعي إليها من بعده. فلم يحدد المترجمون السنة التي ارتحل فيها إلى القاهرة، وكل ما نعرفه أنه حين توفي شيخه المرسى سنة 686 هـ كان هو بالقاهرة¹، وفي ذلك يقول: «كنت أنا حين توفي الشيخ أبو العباس بالقاهرة»² و لعله استوطنها قبل ذلك بقليل .

1 - اشتغاله بالتدريس في الأزهر :

انتقل ابن عطاء الله إلى القاهرة وقد أصبحت له الصدارة في العلم فلا بد وأن يكون له موضع في أكبر جامعة إسلامية في ذلك الوقت وهي "جامع الأزهر" وفي ذلك يقول السبكي : « واستوطن الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله القاهرة يعظ الناس ويرشدهم »³ . يقول المناوي : « وأصله -أي ابن عطاء الله من الإسكندرية، ثم قطن مصر، وصار يعظ الناس ويرشدهم »⁴ ، تولى ابن عطاء الله التدريس بأكبر الجامعات "الجامع الأزهر"، وفي ذلك يقول ابن حجر: « وكان — أي ابن عطاء الله — يتكلم بالجامع الأزهر فوق كرسي بكلام يروح النفس، ويمزج كلام القوم بآثار السلف وفنون العلم، فكثر أتباعه، وكانت عليه سيما الخير »⁵ .

ووصف داود بن باخلا ما كان عليه درس أستاذه، وما كان يتركه من أثر في نفوس

الحاضرين، فقال: «....وأما الأستاذ الأجل الكبير محيي طريقته ومظهر كلمتهم، وناشر

1 - عبد الرؤوف المناوي ، الكواكب الدرية ، ج1 ص273.

2 - ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص115.

3 - تاج الدين السبكي ، طبقات الشافعية ، ج5 ص41-42.

4 - عبد الرؤوف المناوي ، الكواكب الدرية ، ج1 ص273.

5 - ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج1 ص374.

أعلامهم، وباسط كلامهم - يقصد الصوفية -، شيخنا وإمامنا الأستاذ الأجل تاج الدين أبو الفضل أحمد بن عطاء الله رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وجعل الجنة مثقله ومثواه، وبلغه بفضل ما كان يرجوه ويتمناه من مطلبه وسؤله، فهو في ذلك العجب العجيب، والأمر الذي يشهد بتحقيقه قلوب أولي الألباب، فتجد الميعاد الواحد باهرا، ودليلا ظاهرا، وله نتائج وفوائد، وأنوار وزوائد، ظهر ذلك في البلاد، وانتشر بين العباد، يجمع الميعاد الواحد بين المواعظ والحكم والرقائق في طريق الأبرار وطريق المقربين، دلالة بالعلم والنور، وتربية بالأقوال والأحوال.... فكم من تائب تاب، وتغيرت أحواله السيئة وأصلح وأنا، وكم من غافل تيقظ، وجاهل تبصر، وكم من قلب قاس مظلّم لان وتنور»¹.

ووصف ابن تغري بردي ابن عطاء الله ودرسه فقال: «كان رجلا صالحا عالما يتكلم على كرسي ويحضر ميعاده خلق كثير، وكان لوعظه تأثير في القلوب، وكان له معرفة تامة بكلام أهل الحقائق وأرباب الطرائق»².

ومن ثم اتفق الواصفون لمجلس ابن عطاء الله على الصدارة وانتشار الصيت وقوة التأثير وكل عبر حسب ما شاهد وحضر.

2- تلاميذه :

تخرج على يد ابن عطاء الله جملة من الفقهاء والصوفية، منهم :

- أشهرهم الإمام تقي الدين السبكي المتوفى سنة 756هـ، والد تاج الدين السبكي صاحب "طبقات الشافعية الكبرى" المتوفى سنة 771هـ، وكان تقي الدين السبكي من أشهر علماء عصره حتى أن الشيخ ابن تيمية كان لا يعظم أحدا من أهل العصر كتعظيمه له، كما كان كثير الثناء على تصنيفه في الرد عليه، وقد ذكر تاج الدين السبكي في طبقاته في ترجمته لوالده أن والده صحب ابن عطاء الله وتلمذ عليه³، كما ذكر في ترجمته لابن عطاء الله: «أنه كان أستاذا لوالده في التصوف»⁴. وذكره ابن حجر فقال: «....وأخذ عنه - أي ابن عطاء الله - تقي الدين

1 - داود بن باخلا ، اللطيفة المرضية بشرح حزب الشاذلية ، مصر 1354هـ - 1935م ، ص 24.

2 - ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 8 ص 280 .

3 - تاج الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج 6 ص 146.

4 - المصدر نفسه ، ج 5 ص 176.

السبكي... قرأت -أي ابن حجر- على سارة بنت السبكي عن أبيها سماعا، قال: سمعت أبا الفضل بن عطاء الله يقول:... فذكر شيئا من كلامه»¹. وذكره عبد الرؤوف المناوي فقال: «وأخذ عنه جمع من الأعيان وانتفع به، منهم شيخ الشافعية التقي السبكي رضي الله عنه»². وهكذا تتلمذ على ابن عطاء الله من هم في طبقة الأئمة وفي هذا دلالة على علو منزلته، وأن طريقته لم يكن فيها أدنى عوج، وأنها دائرة مع الكتاب والسنة كما يقول السيوطي وهذا نصه: «وكان الشيخ تاج الدين بن عطاء الله يحضر مجلس وعظه الأئمة مثل الشيخ "تقي الدين السبكي" إمام وقته تفسيرا وحديثا وفقها وكلاما وأصولا ومنقولا، بل المجتهد الذي لم يأت بعده مثله ولا قبله من دهر طويل، وقد ذكر "السبكي" في بعض كتبه أخذه عن الشيخ "تاج الدين" -أي ابن عطاء الله-، وحضوره مجلسه، ونقله عنه في بعض كلامه، وقال إنه متكلم الصوفية على الطريقة الشاذلية . وفي "المعجم المخرج" للسبكي أنه قرأ عليه كتابه الحكم، وذكر فيه قطعة منه (قرأت عنه واتصلت له بالسند إليه)، ولو كان في الطريقة الشاذلية أدنى عوج لم يثن عليها السبكي ولا ولده، ولا أئمة عصره ومن قاربهم»³.

- كذلك أخذ عن ابن عطاء الله تلميذه وخليفته في الطريقة الشاذلية من بعده الشيخ

داود ابن باخلا، ترجم له السيوطي فقال: «داود بن عمر بن إبراهيم الشاذلي المعروف بابن باخلا من الأئمة الراسخين، تفقه على مذهب مالك، وله فنون عديدة وتصانيف مفيدة، وكان يتكلم على طريق القوم، توفي بالإسكندرية سنة 733هـ»⁴.

وترجم "عبد الوهاب الشعراني" للشيخ "داود بن باخلا" ترجمة وافية، أورد فيها الكثير من أقواله، وذكر أحواله، وقد ذكر أن اسمه داود بن ماخلا (بالميم)، يعرف باسم داود الباخلي عند

1 - ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج 1 ص 273 .

2 - عبد الرؤوف المناوي ، الكواكب الدرية ، ج 2 ص 257.

3 - السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمان ، تأييد الحقيقة العلية وتشبيد الطريقة الشاذلية ، الطبعة الأولى 1934م ، القاهرة : المكتبة الإسلامية ، ص 69 .

4 - جلال الدين السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ص 246 .

مريدي الطريقة الشاذلية، فقد ورد في سلسلتهم بهذا الاسم¹. من مؤلفاته المشهورة بين الشاذلية، كتابه " اللطيفة المرضية بشرح حزب الشاذلية "، وقد ضمنه كثيرا من آرائه في التصوف، خاصة ما يدور حول كلام الأولياء، وعلوم الحقائق العقلية والقلبية، وعلوم الحكمة الإلهية، وغيرها من الموضوعات².

- من تلاميذ ابن عطاء الله الذين أخذوا عنه الطريقة الشاذلية الشيخ أبو العباس أحمد بن المليق السكندري الأصولي³، قال عنه السيوطي: «كان يجلس للوعظ، ولوعظه تأثير في القلوب، وتوفي سنة 749هـ»⁴.

- ومن أخذ عن ابن عطاء الله أيضا الشيخ "أبو الحسن على القرافي"⁵ كما جاء في "المفاخر العلية"⁶.

وخلاصة القول: أن ابن عطاء الله الصوفي السكندري كان أستاذا ذا شأن في عصره، وقد تخرج عليه جملة من مشاهير العلماء المصريين في الفقه والتصوف كما انتفع بوعظه خلق لا يحصون كثرة.

بعد هذه المسحة لمراحل حياته الثلاث نختتمها ببيان مكانته ووفاته، لننتقل إلى جانب آخر يهمنا في هذا البحث كثيرا، وهو نشأته الصوفية، وما يتعلق بمؤلفاته عامة، وفي التفسير خاصة.

1 - عبد الوهاب الشعراي ب أحمد بن علي (ت973هـ)، الطبقات الكبرى ، القاهرة : دار الفكر العربي 1952م ، ج 1 ص 163.

2 - داود بن باخلا ، اللطيفة المرضية بشرح حزب الشاذلية ، ص 7-8.

3 - ابن عياد محمد بن إبراهيم النفري الرندي الشاذلي (ت792هـ)، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية ، تحقيق: أحمد المزيدي الحسيني ، سوريا حلب : دار القلم العربي، الطبعة الأولى 1422هـ-2002م ، ص 122.

4 - جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ج 1 ص 265.

5 - القرافي : هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي الصنهاجي المصري من مصنفاته "الذخيرة" في الفقه ، و"التنقيح والنفائس" في الأصول ، و"الفروق" في القواعد ، توفي في جمادى الأخيرة سنة 684هـ. ابن فرحون ، الديباج المذهب، ص 62.

6 - محمد بن إبراهيم بن عياد الشاذلي ، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية ، ص 121.

المطلب الثاني :

نشأة ابن عطاء الله الصوفية .

- 1- تعرّفه على أبي العباس المرسى .
- 2- دخوله زمرة المريدين .
- 3- خدمته للطريقة الشاذلية .
- 4- تصوف الشاذلية بين ابن عربي والغزالي .
- 5- ابن عطاء الله الشاذلي والطرق الصوفية في عصره .

تمهيد :

ذكرنا في المطلب السابق ثلاث مراحل لحياة ابن عطاء الله المختلفة، المعبرة عن نشأته العلمية وبدايته الصوفية، وحياته التعليمية وقد تضمنت الحديث عن شيوخه وتلا ميذه .
ففي المرحلة الأولى (قبل سنة 674هـ) نشأ ابن عطاء الله طالبا للعلوم الدينية بالإسكندرية، ومنكرا على الصوفية، ثم أصبح في المرحلة الثانية (بعد سنة 674هـ) سالكا طريق الصوفية لالتقائه بـ"أبي العباس المرسي" فسلك علي يديه، في حين لم ينقطع عن طلب العلوم الدينية، ثم اشتغل بتدريسها بالإسكندرية زمنا، بعد أن صدره "ناصر الدين بن المنير" حين أصبح جديرا بذلك، وفي المرحلة الثالثة من حياته (بعد 686هـ) -وهي السنة التي توفي فيها شيخه أبو العباس المرسي-، الذي يبدأ بانتقاله إلى القاهرة أصبح صوفيا كاملا مرشدا .

وفي هذا المطلب نتبع حياته الصوفية في طورها الثاني والثالث لتبين التربية الصوفية كيف تدرجت على نفس ابن عطاء الله فآثر معها طريق الصوفية، وذلك من خلال نشأته مريدا سالكا خاضعا لإشراف شيخه "أبي العباس"، وحتى وقوفه على درجة الاكتمال صوفيا مرشدا إلى طريق الله، ثم ما كان له من دور وأثر في التصوف عموما، وفي خدمة الطريقة الشاذلية خصوصا.

1- تعرّفه على أبي العباس المرسى:

نشأ ابن عطاء الله في المرحلة الأولى من حياته قبل 674هـ فقيها يطلب العلوم الشرعية متقيدا بظاهر النصوص ومنكرا على أي فهم يفسر التصوف بعلم أحوال القلوب والأذواق، وقد سبقه في ذلك جده لوالده إذا كان منكرا على الصوفية أشد الإنكار كما صرح "أبو العباس المرسى" فقال : « فكذاك نحن صبرها على جد هذا الفقيه لأجل هذا الفقيه »¹. وفي إنكاره على الصوفية إنكار على "أبي العباس المرسى" أشهر صوفية الإسكندرية حين ذاك، وفي ذلك يحدثنا عن نفسه فيقول : «... وكنت أنا لأمره -أي أمر أبي العباس المرسى- من المنكرين وعليه من المعترضين، لا لشيء سمعته منه، ولا لشيء صح نقله عنه، حتى جرت بيني وبين أصحابه مقالة، وذلك قبل صحبتي إياه، وقلت لذلك الرجل: ليس إلا أهل العلم الظاهر، وهؤلاء القوم -الصوفية- يدعون أمورا عظيمة ظاهر الشرع يأبأها... »².

فهذا الإنكار من غير فهم للتصوف بل بمحض التعصب للفقه ورجاله، ولكن مقاولته لأصحاب الشيخ، وخصومته لهم وإنكاره الشديد على شيخهم، أثار في نفسه استفهاما ولوما جعله يحاسب نفسه في يومها، واشتدت محاسبته لنفسه حتى أفرزت تراجعا وتذمرا خشي معه أن يكون منكرا على الشيخ من غير حق، وذلك هو شعور النفوس البريئة التي لا تتبع الهوى بل تنشد الحق أينما كان.

ولهذا السبب اندفع ابن عطاء الله إلى مجلس الشيخ "أبي العباس المرسى" لسمع بنفسه ويحقق أمر إنكاره عليه، ويحدثنا عن ذلك فيقول: «... كان اجتماعي به -بالشيخ أبي العباس- أن قلت في نفسي بعد أن جرت المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل: دعني أذهب أنظر إلى هذا الرجل، فصاحب الحق له أمارات ولا يخفى شأنه، فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم في الأنفاس التي أمر الشارع بها فقال: الأول إسلام، والثاني إيمان، والثالث إحسان، وإن شئت قلت: الأول عبادة، والثاني عبودية، والثالث عبودة، وإن شئت قلت: الأول شريعة والثاني حقيقة، والثالث تحقق أو

1 - ابن عطاء الله ، لطائف المنن ، ص 134.

2- ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص 128.

نحو هذا، فما زال يقول: وإن شئت قلت، وإن شئت قلت إلى أن بمر عقلي، وعلمت أن الرجل إنما يغترف من فيض بحر إلهي فأذهب الله ما كان عندي»¹.

تعرف ابن عطاء الله على "أبي العباس" وسمع منه وأقر بعلمه وبفضله، وانبهر عقله بما سمعه من علوم الحقيقة التي لم يكن يتذوق منها شيئاً، فافتحت بصيرته واطمئن قلبه وسكنت نفسه، وأذهب الله عنه ما كان يجده من الإنكار.

ثم عاد ابن عطاء الله إلى منزله وهو في حالة نفسية لا يرغب معها في الإقبال على أهله ولا غيرهم كما هي عادته، بل وجد في نفسه معنى غريباً، لا يدري كنهه، فأسلمه ذلك إلى العزلة والانفراد عن الناس، متأملاً في الكون وما خلق الله فيه من عجائب قدرته، وفي ذلك يقول: «... ثم أتيت تلك الليلة إلى المنزل فلم أجد فيّ شيئاً يقبل الاجتماع بالأهل على عادتي، ووجدت معنى غريباً لا أدري ما هو، فانفردت في مكان ما، أنظر إلى السماء وإلى كواكبها وإلى ما خلق الله فيها من عجائب قدرته، فحملني ذلك على العودة إليه مرة أخرى...»².

صحب ابن عطاء الله شيخه "أبا العباس المرسى" اثني عشر عاماً تلقى عنه الطريقة ونال منه الحظ الأوفر، وفي ذلك يقول: «... وشيخنا وإمامنا وقدوتنا في هذا الشأن - أي علوم الصوفية - أوجد وقته، وعلازمة زمنه، علم العارفين، قطب المهتدين، مظهر سناء الحقيقة، ومبين معالم الطريقة، العالم بالأسماء والحروف والدوائر، الجامع لعلم الظواهر والسرائر، سيدنا ومولانا "شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري المرسى الشاذلي" قدس الله سره، وهو الذي اقتبسنا من أنواره وسلكننا على نهج آثاره، وهو الذي أسرع بأسرارنا حتى لحقت، وفَتَّق ألسنتنا حتى نطق، غرس غرائس المعرفة في قلوبنا فأينعت ثمراتها وفاحت زهراتها، وهو الذي بفضل الله وعدنا، وبالكلام في العلمين أشار لنا لا نتسب إلا إليه ولا نعتد في هذا الشأن إلا عليه...»³.

2- دخوله زمرة المريدين:

¹ - المصدر نفسه ، ص 129.

² - ابن عطاء الله ، لطائف المنن ، ص 129.

³ - المصدر نفسه ، ص 162.

- أصبح ابن عطاء الله تلميذاً أو مریداً بلغة الصوفية متبعا لطريقة شيخه في السلوك مسلماً له في كل ما يقول ويفعل ، وحدثنا عن طريقة شيخه فقال: « ومبني طريقته رضي الله عنه على: الجمع على الله وعدم التفرقة، وملازمة الخلوة والذكر، ولكل مرید معه سبيل فيحمل كل واحد على السبيل التي تصلح له.
- وكان لا يحب المرید الذي لا سبب له، وكان يقول عن شيخه -أبي الحسن - رضي الله عنه: اصحبوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري فإن وجدت من هذا أعذب من هذا فردوا .
- وكان يدل المریدین على الانجماع في حبه ولا يُلزم المرید أن لا يرى غيره.
- وكان إذا دخل المرید في أورد بنفسه وهواه أخرجه عنها.
- وكان إذا مدح بقصيدة أو أبيات يجيز المادح بإقباله، وربما واجهه بنواله.
- وكان مكرماً للفقهاء ولأهل العلم، وطلبته إذا جاءوه.
- وكان يقول لأصحابه : إذا جاء رئيس أو ذو وجاهة عرفوني به.
- وكان أزهد الناس في ولاية الأمور، فإذا جاءوه أكرمهم وربما مشى لهم خطوات.
- وكان شديد التعظيم لشيخه أبي الحسن رضي الله عنه حتى إنك تشهد منه أن لا إثبات منه لنفسه معه، وكان ينشد إذا ذكر الشيخ رضي الله عنه هذه الأبيات :
- لي سادة من عزهم أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلي في حُبهم عز وجاه
- وكان من شأنه أنه ما غني به لايأكله، وكان يكره أن يعلم بطعام أو هدية قبل إتيانها، وكان لا يدعو للمحسن بحضرته، بل إذا غاب دعا له بظهر الغيب.
- وكان إذا أُهدي له شيء يسير تلقاه ببشاشة وقبول، وإذا أُهدي له كثير تلقاه بعز.
- وكان لا يثني على مرید ولا يرفع له علماً بين إخوانه خشية عليه أن يُحسد.
- وكانت صلاته موجزة في تمام، وكان يقول صلاة الأبدال خفيفة.
- وكان إذا تلا تقول: الكون كله مستمع له
- وكان كثير الرجاء لعباد الله، الغالب عليه شهود وسع الرحمة.

- وكان يكرم الناس حسب رتبهم عند الله حتى أنه ربما دخل عليه مطيع فلا يهتبل -أي لا يهتم- له وربما دخل عليه عاص فأكرمه، لأن ذلك الطائع أتي وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصي دخل عليه بكسر معصيته وذلة مخالفته»¹، وذلك الذي ترجمه ابن عطاء الله في الحكمة 96 فقال: «معصية أورثت ذلاً وافتقاراً، خير من طاعة أورثت عزا واستكباراً»²، والمعنى: «أن المعصية التي توجب الإنكسار أفضل من الطاعة التي توجب الاستكبار، لأن المقصود من الطاعة هو الخضوع والخشوع والانقياد والتذلل والانكسار، فإذا خلت الطاعة من هذه المعاني، واتصفت بأضدادها، فالمعصية التي توجب هذه المعاني، وتجلب هذه المحاسن أفضل منها، إذ لا عبرة بصورة الطاعة ولا بصورة المعصية، فثمرة الطاعة هي الذل والانكسار، وثمرتها المعصية هي القسوة والاستكبار، فإذا انقلبت الثمرات انقلبت الحقائق»³.

وقد أطلت في نقل هذه الأوصاف لأن ما قاله عن شيخه إنما هو متحقق به، وواصف لنفسه من خلاله، فقد كان لا يُثبت لنفسه مع شيخه شيء وهو وارث علمه، وهؤلاء الرجال الثلاثة "أبو الحسن الشاذلي" و "أبو العباس المرسى" و "ابن عطاء الله السكندري"، كل منهم يقول لصاحبه: «أنت أنا وأنا أنت»⁴.

1 - ابن عطاء الله، لطائف المنن، ص 148 إلى 152.

2 - ابن عطاء الله، الحكم العطائية، ضبط وتقديم: إبراهيم اليعقوبي، طبع بموافقة وزارة الإعلام، الجمهورية العربية السورية، الطبعة الثانية 1405هـ-1985م، ص 43.

3 - ابن عجيبة الحسني، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص 187.

4 - عبد الحليم محمود، مقدمة تحقيق لطائف المنن، ص 9.

3- خدمته للطريقة الشاذلية :

بعد صحبة دامت اثني عشر عاما لازم فيها ابن عطاء الله وصف المريد على يد "أبي العباس المرسى"، كلها تصحيح للطريق وتعريف بمسالكها، أصبح ابن عطاء الله صوفيا مرشدا إلى الله تعالى عارفا به، قادرا على تسليك غيره، ومن ثم كان له أثر الصوفي المرشد، كرس حياته للدعوة إلى طريق الله، وتهذيب المريدين على طريق الشاذلية، التي كان له فيها شأن، إذ ورث "أبا العباس المرسى" في علومه ومقاماته .

لم يترك الشاذلي ولا تلميذه أبو العباس المرسى مصنفات في التصوف، وكل ما خلفاه جملة أقوال في التصوف وبعض الأدعية والأحزاب، وكان ابن عطاء الله هو أول من جمع أقوالهما ووصاياهما وأدعيتهما وترجم لهما، فحفظ بذلك تراث الطريقة الشاذلية الروحي، ولولاه لضاع هذا التراث، كما أنه أول من صنف مصنفات كاملة في بيان آداب الطريقة النظرية والعملية، ومن ثم جاءت أهميته البالغة في الطريقة والتعريف بها وبقواعدها لكل من جاء بعده².

يعد ابن عطاء الله أحد أعمدة المدرسة الشاذلية الكبار، فهو بحق واضعها في صورتها الكاملة بعد أن قام الشاذلي والمرسي بدور التأسيس، وهو الموسع الحقيقي لنطاق الشاذلية، والمنظر الحقيقي لفكر المدرسة الشاذلية حيث صيّر لها مذهبا كاملا في التربية والتهذيب، ولؤلؤاته قيمتها الخاصة عند الصوفية عامة لاسيما كتابه "الحكم"، وأبرز ما أضافه ابن عطاء الله للمدرسة الشاذلية، وللتصوف عموما هو تعميقه للمبدأ الذي بنت عليه المدرسة الشاذلية أصولها وهو "إسقاط التدبير" إذ جعله مذهبا كاملا في التصوف حتى أفرد له رسالة سماها "التنوير في إسقاط التدبير"³.

¹ - الطريقة: هي طريق يوصل إلى الله تعالى، وهي أخص من الشريعة، لأنها تشمل على أحكام الشريعة بالإضافة إلى الأعمال القلبية والرياضات والعقائد المختصة بأعضائها، ويضعها شيخ لبلوغ المريدين الغاية من التصوف .

عبد المنعم الحفني ، الموسوعة الصوفية ، ص 852.

2 - عبد الوهاب فرحات ، سيدي أبو الحسن الشاذلي حياته ومدرسته في التصوف ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الأولى 2003م ، ص251.

³ - المرجع نفسه ، ص 151-252.

إضافة إلى ذلك كانت لابن عطاء الله أهمية أخرى من ناحية نشر الطريقة بمصر وبغيرها من الأقطار الإسلامية، إذ كان له سند الطريقة من حيث تلقين العهد، إذ أغلب الطرق ترجع في سندها إلى ابن عطاء الله¹.

وتتلخص تعاليم الطريقة الشاذلية في أصول خمسة² هي:

- تقوى الله في السر والعلانية . - اتباع السنة في الأقوال والأفعال .

- الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار . - الرضا عن الله في القليل والكثير .

- الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء .

وأبرز تعاليمها كذلك القول بإسقاط التدبير والاختيار، وهو الأصل الذي ينبني عليه الطريق كله.

تظهر خدمة ابن عطاء الله للمدرسة الشاذلية في تأليفه كتاب "لطائف المنن" إذا عرّف بالشيخ "أبي الحسن الشاذلي" والشيخ "أبي العباس المرسى" مؤسسي الطريقة، فبين سيرتهما ومناقبهما وقيام طريقتهم على الكتاب والسنة، وبهذا التأليف هياً الأذهان لقبول ما يرد من كرامات الأولياء وعلو قدرهم وما ثبت لهم من تصرفاتهم، إذ قال في مقدمة "لطائف المنن": «... وذكرت أقسام الولاية، وغزارة قدر الولي وفخامة رتبته وشفوف منزلته، مما تضمنه الكتاب العزيز والأحاديث النبوية ليكون ذلك توطئة لك، بتصديق ما يرد عليك من أخبار أوليائه وكرامات أصفياه»³، ويقول عن هدفه من تأليفه: «وقصدت بذلك أن تنتفع به هذه الطائفة خصوصاً وغيرهم عموماً، ليؤمن بأحوال هذه الطائفة من قسم الله له نصيباً من المنّة وجعل في قلبه نورا من الهداية، وليرجع المكذب إلى الاعتراف، والمكابر إلى الانصاف، ولتستبين لمن أراد الله به الهدى المحجّة، وتقوم على من لم تنصره عناية الله الحجة، فيكون للمصدق بتصديقه لهذه الطائفة نصيب من الولاية، ودنو من العناية...»⁴.

¹ - المرجع نفسه ، ص 252.

² - المرجع نفسه ، ص 232 .

³ - ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، تحقيق: عبد الحليم محمود ، ص 26.

⁴ - المصدر نفسه ، ص 27-28.

فابن عطاء الله هو الذي كان له الفضل الكبير في كثير مما نعرفه عن آثار "أبي العباس المرسى" وفي بيان كثير مما نعرفه عن القطب الكبير الحجة "أبي الحسن الشاذلي" رضي الله عنه وابن عطاء الله هو الذي جند قلمه للدعوة إلى طريق الله فكتب هذه الدرر التي تركها مصابيح وأنجما تهدى السائر ين إلى الله تعالى¹.

4- تصوف الشاذلية بين ابن عربي والغزالي:

كان تصوف "الشاذلي" و"المرسي" و"ابن عطاء الله"، وهم أركان المدرسة الشاذلية، بجانب مدرسة ابن عربي (ت 638هـ) ومذهبها في التصوف الفلسفي، فلم يكن واحد منهم قائلاً بهذا المذهب، لأنهم يدركون أن هذا المذهب تصوف الخاصة، ولا تفهمه إلا فئة قليلة من الناس². ولا يعني هذا عدم وجود صلة بين "مدرسة ابن عربي" و"مدرسة الشاذلي"، فالمدرستان تفرعتا عن أستاذ مغربي واحد هو "أبومدين الغوث التلمساني" المتوفي سنة 594هـ، وهو الذي يمثل مذهب الفناء في التوحيد خير تمثيل، وتعلمذ عليه ابن عربي وكثير من شيوخ الشاذلي. وإلى جانب ذلك هناك اتصال وقع بين الشاذلي وبين أصحاب ابن عربي في مصر، وقع فيه كلام عن حقائق التصوف. إذ يذكر ابن عياد الشاذلي اتصال "صدر الدين القونوي"³ تلميذ "ابن عربي الحاتمي" فيقول: «لما قدم الشيخ القونوي تلميذ "ابن عربي" إلى الديار المصرية اجتمع بالشيخ "أبي الحسن الشاذلي"، وتكلم بحضرته بعلوم كثيرة والشيخ مطرق إلى أن استوفى الشيخ "صدر الدين" كلامه، فرفع الشيخ "أبو الحسن" رأسه وقال: أخبرني أين قطب الزمان اليوم ومن صديقه وما علومه؟ قال: فسكت الشيخ "صدر الدين" ولم يرد جواباً»⁴.

1 - عبد الحليم محمود ، مقدمة تحقيق لطائف المنن ، ص 9.

2 - عبد الوهاب فرحات ، سيدي أبو الحسن الشاذلي حياته ومدرسته في التصوف ، ص 111-112.

3 - صدر الدين القونوي : هو قاضي القضاة علاء الدين علي بن إسماعيل بن القونوي المتوفي سنة 729هـ ، صاحب التصانيف الكثيرة، كان ذا دين ونزاهة وصيانة وحياء وغزارة علم . الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت 745هـ) ، الإعلام بوقيات الأعلام ، تحقيق مصطفى بن علي عوض، وريع أبو بكر الباقي ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، الطبعة الأولى 1413هـ-1993م ، ج 2 ص 502.

4- ابن عياد الشاذلي ، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية ، ص 47-48.

روى ابن عطاء الله أيضا اتصال "أبي العلم يس" أحد أصحاب "ابن عربي الحاتمي" بالشاذلي في مجلس "عز الدين بن عبد السلام"¹، ورغم هذا الاتصال، فقد كان الشاذلي وتلاميذه ومنهم ابن عطاء الله متمسكين بالكتاب والسنة، لأن طريقة الشاذلي تقوم على الأخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله، والافتداء بالخلفاء والصحابة والتابعين، وبالأئمة الهداة²، ودليل ذلك قول الشاذلي لمريده: «إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف»³.

وعلى قدر بعد الشاذلية وابن عطاء الله عن مذهب ابن عربي وأصحابه، نجد قريهم من تصوف "أبي حامد الغزالي"⁴ المتقيد بالكتاب والسنة وتأثرهم به، ويكفي ما رواه ابن عطاء الله عن الشيخ أبي العباس والشيخ أبي الحسن من أقوال تثني على طريقة "أبي حامد الغزالي" وتبيين منزلته في نفوسهم، وأنهم كانوا يدعون المريدين إلى الاقتداء به وانتهاج سنته وطريقته.

- كان الشاذلي يقول لمريده: «إذا عرضت لكم إلى الله حاجة فتوسلوا إليه بالإمام أبي حامد الغزالي»⁵، ويقول أيضا ناصحا: «كتاب الإحياء - للغزالي - يورثك العلم، وكتاب "القوت" للمكي⁶ - أي أبي طالب المكي - يورثك النور»⁷.

1- ابن عطاء الله ، لطائف المنن ، ص 145.

2 - عبد المنعم الحفني ، الموسوعة الصوفية ، ص 805.

3- عبد الوهاب الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ج 1 ص 163.

- ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص 141.

4 - الغزالي : هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد (450-505هـ) ، نشأ في غزالة من قرى طوس ، كتبه نحو من مائتي كتاب ، ترجم لحياته في كتابه "المنقذ من الضلال" ، أشهر كتبه "إحياء علوم الدين" . عبد المنعم الحفني ، الموسوعة الصوفية رقم الترجمة 228 .

5- ابن عطاء الله ، لطائف المنن ، ص 135.

6 - المكي أبو طالب : هو محمد بن عطية الحارثي صاحب المرجع الثبت في التصوف ، تأثر به الغزالي والمكي من أهل الجبل بين بغداد وواسط وشهرته بمكة لنشأته بها ، توفي ببغداد سنة 386هـ . عبد المنعم الحفني ، الموسوعة الصوفية رقم الترجمة 49.

7- ابن عطاء الله ، لطائف المنن ، ص 121.

- وكان أبو العباس المرسي يقول عن الغزالي: «إنا لنشهد له بالصدقية العظمى»¹، وقد ذكر ابن عطاء الله الإمام الغزالي في مواضع كثيرة من مصنفاته معظما له ومبجلا اقتداء بشيخه. ومما تجدر الإشارة إليه، أنه رغم اتجاه الشاذلي والمرسي وبعدهما ابن عطاء الله في التصوف وجهة الغزالي، إلا أنهم لم يطعنوا في الصوفية المنسوب إليهم القول بوحدة الوجود أو الحلول، ولا في حكيم الإشراف "السهروردي"² المقتول، الذي كان المرسي يتمثل أحيانا ببعض شعره في الحب³، ولا في "أبي يزيد البسطامي" وغيره من أصحاب الشطحات، وذلك لأنهم لم يشغلوا أنفسهم بالحكم على عقيدة هؤلاء، أو لأنهم كانوا يرون لبعضهم منزلة وفضلا كـ "أبي يزيد البسطامي"⁴ و"الحلاج"⁵، أو لأنهم كانوا يرون أن أصحاب الشطحات مغلوبون على حالهم وغير مسؤولين عما صدر منهم من أقوال مستثناة الظاهر، ويكون موقفهم كموقف "الجنيد"⁶ الذي كان يجد لهم الأعذار ويدافع عنهم، ومما يرجح هذا الاحتمال الأخير قول ابن عطاء الله: «... ولكيلا تضل أو تنسى أعد قراءة ابن عربي بفهم جديد لرموزه، وإيجاءاته تجده مثل القشيري، قد اتخذ طريقه إلى التصوف في ظل ظليل من الكتاب والسنة، إنه مثل حجة الإسلام الغزالي يحمل على الخلافات المذهبية في العقائد والعبادات، ويعتبرها انشغالا بما لا جدوى منه، ويدعو إلى أن محبة الله هي طريقة العابد في الإيمان فماذا تنكر من هذا يافقيه. يقصد ابن تيمية ؟!..... إن له لغة

¹ - المصدر نفسه ، ص 119.

² - السهروردي المقتول : هو شهاب الدين ويلقب بالمقتول لأنه اتهم بالكفر والخروج عن السنة توفي سنة 587هـ عن عمر بين 36 و38 وله نحو 49 كتابا . عبد المنعم الحنفي ، الموسوعة الصوفية رقم الترجمة 174.

³ - ابن عطاء الله ، لطائف المنن، ص 139.

⁴ - البسطامي : هو : أبو يزيد الأكبر طيفور بن عيسى (188-261هـ) من بسطام خراسان لم تؤثر عنه كتابات في التصوف ، ولكن أقواله رصدها محبوه وأصبحت مذهباً في التصوف . عبد المنعم الحنفي ، الموسوعة الصوفية القسم الأول رقم الترجمة 49.

⁵ - الحلاج : هو الحسين بن منصور الشاعر الصوفي اختلفوا فيه فردته جماعة وأنكرته وقبلته جماعة وأثنت عليه وحكت عنه ، وكان ميلاده سنة 244هـ واسمه الحلاج لأن أباه كان يعمل في صناعة الحلج وحكم عليه بالإعدام ببغداد سنة 309هـ . عبد المنعم الحنفي ، الموسوعة الصوفية القسم الأول رقم الترجمة 105.

⁶ - الجنيد : هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد (ت297هـ) أصله من نخاوند وولد ونشأ ببغداد ، صحب خاله السري السقطي وتلقى على المحاسبي والقصاب . عبد المنعم الحنفي ، الموسوعة الصوفية رقم الترجمة 89.

خاصة، وهي مليئة بالإشارات والرموز والإيحاءات، والأسرار والشطحات»¹. فظهر أن ابن عطاء الله يدافع عن ابن عربي ويؤول له ويعترف بعمق رموزه وإشاراته، ويعد هذا هو النص الوحيد الذي وجدته لابن عطاء الله في ذكر ابن عربي.

5- ابن عطاء الله الشاذلي والطرق الصوفية:

نشأ ابن عطاء الله بالإسكندرية وكان بها كثير من المشهورين بالزهد والورع، ك"أبي القاسم القباري" المالكي الإسكندري (ت662هـ)، و"ياقوت الحبشي" (ت722هـ)، و"شرف الدين محمد بن حماد البوصيري" (ت695هـ) صاحب "البردة" المشهورة في مدح الرسول، وكان من تلاميذ "أبي العباس المرسي"، وأورد له ابن عطاء الله قصيدة يمدح بها أستاذه المرسي²، ومن أبرز دعاءات التصوف في القرن الذي نشأ فيه ابن عطاء الله الشيخ "شرف الدين عمر بن الفارض" الملقب بسلطان العاشقين، والمتوفى سنة 632هـ³.

في عصر ابن عطاء الله ازدهرت حركة الطرق الصوفية، كالطريقة الرفاعية التي أسسها الشيخ "أبو العباس أحمد الرفاعي" المتوفى بالعراق سنة 570هـ، ذلك حين وفد إلى مصر الشيخ "أبو الفتح الواسطي" في مستهل القرن السابع، والطريقة الأحمدية المنسوبة إلى الشيخ "أحمد البدوي" المتوفى سنة 675هـ⁴، والطريقة البرهامية، وهي مصرية خالصة أسسها الشيخ "إبراهيم الدسوقي"⁵ القرشي المتوفى سنة 676هـ⁶.

إلى جانب ذلك شارك ابن عطاء الله في ازدهار حركة الطرق الصوفية، فقد كان المبشر بالطريقة الشاذلية والقائم عليها من بعد شيخه المرسي، كما أنه حرص على تقويم أي اعوجاج في

¹ - السيد الجميلي ، مناظرات ابن تيمية مع فقهاء عصره ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الأولى 1405هـ-1985م ، ص 17-18-20.

² - ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن ، ص 237.

³ - درس مذهبه بالتفصيل وبين أهميته في التصوف المصري، محمد مصطفى حلمي في كتابه "ابن الفارض والحب الإلهي" .

⁴ - عبد الوهاب الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ج 1 ص 158-159 .

⁵ - إبراهيم الدسوقي : هو العارف بالله إبراهيم الدوسقي (653هـ-676هـ) من أجلاء مشايخ مصر أصحاب الخرقه وطريقته البرهامية . عبد المنعم الحنفي ، الموسوعة الصوفية رقم الترجمة 126.

⁶ - عبد الوهاب الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ج 1 ص 159 .

أتباع الطرق الصوفية ممن كانوا يدعون أحوالا ومقامات تصنعوا وغرورا، ولذلك نجده يعيب على هؤلاء في مصنفاته، مصورا حالة ادعائهم، ومحدرا مريده من الاغترار بهم¹.

ظهر الصوفية المصريون بطابع خاص، وهو العناية بالجانب العملي الخلقي من التصوف أكثر من الخوض في المسائل النظرية الصوفية، ولهذا لقي المبشرون بالطرق الصوفية، ممن كانت دعوتهم علمية خلقية كـ " الواسطي والبدوي والدسوقي والشاذلي "، قبولا وشيوعا وانتشارا في مصر منذ القرن السابع الهجري، وهذا ما يفسر عدم ظهور صوفية في مصر امتزج تصوفهم بالفلسفة كـ " الحلاج وابن عربي وابن سبعين وعفيف التلمساني ".

فابن عطاء الله صوفي مصري حمل لواء الشاذلية وهو متقيد بمذهب أهل السنة وعقيدة "أبي الحسن الأشعري"، خاضع للتصوف الشاذلي المغربي المستند إلى الكتاب والسنة، وهما هو السيوطي يصور اتجاه ابن عطاء الله في تقيده بالكتاب والسنة فيقول: « وكلام الشيخ تاج الدين -ابن عطاء الله - وكتبه دائرة مع الكتاب والسنة واقفة مع الشرع، زاجرة عن الخواطر التي لم توزن بميزان الشريعة »².

ويقول السيوطي أيضا: « وإذا تأملت كتب المعبرين كرسالة القشيري وغيرها، وكلام الشاذلي، وكتب الشيخ تاج الدين - ابن عطاء الله - لم تجد فيها لفظة من ذلك - يعني مسائل نظرية من شأن التصوف الفلسفي كوحدة الوجود - وإن وقع في كلامهم لفظ الوحدة فمرادهم به التوحيد، وانفراد الله بالوجود ولوازم الوجود، لا الذي يريده أولئك - يقصد ما ينسب للتصوف الفلسفي - »³.

يمكن القول أن تصوف ابن عطاء الله تصوف إسلامي سني خالص، يهدف إلى التهذيب الخلقي والتربية الروحية، ويعنى تصوفه بالجانب العملي، وقد فصل ابن عطاء الله في مصنفاته رياضات التصوف كالذكر والخلوة والعزلة وما إليها، حتى أصبحت أفكاره قواعد في الطريقة الشاذلية معمولاً بها إلى اليوم، وقد انتشرت تعاليمه في البيئة المصرية في حياته، وعمت

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، خرج آياته وأحاديثه خليل منصور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى 1419هـ-1998م، ص 51.

² - جلال الدين السيوطي ، تأييد الحقيقة العلية وتشيد الطريقة الشاذلية ، ص 69.

³ - المصدر نفسه ، 69 .

المدخل التمهيدي : ابن عطاء الله ونشأته العلمية والصوفية وجهوده في التأليف

بعد وفاته في كثير من الأقطار الإسلامية، على أيدي تلاميذه ممن تفرعت عنهم الطريقة الشاذلية، وعلى أيدي شراح مصنفه "الحكم".

المطلب الثالث :

جهود ابن عطاء الله في التأليف .

1. تعداد مصنفات ابن عطاء الله .
2. التعريف بخمسة مصادر تهمنا في البحث .
3. تأليف ابن عطاء الله في التفسير .

1. تعداد مصنفات ابن عطاء الله:

ذكر المترجمون لابن عطاء الله مصنفات، وليس هناك مترجم واحد جمعها كلها، بل أثبت كل واحد ما وصل إلى علمه منها ، ومن أجل استقصائها لابد من تتبع مواضع ذكرها في ثنايا كتب التراجم . غير أن هناك باحثا معاصرا هو "أحمد عز الدين عبد الله خلف الله" جمع تلك المصنفات أثناء تحقيقه لكتاب "الحكم العطائية" ، كما أشار إلى بعضها بذكر مواضع النسخ الخطية ومكتباتها، وأحيانا ذكر تاريخ طبعاتها، ومن ثم فقد اعتمدت عليه كثيرا في إحصاء هذه المصنفات.

لقد بورك لابن عطاء الله في عمره إذ عاش واحدا وخمسين عاما علّم فيها الكثير ولقن الكثير، وخلف مصنفات جمّة تلقّتها الأجيال بعده بالقبول وخاصة الصوفية منهم، وكتب لها البقاء، وتختلف هذه طولا وقصرا وأسلوبا ، فهي تعكس لنا بوضوح ثقافة المؤلف وبراعته في عدة فنون كما يلي:

- فمنها ما يعكس صورته أدبيا ذا أسلوب وطريقة في البلاغة.
 - ومنها ما يعكس صورته صوفيا من أرباب الذوق ويعبر عن أدق أحوال النفس الإنسانية في حال سلوكها إلى الله.
 - ومنها ما يعكس لنا صورته نحويا فقيها أصوليا ذا دراية بالمنطق والفلسفة وعلم الخلاف.
 - ومنها ما يعكس صورته خطيبا واعظا يرشد عامة الناس إلى طريق الله بعباراته القوية النافذة.
- ومن ثم يمكننا بعد ذكر المصنفات العطائية وذكر خصائص كل منها، الجمع بينها في مجموعات ثلاث، حيث يكون لكل مجموعة منها خصائص معينة من ناحية الأسلوب وطريقة التأليف :

1- من المصنفات العطائية ما هو من قبيل العبارات الرمزية القصيرة القليلة الألفاظ الكثيرة

المعنى، والتي لا تبين مراميها في سهولة ويسر، مثل "الحكم".

2- و منها رسائل خصصت لأغراض معينة، ومدونة بأسلوب علمي مرتب، مثل

"لطائف المنن" والقصد المجرد في معرفة الاسم المفرد، ومفتاح الفلاح ومصباح الأرواح

3- ومنها رسائل يغلب عليها طابع الوعظ، ومدونة بأسلوب خطابي مثل "تاج العروس

الحاوي لتهديب النفوس"، و"التنوير في إسقاط التدبير"، وسائر ما كتبه من الوصايا

لإخوانه.

وفيما يلي تعداد أسماء مصنفاته :

1. الحكم العطائية.
- 2- وصية إلى إخوانه بمدينة الإسكندرية.
- 3- التنوير في إسقاط التدبير.
- 4- لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن.
- 5- تاج العروس الحاوي لتهديب النفوس
- 6- القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد.
- 7- مفتاح الفلاح و مصباح الأرواح.
- 8- عنوان التوفيق في آداب الطريق.
- 9- رسالة في التفسير.
- 10- قصائد .
- 11- المرقى إلى القدس الأبقى.
- 12 - مختصر تهذيب المدونة للبراعى.
- 13 - رسالة في القواعد الدينية .
- 14 - مواعظ .
- 15 - تحفة الخلان في نصيحة الإخوان .
- 16 -الأدعية والأحزاب والأوراد.
- 17 - التحفة في تصوف.
- 18 - تنبيه في طريق القوم .
- 19-رسالة في السلوك

2. التعرف بخمسة مصادر تهمنا في البحث:

سأفرد هنا خمسة من مصنفات ابن عطاء الله، إذ تمثل نسبة 90 في المائة من مؤلفاته وهي المعبرة عن فكره وأسلوبه، ثم هي من مصادر التصوف التي لا يُستغنى عنها، وتعد بحق صلبا لبحثنا هذا نرتبها كما يلي :

أ- التنوير في إسقاط التدبير:

أفرد ابن عطاء الله "لإسقاط التدبير" مصنفًا خاصًا يشرح نظريته ويؤيدها بمختلف الأدلة، إذ أن مذهبه يدور حول محور واحد هو إسقاط الإنسان لتدبيره مع الله تعالى والرضا بما يورده عليه ، فيقول عن ذلك : «...أما بعد، فاعلم يا أخي جعلك الله من أهل حبه وأتخفك بوجود قربه، وأذاقك من شراب أهل وده، وأمنك بدوام وصلته من إعراضه وصدده أن من طلب الوصول إلى الله تعالى فحقيق عليه أن يأتي الأمر من بابه، وأن يتوصل إليه بوجود أسبابه، وأهم ما ينبغي تركه والخروج عنه والتطهر منه وجود التدبير ومنازعة المقادير، فصنفت هذا الكتاب مبينا لذلك، ومظهرًا لما هنالك، وسميته "التنوير في إسقاط التدبير" ، ليكون اسمه موافقا لمسماه ولفظه مطابقا لمعناه»¹.

موضوع كتاب "التنوير" يدور حول التوكل التام على الله والوصول إليه، وبدأه ابن عطاء الله في مكة وأتمه في دمشق سنة 695 هـ² الموافق ل 1296م. وهو يتضمن بابين أساسيين، في كل منهما عدة فصول :

– الباب الأول شامل لبيان الأدلة على نظريته من الكتاب والسنة، ثم بيان الدوافع إلى إسقاط التدبير، وأقسام التدبير المذمومة والمحمودة وغير ذلك³.

– الباب الثاني فهو تطبيق لنظريته في إسقاط التدبير في مجال الرزق واكتسابه¹، ويورد فيه كثيرا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مما يؤيد أفكاره، و يعتمد فيه إلى إيراد أمثلة مشيرة إلى

¹ – ابن عطاء الله ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 4 .

² – ابن عطاء الله السكندري ، الحكم أقوى دستور تربوي صاغه في القرن السابع الهجري ، تحقيق: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله ، ص 48.

³ – ابن عطاء الله ، التنوير في إسقاط التدبير ، من ص 3 إلى 60 .

أمر محسوسة يؤيد بها مذهبه أيضا، كتبها بأسلوب وعظي، وعمد فيها إلى الاستعارات والأخيلة الأدبية .

ويختتم ابن عطاء الله كتابه "التنوير" بفصل يلخص فيه ما تضمنه الكتاب في صورة مناجاة لله سبحانه وتعالى على لسان أهل الحقيقة في شأن التدبير والرزق لعبده²، وفيها من البراعة الأدبية والذوق العاطفي ما فيها.

ب- لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن:

ألف هذا الكتاب سنة 698 هـ أو بعدها كما ظهر ذلك من بعض نصوص الكتاب، إذ حدثنا أنه اجتمع مع السلطان "حسام الدين لاجين" رحمه الله³، والسلطان قتل سنة 698 هـ مما يدل على أن تأليف الكتاب بعد وفاته . وقد ألفه بعد ما ظهر شأن الطريقة الشاذلية وأصبح المتكلم باسمها وملقن الذكر للمريدين، ولم يتصد أحد من الشاذلية لبيان مناقب الشيخ "أبي العباس المرسى" و"شيخه أبي الحسن الشاذلي"، فحفظ لنا بهذا الكتاب مناقب الشيخين، وقال عن غرض هذا الكتاب: «..... أما بعد فإني قصدت في هذا الكتاب أن أذكر جملا من فضائل سيدنا ومولانا قطب العارفين، علم المهتدين، حجة الصوفية، مرشد السالكين..... الواصل إلى الله والموصل إليه، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري المرسى.... وأذكر شيخه الذي أخذ عنه، ومنازلاته التي نقلت عنه وسمعتها عنه، وكراماته وعلومه وأسراره ومعاملاته مع الله سبحانه وتعالى،.... ولا أعلم أن أحدا من أصحاب شيخنا أبي العباس رضي الله عنه، تصدى لجمع كلامه، وذكر ما فيه، وأسرار علومه وغرائب، فجذبني ذلك إلى وضع هذا الكتاب⁴».

لم يقتصر ابن عطاء الله في كتابه على هذا، بل ضمنه كثيرا من آرائه في التصوف، فقدم له بمقدمة في معاني النبوة والرسالة والولاية⁵، وفي غير هذا من الموضوعات الصوفية الأخرى كالفناء

¹ - المصدر نفسه ، ص 60 وما بعدها .

² - المصدر نفسه ، ص 117 وما بعدها .

³ - ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن في مناقب أبي العباس وشيخه أبي الحسن ، ص 224 .

⁴ - المصدر نفسه ، ص 24- 25 .

⁵ - المصدر نفسه ، ص 30 وما بعدها .

والبقاء والمعرفة وتفسير الوجود والحب الإلهي، ثم أعقبها بفصل خاص عن الكرامات ومذهبه في الزهد فيها¹، كما ذكر في ثناياه روايات عن حياته الصوفية.

وقد اعتمد على هذا الكتاب كل من جاء بعده من الذين ترجموا للشاذلي وأثبتوا مناقبه وأقواله، فكان لابن عطاء الله بذلك فضل السبق في تخليد تراث الطريقة الشاذلية، هذا بالإضافة إلى أن ما ذكره فيه من القواعد أصبح معمولاً به عند جميع الشاذلية بل عند كثير من الصوفية . ويمتاز هذا الكتاب عن سائر كتب ابن عطاء الله بأنه مدون تدوينا علميا، بأسلوب منظم مرتب، وفق منهج معلوم. وقد ختم ابن عطاء الله كتابه "لطائف المنن" بخاتمة ذكر فيها تحقيق نسبه الصوفي إلى شيخه أبي العباس المرسى وأثنى على ذلك².

ج- تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس :

ألف ابن عطاء الله كتابه هذا بعد "التنوير" و "لطائف المنن"، فهو مؤلف منهما كما يقول ابن عجيبة³، وهو مجموعة مواعظ صوفية يحث فيها ابن عطاء الله المريد على الالتزام بالآداب الشرعية والصوفية، وجهها لعامة الناس، إذ يقول في أولها: «.....أيها العبد : اطلب التوبة من الله في كل وقت، فإن الله تعالى قد ندبك إليها فقال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁴، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾⁵، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِيَّيْ لِيُعَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِيَّيْ لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً)⁶ فإن أردت التوبة التوبة فينبغي لك ألا تخلو من التفكير طول عمرك، فتفكر فيما صنعت في نهارك فإن وجدت

¹ - المصدر نفسه ، ص 75 .

² - المصدر نفسه ، ص 257 .

³ - ابن عجيبة الحسني ، إيقاظ الهمم ، ص 10 .

⁴ - سورة النور الآية 31 .

⁵ - سورة البقرة الآية 222 .

⁶ - حديث "إنه لِيُعَانُ عَلَى قَلْبِي" رواه أبو بردة عن الأغر المزني

وأخرجه بهذا الطريق مسلم في صحيحه ج 4 ص 2075 برقم 2702 .

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج 4 ص 260 برقم 18317 .

وأخرجه أبو داود في سننه ج 2 ص 84 برقم 1515 .

وأخرجه ابن حبان في صحيحه ج 3 ص 211 برقم 931 .

طاعة فاشكر الله عليها، وإن وجدت معصية فوبخ نفسك على ذلك واستغفر الله وتب إليه...¹، ثم يمضي بهذا الأسلوب ويضرب الأمثلة أحيانا فيقول: «... فمثال المعصية كالنار، والظلمة دخانها، كمن أوقد في بيت سبعين سنة، ألا تراه يسود؟، وكذلك القلب يسود بالمعصية فلا يظهر إلا بالتوبة إلى الله مثال العبد إذا فعل المعصية كالقدر الحديد، يوقد تحتها النار ساعة فتسود، فإن بادرت إلى غسلها انغسلت من ذلك السواد، وإن تركتها وطبخت فيها مرة بعد مرة ثبت السواد فيها حتى تُكسر ولا يفيد غسلها شيئا، فالتوبة هي التي تغسل سواد القلب فتبرز الأعمال و عليها رائحة القبول»²، فهذه الأمثلة نافعة للعامة لتقريب المعاني إلى أفهامهم .

د- القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد:

هذه رسالة صنفها ابن عطاء الله ليبين مذهبه في التوحيد، وموضوعها البحث في الذات الإلهية، وصفاتها، وأسمائها، وأفعالها، وطريق معرفتها، وما إلى ذلك من مباحث التوحيد. وفي هذا المصنف ظهر تضلع ابن عطاء الله في الفلسفة و علم الكلام، واستعماله لاصطلاحات الفلاسفة والمتكلمين في القدم والحدوث، وأقسام الوجود، وما يتعلق بالأعراض كالحركة والسكون والتغير وغيرها³، كما تظهر ثقافة ابن عطاء الله الكلامية على مذهب "أبي الحسن الأشعري" حين حديثه عن مشكلة الذات والصفات فيقول مثلاً: «... و اعلم أن جميع صفات الله تعالى هي صفة الألوهية و نعت لها، ولا يقال فيها أنها هو، ولا هو هي، ولا غيره... الخ»⁴. وإذ تضمن هذا المصنف أنظارا عقلية، انطوى أيضا على أذواق صوفية متعلقة بالجانب الأخلاقي حين يحدثنا عن التحلق بأخلاق الله⁵، وعن أذواق متعلقة بالمعرفة فيتحدث عن المعرفة

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الطبعة

الأولى 1425هـ - 2005م ، ص5.

² - المصدر نفسه ، ص4-5.

³ - ابن عطاء الله ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ضبط وتصحيح : مرسى محمد علي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة 2005م ، ص38-39.

⁴ - المصدر نفسه ، ص 35 وما بعدها .

⁵ - المصدر نفسه ، ص 24 وما بعدها.

المدخل التمهيدي : ابن عطاء الله ونشأته العلمية والصوفية وجهوده في التأليف

بالله من حيث موضوعها ومناهجها¹، وعن معنى المشاهدة وأقسامها²، وغير هذا من مباحث التصوف.

وقد ذكر هذه الرسالة كل من "ابن عجيبة"³ و"الحاج محمد الكوهن" بعنوان "القول المجرد في معرفة الاسم المفرد"⁴، وبالجملة فهو يتبع النهج القرآني وبيانه المحمدي⁵.

هـ الحكم العطائية :

ذكر حاجي خليفة أن ابن عطاء الله لما صنف كتابه "الحكم" عرضها على شيخه أبي العباس المرسي فقال له: « يا بني لقد أتيت في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء وزيادة »⁶، وبناء على هذا تكون "الحكم" قد ألفت قبل عام 686هـ، أي قبل وفاة أبي العباس المرسي، وبذلك تكون "الحكم" من مصنفات الشباب أي قبل سن الثلاثين .
لعل كتاب "الحكم" هو أول مصنف لابن عطاء الله فقد أشار إليه واقتبس فقرات منه في كل مصنفاته الأخرى كـ "التنوير في إسقاط التدبير"⁷، و"لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي

¹ - المصدر نفسه ، ص 9 و25.

² - المصدر نفسه ، ص 10-11.

³ - ابن عجيبة الحسني ، إيقاظ المهمل في شرح الحكم ، ص 10 .

⁴ - الكوهن الحسن بن محمد بن قاسم التازي المغربي (ت بعد 1348) ، طبقات الشاذلية (جامع الكرامات العلية في طبقات الشاذلية ، طبعة سنة 1347هـ ، ص 99.

⁵ - لابن عطاء الله السكندري ، الحكم أقوى دستور تربوي ، تحقيق: أحمد عز الدين خلف الله ، ص 47 .

⁶ - حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1413هـ-1992م ، ج 1 ص 675 .

⁷ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 19 .

العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن¹، و"تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس"²، و"عنوان التوفيق في آداب الطريق"³.

وقد نالت "الحكم" قدرا من الخدمة لم ينته من القرن الثامن إلى العصر الحاضر بالشرح والنظم، والترجمة إلى لغات كالتركية والهندية، وآخر شرح لها وبيان لمعانيها صدر للأستاذ "سعيد رمضان البوطي" في أجزاء سماه «الحكم العطائية شرح وتحليل»، وقال في أوله: «وبعد فقد شرفني الله.... بقراءة حكم ابن عطاء الله رحمه الله تعالى، والتعليق عليها بما فتح الله به عليّ، خلال سلسلة من الدروس التي بدأت إلقاءها عام 1974م في مسجد السنجقدار بدمشق، ثم في مسجد تنكز، ثم في مسجد الإيمان من البلدة نفسها»⁴، كما صدر للأستاذ "عاصم إبراهيم الكيالي"⁵ بعنوان "اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية"، قال في أوله: «وهذا شرح لثلاثين حكمة في تربية النفس.....»⁶.

موضوعاتها :

تعتبر "الحكم" مذهباً صوفياً يجمع آراء وأفكار ابن عطاء الله في التصوف، وما جاء في مصنفاته الأخرى إنما هو شرح وتفصيل لما احتوته، ولها موضوعات مختلفة⁷ :

- منها ما يتناول الأحكام الشرعية من حيث آثارها في قلوب المتعبدين السالكين.

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، تحقيق عبد الحليم محمود ، ص 114 .

² - ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 48-49 .

³ - ابن عطاء الله السكندري ، عنوان التوفيق في آداب الطريق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1425هـ-2004م، ص 54 .

⁴ - سعيد محمد رمضان البوطي ، الحكم العطائية شرح وتحليل ، دار الفكر دمشق ، الطبعة الأولى 1421هـ-2000م ، ص 7.

⁵ - وهو رئيس قسم البحوث بدائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بإمارة دبي .

⁶ - عاصم إبراهيم الكيالي . اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى . سنة 2003 م ، ص 5.

⁷ - هذه الموضوعات مستخلصة من شرح ابن عجيبة إذ جعل لكل باب ملخص جمع فيه مضمون حكم الباب .

- ومنها ما يعرض للمجاهدة النفسية، وما يتعلق بها وما يترتب عليها من المقامات والأحوال التي هي ثمرتها.
- ومنها ما يدور حول المعرفة وماهيتها وأدواتها ومناهجها وآداب المتحققين بها.
- ومنها ما يتضمن أفكارا في تفسير الوجود وصلته بالله وصلة الإنسان بالله.
- ومنها ما يشير إلى آداب السلوك العامة التي ينبغي أن يراعيها السالك في أول مجاهداته ومقاماته وأحواله ومعرفته، بل في طريقه من أوله إلى آخره.
- وخلاصة القول أن مؤلفات ابن عطاء الله كالشرح لما تضمنه كتاب "الحكم" خاصة كتابيه "لطائف المنن" و "التنوير في إسقاط التدبير"، أقر ذلك الشيخ أحمد زروق فقال: «لكن كتبه مليئة بشرحها لاسيما "التنوير في إسقاط التدبير" و "لطائف المنن"، اللذين هما كالشرح لجملة الكتاب، بل بالله ما شرحه غيرهما، والله أعلم»¹.

3. تأليف ابن عطاء الله في التفسير:

لم يقصد ابن عطاء الله تأليف تفسير كامل للقرآن الكريم، كما فعل كثير ممن قبله أو بعده من الصوفية، والسبب في ذلك يعود في تقديري إلى قصر عمره، ثم لعدم تصدي الصوفي لأمر لم يؤذن له فيه، غير أن ارتباط مذهبه الصوفي بالكتاب والسنة، جعله يتعرض لآيات كثيرة من القرآن الكريم بالتفسير ظاهرا وباطنا، استدلالا واستشهادا، في مؤلفاته كلما ناسبه الموضوع، ولم يفرد لها بتفسير مستقل.

وكل ما قصده بالتفسير آية واحدة في رسالة خاصة، وهي الآية 54 من سورة الأنعام تكلم فيها ابن عطاء الله عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾².

¹ - أحمد زروق الفاسي (ت899هـ)، الشرح السابع عشر للحكم المسمى (مفتاح الإفادة لذوي العقول والهمم على معاني

ألفاظ الحكم)، تحقيق: مصطفى مرزوقي، الجزائر دار الهدى، ص 19.

² - سورة الأنعام الآية 54.

فهذه رسالة موجزة تحدث فيها ابن عطاء الله عن معنى الإيمان، وأقسام الناس فيه، وعن الذات الإلهية، وصفاتها، وما يتعلق بهذا، وتوجد منها نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم 81 تصوف. وهذه الآية هي فاتحة حزب البر للإمام الشاذلي، والحزب كله بيان لها، ولذا سماه ابن عطاء الله حزب وإذا جاءك، وتفسيره للآية الكريمة في مبناه توحيد وعبودية لله تعالى، واستعانة به عز وجل وكل ذلك مستمد من الكتاب والسنة¹.

وبتبعي لهذه الآيات ومواضعها في مؤلفاته، تكونت لدي مدونة سميتها "آيات من القرآن في مؤلفات ابن عطاء الله"، فقد جمعت عدد 306 آية موزعة على 73 سورة، فسرنا تفسيراً إشارياً، ووظفناها للاستدلال على مسائل عامة وأخرى تفصيلية في التصوف وثمراته ونتائجه، أو استشهد بها على مبدأ إسقاط التدبير، أو معاني حكمه. وفيما يلي الفصول الأربعة لهذه الرسالة، اشتغال ضمن هذه المدونة لبيان تفسير ابن عطاء الله لآيات القرآن، مبرزاً الوجه الدلالي.

¹ - ابن عطاء الله السكندري، الحكم، تحقيق: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، ص 49.

الفصل الأول :

تفسير ابن عطاء الله

(مصادره ، وسائله ، العلوم التي استعان بها) .

تمهيد .

المبحث الأول : مصادره في التفسير.

المبحث الثاني : اللغة ومستوياتها ووسائل البيان في التفسير.

المبحث الثالث : مسائل من العلوم التي استعان بها في تفسيره.

تمهيد :

بعد ما اكتملت لنا صورة ابن عطاء الله في المدخل التمهيدي عن نشأته العلمية والتعليمية والصوفية وجهوده في التأليف عامة وفي التفسير خاصة، فقد تعينت لدينا مدونة للآيات التي وقف معها ابن عطاء الله مفسرا لها أو مستدلا بها أو مستشهدا، وسوف أتبع في هذا الفصل المصادر التي اعتمد عليها ابن عطاء الله من خلال المسائل التي تعرض لها، سواء من القرآن الكريم وقراءاته أو علومه أو من السنة أو من الحديث القدسي برواياته أو من الآثار المنقولة عن الصحابة ومن بعدهم أو من القصص القرآني .

كما تظهر في هذا الفصل مسائل من علوم اللغة والبلاغة والشعر العربي والصوفي، وأقوال أهل العلم والعارفين، وخاصة وبقوة أقوال وتفسيرات الشيخين "أبي العباس المرسى" و"أبي الحسن الشاذلي". ونختتم هذا الفصل بما يتعلق بمسائل من علوم أخرى، منها الفقه والأصول والعقيدة والمنطق .

وقد تضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث، في الأول منها الحديث عن مصادره في تفسيره للآيات، وفي الثاني منها الحديث عن اللغة ومستوياتها ووسائله في التفسير، وفي الثالث منها الحديث عن العلوم التي استعان بها في تفسيره، كل ذلك استدلت عليه بمسائل جمعتها من خلال تفسيره للآيات .

المبحث الأول :

مصادره في التفسير

تمهيد .

المطلب الأول : القرآن وقراءاته.

المطلب الثاني : السنة القولية والفعلية والحديث القدسي والآثار.

المطلب الثالث : الشعر العربي والصوفي.

المطلب الرابع : الأقوال المأثورة .

المطلب الأول :

القرآن وقراءاته

1. تفسير القرآن بالقرآن .
2. التفسير ببعض القراءات .

1. تفسير القرآن بالقرآن :

يفسر ابن عطاء الله الآيات القرآنية التي تعرضه بمعاني دلت عليها آيات أخرى ، ومن أمثلة ذلك :

- قوله تعالى: ﴿مَرْضِيَّةً﴾¹ وذلك مدحة عظيمة لهذه النفس المطمئنة، وهي أجل المدح والنعوت، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾².. بعد أن وصف نعيم أهل الجنة أي رضوان من الله عنهم فيها أكبر من النعيم الذي هم فيه.³
- قوله تعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾⁴. فيه بشارة عظمت للنفس المطمئنة إذ نوديت ودعيت إلى أن تدخل في عبادته، وأي عباد هؤلاء؟ هم عباد التخصيص والنصر، لا عباد الملك والقهر، هم العباد الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾⁵. وقال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾⁶ ، لا العباد الآخرون الذين قال فيهم: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾⁷. فكان فرح النفس المطمئنة بقوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أشد من فرحها بقوله تعالى: ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾⁸ ، لأن الإضافة الأولى إليه تعالى، والإضافة الثانية إلى جنته.⁹

1. سورة الفجر الآية 28 .

2. سورة التوبة الآية 72 .

3 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير خرج آياته وأحاديثه خليل منصور ، بيروت دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى 1419هـ-1998م ، ص 59

4 سورة الفجر الآية 29.

5. سورة الإسراء الآية 65.

6 . سورة الحجر الآية 40 .

7. سورة مريم الآية 93.

8 . سورة الفجر الآية 30 .

9 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 59

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾¹،
لِلتَّقْوَى¹، في هذه الآية فوائد: الأولى أن تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان هو
المخاطب بهذه الآية، فحكمها ووعداها متعلق بأمته أيضاً.

فكل عبد مقول له: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ
وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾. وإذا قد فهمت هذا: فاعلم أن الله أمرك أيها العبد أن تأمر أهلَكَ بالصلاة،
لأنه كما يجب عليك أن تصل أرحامهم، بأسباب الدنيا، والإيثار بها، كذلك يجب عليك أن
تصلهم بأن تهديهم إلى طاعة الله تعالى، وتجنبهم وجود معصيته².

وكما كان أهلَكَ أولى ببرك الدينوي، كذلك هم أولى ببرك الأخروي ولأنهم رعيته، وقد
قال صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)³.
وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾⁴. كما قال ها هنا: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ
بِالصَّلَاةِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾⁵ في هذه الآية فسر معنى الرحمة واستدل لها من القرآن
فقال⁶: فلا يحيط بها شيء بل هي المحيطة بكل شيء ، وإليه الإشارة في قوله سبحانه حاكياً عن
الملائكة صلوات الله عليهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾⁷.... وإليه يشير قوله
سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁸، فاستوى برحمانيته على عرشه الذي هو أعظم
مخلوقاته ، واندرجت العوالم في طي العرش المندرج في رحمته، إشارة إلى عموم رحمته ، ولكن الرحمة

1. سورة طه الآية 132.

2 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 71.

3 . الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر، رقم الحديث 844 .

4. سورة الشعراء الآية 214 .

5 . سورة الأعراف الآية 156.

6- ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 25.

7 . سورة غافر الآية 07.

8 . سورة طه الآية 05.

العامة ليست مقصورة هنا ، لأنه خصصها هاهنا بالمؤمنين ، وتلك الرحمة شملت المؤمنين والكافرين، وهذه الرحمة التي قال فيها: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾¹ أحياناً يستدل ابن عطاء الله لفهمه بما سمعه من شيخه المرسى في الآية ، والمرسي ذاته يستدل للقرآن بالقرآن كما في هذا المثال²:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾³ على سائر أجناس الحيوان؟ أي إذ دعوناهم إلى خدمتنا ووعدناهم دخول جنتنا، وخطبناهم إلى حضرتنا.

وما يوضح لك كرامة الآدمي عن غيره من المكنونات، أن المكنونات مخلوقات من أجله، وهو مخلوق من أجل حضرة الله تعالى. سمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول: «قال الله سبحانه: يا ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك، وخلقتك من أجلي، فلا تشتغل بما هو لك عما أنت له»⁴.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾⁵.

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾⁶.

وسمعت الشيخ رحمه الله تعالى يقول: الأكوان كلها عبيد سخرها لك، وأنت عبد الحضرة.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾⁷.

فقد بين لك أن السماوات والأرض مخلوقة من اجل أن تعلم أيها الآدمي.

¹ . سورة الأعراف الآية 56.

² - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 76.

³ . سورة الإسراء الآية 70.

⁴ . الحديث القدسي ذكره ابن عجيبة في تفسيره كما يلي : يقول الحق تعالى ، في بعض كلامه بلسان الحال أو المقال : « يا

ابن آدم ، خلقت الأشياء من أجلك ، وخلقتك من أجلي ، فلا تشتغل بما خلقت لأجلك عما خلقت لأجله ».

ابن عجيبة ، تفسير البحر المديد ، ج 3 ص 248.

⁵ . سورة الرحمن الآية 10.

⁶ . سورة الجاثية الآية 13.

⁷ . سورة الطلاق الآية 12 .

2. التفسير ببعض القراءات:

يفسر ابن عطاء الله الآية اعتماداً على القراءة الثانية، فيقول: « يمكن أن يكون قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾¹ أن يكون المراد الطائف ها هنا طائف الهاجس أو الخاطر الوارد من وجود النفس بإلقاء الشيطان.

وسمي طيفاً لأنه يطيف بالقلب، وتفسره القراءة الأخرى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ فتكون إحدى القراءتين مفسرة للأخرى، والهاجس يطيف بالقلب، فإن وجد له مسلماً بثلمه، يجدها في سور مقام اليقين، دخل وإلا ذهب»².

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمة " طائف " بالالف، من طاف به : إذا دار حوله فهو طايف ، كذا قال الكسائي ، وقال غيره هو من طاف به من وسوسة الشيطان³ .
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو " طيف " من الشيطان أي لمة وخطرة من الشيطان، وكان مجاهد يقول : طيف من الشيطان غضب⁴ .

● يستعمل ابن عطاء الله آيات القرآن على قراءة عاصم مثل⁵ : قوله تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَكَ جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ شَوْءً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾⁶ ، فقوله : " فَأَنَّهُ"⁷ على رواية حفص حفص عن عاصم .

¹ . سورة الأعراف الآية 201 .

2- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 34.

3 . عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة ، حجة القراءات ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الثانية 1982. 1402 ، ج 1 ص 305.

4 . عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة ، حجة القراءات ، ج 1 ص 305.

5 . ابن عطاء الله السكندري ، رسالة في تفسير آية الأنعام 54 ، تحقيق : محمد عبد الرحمن الشاغل مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمي ، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث ، دار السعادة لطباعة ، ص 13 .

⁶ . سورة الأنعام الآية 54 .

7 . قرأ عاصم وابن عامر كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل فأنه غفور رحيم الألف فيهما مفتوحة .

ابن زنجلة أبو زرعة ، حجة القراءات ، ج 1 ص 252 .

أحيانا يفسر ابن عطاء الله الآية اعتمادا على القراءات الواردة فيها متواترة أو شاذة. مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ ﴾¹ قرئ بثلاث روايات " تَعْلَمُونَ " بفتح التاء وسكون العين وفتح اللام ، " تَعْلَمُونَ " بفتح التاء وفتح العين وفتح اللام مع تشديدها، " تُعْلَمُونَ " بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مع تشديدها ، يجمع ثلاث معاني علمه وتعلمه و تعليمه و العلم نور في ذاته فإذا عمل به صار نورانيا في ذاته و لغيره و العلم عقيم فإذا عمل به أنتج².

الأولى : " تَعْلَمُونَ " بفتح التاء وسكون العين وفتح اللام ، قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو بما كنتم تعلمون . بالتخفيف . الكتاب، أي يعلمكم الكتاب ، قال أبو عمرو: وحجتها قوله : بما كنتم تدرسون ولم يقل تدرسون³ .

الثانية : " تُعْلَمُونَ " بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مع تشديدها ، وبها قرأ الباقر من العشرة، بما كنتم تُعْلَمُونَ بالتشديد، من قولك: علّمت زيدا الكتاب أعلمه تعليما، والمعنى تُعْلَمُونَ الناس الكتاب، وحجتهم أن تُعْلَمُونَ أبلغ في المدح من تَعْلَمُونَ، لأن المعلم لا يكون معلما حتى يكون عالما بما يعلمه الناس قبل تعليمه وربما كان عالما ليس بمعلم⁴ .

الثالثة : " تَعْلَمُونَ " بفتح التاء وفتح العين وفتح اللام المشددة ، وبها قرأ مجاهد ، والحسن : تعلمون ، بفتح التاء والعين واللام المشددة ، وهو مضارع حذفته منه التاء ، التقدير : تتعلمون⁵ .

وعليه فالأولى والثانية متواترة والثالثة قراءة شاذة ، مما يدلنا أن ابن عطاء الله يستعين في

تفسيره للآية القراءات المتواترة والشاذة لبيان المعنى وتوسيعه .

¹ . سورة آل عمران الآية 79 .

² - ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد ، ص 18 .

³ . ابن زنجلة أبو زرعة ، حجة القراءات ، ج 1 ص 167 .

⁴ . المصدر نفسه .

⁵ . أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان ، تفسير البحر المحيط ، ج 3 ص 295 .

المطلب الثاني :

السنة القولية والفعلية والحديث القدسي والآثار

1. السنة القولية .

أ - الاستدلال بالحديث .

ب - تأييد معنى الحديث بالآيات .

ج - توضيف نص الحديث في بيان معنى الآية .

2. السنة الفعلية .

3. الحديث القدسي .

أ - استشهاده بالحديث القدسي ثم دعمه بالآية .

ب - استشهاده بروايات الحديث القدسي .

4. الكتب السابقة .

1. السنة القولية :

يستعمل ابن عطاء الله السنة باعتبارها الدليل الثاني بعد القرآن الكريم ، ففي القسم الثاني من كتابه "القصد المجرد" ، الذي خصصه لمعرفة فضل وقدر وشرف الاسم المفرد "الله" وشرح معانيه وأسراره ، نجده يفتح الموضوع بآيات من القرآن ثم يردفها بأحاديث من السنة، فيقول مفتتحاً: « قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ »¹.

وقال عز وجل: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾² .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ³ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمُفْرَدُونَ؟ قَالَ: الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ⁴).
وقال عليه السلام عن الله تعالى : (مَنْ شَعَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَةٍ أُعْطِيَ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ)⁵ .
وقال عليه السلام : (أَشَدُّ الْأَعْمَالِ ثَلَاثَةٌ : إِنْصَافُ الرَّجُلِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَمُوَاسَاةُ الْأَخِ فِي الْمَالِ ، وَذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)⁶ .

1 - سورة الأحزاب الآية 41-42 .

2 . سورة آل عمران الآية 191 .

3 . قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ قَالُوا : وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ) هَكَذَا الرَّوَايَةُ فِيهِ : (الْمُفْرَدُونَ) يَفْتَحُ الْفَاءَ وَكَسَرَ الرَّاءَ الْمُشَدَّدَةَ ، وَهَكَذَا نَقَلَهُ الْقَاضِي عَنْ مُتَقِنِي شُيُوحِهِمْ ، وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّهُ زُوِيَ بِتَخْفِيفِهَا وَإِسْكَانِ الْفَاءِ ، يُقَالُ : فَرَدَ الرَّجُلُ وَفَرَدَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ . شرح النووي على صحيح

مسلم ، باب الحث على ذكر الله تعالى ، ج 9 ص 39 .

4 . الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، باب الذكر والدعاء ، رقم 4.

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ج 2 ص 323 .

5 . أخرجه عبد العظيم المنذري في الترغيب و الترهيب ، ج 2 ص 345 .

6 . أخرجه ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ، ج 6 ص 1163 .

وقال عليه السلام : (مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)¹ «².
ثم يستنتج من هذه النصوص أدلة على فضل الذكر فيقول : « فانظر وفقك الله كيف جعل
ذكر هذا الاسم "الله" اسم الله أفضل العبادات »³.
وفيما يلي نعرض أمثلة تبين حرص ابن عطاء الله على الاستدلال بالحديث النبوي لبيان
المعاني كلما ناسب المعنى في ذلك :

أ . الاستدلال بالحديث :

. يستدل لمعنى الآية بالحديث في قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ
كِتَابَ ﴾⁴ ، يقول : « ومعني ربانيين : متخلقين ، كما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال : (تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ)⁵ ، وقال عليه السلام : (إِنَّ لِلَّهِ مَائَةَ خُلُقٍ فَمَنْ تَخَلَّقَ
بِوَاحِدٍ مِنْهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)⁶ «⁷.

. يفسر الآية ويستدل بالحديث⁸ ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ
إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾⁹ ، فجعل الصبر والصلاة مقترنين ، والصلاة شأنها عظيم ،
قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾¹⁰ .
وقال سبحانه : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾¹.

¹ . أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج 10 ص 73 . وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال رقم 1851 . وذكره

جلال الدين السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ج 1 ص 150 .

2- ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ص 42.

3. المصدر نفسه ، ص 43.

4 . سورة آل عمران الآية 79 .

5 . الحديث ذكره الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب عند تفسيره للآية 269 من سورة البقرة ، ج 4 ص 07 .

6 . هذا الحديث لم أجده .

7- المصدر نفسه ، ص 19.

8- ابن عطاء الله السكندري ، رسالة في أدب العلم ، ص 57.

9 . سورة البقرة الآية 45 .

10 . سورة العنكبوت الآية 45 .

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾².

وقال صلى الله عليه وسلم لما سئل: (أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ، قَالَ : الصَّلَاةُ لِمَوَاقِيتِهَا)³.

وقال صلى الله عليه وسلم : (المُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ)⁴ .

وقال صلى الله عليه وسلم : (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ فِي السُّجُودِ)⁵.

فهذه الآيات والأحاديث تدل على ملازمة الصبر للصلاة.

وهذا المعنى نفسه الذي أورده في كتابه "أدب العلم"، ذكره كذلك في كتابه "التوير في إسقاط التدبير"، حيث وتعرض لموضوع الصلاة ففصل فيها مستشهدا بأحاديث تدعم الآية في معناها، فقال: « والصلاة شأنها عظيم، وأمرها عند الله جسيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾⁶.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل أي الأعمال أفضل قال: (الصَّلَاةُ لَوْفَتِهَا)⁷.

وقال صلى الله عليه وسلم: (المصلي يناجي ربه).

وقال صلى الله عليه وسلم: (أقرب ما يكون العبد من ربه في السجود).

ورأينا أن الصلاة اجتمع فيها من العبادات ما لم يجتمع في غيرها، منها: الطهارة، والصمت،

واستقبال القبلة، واستفتاح بالتكبير، والقراءة، والقيام، والركوع، والسجود، والتسبيح في الركوع

1 . سورة البقرة الآية 238.

2 . سورة النساء الآية 103.

3 . الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم 9697 ، ولفظ عن أَبِي الْأَخْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَاةَ لِمَوَاقِيتِهَا، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَوْ اسْتَزِدُّهُ لَزَادَنِي، وَاللَّفْظُ لِحَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ، وَالْآخِرُونَ نَحْوُهُ. ج 8 ص 333 .

4 . الحديث أخرجه مالك في الموطأ برقم 163 ولفظه: (عَنْ الْبَيَاضِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَقَدْ غَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْقِرَاءَةِ فَقَالَ إِنَّ الْمُصَلِّيَّ يُنَاجِي رَبَّهُ فَلْيَنْظُرْ بِمَا يُنَاجِيهِ بِهِ وَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ) . ج 1 ص 239 .

5 . الحديث أخرجه أبو داود في سننه برقم 741 ، ولفظه: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ) . ج 3 ص 41.

6 . سورة العنكبوت الآية 45 .

7 . أخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود ، برقم 4003 ، ج 9 ص 38.

والسجود، والدعاء في السجود، إلى غير ذلك. فهي مجموع العبادات عديدة، لأن الذكر بمجرد عبادته، والقراءة بمجرد عبادته، وكذلك التسييح والدعاء والركوع والسجود والقيام. فكل واحد منها بمجرد عبادته، ولولا خشية الإطالة لبسطنا الكلام في أسرارها وشوارق أنوارها، وهذه اللمعة هاهنا كافية، والحمد لله¹.

. استدلاله لمعني الآية بالحديث:

وذلك في قوله سبحانه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾²، أورد ل "كتب" معاني مشتركة منها هذا المعنى الذي استدل له بالحديث فقال: « و منها كتب بمعني الكتابة علي بابها قال تعالى: ﴿ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾³، ولما جاء في الصحيح عنه صلوات الله عليه وسلامه: (إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخُلُقَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي وَلَوْلَا ذَلِكَ لَهَلَكْتُمْ)⁴، و قد تكون في "كتب" بمعني الكتابة ومجازا في الباقي لأنه المتبادر إلي الفهم الفهم و التبادر دليل الحقيقة⁵ .

بعده الأمثلة الثلاثة ننتقل إلى تأييد معنى الحديث بالآيات.

1 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 73.

2 . سورة الأنعام الآية 54.

3 . سورة البقرة الآية 282

4 . أخرجه أحمد في المسند برقم 8794، بلفظ: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ كِتَابًا يَبْدُو لِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَوَضَعَهُ تَحْتَ عَرْشِهِ فِيهِ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي) ، ج 18 ص 336.

. وأخرجه البخاري في صحيحه برقم 6998 ولفظه: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخُلُقَ كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ غَلَبَتْ أَوْ قَالَ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ) ، ج 23 ص 91 .

5 - ابن عطاء الله السكندري ، رسالة في تفسير آية الأنعام رقم 54، ص 24 . 25.

ب . تأييد معنى الحديث بالآيات :

يؤيد ابن عطاء الله معنى الحديث بالآيات في المثال التالي فيقول: « وقوله صلى الله عليه وسلم: (وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا)¹ لأنه من رضي بالإسلام ديناً، فقد رضي بما رضي به المولى واختاره، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾²، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾³، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁴. وإذا رضي بالإسلام ديناً، فمن لازم ذلك: امتثال الأوامر والانكفاف عن وجود الزواجر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والغيرة إذا رأى ملحداً يجادل أن يدخل فيه ما ليس منه، فيدمغه ببرهانه، ويقمعه بتيبانه»⁵. فقد انطلق ابن عطاء الله من نص الحديث فاستشهد له بآيات دالة على معناه ثم شرحه بما يلزم عن ذلك .

ج . توظيف نص الحديث في بيان معنى الآية :

يوظف ابن عطاء الله نص الحديث النبوي في تفصيله لمقام العبودية وأنها نوعان، فيقول⁶ : « الأول: عبودية الملك ، وهي: العبودية العامة ، قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾⁷. والثاني: عبودية التخصيص والنصر، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾⁸،

1 . هذا جزء من حديث أخرجه أصحاب السنن منهم الترمذي برقم 3311 ولفظه : (عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَالَ حِينَ يُمَسِّي رَضِيْتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَمُحَمَّدٍ نَبِيًّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ) ، قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ . ج 11 ص 249.

2 . سورة آل عمران الآية 19 .

3 . سورة آل عمران الآية 85 .

4 . سورة البقرة الآية 132 .

5 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 13 .

6- ابن عطاء الله السكندري ، رسالة في أدب العلم ، ص 60 .

7 . سورة مريم الآية 93 .

8 . سورة الحجر الآية 42 .

وقوله ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا﴾¹، وقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾² والذي يُطلب من العبد عبودية التخصيص، وهي أشرف المقامات، وهي مطلوب الله من عباده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾³، لذلك قال صلى الله عليه وسلم: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرُ)⁴، إلى أن قال: فالرسول صلى الله عليه وسلم له كمال العبودية⁵.

. يسوق الحديث والآيات في بيان حسن اختيار الله لعبده وذلك في السبب الرابع من الأسباب العشرة⁶ التي توجب صبر العبد وثبوته لأحكام سيده، وقوته عند ورودها فيقول: «الرابع: وهو: "هو: "إنما يقويهم على حمل أقداره، شهود حسن اختياره"، وذلك أن العبد إذا شهد حسن اختيار الله تعالى له، علم أن الحق سبحانه لا يقصد ألم عبده لأنه به رحيم ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾⁷ وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة معها ولدها فقال: (أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قالوا: لا يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وسلم: (لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدِهَا)⁸. غير أنه سبحانه يقضي عليك بالآلام لما يترتب عليه من الفضل والإنعام، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁹.

1. سورة ص الآية 17.

2. سورة الجن الآية 19.

3. سورة الذاريات الآية 56.

4. أخرجه أبو عيسى الترمذي في سننه باب وَمِنْ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ رقم 3073 ج1 ص 422 وقال قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

5- ابن عطاء الله السكندري ، رسالة في أدب العلم ، ص 60.

6. سنن فصل في هذه الأسباب العشرة في الفصل الثالث المخصص للدراسة الدلالية من هذه الرسالة.

7. سورة الأحزاب الآية 43.

8. هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب باب رحمة الولد وتقبيله برقم 5540، ولفظه: (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبِيٌّ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ قَدْ تَخَلَّبَتْ نَدْيَهَا تَسْقِي، إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِطَنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ قُلْنَا لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقَالَ لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدِهَا)، ج 18 ص 405 .

9. سورة الزمر الآية 10.

ولو وكل الحق سبحانه العباد إلى اختيارهم لحرموا وجود منته، ومنعوا الدخول إلى جنته،
فله الحمد على حسن الاختيار، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾¹. وإن الأب المشفق يسوق لابنه الحمام لا بقصد الإيلاء.
الإيلاء. وكالطبيب الناصح، يعانيك بالمراهم الحادة، وإن كانت مؤلمة لك، ولو طاول اختيارك لبعد
الشفاء عليك. ومن مُنع وعَلِم أن المنع إنما هو إشفاق عليه، فهذا المنع في حقه عطاء، وكالأم
المشفقة تمنع ولدها كثرة المأكَل خشية التخمّة.

ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى: "اعلم أن الحق سبحانه وتعالى إذا منعك لم
يمنعك عن بخل، وإنما يمنعك رحمة لك، فمنع الله لك عطاء، ولكن لا يفهم العطاء في المنع إلا
صديق". وفي كلام أثبتناه في غيره هذا الكتاب²: "إنه ليخفف عنك ألم البلاء، علمك بأنه
سبحانه وتعالى المبتلي لك، فالذي واجهتك من الأقدار، هو الذي له فيك حسن الاختيار"³.
يوظف ابن عطاء الله نص الحديث في شرح معنى الآية⁴، وذلك عند شرحه لمعاني الذكر، وبعد
وبعد استدلاله بآيات، منها قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾⁵، أورد
كذلك قوله صلي الله عليه وسلم: (الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ هُمُ السَّابِقُونَ وَالْفَائِزُونَ)⁶،
وفي هذا كله استدلال بالسنة القولية، وفيما يلي أمثلة للسنة الفعلية.

1 . سورة البقرة الآية 216 .

2 . يشير إلى كتابه "الحكم العطائية" وهذا الذي أثبتته هنا هو نص الحكمة رقم 105.

3 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 9.

4- ابن عطاء الله ، القصد المجرد ، ص 43.

5- سورة البقرة الآية 200 .

6 . أخرجه مسلم في صحيحه رقم 2062، وأحمد في مسنده ج 2 ص 411، والترمذي في سننه رقم 3376 .

2. السنة الفعلية :

يستشهد بأفعال الرسول لتأكيد معنى الآيات وذلك حين تعديده لأمر ينبغي للمتسببين أن يلتزموها، ففي الأمر الثامن استدل لحضور صلاة الجماعة بالسنة الفعلية فقال: « الثامن: أن لا يشغله ما هو فيه من المبايعة والمعاش عن النهوض إلى الصلاة في أوقاتها جماعة. لأنه إذا ضيعها اشتغالا بسببه، استوجب المقت من ربه، ورفّع البركة من كسبه، ويستحي أن يراه الحق مشغولا بحظوظ نفسه عن حقوق ربه، وقد كان بعض السلف يكون في صناعته فرما رفع المطرقة فسمع المؤذن فرماها من خلفه، لئلا يكون ذلك شغلا بعد أن دُعي إلى طاعة ربه، وليذكر إذا سمع المؤذن قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾¹، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾²، وقوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾³. وقالت عائشة رضي الله عنها: (كان رسول صلى الله عليه وسلم يكون في بيته يخصف النعل ويعين الخادم، فإذا نودي للصلاة قام كأنه لا يعرفنا)⁴ «⁵، وفي هذا استدلال بأفعال النبي في حياته اليومية، دون تضييع لأوامر الدين.

1 . سورة الأحقاف الآية 31 .

2 . سورة الأنفال الآية 24 .

3 . سورة الشورى الآية 47 .

4 . هذا الأثر أخرجه أحمد في مسنده بطرق متعددة كلها عن عُروّة وبلفظ: (قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ : هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ، كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ) . رقم الحديث 23606 ، ج 6 ص 106 .

5 . وأخرجه "البخاري" في (الأدب المفرد) رقم (557) قال : حدثنا موسى . قال : حدثنا مهدي بن ميمون ، عن هشام

بن عُروّة . ج 2 ص 506 .

5 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 52 .

3. الحديث القدسي :

. استشهاده بالحديث القدسي ثم دعمه بالآية، وذلك حين تفصيله لموضوع "ذكر الاسم المفرد" فقال : « فذكر هذا الاسم " الله " أفضل من جميع العبادات، وأقرب للمناجاة، لا الصلاة ولا غيرها من أنواع الطاعات، وقد ورد في الحديث عن الله عز وجل أنه قال : (أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي)¹، وقال : (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي وَحْدَهُ ذَكَرْتُهُ وَحْدِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ خَيْرٍ مِنْهُ)²، قال تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾³ «⁴ .

. استشهاده بروايات الحديث القدسي :

وذلك أثناء شرحه لمعنى ذكر الله لعبده فقال: «واعلم أن الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان ، بمداومة حضور القلب وإخلاص ذكر اللسان . وحقيقة الذكر أفراد المذكور بغية الذاكر عن ذكره ، وفنائه في المشاهدة والحضور، لم يغب في مشاهدته فيشهد حقا بحق فيكون الله هو الذاكر والمذكور. فمن حيث جريان الذكر على لسان العبد كان ذاكرة له . ومن حيث تيسيره له وتسهيله على لسانه هو كان ذاكرة لعبده فيما به ذكره . ومن حيث بعث الخاطر ابتداء منه كان ذاكرة لنفسه على لسان عبده.

-
- 1 . هذا الحديث القدسي أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ : (حدثنا وكيع قال حدثنا سفيان عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي عن أبيه عن كعب قال : قال موسى : أي رب أقرّب أنت فأناجيك أم بعيد فأناذك ؟ قال : يا موسى ، أنا جليس من ذكرني ، قال ، يا رب ، فإننا نكون من الحال على حال نعظمك أو نخلّك أن نذكرك عليها ، قال : وما هي ؟ قال : الجنابة والغائط ، قال : يا موسى ، اذكرني على كل حال) ، ج 8 ص 121.
 - 2 . حديث قدسي ذكره العجلوني في "كشف الخفا ومزيل الإلباس" ، ج 1 ص 232 .
 - الزبيدي في "إتحاف السادة المتقين" ، ج 6 ص 287.
 - 3 . سورة البقرة الآية 152.
 - 4- ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد ، 45 .

كما روي في الحديث الصحيح أنه قال تعالى : (كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ)¹ ، وفي رواية أخرى : (كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَلِسَانًا وَيَدًا وَمُؤِيدًا)² .
فالملاحظ أن ابن عطاء الله فصل حيثيات الذكر إلى ثلاثة ثم استشهد بنص الحديث القدسي الصحيح المروي في البخاري، ثم أردفه برواية ثانية له أخرجها المتقي الهندي في كنز العمال.

4. الكتب السابقة :

. استشهاده بما جاء في التوراة استثناسا ، وذلك في القسم الثاني في معرفة فضل وشرف وقدر الاسم المفرد "الله" ، وشرح معاني أسرارهِ واختصاص فوائده وذكره ، إذ قدم بآيات منها:
قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾⁴ ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾⁵ ، ثم أحاديث من السنة ، ثم آيات أخرى تدل على أن الله تعالى لم يجعل لهذا الاسم مقدارا ولا وقتا ولا زمانا⁶ ، منها:
قوله تعالى : ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾⁷ .

1 . هذا الحديث القدسي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رقم 6021 ، باب التواضع ، ولفظ : (قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) ، ج 20 ص 158 .
2 . حديث قدسي أخرجه المتقي الهندي في "كنز العمال" بلفظ : (- قال الله تعالى من أخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة و ما تقرب إلى عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي المؤمن يتنفل حتى أحبه ومن أحبته كنت له سمعا وبصرا ويذا ومؤيدا) ، ج 1 ص 229 .

3 - ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد ، ص 49 .

4 - سورة الأحزاب الآية 41-42 .

5 . سورة آل عمران الآية 191

6 - ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ص 42 .

7 . سورة الأحزاب الآية 41 .

وقوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾¹.

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾².

وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾³.

ثم أردف ذلك كله بما جاء في التوراة، فقال: « وروي أن في التوراة مكتوبا : استوى الجبار بعزته، فوق معاهد العز من عزه، فاضطرب الماء لهيبته ، ونادى الجليل جل جلاله، أنا الله لا إله إلا أنا، من ذكرني ذكرته، ومن سألني أعطيته). ومنها أيضا: (قال: يا موسى أنا الله القديم الأزلي، خالق مكة، مفقر الزناة، تارك تاركي الصلاة عراة، مغلي الأسعار، والأهواء مملوءة، ومرخصها والأهواء فارغة، ذلكم الله ربكم فاعبدوه) »⁴. ففي هذا المثل اجتمعت الآيات والأحاديث في الاستدلال الاستدلال ثم ذيلها بنصوص من التوراة استثناسا وليس استدلالا.

. يورد كلاما من المرويات الإسرائيلية من غير نسبة:

وذلك في صيغة الفائدة فبعد أن أفاض في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾⁵، فذكر معنى الاجتبائية، وعلاقة الاجتبائية بالتوبة والهدى، حيث قال: « وليس في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾، دليل على حدوث اجتبائية الحق فيه بل كان قبل وجوده، وإنما الذي حدث بعد الذنب ظهور أثر الاجتبائية من الله له، فهو الذي قال فيه الحق سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾، أي أظهر له أثر الاجتبائية فيه، والعناية به، بتسييره للتوبة إليه، والهداية من عنده، فصار في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾، تعريفات ثلاث: الاجتبائية، والتوبة التي هي نتيجتها، والهدى الذي هو نتيجة التوبة، فافهم »⁶.

1- سورة الأحزاب الآية 35 .

2 - سورة الجمعة الآية 10.

3- سورة البقرة الآية 200 .

4- ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ص 43 .

5 . سورة طه الآية 122 .

6- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 24 .

ثم أردف ذلك بفائدة تضمنت رواية من الإسرائيليات على وجه الاستثناس، فقال: « فائدة: اعلم أن آدم عليه السلام لم يكن لشيء مما كان يأكله أذى، بل كان رشحا كرشح المسك، كما يكون أهل الجنة في الجنة، إذا دخلوها، لكنه لما أكل من الشجرة المنهي عنها، أخذته بطنه، ف قيل له: يا آدم أين؟ على الأسرة أم الحجال، أم على شاطئ الأنهار؟ انزل إلى الأرض التي يمكن ذلك فيها، فإذا كان ما به المعصية وصلت إليه آثارها، فكيف لا تؤثر المعصية في الفاعل بها، فافهم¹ . »

بعد هذه الأمثلة التي رأينا فيها توظيف ابن عطاء الله للسنة القولية والفعلية والحديث القدسي برواياته وآثار السلف ننتقل لمطلب الشعر الصوفي المنسوب وغير المنسوب في تفسير ابن عطاء الله.

المطلب الثالث :

الشعر الصوفي في تفسيره .

- أ . نظم الشعر لبسط معاني الآيات .
- ب . توظيفه للشعر الصوفي من غير نسبة .
- ج . توظيفه للشعر الصوفي المنسوب لقائله .

1. نظم الشعر لبسط معاني الآيات :

يتمم ابن عطاء الله أحيانا بسطه للمعاني التي استنبطها من الآية بقصيدة ينظم فيها ذلك المعنى، مثل قصيدته التي عنوان موضوعها " ترك المراد " ، وذلك حين استدلاله لمعنى "الاستسلام وترك التدبير " بقصة إبراهيم عليه السلام، وأنها بيان للمعتبرين، وهداية للمتبصرين، وأنه عليه السلام خرج عن تدبيره لنفسه، فكان الله سبحانه وتعالى هو المتولي بحسن التدبير له، وهذا المعنى من ملة إبراهيم الذي تحدثت عنه الآيات، فقال كما يلي :

« ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام لما لم يدبر لنفسه، ولا اهتم بها، بل ألقاها إلى الله تعالى، وأسلمها إليه، وتوكل في كل شأنه عليه. فلما كان كذلك كان عاقبة استسلامه وجود السلامة والإكرام، وبقاء الشاء عليه على ممر الأيام. وقد أمرنا الله تعالى أن لا نخرج عن ملته، وأن نرعى حق تسميته، قال تعالى : ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾¹، فحق على كل من كان إبراهيميا أن يكون عن تدبيره لنفسه برياً، ومن منازعة الله خلياً، ومن اعتراضه عرياً، ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾²، وملته لازمها التفويض إلى الله تعالى، والاستسلام في واردات الأحكام. واعلم أن المراد هو أن لا يكون لك مع الله مراد، ولنا في هذا المعنى شعر :

مرادي منك نسيان المراد	إذا رمت السبيل إلى الرشاد
وأن تدع الوجود فلا تراها	وتصبح ماسكا حبل اعتمادي
إلى كم غفلة عني وأني	على حفظ الرعاية والوداد
إلى كم أنت تنظر مبدعاتي	وتصبح هائما في كل وادي
وتترك أن تميل إلى جنابي	لعمرك قد عدلت عن السداد
وودي فيك لو تدري قديم	ويوم ألتست يشهد بانفرادي
فهل رب سواي فترتجيه	غدا ينجيك من كرب شداد
فوصف العجز عم الكون طرا	فمفتقر بمفتقر ينادي

1 . سورة الحج الآية ص 78 .

2 . سورة البقرة الآية 130 .

ففي قد قامت الأكوان طرا	وأظهرت المظاهر من مرادي
أني داري وفي ملكي وملكلي	توجهه للسوى وجه اعتمادي
فحدق أعين الإيمان وانظر	ترى الأكوان تؤذن بالنفاد
فمن عدم إلى عدم مصير	وأنت إلى الفنا لا شك غادي
وها خلعي عليك فلا تزلها	وصن وجه الرجاء عن العباد
ببابي أوقف الآمال طرا	ولا تأتي لحضرتنا بزاد
ووصفك فالزمه وكن ذليلا	ترى مني المنى طوع القياد
وكن عبدا لنا والعبء يرضى	بما تقضي الموالي من مراد
أأستر وصفك الأدنى بوصفي	فتجزى ذاك جهلا بالعناد
وهل شاركتني في الملك حتى	غدوت منازعي والرشد باد
فإن رمت الوصول إلى جنابي	فهذي النفس فاحذرهما وعادي
وخض بحر الفناء عسى ترانا	وأعددنا إلى يوم المعاد
وكن مستمطرا منا لتلقى	جميل الصنع من مولى جواد
ولا تستهد يوما من سوانا	فما أحد سوانا اليوم هادي ¹

. يورد أبياتا له في معنى رفع الهمة: وذلك بعد بسطه للفوائد الإشارية في آية الرزق، وهي قوله تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ، فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلٍ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴾² ، فقال : « وهذه الآية هي التي غسلت الشكوك من قلوب المؤمنين وأشرقت في قلوبهم أنوار اليقين، فأوردت على قلوبهم الزوائد ما تضمنته من الفوائد، وذلك أنها تضمنت ذكر الرزق، ومحله، والقسم عليه، والتشبيه له بأمر لا خفاء به، ولنتبع ذكر هذه الفوائد فائدة فائدة³ . ثم عددها مفصلا ومستدلا بآيات القرآن الكريم .

1- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ص 42 .

2 . سورة الذاريات الآية 22 .

3- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ص 80 .

ففي الفائدة الثانية وهي : بيان لمحل الرزق فلا بد من رفع همم الخلق عن الخلق وأن لا يطلبوا إلا من الملك الحق، فيتابع ابن عطاء الله هذا المعنى مستدلاً بالآيات وفهم شيخه أبي العباس وأبيات من شعر غيره جمعت بعض تلك المعاني، ثم ينظم ذلك في أبيات له، فيقول : « فقد علمت رحمك الله أن رفع الهمة عن الخلق هو زينة أهل الطريق وسمة أهل التحقيق، ولنا في هذا المعنى :

بكرت تلوم على زمان أجحفا فصدفت عنها علها أن تصدفا
لا تكثر عتبا لدهرك إنه ما أن يطالب بالوفاء ولا الصفا
ما ضرني أن كنت فيه خاملاً فالبدر بدر إن بدا أو إن خفا
الله يعلم أنني ذو همة تأبى الدنيا عفة وتطرفا
لم لا أصون عن الورى ديباجتي وأريهم عز الملوک وأشرفا
أأريهم أنني الفقير إليهم وجميعهم لا يستطيع تصرفا
أم كيف أسأل رزقه من خلقه هذا لعمرى إن فعلت هو الجفا
شكوى الضعيف إلى ضعيف مثله عجز أقام بحامليه على شفا
فاسترزق الله الذي إحسانه عم البرية منة وتلطفا
والجأ إليه تجده فيما ترجي لا تعد عن أبوابه متحرفا¹ »

. ينظم المعنى في بيتين من الشعر له: وذلك بعد بسط الإشارات التي فهمها من قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾²، والتي توجب صبر العبد وثبوته لأحكام مولاه، وبعد ذلك عدد عشرة أسباب كلها من الفهم الذي فتحه الله عليه، فقال : « فهذه عشرة أسباب توجب صبر العبد

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 80 .

² . سورة النساء الآية 65 .

وثبوته لأحكام سيده، وقوته عند ورودها، وهو المعطي لكل ذلك بفضله، والمأنّ بذلك على ذوي العناية من أهله. ولنتكلم الآن على كل قسم منها لتكمل الفائدة وتحصل الجدوى والفائدة¹.
ففي الأول منها أن تحمل الأقدار والتقوي فيها لورود الأنوار المعرفة للعبد أن كل ذلك من مولاه، ثم ينظم ذلك في بيتين من الشعر ، فيقول : « فأما الأول وهو : "إنما يعينهم على حمل الأقدار، ورود الأنوار"، وذلك أن الأنوار إذا وردت كشفت للعبد عن قرب الحق سبحانه وتعالى منه، وأن هذه الأحكام لم تكن إلا عنه، فكان علمه بأن الأحكام إنما هي من سيده سلوة له، وسبب لوجود صبره، ألم تسمع لما قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾². أي: ليس هو حكم غيره فيشق عليك، بل هو حكم سيدك القائم بإحسانه إليك، ولنا في هذا المعنى :

وخفف عني ما ألاقي من العنا بأنك أنت المبتلي والمقدر
وما لأمرني عما قضى الله معدل وليس له منه الذي يتخير

ومثال ذلك: لو أن إنسانا في بيت مظلم، فضرَب بشيء ولا يدري من الضارب له، فلما أدخل عليه مصباح: نظر فإذا هو شيخه أو أبوه أو أميره. فإن علمه بذلك مما يوجب صبره على ما هنالك³.

. استخرج من الآية وصفا للصوفي: وهو عدم الاشتغال بعتاب الخلق، وأورد في معناه بيتين من شعره، وذلك في الفائدة السادسة التي استخرجها من الآية وهي قوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾⁴، فقال : « الفائدة السادسة: إن موسى عليه السلام فعل المعروف مع ابنتي شعيب عليه السلام، ولم يقصد منهما أجرا، ولا طلب منهما جزاء، بل لما سقي لهما أقبل على ربه، فطلب منه، ولم يطلب منهما، وإنما طلب من مولاه الذي مهما طلب منه أعطاه، والصوفي من يوفى من نفسه، ولا يستوفى لها ولنا في هذا المعنى شعر:

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص07

² . سورة الطور الآية 48 .

³ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص07

⁴ . سورة القصص الآية 24 .

لا تشتغل بالعتب يوما للورى فيضيع وقتك والزمان قصير
وعلام تعبتهم وأنت مصدّق إن الأمور جرى بها المقدور
هم لم يوفوا للإله بحقه أتريد توفيه وأنت حقير؟
فاشهد حقوقهم عليك وقم بها واستوف منك لهم وأنت صبور
وإذا فعلت فاشهد بعين من هو بالخفايا عالم وخبير
فموسى عليه السلام وفي من نفسه ولم يستوف لها، فكان له عند الله الجزء الأكمل،
وعجل له سبحانه في الدنيا زائدا على ما ادخره له في الآخرة: أن زوجه إحدى الابنتين، وجعله
صهرا لنبيه عليه السلام، وآنسه به حتى جاء أوان رسالته.
فلا تجعل معاملتك إلا مع الله تعالى، أيها العبد، تكن من الراجحين، ويكرمك بما أكرم به
العباد المتقين»¹.

. يستشهد بشعر له قاله فابتداء العمر: وذلك بعد تفصيل في مبدأ "إسقاط التدبير" واستدلاله
بكثير من الآيات، إذ يقول: «فقد تبين لك من هذا أن التدبير والاختيار، من أشد الذنوب
والأوزار. فإذا أردت أن يكون لك من الله اختيار فاسقط معه الاختبار، وإن أردت أن يكون لك
حسن التدبير، فلا تدع معه وجود التدبير، وإن أردت الوصول إلى المراد، فذلك بأن لا يكون معه
مراد، ولذلك لما قيل لأبي يزيد ما تريد؟ قال: (أريد أن لا أريد). فلم تكن أمنيته من الله، ولا طلبته
منه إلا سقوط الإرادة معه، لعلمه أنها أفضل الكرامات وأجل القربات»².

ثم يشرح مقولة أبي يزيد ويستشهد بقول أبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي، وبعده
يستشهد بنظم قاله في ابتداء العمر في مكاتبة لبعض إخوانه في السلوك، فيقول: «فإذا أردت
الإشراق والتنوير فعليك بإسقاط التدبير، واسلك إلى الله كما سلكوا، تدرك ما أدركوا. أسلك
مسالكهم وانهج مناهجهم وألق عصاك فهذا جانب الوادي، ولنا في هذا المعنى في ابتداء العمر،
ما كتبت به لبعض إخواني:

أيا صاح هذا الركب قد سار مسرعا ونحن قعود ما الذي أنت صانع

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 64.

² - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 28.

أترضى بأن تبقى المخلف بعدهم صريع الأمانى والغرام منازع
وهذا لسان الكون ينطق جهرة بأن جميع الكائنات قواطع
وأن لا يرى السبيل سوى امرئ رمى بالسوء لم تخدعه المطامع
ومن أبصر الأشياء والحق قبلها فغيب مصنوعا بمن هو صانع
بواده أنوار لمن كان ذاهبا وتحقيق أسرار لمن هو راجع
فقم وانظر الأكوان والنور عمها ففجر التداني نحوك اليوم طالع
وكن عبده وألق القياد لحكمه وإياك تدبيرا فما هو نافع
أتحكم تدبيرا وغيرك حاكم أنت لأحكام الإله تنازع
فمحو إرادة وكل مشيئة هو الغرض الأقصى فهل أنت سامع
كذلك سار الأولون فأدركوا على إثرهم فليسر من هو تابع
على نفسه فليبك من كان طالبا وما لمعت ممن يحب لوامع
على نفسه فليبك من كان باكيا أيذهب وقت وهو باللهم ضائع»¹

2. توظيفه الشعر الصوفي من غير نسبة :

وذلك أثناء تفصيله لنوع الذكر بالاسم "هو"، إذ أورد مجموع الآيات الدالة على هذا الاسم فقال: « وقد ذكره سبحانه وتعالى في جملة آيات من كتابه فقال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾²، قال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾³، قال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾⁴، وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ

1- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 28 .

2. سورة غافر الآية 65.

3. سورة الحديد الآية 3.

4. سورة القصص الآية 70 .

الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِي الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ¹»².

فبعد ذكره لأصناف أهل التوحيد الأربعة، وأن الصنف الرابع خرسوا فلم ينطقوا وغابوا على ذكر التوحيد بمشاهدة المذكور الواحد، ناسب هذا المعنى قول شاعر لم يذكر اسمه فأورده فقال: «صح الوجود له شرعا ومعرفة إن التحير في دعوى تَطَلُّبه³

فالله مُوجِدُنَا مَوْجُودُنَا أَبَدًا والعبد مفتقر في حق مطلبه

فاذكر سواه به تَذَكُّره معرفة فالله أجلى وُجُودًا والوجود به

والعبد ليس له من نفسه أبداً إلا انصرام وتشبيه لمشتبه

كيف السبيل إلى المذكور تَذَكُّره أهل المذاهب كل عند مذهبه

فالصمت ذكر له فاذكر كذاكَ وَذَا دَكَّرْ لَدَيْهِ فَإِنَّ الذِّكْرَ بِالشَّيْءِ⁴»

. يدغم كلامه بشعر صوفي يجمع المعنى : وذلك حين حثه على كثرة الذكر بالاسم المفرد "الله" دون غيره، وذلك لمحبة الله له، وتعظيمه عنده، ولأن من علامة محبة المحبوب كثرة ذكره، وفي ذلك يقول الشاعر⁵:

كَرَّرَ عَلَيَّ الذِّكْرَ مِنْ أَسْمَائِهِ وَاجْلُو الْقُلُوبَ بِنُورِهِ وَسَنَائِهِ

وَدِرِ الْكُؤُوسَ عَلَى النُّفُوسِ فَإِنَّهَا تَصْبُو إِلَى الْمَشْرُوبِ مِنْ صَهْبَائِهِ

اسم به الكون استفاد ضياءه في أرضه وقضائه وسمائيه

حارث عقول القوم عند صفاته نارت قلوب الخلق عند ضيائه

وإذا تجلَّى للقلوب جلاله شعرت بسر سنائه وبهائه

قرت قلوب المتقين بقربه وعلت على عليائه وعلايته

عز اسمه للعارفين مكرراً معروفة المعروف من آلائه¹

¹ . سورة الحشر الآيات 22، 23، 24 .

² - ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ص 37 .

³ . هذه الأبيات من البحر البسيط ولم أعرف لها قائل .

⁴ - ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ص 37 .

⁵ - المصدر نفسه ، ص 43، 44.

. استشهد ابن عطاء الله بشعر غير منسوب إلى قائله: فيعبر عن المعنى الذي شرحه في السبب الثالث من أسباب إسقاط التدبير فقال: « الثالث: علمك بأن القدر لا يجري على حسب تدبيرك، بل أكثر ما يكون ما لا تدبر، وأقل ما يكون ما أنت له مدبر، والعقل لا يبني بناء على غير قرار فمتى تتم مبانيك والأقدار تهدمها؟، وعن التمام قصدها.(قال الشاعر) شعرا :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وإذا كان التدبير منك والقدر يجري على خلاف ما تدبر، فما فائدة تدبير لا تنصره الأقدار؟ وإنما ينبغي أن يكون التدبير لمن بيده أزمة المقادير، ولذلك قيل شعر:

ولما رأيت القضا جاريا بلا شك فيه ولا مرية

2

توكلت حقا على خالقي وألقيت نفسي مع الجرية »

. يوظف أبياتا من شعر التصوف لم يذكر لها قائل³: بعد بيانه لأنواع المعرفة ومنها "معرفة حق" وفيها يقع التفاوت بين أهلها فمنهم من نظر إلى أفعاله من حيث أنها أفعاله وصنعتة، ومنهم من نظر إلى قدرة القادر ولاحظ صفاته ورأى حكمته ولم تحجبه الأفعال عن الصفة، ومنهم من نظر إلى الصانع لا إلى الصنعة ولم تحجبه الصفات عن عظمة الذات وذلك غاية الإدراك ونهاية العقول ولا تتعداه وإليه انتهت المعرفة. أورد لكل نوع من الآيات القرآنية المؤيدة لذلك الحد من المعرفة ، فاستدلال العموم بالصنعة على الصانع بداية ودليله قوله تعالى: ﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾⁴، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾⁵، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي

¹ . هذه الأبيات من البحر الكامل ولم أعرف لها قائل .

² - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 16 .

³ - ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ص 59 .

⁴ . سورة يونس الآية 101 .

⁵ . سورة الغاشية الآية 17 .

خَلَقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ ﴿١﴾ وقوله تعالى: ﴿٢﴾
وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢﴾.

أما استدلال الخصوص بالصانع على صنعته نهاية فدليله قوله تعالى: ﴿٣﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ
أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٣﴾، وقوله تعالى: ﴿٤﴾ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴿٤﴾، وقوله تعالى: ﴿٥﴾ أَفِي اللَّهِ
شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٥﴾، وفي استدلال الخصوص وتفاوت المشاهدة على قدر رفع
الحجاب. قال القائل: ⁶

«ويبدو بأوصاف الجمال فلا يرى	برؤيته شيئاً قبيحاً ولا ردي
فلما تجلّى لي على كلِّ شاهدٍ	وأشهدني بالحق في كلِّ مشهدٍ
تجنّبت تقييد الجمال ترفّعاً	وطالعت أسرار الجمال المبدد
ففي كلِّ مشهود لقلبي شاهدٌ	وفي كلِّ مسموع له لحنٌ معبد
وصار سماعي مطلقاً منه بدوهُ	وحاشى لمثلي من سماعٍ مُقَيّد
أراها بأوصاف الجمال جميعها	كمحنة مهجورٍ ومحنةٍ مُسندٍ ⁷

فهذه جملة أبيات وظفها ابن عطاء الله في مواضع ناسبت معاني الآيات، ولم يذكر لها قائل. ثم
ننتقل إلى مواضع أخرى وظف فيها أبيات من الشعر ولم ذكر لها القائل.

1 . سورة البقرة الآية 164 .

2 . سورة الذاريات الآية 20، 21 .

3 . سورة فصلت الآية 53 .

4 . سورة النساء الآية 79 .

5 . سورة إبراهيم الآية 10 .

6 . الأبيات من البحر الطويل ولم أعرف لها قائل .

7 - ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ص 59 .

3 . توظيفه الشعر الصوفي المنسوب لقائله : ونمثل لهذا الجزء بأبيات لأبي العباس المرسى وأخري

لابن الفارض:

. شعر الشيخ أبي العباس المرسى: وذلك في مسألة الاتحاد فمثل لها بإيجاد الواحد وتكراره في العدد، مثال لإيجاد الحق الخلق في الصورة الكونية ، والارتباط بين الواحد والعدد مثال للارتباط بين الحق والخلق ، ثم استشهد بشعر أبي العباس إذ يقول¹(البحر الوافر):

فلولاه ولولانا لما كان الذي كانا

. استدل بشعر ابن الفارض² : وذلك في مسألة إبطال التناسخ³ فقال : اعلم أن التناسخ باطل والدليل عليه قول المحقق سيدي عمر بن الفارض⁴ :

وكيف وباسم الحق ظل تحققي تكون أراجيف الضلال تُخيفتي
وها دحيةً وافى الأمين نبينا في صورته في بدء وحي النبوة
أجبريل قل لي كان دحية⁵ إذ بدا لمهدي الهدى⁶ في هيئة بشرية

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، هتك الأستار في علم الأسرار ، ص 24 .

² - المصدر نفسه ، ص 33 .

³ . التناسخ هو انتقال النفس الناطقة من بدن إلى آخر ، وأصحابه ينكرون المعاد الجسماني، فالنفوس تبيقى مجردة عن الأبدان إن كانت كاملة فقد وصلت إلى عالم القدس، وإن لم تكن كاملة فتنتقل بين الأبدان حتى تتحقق لها الغاية، ويسمى هذا الانتقال نسخا. وقال الطوسي عنهم في اللمع: إنهم غلطوا وضلوا ضلالا مبينا وجهلوا، وذلك في تعمقهم وتفكرهم بأرائهم فيما منع الله تعالى قلوب العباد من التفكير فيه بقوله تعالى : ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾. عبد المنعم الحفني ، الموسوعة الصوفية ، مكتبة مدبولي القاهرة الطبعة الأولى 2003م، ص 691

⁴ . عمر بن الفارض هو : أبو حفص عمر بن أبي الحسين علي بن المرشد بن علي (576هـ ، 632هـ) الصوفي المصري حفل ديوانه بأناشيد الحب الإلهي كثرت فيه الشروح والتفاسير خاصة لقصيدته الثائية الكبرى والخرمية، والقصيدتان تشتملان على الرموز والتلويحات والإشارات والمصطلحات. عبد المنعم الحفني ، الموسوعة الصوفية ، رقم الترجمة 276.

⁵ . دحية : اسم صحابي كان ينزل جبريل في صورته أحيانا.

⁶ . مهدي الهدى : قصد به النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي علمه عن حاضريه مزينة¹ بماهية المرئي¹ من غير مرية

يرى ملكا يوحى إليه وغيره يرى رجلا يُدعى لديه بصحة

ولي من أتم الرؤيتين إشارة تُنَزَّه عن رأي الحلول عقيدتي

وفي الذكر ذِكْرُ اللبس ليس بمنكر² ولم أعد عن حُكْمِي كتاب وسنة

ففي هذه الأبيات ينفي ابن الفارض الحلول عن نفسه ويتبرأ منه، كما في الشاهد الذي ساقه عن جبريل عليه السلام، إذ بدا للحاضرين رجلا يشبه دحية وهو في نظر الرسول صلى الله عليه وسلم جبريل وليس غيره، ثم يعلن مبدأ عاما في دعواه أنه لم يخرج عن الكتاب والسنة³.

¹ . ماهية المرئي : حقيقته.

² . هذه الأبيات من تائية ابن الفارض من البيت 279 إلى البيت 285 وقد شرحها عبد الحق الكتاني . عبد الحق الكتاني .

شرح تائية ابن الفارض . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى سنة 2006م.

³ . ابن الفارض ، ديوان ابن الفارض ، تقديم وشرح عبد القادر محمد مايو ، دار القلم العربي سوريا ، الطبعة الأولى سنة

2001م ، أثناء شرح الأبيات 279 إلى 284 .

المطلب الرابع :

الأقوال المأثورة .

1 . أقوال الصحابة .

2 . أقوال السابقين .

أ . أقوال المفسرين .

ب . أقوال أهل العلم .

ج . أقوال العارفين والزهاد .

3 . أقوال الشيخين .

أ . الشيخ أبو الحسن الشاذلي .

ب . الشيخ أبو العباس المرسى .

4 . أقوال الصوفية .

1. أقوال الصحابة : سأعرض فيما يلي أمثلة لاستدلال ابن عطاء الله بأقوال بعض من

الصحابة :

. يؤكد تفسيره بما نقل عن ابن عباس: وذلك بعد أن ذكر لاحتمالات الممكنة في الآية ففي قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾¹، قال: «يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾، أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ إِثْبَاتَ رِزْقِكُمْ أَيْ إِثْبَاتَهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ كَذَلِكَ، فَهُوَ تَطْمِينٌ لِلْعِبَادِ، وَإِعْلَامٌ لَهُمْ أَنَّ رِزْقَكُمْ (أَيَ الشَّيْءِ الَّذِي مِنْهُ رِزْقُكُمْ) كَتَبْنَاهُ عِنْدَنَا وَأَثْبَتْنَاهُ فِي كِتَابِنَا وَقَضَيْنَاهُ بِآيَاتِنَا مِنْ قَبْلِ وَجُودِكُمْ وَعَيْنَاهُ مِنْ قَبْلِ ظَهُورِكُمْ، فَلَا يَشَيْءٌ تَضْطَرُّونَ؟ وَمَا لَكُمْ إِلَى لَا تَسْكُنُونَ؟ وَبِوَعْدِي لَا تَوْقِنُونَ؟.

ويحتمل أن يكون المراد ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾. أي الشيء الذي منه رزقكم، وهو الماء كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾²، وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو المطر. فيكون قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي الشيء الذي منه أصل رزقكم، ولأن الماء في نفسه رزق»³.

. أورد قول علي رضي الله عنه: وذلك عند تعريفه للقلب الأجرد، فقال: «وقال علي كرم الله وجهه ورضي عنه: القلب الأجرد هو انجراده بالزهد في الدنيا وتجريده من الهوى ، وسراحه الذي يزهو فيه هو نور اليقين يبصر به اليقين. »⁴، ثم أتبعه بآيات في القلب الأغلف وهو المحجوب بظلم ظلام جهل التقليد عن رؤية شمس النبوة والتوحيد ، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ، وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا

¹ . سورة الذاريات الآية 22 .

² . سورة الأنبياء الآية 30 .

³ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 80

⁴ - ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ص 54 .

. ينقل تفسير علي رضي الله عنه للآية: وذلك بعد شرحه لسبب ورود الفاقة على العبد ليلتفت إلى المناجاة وهي شرف عظيم، ودليل ذلك ما أخبرنا الله تعالى عن موسى عليه السلام، فقال: «وذلك أنه تعالى أراد أن يفتح للعباد باب المناجاة، فكلما احتاجوا إلى الأقوات والنعم، توجهوا إليه برفع الهمم، فشرفوا بمناجاته ومنحوا من هباته، ولو لم تسقهم الفاقة إلى المناجاة لم يفقهها عقول العموم من العباد، ولولا الحاجة لم يستفتح بابها إلا عقول أهل الوداد، فصار ورود الفاقة سببا للمناجاة. والمناجاة شرف عظيم، ومنصب من الكرامة جسيم.

ألا ترى أن الحق سبحانه وتعالى أخبر عن موسى عليه السلام بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾¹، قال علي رضي الله عنه: والله ما طلب إلا خبزاً يأكله، ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاه².

. أورد قول سفيان الثوري ورؤيا أبي الحسن للصديق رضي الله عنه: وذلك تفريعاً عن قصة إبراهيم عليه السلام وأنه عليه السلام لما لم يدبر لنفسه ولا اهتم بها بل ألقاها إلى الله تعالى وأسلمها إليه ، وقد أمرنا الله تعالى أن لا نخرج عن ملته، وأن نرعى حق تسميته بقوله تعالى: ﴿مَلَّةً أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾³، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةٍ

¹ . سورة القصص الآية 24 .

² - المصدر نفسه ، ص 62 .

³ . سورة الحج الآية 78 .

إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ¹ ، ففصل في أقسام التدبير فكان منها التدبير للدنيا على قسمين: تدبير الدنيا للدنيا²، وتدبير الدنيا للآخرة³.

وليبين أن ليس كل طالب للدنيا مذموماً، بل المذموم من طلبها لنفسه لا لربه، ولدنياه لا لآخرته، قال: « وللزاهد في الدنيا علامتان: علامة في فقدانها، وعلامة في وجودها، فالعلامة التي في وجودها الإيثار منها، والعلامة التي في فقدانها وجود الراحة منها. فالإيثار شكر لنعمة الوجدان، ووجود الراحة منها شكر لنعمة فقدانها، وذلك ثمرة الفهم عن الله والعرفان، لأن الحق تعالى كما قد ينعم عليك بوجودها كذلك قد ينعم بصرفها، بل نعمته في صرفها أتم.

قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: (لنعمة الله فيما زوى عن الدنيا، أتم من نعمته علي فيما أعطاني عنها). وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله: (رأيت الصديق رضي الله عنه في المنام فقال لي: أدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب؟ قلت: لا أدري، قال علامة خروج حب الدنيا من القلب، بذلها عند الوجود، ووجود الراحة منها عند الفقد).

فقد تبين من هذا: أن ليس كل طالب للدنيا مذموماً، بل المذموم من طلبها لنفسه لا لربه، ولدنياه لا لآخرته⁴.

. استشهد بسير الصحابة: وذلك في تأييد المعنى الذي يستنبطه من الآية، ففي قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ 5﴾، قال: « فأثبت الحق سبحانه وتعالى لهم في هذه الآية: أنهم لا تلهيهم

1 . سورة البقرة الآية 130 .

2 . تدبير الدنيا للدنيا: هو أن يدبر في أسباب جمعها افتخاراً بها واستكثاراً؟ وكلما زيد فيها شيئاً ازداد غفلة واغتراراً، وأما ذلك أن يشغله عن الموافقة ويؤديه إلى المخالفة . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص44 .

3 . تدبير الدنيا للآخرة: كمن يدبر المتاجر والمكاسب والغرامة ليأكل منها حلالاً، ولينعم بها على ذوي الفاقة أفضلاً، وليصون بها وجهه عن الناس إجمالاً . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص44 .

4 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 44 .

5 . سورة النور الآية 36. 37.

تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ولم ينف عنهم أنهم لا يتجرون ولا يبيعون، بل في الآية ما يدل على جواز البيع والتجارة، من فحوى الخطاب إذا تدبرته، تدبر أولي الألباب. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ فلو نهاهم عن الغني، لنهاهم عن التسبب المؤدى إليه وهو التجارة والبيع، ألا ترى أنه قال: ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾، فإيجابه الزكاة عليهم دليل على أن هؤلاء الرجال الذين هذه الأوصاف أوصافهم، قد يكون منهم أغنياء ولا يخرجهم عن المدحة غناهم، إذا قاموا فيه بحقوق مولاهم»¹.

ثم استشهد ابن عطاء الله بسير الصحابة، فقال: «قال عبد الله بن عتبة: كان لعثمان بن عفان رضي الله عنه يوم قتله عند خازنه، مائة ألف وخمسون ألف دينار وألف ألف درهم، وخلف ضياعا بين "أريس"² و"خير"³، و"وادي القرى"⁴، قيمته مائتا ألف دينار.

وبلغ ثمن مال الزبير⁵ رضي الله عنه خمسين ألف دينار، وترك ألف فرس وألف مملوك. وخلف عمرو بن العاص رضي الله عنه ثلاثمائة ألف دينار. وغنى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، أشهر من أن يذكر. وكانت الدنيا في أكفهم لا في قلوبهم، صبروا عنها حين فقدت وشكروا الله حين وجدت.

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 46.

² . أريس : بئر الخاتم حيث وقعت فيه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من يد عثمان بن عفان رضي الله عنه في السنة

السادسة من خلافته، غربي مسجد قباء بنحو 42 م من باب المسجد القديم، والأريس في لغة أهل الشام الفلاح .

شوقي أبو خليل ، أطلس الحديث النبوي ، دار الفكر دمشق ، الطبعة الأولى سبتمبر 2003 م ، ص 34.

³ . خير : حصون خيابر شمال المدينة المنورة لمن يريد الشام (170 كم)، منها حصن ناعم والقوص والشق والنطاة والسلا لم

والوطيح والكتيبة، فتحت بعد صلح الحديبية مباشرة في أول محرم سنة 7هـ مع فذك ووادي القرى وتيماء. شوقي أبو

خليل ، أطلس الحديث النبوي ، ص 167.

⁴ . وادي القرى : واد بين المدينة المنورة وتبوك سمي وادي القرى لكثرة قراه، ويسمى أيضا الوادي وأهل الوادي، فتح سنة 7هـ

عنوة ثم صولح أهله على الجزية، من مدنه : العلا ، وبينه وبين المدينة 350 كم شمالا . شوقي أبو خليل ، أطلس

الحديث النبوي ، ص 370.

⁵ . الزبير : أي الزبير ابن العوام ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم.

الفصل الأول : تفسير ابن عطاء الله (مصادره ، وسائله ، العلوم التي استعان بها)

وإنما ابتلاهم الحق سبحانه وتعالى بالفاقة في أول أمرهم حتى تكملت أنوارهم، وتطهرت أسرارهم، فبذلها لأنهم لو أعطوها قبل ذلك، فلعلها كانت آخذة منهم، فإذا أعطوها بعد التمكين والرسوخ في اليقين تصرفوا فيها تصرف الخازن الأمين، وامثلوا قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾¹ «².

وكذا استشهد ابن عطاء الله بسيرة علي رضي الله عنه في الجهاد، ففي قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾³، قال: «ومن هنا يفهم منعهم عن الجهاد في أول الأمر ، لأنه لو أتيح لهم الجهاد في أول الإسلام، لأضر أن يكون انتصارهم لأنفسهم من حيث لا يشعرون، حتى كان علي رضي الله عنه، إذا ضرب أمهل حتى تبرد تلك الضربة، ثم يضرب ذلك خشية أن يضرب عقبها، فيكون في ذلك مشاركة من حظه، وذلك لمعرفته رضي الله عنه دسائس النفوس وكمائناتها، وعظيم حراستهم لقلوبهم، وتخليص أعمالهم وإشفاقهم أن يكون في عملهم شيء لم يرد به وجه الله تعالى»⁴.

. استدلل بسير الصحابة في الدلالة على إثارةهم: و ذلك لقول الحق تعالى فيهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، حيث قال: « فكانت الدنيا في أيديهم، لا في قلوبهم ويدل على ذلك خروجهم عنها، وإثارةهم بها، حتى أنهم أهدى لإنسان منهم رأس شاة فقال: (فلان أحق بها مني)، ثم قال الآخذ لها كذلك، فما زالوا يتهادونها إلى أن عادت إلى الذي أهداها أولا بعد أن طافت على سبعة أو نحوهم .

ويكفيك في ذلك: خروج عمر رضي الله عنه، عن نصف ماله، وخروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عن ماله كله، وخروج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن سبعمائة بغير موقرة الأحمال، وتجهيز عثمان رضي الله عنه جيش العسرة إلى غير ذلك من حسن أفعالهم، وسني

¹ . سورة الحديد الآية 07.

² - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 46.

³ . سورة البقرة الآية 109 .

⁴ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 46.

أحوالهم»¹. فهذه أمثلة من سير الصحابة وأحوالهم استشهادها ابن عطاء الله تعظيما للمعنى الذي فهمه من الآية.

2. أقوال السابقين :

يستدل ابن عطاء الله أثناء تفسيره لآيات القرآن الكريم بأقوال من سبقه، فهي من مصادره غير أنه لا ينسبها إلى أصحابها، فمن المفسرين صرح فقط بتفسير **ابن عطية**²، وفيما يلي نورد أمثلة لذلك ابتداء بأقوال المفسرين ثم بأقوال أهل العلم ثم بأقوال العارفين :

أ. أقوال المفسرين : أحيانا ينسب أقوال المفسرين إلى أصحابها كنسبته أقوال ابن عطية ، وأكثر الأحيان لا ينسب ذلك كما يتضح من هذه الأمثلة :

. استدل بتفسير ابن عطية: وذلك في قوله تعالى : ﴿وَلَا خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾³ ، فقال : « وافهم ههنا قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ ، قال ابن عطية: (وللحالة الثانية خير لك من الأولى) »⁴. وذلك بعدا بيانه أن آدم عليه السلام أهبطه الله تعالى إلى الأرض ليكمله، والذي لا بد من اعتقاده في حق الأنبياء هو الانتقال من حالة الكمال إلى الأكمل فالحالة الثانية أكمل من الأولى⁵ .

1- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 46.

2. ابن عطية : القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية الإشبيلي المفسر بالأندلس ولد سنة 481 هـ والمتوفى سنة 546 هـ بلورقة. أبو العباس أحمد بن الخطيب ، الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، نشر دار الإقامة 1978م بيروت ، ص

3. سورة الضحى الآية 04

4- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 22.

5- المصدر نفسه ، ص 22.

. ينسب القول إلى بعض المفسرين دون أن يذكر اسمه: وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾¹. حيث قال: « اعلم أن أكله عليه السلام للشجرة لم يكن عنادا ولا خلافا، فإما أن يكون نسي الأمر فتعاطى الأكل وهو له غير ذاك، وهو قول بعضهم². فلم هنا يصرح من هؤلاء البعض، ولم أعثر فيما توفر لدي من المصادر على صاحب هذا التفسير.

وكذا في قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلٍ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴾³، نقل قول الملائكة عند سماعهم لهذه الآية ولم يصرح عمن نقله ثم ذكر قول بعض من سمع الآية ولم يصرح به أيضا حيث قال : « وفي ذلك حجة عظيمة على العباد أن يكون الوفي لوعده الذي لا يخلف الميعاد، يقسم للعباد على ما ضمن لهم، لعلمه بما النفوس منطوية عليه من الشك والاضطراب ووجوب الارتباب، فلذلك قالت الملائكة حين سمعت هذه الآية: (هلك بنو آدم، أغضبوا ربهم الجليل، حتى أقسم)، وقال بعضهم حين سمع هذه الآية: (سبحان الله: من ألبأ الكريم إلى القسم؟) »⁴.

. نقل قول بعض المفسرين : وذلك في مسألة التفريق بين ذكر الله تعالى وذكر نبيه، في قوله تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ، الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾⁵، فقال: « قال بعض المفسرين: أمر الله أن يوصل ذكر نبيه بذكره فمن قطع بين ذلك فقد قطع ما أمر الله به أن يوصل، ومن قطع ما أمر الله به أن يوصل فقد أطلق عليه اسم الخسران.

¹ . سورة طه الآية 115 .

² - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 24.

³ . سورة الذاريات الآية 23 .

⁴ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 81.

⁵ . سورة البقرة الآية 26. 27 .

قال الله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾¹ ، قال بعض المفسرين: معناه لا أذكر إلا وذكرت معي² .
نقل قول كثير من المفسرين: وذلك في معنى "الكلمة الباقية" في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً
بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾³ فقال : قال كثير من المفسرين إنها قول لا إله إلا الله لقوله قبل
﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾⁴ .
ب . أقوال أهل العلم :

ينسب ابن عطاء الله تفسير الآية إلى أهل العلم من غير أن يسميهم، وفيما يلي أمثلة لذلك :
ففي قوله تعالى : ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾⁵ ، حيث قال : « قال أهل
العلم: لو لم يقل الحق سبحانه: ﴿وسلاماً﴾ لأهلكه بردها، فخدمت تلك النار، وقال أهل
العلم: بإخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يبق ذلك الوقت نار بمشارك الأرض ولا بمغاربها
إلا خدمت ظانة أنها المعنية بالخطاب، ف قيل: إنه لم تحرق النار منه إلا قيده⁶ .
وكذا في قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾⁷ ، حيث قال : «قال
بعض أهل العلم: يعني لا يتمالك عند قيام الشهوة به⁸ .

¹ . سورة الشرح الآية 04 .

² - ابن عطاء الله السكندري ، مفتاح الفلاح ، ص 31 .

³ . سورة الزخرف الآية 28 .

⁴ . سورة الزخرف الآية 2726 .

⁵ . سورة الأنبياء الآية 69 .

⁶ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 38 .

⁷ . سورة النساء الآية 28 .

⁸ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 33 .

وكذا في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾¹، حيث قال : « قال أهل العلم: الكنز هو المال الذي لا تؤدي زكاته، فإذا أدت زكاته لا يكون كنزا، معناه لا يدخل تحت هذا الوعيد ولا يطلق عليه لسان الذم»².

ج . أقوال العارفين والزهاد :

يستشهد ابن عطاء الله بأقوال العارفين من غير أن يسميهم، وكذا الزهاد قد يسميهم أحيانا، وفيما يلي أمثلة لذلك :

. استشهد بكلام العارفين: وذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾³، فبين وجه مناسبة السلام من الله عليهم ، فقال : « رتب سبحانه وتعالى السلام عليهم على محبتهم للرسول صلوات الله عليه وسلامه قال بعض العارفين : إنما سلم عليهم لأنهم »⁴.

كما استشهد بقول العارفين في مسألة الحكمة من خلق الشيطان مع الاعتقاد الجازم أن الشيطان لا قدرة له ولا تنسب له إرادة على التحقيق فقال : « فقد فهمت رحمك الله أن الشيطان أحقر في قلوبهم من أن يضيفوا إليه قدرة، أو ينسبوا له إرادة، وسر الحكمة في إيجاد الشيطان، أن يكون مظهرها ينسب إليه سباب العصيان، ووجود الكفران والغفلة والنسيان ألم تسمع قوله: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾⁵. و قوله تعالى : ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾⁶.

1 . سورة التوبة الآية 34 .

2- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 106.

3 . سورة الأنعام الآية 54 .

4- ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 14 .

5 . سورة الكهف الآية 63 .

6 .. سورة القصص الآية 15 .

فكان سر إيجاده ليمسح فيه أوساخ النسب، ولذلك قال بعض العارفين: (الشيطان منديل هذه الدار، يمسح به وسخ المعاصي، وكل قبيح وخبيث، إن الله تعالى لو شاء أن لا يعصى لما خلق إبليس»¹ .

. وكذا استشهد بسير العارفين:

بعد بيانه لمعنى الآية، ففي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾²، قال: «فسلاهم الحق فيما أصيبوا بما أصابوا؛ وهذا من العطايا السابقة، وقد يقترن بالبلايا في حين ورودها، ما يخففها على العباد المقربين، من ذلك أن يكشف لهم عن عظيم الأجر الذي ادخره لهم في تلك البلية، ومنها ما ينزل على قلوبهم من التثبيت والسكينة، ومنها ما يورده عليهم من دقائق اللطف وتنزلات المنن، وحتى قال بعض العارفين: لقد مرضت مرضة، فأحببت أن لا تزول، لما ورد علي فيها من أمداد الله تعالى، وانكشف فيها من وجود غيبته»³ .

. يستدل بقول إبراهيم بن أدهم من الزهاد:

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ﴾⁴، حيث قال: «فلا ينبغي لعبد بعد المبايعة، تدبير ولا منازعة، لأن ما بعته وجب عليك تسليمه، وعدم المنازعة فيه، فالتدبير فيه نقض لعقد المبايعة، قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: نمت ليلة عن وردي فاستيقظت فندمت، فنمت بعد ذلك ثلاثة أيام عن الفرائض، فلما استيقظت سمعت هاتفا يقول شعرا:

كل شيء لك مغفور سوى الإعراض عنا *** قد غفرنا لك ما فات بقي ما فات منا
ثم قيل لي يا إبراهيم: كن عبدا، فكنت عبدا فاسترحت»⁵ .

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 36 .

² - سورة آل عمران الآية 165 .

³ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 08 .

⁴ - سورة التوبة الآية 111 .

⁵ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 18 .

. يستدل بقول أبو حفص الحداد من الزهاد:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾¹. ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾². حيث قال بعد استشهادة بهذه الآيات على موضوع ترك التدبير والوقوف مع ما تجري به المقادير فقال: «فقد علمت أن إسقاط التدبير والاختيار، أهم ما يلتزمه الموقنون، ويطلبه العابدون، وأشرف ما يتحلى به العارفون. سألت بعض العارفين ونحن تجاه الكعبة، فقلت له: من أي الناحيتين يكون رجوعك؟ فقال: (لي مع الله عادة أن لا تجاوز إرادتي قدمي) . فهذا حال عبد محيت اختياراته وإرادته، فلم يبق له مع الله مراد إلا ما أراد كما قال السلف. (أصبحت وهوي في موقع قدر الله).

قال أبو حفص الحداد³ رحمه الله تعالى: (لي منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني إلى غيره فسخطته) «⁴.

3. أقوال الشيخين :

ألف ابن عطاء الله كتابه "لطائف المنن" لبيان مناقب الشيخ "أبي العباس المرسى" و"شيخه أبي الحسن الشاذلي"، فحفظ لنا بهذا الكتاب مناقب الشيخين، فقال: «أما بعد فإني قصدت في هذا الكتاب أن أذكر جملاً من فضائل سيدنا ومولانا قطب العارفين، علم المهتدين، حجة الصوفية، مرشد السالكين الواصل إلى الله والموصل إليه، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري المرسى وأذكر شيخه الذي أخذ عنه، ومنازلاته التي نقلت عنه وسمعتها عنه، وكراماته وعلومه وأسراره ومعاملاته مع الله سبحانه وتعالى «⁵. وعقد الباب الخامس في

¹ . سورة آل عمران الآية 101 .

² . سورة الطلاق الآية 03 .

³ - أبو حفص الحداد : هو أبو حفص عمر بن سلمة الحداد (ت260هـ) من قرية يقال لها كورداباذ ، كان أحد الأئمة والسادة . أبو القاسم القشيري ، الرسالة القشيرية ، دار السلام مصر ، الطبعة الثالثة ، ص21..

⁴ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص28 .

⁵ . ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص24-25 . 33.

الآيات التي تكلم المراسي في بيان معناها وإظهار فحواها فشرح تفسيره لها وبسط ما استشكل من كلامه.

ولذا كانت أقوالهما وفهمهما من مصادره البارزة والأساسية في التعامل مع آيات القرآن الكريم، وفيما يلي نماذج نستدل بها على ذلك:

أ. الشيخ أبو الحسن الشاذلي :

. استدل بكلام أبي الحسن الشاذلي: في مسألة نزول آدم إلى الأرض بسبب أكله من الشجرة فقال: « وكان من تدبير حكمته: أن لا بد من تمام ذلك، وظهوره إلى عالم الشهادة، فأراد الحق سبحانه أن يكون تناول آدم للشجرة سببا لنزوله إلى الأرض، ونزوله إلى الأرض سببا لظهور مرتبة الخلافة التي من عليه بها، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: (أكرم بها معصية أورثت الخلافة وسنت التوبة لمن بعده إلى يوم القيامة). وكان نزوله إلى الأرض بحكم قضاء الله تعالى، قبل أن يخلق السماوات والأرض. قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: (والله لقد أنزل آدم إلى الأرض، قبل أن يخلقه، كما قال سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾¹، فمن حسن تدبير الله تعالى لآدم، أكله من الشجرة ونزوله الأرض وإكرام الله تعالى إياه بالخلافة والإمامة »².

. استشهد بكلام أبي الحسن الشاذلي: أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾³، فذكر أن طرق الإيمان التي يستند إليها المؤمنون ثلاثة، فقال: « والطريق الثالث هم الذين استند إيمانهم إلى شهود عيان و هم الراسخون في العلم وهذا طريق أهل الله، ولذلك قال شيخ شيخنا أبو الحسن الشاذلي "رضي الله عنه": (إننا لننظر إلى الله ببصر الإيمان والإيقان فأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان وإننا لا نرى أحداً من الخلق، فهل في

1 . سورة البقرة الآية 30 .

2 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 22.

3 . سورة الأنعام الآية 54 .

الوجود أحد سوى الملك الحق، وإن كان ولا بد فكالهباء في الهواء، إن فتشتهم لم تجدهم شيئاً¹»².

. كما استشهد بكلام أبي الحسن الشاذلي: في مسألة العطاء والمنع، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾³، غير أنه سبحانه يقضي عليك بالآلام لما يترتب عليه من الفضل والإنعام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁴.

يقرر ابن عطاء الله هذه المسألة فيقول: «ومن مُنِعَ وَعَلِمَ أن المنع إنما هو إشفاق عليه، فهذا المنع في حقه عطاء، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى: (اعلم أن الحق سبحانه وتعالى إذا منعك لم يمنعك عن بخل، وإنما يمنعك رحمة لك، فمنع الله لك عطاء، ولكن لا يفهم العطاء في المنع إلا صديق) »⁵، وعليه فلا منع على الحقيقة إنما هو إشفاق ومن أشفق عليك فقد أعطاك.

. وكذلك استشهد بكلام أبي الحسن في الشاذلي: في السبب الثامن من أسباب إسقاط التدبير حيث قال: «الثامن: هو اشتغال العبد بوظائف العبودية التي هي مبتغاة بالعمر، لقوله: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾⁶، فإذا توجهت همته إلى رعاية عبوديته، شغله ذلك عن التدبير لنفسه والاهتمام لها قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى: (اعلم أن الله تعالى عليك في كل وقت سهما في العبودية، يقتضيه الحق سبحانه وتعالى، وعن أنفاسه التي هي أمانة الحق عنده، فأين الفراغ لأولى البصائر عن حقوق الله حتى يمكنهم التدبير لأنفسهم، والنظر في مصالحها باعتبار حظوظها ومآربها، ولا يصل أحد إلى منة الله إلا بغيبته عن نفسه، وزهده فيها، مصروفة همته إلى محاب الله تعالى)، متوفرة دواعيه على موافقته، دائبا على خدمته ومعاملته، فبحسب

1. ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 19 .

- ابن عجيبة الحسني ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ص 33.

2. ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 19 .

3. سورة الأحزاب الآية 43 .

4. سورة الزمر الآية 10 .

5. ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 08 .

6. سورة النحل الآية 99 .

غيبتك عن نفسك فناء عنها، ييقك الله به، لذلك قال الشيخ أبو الحسن: (أيها السابق إلى سبيل نجاته الشائق إلى حضرة جنبه، أقلل النظر إلى ظاهرك إن أردت فتح باطنك لأسرار ملكوت ربك) ¹.

. وكذا استشهد بكلام أبي الحسن: في السبب العاشر من أسباب إسقاط التدبير فقال: «العاشر: عدم علمك بعواقب الأمور، فرما دبرت أمرا ظننت أنه لك، فكان عليك، فإذا كان الأمر كذلك، فكيف يمكن عاقلا أن يدبر مع الله، ولا يدري المسار فيأتيها، ولا المضار فيتقيها؟، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: (اللهم إنا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا، من حيث نعلم بما نعلم، فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم، بما لا نعلم). ويكفيك قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ²» ³.

. استدل بقول الشاذلي: وذلك في قوله تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ ⁴، فقال: « ولا يصدنك أيها المؤمن عن طلب ما تحتاج إليه من الله قلة قلة ذلك فإنه إن لم تسأله في القليل، لم تجد ربا يعطيك ذلك غيره، والمطلب وإن كان قليلا فقد صار لفتح باب المناجاة جليلا، حتى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: (لا يكن همك في دعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا عن ربك، وليكن همك مناجاة مولاك) ⁵».

. استدل بقول أبي الحسن الشاذلي: وذلك في وجوب اتباع ملة إبراهيم لقوله الله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ ⁶، فقال: « فواجب على المؤمن أن يتبع ملة إبراهيم، ومن ملة إبراهيم معادة كل كل ما شغل عن الله، وصرف الهممة بالرد إلى الله لقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَدُوِّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾

1 . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 19 .

2 . سورة البقرة الآية 216.

3 . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 19 .

4 . سورة القصص الآية 24.

5 . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 62 .

6 . سورة الحج الآية 78.

﴿¹ والغنى إن أردت الدلالة عليه، فهو في اليأس في من الناس، ولقد قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: (أيسر من نفع نفسي لنفسي، فكيف لا أيسر من نفع غيري لها؟ ورجوت الله لغيري، فكيف لا أرجوه لنفسي؟)، وهذا هو الكيمياء والإكسير الذي من حصل له ، حصل له غنى لا فاقة فيه، وعزا لا ذل معه، وإنفاقا لا نفاق له، وهو كيمياء أهل الفهم عن الله تعالى. وقال مرة أخرى رحمه الله، لما سئل عن الكيمياء: (أخرج الطمع من قلبك، واقطع يأسك من ربك، أن يعطيك غير ما قسم لك)﴾².

. يعتمد على تفسير الشاذلي للآية: وذلك في الوجه الثامن من وجوه الإجمال في الطلب وهو عدم الاستعجال في الطلب، فقال: « قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾³، وكان بين قوله تعالى لهما: ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ وإهلاك فرعون أربعون عاما، قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَاسْتَقِيمَا ﴾: أي على عدم استعجال ما طلبتما، ﴿ وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، قال: هم المستعجلون لإجابة)﴾⁴.

. أورد رؤيا أبي الحسن للنبي صلى الله عليه وسلم: وفيها تفسير قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾⁵، فقال: « قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: رأيت النبي عليه الصلاة والسلام في المنام فقال لي: يا علي، طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس، فقلت: يا رسول الله وما ثيابي؟ فقال: اعلم أن الله تعالى كساك حلة الإيمان، وحلة المعرفة، وحلة التوحيد، وحلة المحبة. قال: ففهمت حينئذ قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾﴾⁶.

1 . سورة الشعراء الآية 77.

2 . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 103 .

. ابن عجيبة الحسني ، إيقاظ الهمم ، ص 71 .

3 . سورة يونس الآية 89.

4 . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 89 .

5 . سورة المدثر الآية 04.

6 . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 102.

. استشهد بأقوال أبي الحسن: وذلك في مسألة حمد الله تعالى على العافية من البلاء بأسباب الدنيا، فقال: « فيجب على المؤمن المعافي أن يحمد الله تعالى على ما خصه به من أفضاله، وأنعم به عليه من نواله، وأحرى لك أن تشكر الله، إذا عافاك من أسباب الدنيا والخوض فيها، وابتلى بذاك غيرك، واسمع ما قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: (أكرم المؤمنين وإن كانوا عصاة فاسقين، وأمرهم بالمعروف ونههم عن المنكر، واهجرهم رحمة بهم لا تعززا عليهم). وقال رحمة الله عليه: (لو كشف عن نور المؤمن المعاصي لطبق ما بين السماء والأرض، فما ظنك بنور المؤمن لمطيع).

ويكفيك في تعظيم المؤمنين، وإن كانوا عن الله غافلين قول رب العالمين: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ﴾¹، فانظر كيف أثبت لهم الاصطفاء مع وجود ظلمهم، ولم يجعل ظلمهم مخرجاً لهم عن اصطفائهم ولا من ورثة كتابه، واصطفاهم بالإيمان وإن كانوا ظالمين بوجود العصيان. فسبحان واسع الرحمة، وعظيم المنة².

. تعزيد الإشارة المستنبطة من الآيات بحال الشيخ أبي الشاذلي، وذلك في مسألة الادخار وعدمه فيقول: « وافهم هاهنا قوله سبحانه: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾³. وأن القلب السليم هو الذي لا تعلق له بشيء دون الله تعالى، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾⁴، يفهم منه أيضاً: إنه لا يصح مجئك إلى الله تعالى بالوصول إليه إلا إذا كنت فرداً مما سواه، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾⁵، يفهم منه: أنه لا يؤويك إليه إلا إذا صح يتمك مما سواه .

1 . سورة فاطر الآية 32.

2 . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 93.92.

3 . سورة الشعراء الآية 88 . 89.

4 . سورة الأنعام الآية 94.

5 . سورة الضحى الآية 06.

فأي تدبير هؤلاء؟ أم كيف يمكن هؤلاء أن يكونوا من المدخرين وهم في حضرة رب العالمين؟ وإن ادخروا لم يكونوا على ما ادخروه معتمدين؟ أم كيف يمكنهم أن يكونوا إلى سواه مستندين، وهم لوجود الأحدية¹ مشاهدون؟.

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله: قوي علي الشهود مرة فسألت أن يستر ذلك عني، ف قيل: لو سألته بما سأله موسى كليمه، وعيسى روحه، ومحمد صفيه لم يفعل، ولكن سله أن يقويك، فسألته فقواني. فمن كان هذا حاله، فكيف يحتاج إلى الادخار؟ أم كيف يمكنه أن يستند إلى الأغيار؟ وكفى بالمؤمن أن يدخر إيمانا بالله، وثقة به، وتوكلا عليه². فحال أبي الحسن الشاذلي عضد بها ابن عطاء الله المعنى الذي فهمه من الآيات السابقة.

ب . الشيخ أبو العباس المرسى :

تفسير أبي العباس المرسى للآيات حسب المناسبة أو المجلس وأقواله وفهمه، هو مصدر أصيل عند ابن عطاء الله لاعتماده على الإشارة في تثبيت مذهب الشاذلي، ولذا نعرض هنا نماذج من كل نوع :

. استفاد مما سمعه من تفسير شيخه أبي العباس للآية: وذلك في موضوع رعاية الحق سبحانه لمن وجهوا همهم إليه، فكفاهم من دونه، ولذا لم يشتغلوا بعداوة الشيطان، فقال: « قيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك للشيطان؟ قال وما الشيطان؟ نحن قوم صرفنا همنا إلى الله تعالى، فكفانا من دونه.

وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول: (لما قال الحق تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾³، فقوم فهموا من هذا الخطاب: أن الله طالبهم بعداوة الشيطان فصرفوا همهم إلى عداوته، فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب.

1 . الأحدية : هي كنه الحق سبحانه وليس فوقها مراتب أخرى بل كل المراتب تحتها، وهي أول ظهور ذاتي وامتنع الاتصاف بها للمخلوق، لأنها صرافة الذات المجردة عن الحقيقة والمخلوقية، والعبد قد حكم عليه بالمخلوقية فلا سبيل إلى ذلك، عبد المنعم الحفني . الموسوعة الصوفية . مكتبة المدهبولي الطبعة الأولى سنة 2003 . ص 629.

2 . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 94.

3 . سورة فاطر الآية 6.

وقوم فهموا من ذلك: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، أي: وأنا لكم حبيب، فاشتغلوا بحجة الله فكفاهم من دونه، فإن استعاذوا من الشيطان، فلأجل أن الله تعالى أمرهم بذلك، لا لأنهم يشهدون أن غير الله من الحكم شيئاً معه، وكيف يشهدون لغيره حكماً معه، وهم يسمعونهم يقول: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾¹، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾². وقال عز وجل: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾³. وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾⁴، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾⁵، وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾⁶، وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁷.

فهذه الآيات ونظائرها قوت قلوب المؤمنين، ونصرتهم النصر المبين فإن استعاذوا من الشيطان فبأمره، وإن استولوا بنور الإيمان عليه فبوجود نصره، وإن سلموا من كيده لهم فبتأييده وبره⁸.

. أورد تفسير المرسى للكلمة في الآية: فقال: «وكان شيخنا أبو العباس رضي الله عنه، يقول: في قوله تعالى: ﴿وَأِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾⁹، قال: ﴿وَفَّى﴾ بمقتضى قوله: (حسي الله)¹⁰.

1 . سورة يوسف الآية 40.

2 . سورة النساء الآية 72.

3 . سورة الإسراء الآية 65.

4 . سورة النحل الآية 99.

5 . سورة الطلاق الآية 03.

6 . سورة البقرة الآية 257.

7 . سورة الروم الآية 47.

8 . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 35.

9 . سورة النجم الآية 37.

10 . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 39.

. استشهد بقول أبي العباس المرسى: في مسألة تفضيل الآدمي على غيره ثم استدل بالآية فقال: «ومما يوضح لك كرامة الآدمي عن غيره من المكنونات، أن المكنونات مخلوقات من أجله، وهو مخلوق من أجل حضرة الله تعالى، سمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول: (قال الله سبحانه: يا ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك، وخلقتك من أجلي، فلا تشتغل بما هو لك عما أنت له)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾¹، وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾²، وسمعت الشيخ رحمه الله تعالى يقول: الأكوان الأكوان كلها عبيد سخرها لك، وأنت عبيد الحضرة»³.

. استشهد بقول المرسى: في مسألة رفع الهمم إلى الله تعالى استنادا إلى ما فهمه من الآيات منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾⁴، فقال: «لتجأش الهمم إلى بابه، ولتجنح القلوب إلى جنابه، وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول: (والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمم عن الخلق)، وافهم أيها الأخ رحمك الله هاهنا قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾⁵، فمن العزة التي أعز الله بها المؤمن رفع همته إلى مولاه، وثقته به دون ما سواه»⁶.

. يستدل بما قاله المرسى له: وذلك أثناء دخوله عليه وشكوته لأمره مما يتعلق بترك التدبير حيث فقال في السبب الخامس من أسباب ترك التدبير: «علمك بأنك ملك لله لا سيما وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾⁷، فالتدبير فيه نقض لعقد المبايعه.

¹. سورة الرحمان الآية 10.

². سورة الجاثية الآية 13.

³. ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 76.

⁴. سورة الحجر الآية 21.

⁵. سورة المنافقون الآية 08.

⁶. ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 78.

⁷. سورة التوبة الآية 111.

ودخلت على الشيخ أبي العباس المرسى رحمه الله يوما، فشكوت إليه بعض أمري فقال:
«إن كانت نفسك لك فاصنع بها ما شئت، ولن تستطيع ذلك أبدا، وإن كانت لبارئها فسلمها
له يصنع بها ما شاء»، ثم قال: (الراحة في الاستسلام إلى الله، وترك التدبير معه، وهو
العبودية)¹.

. يستدل بالآيات أثناء شرحه لما قاله الشيخ: وذلك في أحوال العبد بالنسبة إلى موضوع الرزق،
ومنها التعب في طلبه حيث قال: «وأما التعب في طلبه: فإما أن يكون تعب الظواهر ويكون
بالاستعاذة منه إلى الله تعالى، لأنه إذا استولى على الطالب للرزق التعب في الظاهر، شغله ذلك
عن القيام بالأوامر، ولا راحة له إلا بالتوكل على الله، لأن التوكل على الله وضع أثقاله، والله تعالى
يحملها عنه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾²». ³.

. يستدل بالآيات أثناء شرحه لما قاله الشيخ: في مسألة ترك التدبير في الرزق، فقال: «وقول
الشيخ رحمه الله: (ومن التفكير والتدبير في تحصيله).

فالتفكير: أن تستحضر في نفسك أنه لا بد لك من غذاء يقيم بنيتك، والتدبير أن تقول
هو من وجه كذا وكذا لا، ولكن هو من وجه كذا وكذا، ويكثر ذلك ويتردد على القلب، حتى لا
تدري إن كنت مصليا ماذا صليت، أو تاليا ماذا تلوت، فتتكدر عليك تلك الطاعة التي أنت
فيها، وتحرم أنوارها وتمنع أسرارها.

فإذا أورد عليك ذلك فاهدم بناءه بفأس الثقة، ودكه بوجود اليقين، واعلم رحمك الله أن
الله تعالى قد تولى تدبيرك من قبل أن تكون، وإنك إن أردت نصح نفسك لا تدبر لها، فإن
التدبير منك لها إضرار بها، إذ ذاك مما يوجب إحالتك عليك، ويمنع إمداد اللطف أن يصل إليك،
والمؤمن لا يدعه الحق سبحانه وتعالى لوجود التدبير ولا لمنازعة المقادير.

¹. ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص18.

². سورة الطلاق الآية 03.

³. ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص100.

فإن عرض ذلك عليك أو خط، فلا تثبت له، فإن نور الإيمان لا يدعه لذلك. ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾¹، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾²». ³
- ييسر المعنى الذي قاله شيخه أبو العباس ويستدل لذلك بالآيات، وذلك عند حديثه عن أهل الفهم عن الله الذين لا يفرحون لموجود ولا يحزنون لمفقود، فقال: « وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول: الكائن في الحال على قسمين، عبد هو في الحال بالحال، وعبد هو في الحال بالمحول. والذي هو في الحال بالحال: هو عبد الحال الذي يفرح بها إذا وجدها، ويحزن عليها إذا فقدها. وعبد هو في الحال بالمحول: فذلك عبد الله لا عبد الحال، وهو الذي لا يأس عليها إذا فقدها، ولا يفرح إذا وجدها.

فقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾⁴ أي على وجهة واحدة، فإن زالت طاعته، وانفصلت موافقته، ولو فهم عنا لعبدنا على كل حالة وفي كل وجهة، كما أنه ربك تعالى في كل حال كذلك، فكن له عبدا في جميع الأحوال.
فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾⁵ أي إن أصابه خير مما يلائم نفسه هو في نظره خير، وقد يكون شرا في نفس الأمر. ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾⁶ أي فقد ذلك الخير الذي كان به مطمئنا، وسماه فتنة لأن في الفقد اختبار إيمان المؤمن وفي الفقد يظهر أحوال الرجال.

فكم من ظان أن غناه بالله، وإنما غناه بوجود أسبابه، وتعدادات اكتسابه؟
وكم من ظان أن انسه بربه، وإنما انسه بحاله، دليل ذلك فقدانه لأنسه عند فقدان حال.
فلو كان انسه بربه لدام انسه بدوامه، ولبقي ببقائه.

¹ . سورة الروم الآية 47.

² . سورة الأنبياء الآية 18.

³ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 105.

⁴ . سورة الحج الآية 11.

⁵ . سورة الحج الآية 11.

⁶ . سورة الحج الآية 11.

وقوله تعالى: ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ﴾¹. خسر الدنيا بفقدان ما أراد منها، وخسر

الآخرة لأنه لم يعمل لها، فقد فاتته ما طلبه وهو ما طلبنا حتى نكون له، فافهم².

. يستفيد مما سمعه من شيخه: حيث يوظفه في الوجه التاسع من وجوه الإجمال في الطلب، وينسب الفكرة بعد ذلك إليه، فيقول: « وقد يكون الإجمال في الطلب أن يطلب وهو شاكر لله تعالى إن أعطى، وشاهد حسن اختيار ربه إذا منع، فرب طالب لا يشكر إن أعطى، ولا يشهد حسن اختيار ربه في المنع، بل طالب من الله حازم أن المصلحة له أن يعطى، ومن أين لهذا العبد الجاهل أن يحكم على علم الله، وأن يعلم ما فيه غيب الله؟ وكفى بالعبد جهلا أن يتخير على مولاه، بل إذا سألته فسله مفوضا إليه، غير مدبر معه ولا مختار عليه، قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾³، هذا فيما أبهم أمره. والبيان في ذلك: أن المدعو به على ثلاثة أقسام: ما هو خير قطعاً، وما هو شر قطعاً فاطلب من الله السلامة منه من غير استثناء، كالكفر والمعصية. وما هو مبهم الأمر، كالغنى والعز والرفعة، فاطلب ذلك من الله تعالى قائلاً: (إن علمت ذلك خيراً لي). كذلك سمعته من الشيخ رحمه الله⁴. فهو يوظف فهم شيخه في بسط معنى الآية.

وفيما يلي ننتقل إلى أقوال بعض الصوفية وكيف استفاد منها ابن عطاء الله.

4 . أقوال الصوفية:

. استدل بما حكاه شقيق البلخي عن سبب توبته: وذلك في المثل التاسع عشر من الأمثلة التي ضربها لمن يدبر في أحوال الرزق، وهي أمثلة يحاكي فيها النصوص القرآني في تقريب المعنى فقال: « مثال آخر: مثل العبد مع الله تعالى كعبد له سيد غنى متصف بالثروة، والإحسان إلى عبيده، وغير معروف بالمنع موصوف بالجود والعطاء. والعبد بفضلله واثق، ولإحسانه رامق، علم من سيده الغني فأخرجه ذلك عن وجود العناء، وهذا بعينه كان سبب توبة شقيق البلخي رحمه الله.

¹ . سورة الحج الآية 11.

² . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 110.

³ . سورة القصص الآية 68.

⁴ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 90.

قال: (عبرت في زمن مجاعة فوجدت غلاما منبسطا منشرحا ليس عنده علم مما الناس فيه، فقلت له: يا فتى أما تعلم ما الناس فيه؟ فقال: وما أبالي ولمولاي قرية خالصة، يُدخل إلينا كل يوم ما نحتاج إليه. فقلت في نفسي: إن كان لسيد هذا قرية خالصة، فمولاي له خزائن السماوات والأرض، فأنا أولى بالثقة من هذا بسيدته، وهو كان سبب انتباهي) ¹.

. استدلل بقول أبي مدين وبيانه لوجهة انصراف القلب: وذلك من خلال تفسير الآية أثناء شرحه لوجوه الإجمال في طلب الرزق، حيث قال: «فاعلم رحمك الله: أن الطالب للرزق على قسمين: عبد يطلبه منهمكا عليه، ومتوجها بكل همته إليه، وذلك مما يصرف وجهته عن الله، لأن الهمة إذا توجهت لشيء انصرفت عما عداه، قال الشيخ أبو مدين رحمه الله: (ليس للقلب إلا وجهة واحدة، إن وجهته إليها انصرف عن غيرها، وقد قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ ². أي ما جعل له من وجهتين في وقت واحد وذلك لضعف البشرية عن التوجه إلى وجهتين.

فما توجه إنسان إلى وجهتين إلا ويقع الخلل في إحدى الوجهتين، والقيام بالأوجه كلها في الوقت الواحد من غير أن يقع في شيء منها خلل إنما ذلك من شأن الإلهية، ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ ³. فأفاد بذلك إنه متوجه لأهل السماء، ومتوجه لأهل الأرض، لا يشغله توجهه لأهل الأرض، ولا توجهه لأهل الأرض عن توجهه لأهل السماء، ولا شيء عن شيء. فلذلك كرر سبحانه وتعالى ذكر الإلهية في الآية الكريمة، ولو لم يكررها لم يفد ذلك من هذا اللفظ، بل مما

¹. ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص116.

². سورة الأحزاب الآية 48.

³. سورة الزخرف الآية 84.

يوجبه ما هو الحق عليه سبحانه. فتبين لك من هذا: أن من طلب الرزق مكبا عليه، مشتغلا عن الله تعالى به، فليس مجملا في الطلب، ومن طلبه على غير ذلك فهو مجمل¹.
- وظف استشهد أبي مدين بالآية: وذلك في بيان أن الدنيا دار ضيافة ، وذلك عند حديثه عن السبب السادس من أسباب إسقاط التدبير فقال: « السادس: علمك بأنك في ضيافة الله، لأن الدنيا دار الله، وأنت نازل فيها عليه، ومن حق الضيف أن لا يعول هما مع رب المنزل.
قيل للشيخ أبي مدين رحمه الله: ما لنا نرى المشايخ يدخلون في الأسباب، وأنت لا تدخل فيها؟ فقال: يا أخي أنصفونا: الدنيا دار الله ونحن ضيوفه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (الضيافة ثلاثة أيام). قلنا عند الله ثلاثة أيام ضيافة، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾². قلنا عند الله ثلاثة آلاف سنة ضيافة، مدة إقامتنا في الدنيا منها وهو مكمل ذلك بفضل في الدار الآخرة، وزائد على ذلك الخلود الدائم³.
- يفند قول بعض من سبقه من غير تسميته: ويؤول له المعني علي عدة وجوه، وذلك عند تحليله لقصة إبراهيم عليه السلام حيث رفض أن يرفع حاجته إلى غير الله ولم يقل ليس لي حاجة، وعلل ذلك فقال: « لأن مقام الرسالة والخلّة، يقتضي القيام بصريح العبودية، ومن لازم مقام العبودية: إظهار الحاجة إلى الله تعالى، والقيام بين يديه بوصف الفاقة إليه، ورفع الهمة عما سواه، فناسب ذلك أن يقول: أما إليك فلا، أي أنا محتاج إلى الله، وأما إليك فلا. فجمع في كلامه هذا إظهار الفاقة إلى الله، ورفع الهمة عما سواه⁴، ثم رد ابن عطاء الله قول من قال أن لا حاجة للصوفي فقال: « لا كما قال بعضهم: (لا يكون الصوفي صوفيا، حتى لا يكون له إلى الله حاجة)، وهذا كلام لا يليق بأهل الاقتداء المكملين. مع أنه مؤول لقائله بأن مراده: أن الصوفي قد تحقق بأن الله

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 116.

² . سورة الحج الآية 47.

³ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 18.

⁴ . المصدر نفسه ، ص 39.

الفصل الأول : تفسير ابن عطاء الله (مصادره ، وسائله ، العلوم التي استعان بها)

قد قضى حوائجه من قبل أن يخلقه (فليس له إلى الله حاجة) إلا وهي

مقضية في الأزل، ولا يلزم من نفي الحاجة نفي الاحتياج»¹، ثم أورد تأويلا ثانيا وثالثا، فقال: «والتأويل الثاني، إنما قال: لا يكون له إلى الله حاجة، أي أنه إنما يطلبه وليس همته الطلب منه، وشتان بين طالب الله وطالب من الله. وقد يكون مراده بقوله حتى لا يكون له إلى الله حاجة، أنه مفوض إلى الله مستسلم له، فليس له مع الله مراد إلا ما أراد»². وبهذا نفهم إطلاعه على أقوال من سبقه مع قدرته على تأويلاتها التأويل المناسب .

. يستشهد بأقوال العارفين ممن صاحبهم أو ممن سبقوه ومنهم أبو حفص الحداد: وذلك عند حديثه عن مدى التزام الموقنين والعابدين والعارفين لمسألة إسقاط التدبير فقال: « فقد علمت أن إسقاط التدبير والاختيار، أهم ما يلتزمه الموقنون ويطلبه العابدون، وأشرف ما يتحلى به العارفون. سألت بعض العارفين ونحن نجاء الكعبة، فقلت له: من أي الناحيتين يكون رجوعك؟ فقال: (لي مع الله عادة أن لا تجاوز إرادتي قلمي). وقال بعض المشايخ: (لو دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وبقيت أنا ولم يقع عندي تمييز في أي الدارين يكون قراري).

فهذا حال عبد محيت اختياراته وإرادته، فلم يبق له مع الله مراد إلا ما أراد، كما قال السلف: (أصبحت وهواي في موقع قدر الله). قال أبو حفص الحداد رحمه الله تعالى: (لي منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني إلى غيره فسخطته). وقال بعضهم: (لي منذ أربعين سنة أشتهي، أن لا أشتهي لأترك ما أشتهي فلا أجد ما أشتهي)»³.

ثم يستدل لهذا بإشارات فيفهمها من الآيات فيقول: « فهذه قلوب تولى الله رعايتها، وأوجب حمايتها، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾⁴، لأن تحققهم بمقام العبودية أبي لهم الاختيار مع الربوبية، وأن يقارفوا ذنبا، وأن يلابسوا عيبا. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾⁵، فقلوب ليس للشيطان

¹ . المصدر نفسه ، ص 39.

² . المصدر نفسه ، ص 39.

³ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 30.

⁴ . سورة الإسراء الآية 25.

⁵ . سورة النحل الآية 99.

عليها سلطان، من أين تطرقها وساوس التدبير؟ أو يرد عليها وجود التكدير؟، وفي الآية بيان أن من صحح الإيمان بالله والتوكل على الله فلا سلطان للشيطان عليه، لأن الشيطان إنما يأتيك من أحد وجهين: إما بتشكيك في الاعتقاد، وإما بركون إلى الخلق والاعتماد عليهم، فأما التشكيك في الاعتقاد: فالإيمان ينفيه، وأما السكون إلى الخلق والاعتماد عليهم فالتوكل عليه ينفيه¹.

. استفاد مما سمعه من سماحة الشيخ المرجاني في الفهم الإشاري للآية: وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾². إذ مثل بها لتفاوت الفهم عند السامعين فيسّر أقوام ويجزّأ آخرون وكل من مقامه فقال : «وسمعت الشيخ أبا محمد المرجاني³ رحمه الله يقول: (قوم سمعوا هذه الآية الكريمة، فاستبشروا بهذه المبايعة، فابيضت وجوههم سرورا بها، إذ أهلهم الحق أن يشتري منهم، وإذا أجل أقدارهم إذ رضيهم للشراء، وسرورا بالثمن الجليل والثواب الجزيل. وقوم اصفرت وجوههم خجلا من الله تعالى، إذ اشترى منهم ما هو مالكة، فلولا أنه علم منهم وجود الدعوى الكامنة في أنفسهم ودعوى المالكية منهم لها، لما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ.....﴾. فكان للذين ابيضت وجوههم جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وكان للذين اصفرت وجوههم جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما). انتهى كلام الشيخ.

فلو سلم المؤمنون من بقايا المنازعة، ما أوقع عليهم مبايعة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ولم يقل: من الأنبياء والمرسلين ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: النفوس على ثلاثة أقسام نفس لا تشتري لحستها، ونفس تشتري لكرامتها، ونفس لا يقع عليها الشراء لثبوت حريتها.

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 30.

² . سورة التوبة الآية 111.

³ - المرجاني (633 - 699 هـ) عبد الله بن محمد بن عبد الملك، أبو محمد المرجاني: صوفي أصله من تونس، ولد بالإسكندرية ومات بتونس. له علم بالتفسير، أملى فيه دروسا جمعها ابن السكري من كلامه وسماها " الفتوحات الربانية في المواعيد المرجانية " . الأعلام للزركلي ، ج 4 ص 125 .

فالأولى: نفوس الكافرين، لا يقع عليها الشراء لخستها.

والثاني: نفوس المؤمنين، وقع عليها الشراء لكرامتها.

والثالث: نفوس الأنبياء والمرسلين، لم يقع عليها الشراء لثبوت حررتها¹.

. وظف قول الحلاج: أثناء شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله وتر يحب الوتر)، وبعد

ذلك استشهد بقول الحلاج فقال: «.... ولذلك أشار الحلاج بقوله (حسب الواحد أفراد

الواحد)....»².

¹. ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 82.

². ابن عطاء الله السكندري ، في أدب العلم ، ص 61 .

المبحث الثاني :

اللغة ومستوياتها ووسائل البيان في تفسيره

المطلب الأول : اللغة ومستوياتها .

المطلب الثاني : ضرب الأمثال .

المطلب الثالث : الاستئناس بالحكاية .

المطلب الأول :

اللغة ومسئولياتها في تفسير ابن عطاء الله .

- 1 . المستوى المعجمي .
- 2 . المستوى الصرفي .
- 3 . المستوى النحوي .
- 4 . المستوى البلاغي .
- 5 . معاني الحروف .

1. المستوى المعجمي :

يقصد بالمستوي المعجمي حدود الكلمة المفردة القائمة برأسها¹ حسب المعاني التي أخذتها في وضعها الأول، والتي وصلتنا بواسطة المعاجم، وفيما يلي نتبين استفادة ابن عطاء الله من المعنى المعجمي للألفاظ في تفسيره.

. المعنى المعجمي للألفاظ: ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾²، أورد معاني الكلمات في هذه الآية وبين دقة اختيار القرآن لها، لما تؤديه من المعنى ورتبها كما يلي :

مَسَّهُمْ : ذكرها في الفائدة الثانية من فوائد الآية فقال : « _ قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾ ولم يقل: إذا أمسكهم، أو أخذهم؟ لأن المس ملامسة من غير تمكن، فأفادت هذه العبارة، أن طيف الهوى لا يتمكن من قلوبهم، بل يماسها مماسة، ولا يتمكن منها إمساكا ولا أخذًا كما يصنع بالكافرين، لأن الشيطان يستحوذ على الكافرين بينما ويحتلس اختلاسا من قلوب المؤمنين، حتى تنام العقول الحارسة للقلوب، فإذا استيقظوا انبعثت من قلوبهم جيوش الاستغفار والذلة والافتقار إلى الله تعالى، فاسترجعوا من الشيطان ما احتلسه، وأخذوا منه ما افترسه»³.

طَائِفٌ: ذكر أن الطيف يرد عند وجود الغفلة والهوى على القلوب، وفيه إشارة أن القلوب الدائمة اليقظة لا يأتيتها الشيطان، فقال في الفائدة الثالثة: « قوله تعالى ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ فالإشارة هنا بالطيف إلى أن الشيطان لا يمكنه أن يأتي إلى القلوب الدائمة اليقظة، لأنه إنما يرد طيف الغفلة والهوى على القلوب في حين منامها بوجود غفلتها، ومن لا نوم له فلا طيف يرد عليه»⁴.

طَيْفٌ : فالطيف لا ثبات له ولا وجود، إنما هو صورة مثالية ليس لها حقيقة وجودية، وبذلك فهو غير ضار بالمتقين، فقال في الفائدة الرابعة: « قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ﴾ ولم يقل إذا مسهم

1 - مهدي أسعد عرار ، مباحثات لسانية في ظواهر قرآنية ، دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى . سنة 2008م، ص 29 .

2 - سورة الأعراف الآية 201.

3- ابن عطاء الله السكندري التنوير في إسقاط التدبير ، ص 31.

4- المصدر نفسه .

وارد من الشيطان أو نحوه، لأن الطيف لا ثبات له ولا وجود له، إنما هو صورة مثالية، ليس لها حقيقة وجودية، فأخبر سبحانه وتعالى بذلك، أنه غير ضار بالمتقين، لأن ما يورده الشيطان على قلوبهم بمثابة الطيف الذي تراه في منامك، فإذا استيقظت فلا وجود له»¹.

تَذَكَّرُوا : فالتذكر ميدانه القلب وهو الذي يحل محل طائف الهوى فيطرده، ولم يقل ذكروا لأن الذكر ميدانه اللسان والغفلة لا يطردها ذكر اللسان مع غفلة القلب، قال في الفائدة الخامسة : « قوله تعالى ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ﴾ » ولم يقل ذكروا، إشارة إلى أن الغفلة لا يطردها الذكر مع غفلة القلب، إنما يطردها التذكر والاعتبار، وإن لم تكن الأذكار، لأن الذكر ميدانه اللسان، والتذكر ميدانه القلب. وطيف الهوى لما ورد إنما ورد على القلوب لا على الألسنة، فالذي ينفيه، إنما هو التذكر الذي يحل محله، وبمحقق فعله»².

2 . المستوى الصرفي :

استفاد ابن عطاء الله من الأوزان الصرفية في تفسير الآيات، وكذا صيغ الجمع والإفراد وفيما يلي أمثلة توضح ذلك :

. صيغة المبالغة "فَعَّالٌ" : وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾³ ، فتضمنت هذه الآية : الضمان للعبد بوجود أرزاقهم، بقوله تعالى : (إن الله هو الرزاق) فصيغة "رَزَّاقٌ" أبلغ من "رازق" وفيها توسيع لمعنى الآية حيث قال فيها ابن عطاء الله : « أي : ما أريد منهم أن يرزقوا أنفسهم، لأني أنا ذو القوة، ومن له القوة في ذاته غني عن أن يطعم. واعلم أن مجيء هذه الصيغة على بقاء فعال يقتضي المبالغة فيما سيقى له، فـ"رَزَّاقٌ" أبلغ من "رازق"، لأن فَعَّالٌ في باب المبالغة أبلغ من فاعل فيمكن أن تكون هذه المبالغة، لتعداد أعيان المرزوقين، ويمكن أن تكون لتعداد الرزق، ويحتمل أن يكون المراد هما جميعاً»⁴.

¹ - ابن عطاء الله السكندري التنوير في إسقاط التدبير ، ص 31.

² - المصدر نفسه .

³ - سورة الذاريات الآية 58.

⁴ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 69.

. تخصيص الخطاب بالإفراد بعد التثنية: وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾¹، فحدد ابن عطاء الله معنى "تشقى" وهو هنا تعب الظواهر بناءً على أن الخطاب موجه لآدم لأن المتاعب والكلف إنما هي للرجال دون النساء واستدل لذلك بآية أخرى، فقال: «والمراد بقوله تعالى: ﴿فَتَشْقَى﴾ تعب الظواهر لا الشقاوة هي ضد السعادة والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَشْقَى﴾ ولم يقل: "فتشقى"، لأن المتاعب والكلف، إنما هي على الرجال دون النساء، كما قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾²، ولو كان المراد شقاء بالقطيعة، أو وجود الحجة لقال: (فتشقى) فدل الإفراد على أنه ليس الشقاء هنا بقطيعة ولا إبعاده مع أنه لو ورد كذلك لحملناه على الظن الجميل وأرجعناه إلى المتاعب الظاهرة على التأويل»³.

. الإفراد في لفظ " الصلاة " بالذكر: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾⁴، حيث قال: « فجعل الصبر والصلاة مقترنين: إشارة إلى أنه محتاج في الصلاة إلى الصبر، صبر على ملازمة أوقاتها، وصبر على القيام بواجباتها ومسنوناتها وصبر يمنع القلوب فيها من غفلاتها ولذلك قال الله تعالى بعد ذلك: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾. فأفرد الصلاة بالذكر ولم يفرد الصبر به، إذ لو كان كذلك لقال: وإنه لكبير، فذلك يدل على ما قلناه.

¹ - سورة طه الآية 117.

² - سورة النساء الآية 34.

³ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 23.

⁴ - سورة البقرة الآية 45.

أولاًن الصبر والصلاة مقترنان متلازمان، فكان أحدهما هو عين الآخر، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾¹. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾². وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾³ «⁴.

3. المستوى النحوي:

. صيغة الفعل المضارع المفيدة للدوام والاستمرار: وذلك عند تفسير ابن عطاء الله لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً جَهَالَةً ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁵، فصيغة المضارع: "يُؤْمِنُونَ" فنسب الإيمان فيهم دائم ومستمر ومتضمن لمعنى واسع حيث قال: «ثم إنه جاء سبحانه بنسبة الإيمان لهم بصيغة تقتضي الدوام والاستمرار والثبوت والاستقرار ولم يقل لم يكن متضمناً إلا الإيمان بآيات سبق ظهورها...»⁶.

وكذا في قوله تعالى: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾⁷، فالفعل المضارع "نرزقك" أفاد الاستقرار في الرزق ودوامه، حيث قال ابن عطاء الله: «وأتى قوله تعالى: ﴿نحن نرزقك﴾ على هذه الصيغة، ليدل ذلك على الاستقرار والدوام لأن قولك: أنا أكرمك، ليس كقولك (أنا أكرمتك)، لأن قولك (أنا أكرمك) يدل على إكرام بعد إكرام، وقولك (أنا أكرمتك)، لا يدل إلا على أن ثم إكراماً كان وقوعه فيما مضى من غير أن يدل على التكرار والدوام.

1 - سورة الفجر الآيات 28-28-29-30.

2 - سورة التوبة الآية 34.

3 - سورة الجمعة الآية 11.

4- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 73.

5 - سورة الأنعام الآية 54.

6- ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 15.

7 - سورة طه الآية 132.

فقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ أي رزقا بعد رزق، لا نعطل عنك منتنا، ولا نقطع عنك

نعمتنا، ولما تفضلنا على العباد بالإيجاد، فكذلك أيضا قمنا لهم بدوام الإمداد»¹.

. معاني الإضافة: وذلك في قوله تعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ فأضاف العباد إليه سبحانه وخاطب النفس مطمئنة في العباد ذوي النسبة إليه تعالى ولذلك قال ابن عطاء الله أن النفس مطمئنة فرحت بهذه النسبة أشد من فرحها بدخول جنته، فقال: «فكان فرح النفس مطمئنة بقوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أشد من فرحها بقوله تعالى: ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ لأن الإضافة الأولى إليه تعالى، والإضافة الثانية إلى جنته»².

4. المستوى البلاغي :

استعان ابن عطاء الله في تفسيره لآيات القرآن الكريم بعلوم اللغة والبلاغة، حسب ما ناسبه الحال، منها مسائل في علم البيان وأخرى في الاشتراك اللفظي وأخرى في الإعجاز اللفظي من حيث موضعه في التركيب وفيما يلي أمثلة لذلك :

. علم البيان في التفسير:

يوظف ابن عطاء الله من علم البيان في الدلالة على المعنى المقصود من الآية، ويوردها في شكل فوائد مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾³، حيث يقول: «فائدة أخرى ترجع إلى علم البيان: اعلم أن الدلالة على المعنى المقصود به، وجود الثناء بالصفة أبلغ من الدلالة عليه بالفعل. فقولك زيد محسن، أبلغ من قولك زيد يحسن، أو قد أحسن، وذلك لأن الصفة تدل على الثبوت والاستقرار والأفعال أصل وضعها التجدد والانقراض، فلذلك كان قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ أبلغ من قوله (إن الله هو يرزق). ولو قال: إن الله هو يرزق لم يفد إلا إثبات الرزق له، ولم يفد حصر ذلك فيه، فلما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ أفاد

1- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص74.

2 - المصدر السابق ، ص 59.

3- سورة الذاريات الآية 58.

ذلك انحصار الرزق فيه، فكأنه لما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ فقد قال: لا رازق: إلا الله¹.

. موضع اللفظ في تركيب الآية:

يفسر وجه استعمال القرآن للفظ دون آخر لأنه وجه من وجوه الإعجاز، ولا يتأتى المعنى المراد إلا بذلك اللفظ الذي استعمله القرآن، ومثاله قوله تعالى من الآية 54 من سورة الأنعام: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ﴾ فيقول: «فإن قلت فما وجه اختصاص هذا الاسم ولم يقل "إلهمكم" ولا "خالقكم"، فاعلم أن الرب هو المربي بالإحسان والمغذي لك بالامتنان، فكأنه يقول: الذي رباكم بالإحسان أولاً، هو الذي كتب على نفسه الرحمة آخرًا، ليضم الإحسان إلى شكله، وليشفع الامتنان بمثله»².

. بيانه لمعاني الاشتراك في اللفظ بالمعاني الشرعية:

يفصل ابن عطاء الله اللفظ المشترك بين عدة معاني، حسب وضعه اللغوي ويمثل له باستعماله القرآني، ليرجح معنى دون آخر بدليل الحديث النبوي، أو ليبين أن له استعمالاً حقيقياً وماعداها استعمالاً مجازية، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾³، فيقول: «اعلم أن "كتب" يقال بالاشتراك على معان:

منها بمعنى الفرض قال الله عز وجل: ﴿كَتَبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾⁴.

ومنها كتب بمعنى خلق قال تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾⁵.

ومنها كتب بمعنى قضى ومنه قوله سبحانه: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾⁶، أي قضى

الله لأغلبن ، ومنه قوله سبحانه ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾.

1 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 70.

2- ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 25.

3- سورة الأنعام الآية 54.

4- سورة البقرة الآية 183.

5- سورة المجادلة الآية 22.

6- سورة المجادلة الآية 21.

ومنها كتب بمعنى الكتابة على بابها ﴿لِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾¹ ، وقد تكون منه قوله سبحانه ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ ، لما جاء في الصحيح عنه صلوات الله عليه وسلامه : (إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَهْلَكْتُمْ)².

وقد تكون في كتب بمعنى الكتابة ومجازا في الباقي لأنه المتبادر إلى الفهم، والتبادر دليل الحقيقة³.

. التكرار وأغراض الكناية:

تكرار ذكر الرزق في الآيات وبيان محله، والقسم عليه، والتشبيه له بأمر لا خفاء به، له دلالة حيث بين ذلك في الآية الخامسة⁴ في شأن الرزق في قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِفُونَ﴾⁵ ، إذ تضمنت ذكر الرزق، ومحله، ومحله، والقسم عليه، والتشبيه له بأمر لا خفاء به، وتتبع ذكر هذه الفوائد فائدة فائدة. ففي الأولى منها بين ذكر محل الرزق فقال: «الفائدة الأولى: اعلم أنه تعالى لما علم كثرة اضطراب النفوس في شأن الرزق كرر ذكره لما تكررت ورود عوارضه على القلوب، كما تكرر الحجة إذا علمت أن الشبهة متمكنة في نفس خصمك كما كرر تعالى الاستدلال على المعاد في آيات عديدة .

وفيه فائدة أخرى: وهو أنه تضمن تبين المحل، لرفع همم الخلق عن الخلق وأن لا يطلبوا إلا من الملك الحق، وذلك إذا وقع في قلبك طمع في مخلوق، أو حوالة على سبب، قال لك تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾. أي يا هذا المتطلع للرزق من المخلوق الضعيف

1- سورة البقرة الآية 282.

2- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده: مسند أبي هريرة ، رقم 7215 ، ج 15 ص 256 .

3- ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 24

4 - هذه الآية الخامسة من الآيات التي درسها ابن عطاء الله في مسألة الرزق ، حيث مثل بها لمبدأ إسقاط التدبير في كتابه "التنوير في إسقاط التدبير".

5 - سورة الذاريات الآية 22- 23.

العاجز في الأرض ليس رزقك عنده وإنما رزقك عندي وأنا الملك القادر، ولأجل هذا أنه لما سمع بعض الأعراب هذه الآية نحر ناقته وخرج فاراً إلى الله تعالى وهو يقول: (سبحان الله، رزقي في السماء وأنا اطلبه في الأرض) «¹».

. غرض التكنية في لغة العرب تحليل الخطاب: وذكر ذلك عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾². فبين أنواع النفوس وتميز المطمئنة بإقبال الخطاب عليها والتكنية وفي ذلك رفع لقدرها، فقال: «وفي هذه الآية خصائص عظيمة، ومناقب لهذه النفس المطمئنة جسمية منها: أن النفوس ثلاثة: أمارة - ولوامة - ومطمئنة. فلم يواجه الحق سبحانه وتعالى واحدة، من الأنفس الثلاث إلا المطمئنة، فقال في الأمارة: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾³. وفي اللوامة: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾⁴. وأقبل على هذه بالخطاب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي﴾. الثاني: تكنيته إياها، والتكنية في لغة العرب تحليل في الخطاب، وفخر عند أولى الألباب»⁵.

5. معاني الحروف:

. ترك التعبير بالحروف في الآية: وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾⁶، فترك التعبير بالحروف ("الفاء" أو "ثم" أو "الواو") لما فيها من المهلة الزمنية، والمقصود من الحق تعالى إظهار المنة لهؤلاء العباد أنهم لا يتأخر إبصارهم عن تذكركم، وبسط هذا المعنى ابن عطاء الله فقال: «الفائدة السابعة: أنه قال سبحانه: ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾، ولم يقل: (تذكروا فأبصروا)، أو (تذكروا ثم أبصروا)، أو (تذكروا وأبصروا).

1 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 77.

2 - سورة الفجر الآيات 28-29-30.

3 - سورة يوسف الآية 53.

4 - سورة القيامة الآية 02.

5 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 57.

6 - سورة الأعراف الآية 201.

فأما ترك التعبير بالواو: فلأنه كان لا يفيد أن البصرى كانت عن التذكر، والمراد أنها كانت مسببة عنه، ترغيباً للعباد فيها. وأما عدوله عن (ثم) لأن فيها ما في (الواو)، من عدم الدلالة على السببية، وفيها أنها كانت تقتضي عكس الماضي لما فيها من المهلة. ومراد الحق سبحانه: أن هؤلاء العباد لا تتأخر أبصارهم عن تذكركم.

ولم يعبر بالفاء لاقتضائها التعقيب، بل عبر الحق سبحانه بقوله: ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾، كأنهم لم يزالوا على ذلك البصرى، ثناء منه سبحانه عليهم وإظهاراً لوفور المنة إليه لديهم، كما نقول: تذكر زيد المسألة، فإذا هي صحيحة، أي أنها لم تزل صحيحة، وإنها الآن صحيحة، كما رفع العلم بها. كذلك المتقون، ما زالوا مبصرين، ولكن حين ورد طيف الهوى عليهم، غطى على بصيرتهم الثابت نورها فيهم، فلما استيقظوا ذهبت سحابة الغفلة، فأشرقت شمس البصيرة¹.

. دلالة ضمير (الهاء) علي واحد من اثنين لأن أحدهما عين الآخر: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾². فقرن الصبر مع الصلاة ثم أفرد الضمير للصلاة فقط لأنهما مقترنان فكان أحدهما عين الآخر.

بهذا علل ابن عطاء الله ثم ذكر آيات أخرى أفرد فيها الضمير لواحد فقط، فقال: «فجعل الصبر والصلاة مقترنين: إشارة إلى أنه محتاج في الصلاة إلى الصبر، صبر على ملازمة أوقاتها، وصبر على القيام بواجباتها ومسئولياتها، وصبر يمنع القلوب فيها من غفلاتها، ولذلك قال الله تعالى بعد ذلك: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، فأفرد الصلاة بالذكر ولم يفرد الصبر به، إذ لو كان كذلك لقال: (وإنه لكبير)، فذلك يدل على ما قلناه. أو لأن الصبر والصلاة مقترنان متلازمان، فكان أحدهما هو عين الآخر، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ

1 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 33.

2 - سورة البقرة الآية 45.

أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ¹. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ².
وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ ³، فافهم ⁴.

1 - سورة التوبة الآية 62.

2 - سورة التوبة الآية 34.

3 - سورة الجمعة الآية 11.

4 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 72.

المطلب الثاني :

ضرب الأمثال في معرض التفسير .

تمهيد .

1. التمثيل بالمحسوس .
2. توظيف الآيات في التمثيل .
3. شرح للآيات بالمثل .

تمهيد :

استعمل ابن عطاء الله المثل على أنواعه (الحسي والمعنوي)، فنجده ختم كتابه "التنوير في إسقاط التدبير" بفصل ذكر فيه مايزيد عن ثمانية عشر مثلاً، فقال: «فصل: نذكر فيه أمثلة التدبير مع الله، والمدبرين معه، وأمثلة الرزق وضمنان الحق تعالى له، فإن بالمثل يتبين الحال»¹.
كما أن المثل وسيلة قرآنية لإيضاح المعنى قال ابن عطاء الله: «الفائدة الثامنة: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا أَنتُمْ تَنطِقُونَ﴾² تأكيد في إثبات الرزق، وتقرير لحقيقته، وأنه لا ينبغي أن يرتاب فيه مؤمن، ولا يشك فيه موقن، وأن ثبوته بمشهد بصائر القلوب كثبوت المنطق الظاهر بمشهد الأبصار، فنقل المعنى إلى الصورة، ومثل الغيب بالشهادة، وقطع شك العباد في أمر الرزق. أي أفكما تنطقون، لا تشكون في ذلك، لما أثبته العيان، كذلك لا ترتابوا في أمر الرزق فقد أثبته نور الإيمان.

فانظر رحمك الله اعتناء الحق سبحانه وتعالى بأمر الرزق وتكراره له، ونبين مواطنه، وتنظيره بالأمور المحسوسة التي لا يرتاب فيها شاهدها ، وأقسامه على ذلك بالربوبية المحيطة بالسما والارض، وكذلك تكرر في كلام صاحب الشرع صلوات الله عليه³.
لهذا اعتمد ابن عطاء الله على التمثيل لتقريب المعاني الغيبية أو المبهمة وتقرير الحقيقة في النفوس، كلما سنحت الفرصة أو طاوعته الفكرة، وتارة يعدد الأمثلة مبالغة في مداواة النفوس من أمراض الشكوك والأوهام في جناب الحق تعالى، وفيما يلي نماذج من أنواع التمثيل بالمحسوسات، وأخرى يوظف فيها الآيات في التمثيل وأخرى يشرح الآيات بالمثل.

1- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 111.

2 - سورة الذاريات الآية 23.

3- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 83.

1 . التمثيل بالمحسوس :

. مثال من صرف عقله لتدبير الدنيا: يضرب ابن عطاء الله لذلك مثلاً وغرضه في ذلك التأكيد على شكر نعمة العقل، بصرفه إلى الاهتمام بإصلاح المعاد وقياماً بشكر المحسن سبحانه على هذه المنة العظيمة، فيصان عن التدبير للدنيا لحقارتها ودنو قدرها، وقد استدلل لذلك بنصوص من السنة النبوية، فقال : « فصرف نعمة العقل إلى تدبير الدنيا التي لا قدر لها عند الله، كفر لنعمة العقل، وتوجهه إلى الاهتمام بإصلاح شأنه في معاده قياماً بوجود شكر المحسن إليه، والمفيض من نوره عليه أحق به وأحرى وأفضل له وأولى، فلا تصرف عقلك الذي منَّ به عليك في تدبير الدنيا التي هي كما أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (الدُّنْيَا جِيفَةٌ قَذِرَةٌ)¹ .

وكما قال صلى الله عليه وسلم للضحاك: (مَا طَعَامُكَ؟ قَالَ: اللَّحْمُ وَاللَّبَنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مَاذَا؟ قَالَ: إِلَى مَا عَلِمْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا)² . وقال صلى الله عليه وسلم: (لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَرَنُّنًا عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً مَاءً)³ .

ومثل من صرف عقله في تدبير الدنيا التي هذه الصفات صفاتها، كمثل من أعطاه الملك سيفاً عظيماً قدره، مفتحاً أمره، لم يسمح لكثير من رعاياه بمثله، ليقتل به أعداءه، ويتزين بحمله، فعمد آخذ هذا السيف إلى الجيف، فجعل يضربها حتى تفلل ظُباه⁴، وكلَّ شَبَاهَ⁵، وتغير حسنه وسناه، فجدير إذا اطلع الملك على هذه الحالة منه أن يأخذ السيف منه ويعظم عقوبته، على سوء فعالة، وأن يمنعه من وجود إقباله⁶ .

1- لم أقف على هذا الأثر في الكتب الستة والمسانيد والزوائد.

2- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، رقم الحديث 15187 ، ج 31 ص 374 .

3- الحديث أخرجه ابن ماجه عن سهل بن سعد ، رقم الحديث 4100 ، ج 12 ص 134 .

4- تَفَلَّلَ: الْفَلَّ: الثَّلَمَ فِي السِّيفِ. ظُباه : طَبَى السِّيفِ حَدَّ السِّيفِ

5- شَبَاهَ : حَدُّ طَرَفِهِ .

6- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 43.

. مثال مقامات اليقين ونور اليقين: يمثل ابن عطاء الله مقامات اليقين التي يترقى إليها السالك وما يحيط بها من أنوار اليقين، مثل الأسوار المحيطة بالبلدة وقلاعها، وغرضه في ذلك بيان صورة الحصانة التي تضرب على القلب فلا يطمع فيه الشيطان ولا هو يلتفت إليه، حتى يراه ليس بشيء، مثل ما أخبر عن بعض العارفين. وبسط القول في هذا كما يلي: «ومثل مقامات اليقين ونور القين الجامع لها، كالأسوار المحيطة بالبلدة وقلاعها، فالأسوار هي الأنوار، وقلاعها هي مقامات اليقين التي هي دائرة بمدينة القلب، فمن أحاط بقلبه سور يقينه، وصحح مقاماته التي هي أسوار الأنوار كالقلاع، فليس للشيطان إليه سبيل، ولا له في داره مقيل. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾¹، أي لأنهم قد صححوا العبودية لي، فلا هم لحكمي منازعون، ولا في تديري معترضون، بل علي متوكلون، وإلي مستسلمون، فلذلك قام لهم الحق سبحانه بالرعاية والنصر والحماية، ووجهوا همهم إليه، فكفاهم من دونه. قيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك للشيطان؟ قال وما الشيطان؟ نحن قوم انصرفنا إلى الله تعالى، فكفانا من دونه»².

. مثال النور الذي هو شرط الهداية : يمثل ابن عطاء الله للهداية التي هي تخصيص الإرادة، وشرطها الذي هو النور، وبتوافقهما تحصل هداية العبد، بالبصير الذي له نور خاص هو متصف به، وللشمس نور فياض فإذا تطابقا النوران حصل الإدراك وتمام قوله كما يلي: «فهداية العبد متوقفة والهداية إن أرجعتها هي تخصيص الإرادة، وهذا النور هو شرط الهداية، بدليل قوله سبحانه : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾³ كما أن البصير له نور خاص هو متصف به، وللشمس نور فياض فإذا تطابقا النوران حصل الإدراك»⁴.

1 - سورة الإسراء الآية 65.

2- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 34.

3 - سورة النور الآية 43.

4- ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 18 .

. مثل اختيار الله تعالى للعبد فيما ظاهره المنع وفي حقيقته عطاء : مثل الأب المشفق الذي يسوق لابنه الحمام لا بقصد الإيلاء، ولو طاع اختياره لبعد الشفاء، وبسط القول في هذا قول ابن عطاء الله : « ولو وكل الحق سبحانه العباد إلى اختيارهم لحرموا وجود منته، ومنعوا الدخول إلى جنته، فله الحمد على حسن الاختيار، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾¹، وإن الأب المشفق يسوق لابنه الحمام لا بقصد الإيلاء. وكالطبيب الناصح يعانك بالمراهم الحادة، وإن كانت مؤلمة لك، ولو طاع اختيارك لبعد الشفاء عليك. ومن مُنع وعَلِمَ أن المنع إنما هو إشفاق عليه، فهذا المنع في حقه عطاء، وكالأم المشفقة تمنع ولدها كثرة المأكَل خشية التخمّة. ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى: (اعلم أن الحق سبحانه وتعالى إذا منعك لم يمنعك عن بخل، وإنما يمنعك رحمة لك، فمنع الله لك عطاء، ولكن لا يفهم العطاء في المنع إلا صديق)².

. مثل من يصبر على القضاء : مثله ابن عطاء الله بمن يحتسى الدواء المر، لأن عاقبته الشفاء، فقال: « وهو "إنما صبرهم على القضاء علمهم بأن الصبر يورث الرضا"، وذلك أن من صبر على أحكام الله، أورثه ذلك الرضا من الله، فتحمل حرارتها طلبا لرضاه، كما يحتسى الدواء المر لما يرجى فيه من عاقبة الشفاء »³.

فهذه أمثلة حسية قرب بها ابن عطاء الله المعاني حرصا منه على تصحيح الفهم عن الله تعالى.

2. - توظيف الآيات في التمثيل :

وذلك أن ابن عطاء الله يصور المثل في مشهد ثم يسقطه على حال العبد مستدلا بالآية من القرآن، وظهر ذلك فيما أورده من أمثلة التدبير مع الله في شأن الرزق وعددها إلى أربعة

1 - سورة البقرة الآية 216 .

2- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص08

3- المصدر نفسه ، ص09.

وعشرين مثلاً في الفصل الذي ختم به كتابه "التنوير في إسقاط التدبير"، وفيما يلي نماذج من هذا النوع :

. مثل العبد في الدنيا : وفيه قال ابن عطاء الله : « مثل العبد في الدنيا كمثل عبد قال له سيده: إذهب إلى أرض كذا و كذا وأحكم أمرك، لأنك تسافر من تلك الأرض في برية كذا وخذ أهبتك وعدتك، فإذا أذن له السيد في ذلك فمعلوم أنه قد أباح له أن يأكل ما يستعين به على إقامة بُنيته ليسعى في طلب العدة، وليقوم بوجود الأهبة.

كذلك العبد أوجده الحق في هذه الدار، وأمره أن يتزود منها لمعاده، فقال له الحق تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾¹، فمعلوم أنه إذا أمره بالزاد للآخرة فقد أباح له أن يأخذ من الدنيا ما يستعين به على تزوده، واستعداده، وتأهبه لميعاده².

. مثل العبد النافذ إلى الله تعالى في الأسباب ومثل الواقف مع الأسباب: وفيه قال ابن عطاء الله : « مثل العبد النافذ إلى الله تعالى في الأسباب، بمثابة الرجل يقعد تحت الميزاب إذا أمطرت السماء، فهو يشكر الله تعالى وحده، ولا يلزم من قعوده تحت الميزاب أن يضيف المطر له (أي للميزاب)، بل علم أنه إن لم يكن فيه لم يجد شيئاً، كذلك الأسباب ميازيب المنن فمن دخل في الأسباب وهمته مطلعة بالله تعالى لا بها لم يضره ذلك ولم يخش عليه القطيعة فيما هنالك.

ومثل الواقف مع الأسباب الغافل عن وليها، كمثل البهيمة يعبر عليها مالكة فلا تلتفت إليه، وهو المالك لها والمعطى لسائسها ما ينفق عليها، فإذا عبر سائسها بصبغت بعينها، وتشوفت إليه لاعتيادها منه أن يتولى طعمتها.

فالعبد كذلك لأنه أجرى إليه الإحسان على أيدي الخلق يشهد ذلك منهم، ولم يخرجهم عنهم، فهو كالبهيمة وهي أحسن حالا منه: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾³ 4.

1 - سورة القبة الآية 197 .

2- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 113.

3 - سورة الأعراف الآية 179 .

4- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 117.

. مثل العبد مع الله تعالى : وفيه قال ابن عطاء الله : « مثل العبد مع الله تعالى كمثل عبد أمره الملك أن يقيم في أرض كذا يحارب العدو الذي هنالك، وأن يبذل عزمه في مجاهدته، وأن يدوم على محاربتة. فمعلوم أنه إذا أمره بذلك، أنه يبيح له أن يأكل من إهداء تلك البلدة ومخازنها بالأمانة، ليستعين بذلك على محاربة العدو الذي أمره الملك بمحاربتة.

كذلك العباد أمرهم الحق بمحاربة الشيطان بقوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾¹، وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾²، فلما أمرهم بمحاربتة أذن لهم أن يتناولوا من منته ما يستعينون به على محاربة الشيطان، إذ لو تركت المأكلة والمشرب لم يمكنك أن تقوم لطاعته ولا أن تنهض بخدمته، فقد تضمن أمر الملك بالمجاهدة إباحة تناول ما هو منسوب للمالك مما هو معد لك، ولكن على طريق الأمانة محفوفا بالصيانة»³.

. مثل العبد مع الله تعالى : مثال آخر قال فيه ابن عطاء الله : « مثل العبد مع الله تعالى، كمثل ملك له عبيد، بنى دارا وأحسنها و بهجها وتولى غراسها، وكمل المشتبهات فيها في غير الموطن الذي فيه العبيد، وهو يريد أن ينقلهم إليها، أترى إذا كان هذا غايته بهم فيما ادخره لهم عنده، وهياً لهم بعد الرحلة، أيمنعهم ها هنا أن يتناولوا من منته وفضلات طعامه، وهو قد هياً لهم الأمر العظيم والفضل الجسيم.

كذلك العباد مع الله تعالى جعلهم في الدنيا، وهياً لهم الجنة كما هياً لهم الآخرة، وهو يريد أن يمنعهم من الدنيا ما يقيم به وجوههم ولذلك قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾⁴، وقال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾⁵، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾⁶.

1 - سورة الحج الآية 78 .

2 - سورة فاطر الآية 02 .

3 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 114 .

4 - سورة البقرة الآية 60 .

5 - سورة سبأ الآية 15 .

6 - سورة البقرة الآية 172 .

فإذا ادخر لك الباقي ومنَّ به عليك لا يمنعك الفاني، فإنَّ منعك منه، فإنما منعك ما لم يقسمه لك، وما لم يقسمه لك فليس لك، فكان ذلك المنع لك منه عطاء ونظرا، علم أن فيه مصلحة وجودك ونظام أمرك، كما يقطع توالي الماء عن الشجرة لئلا يتلفها دوام السقيا ¹. فهذه أمثلة وظف فيها ابن عطاء الله نصوص الآيات أثناء بيانه وبسطه للمثال.

3. شرح الآيات بالمثال:

فيما يلي أمثلة للتدبير مع الله، وأمثلة للرزق، يشرح بها المعاني التي تضمنتها الآيات حيث عقد فصلا في هذا الموضوع، ذكر فيه الآيات التي جاءت تقرب المعاني بالأمثلة الحسية منها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَاهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾²، وقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾³، وقوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾⁴.

ثم عدد أمثلة ليتضح المقال، وفيما يلي نص ابن عطاء الله: «فصل نذكر فيه أمثلة التدبير مع الله، والمدبرين معه، وأمثلة الرزق وضمنان الحق تعالى له، فان بالمثال يتبين الحال.

. مثل المدبر مع الله : كمن بنى بناءه على شاطئ البحر، كلما اجتهد في بنائه، كثرت عليه الأمواج، فتداعى جميع أنحائه. كذلك المدبر مع الله تعالى، يبني مباني التدبير وتهدمها واردات المقادير لأجل ذلك قيل: (يدبر المدبر، والقضاء يضحك).

قال الشاعر: متى يبلغ البنيان يوما تمامه *** إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم؟

. مثال آخر : مثل المدبر مع الله تعالى كرجل جاء إلى رمال متراكمة، فوضع عليها بناءه فجاءت العواصف فنسفت الرمال، فتهدم ما بناه، كما قيل:

وعهودهم بالرمال قد درست *** وكذاك ما يبني على الرمل

1 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 115.

2 - سورة إبراهيم الآية 18 .

3 - سورة الكهف الآية 45 .

4 - سورة الذاريات الآية 22 .

. مثال آخر : مثل المدبر مع الله تعالى، كمثل ولد سافر مع والده، فساراً ليلاً، والأب لإشفاقه على الولد يراقبه من حيث لا يراه الولد، والولد لا يرى الوالد للظلمة الحائلة بينهما، فالولد مهموم بأمر نفسه كيف يفعل في شأنه، فإذا طلع القمر ورأى قرب الأب منه سكن جأشه، وهذا ورعه لأنه رأى قرب أبيه منه، فاغتنى بتدبيره له عن تدبيره لنفسه. كذلك المدبر مع الله تعالى لنفسه، إنما دبر لأنه في ليل القطيعة، فلم يشهد قرب الله تعالى منه، فلو طلع قمر التوحيد، أو شمس المعرفة، لرأي قرب الحق تعالى منه، فاستحى أن يدبر معه، واغتنى بتدبير الله تعالى له، عن تدبيره لنفسه¹.

. يشرح معنى : "ورود الأنوار يعين على حمل الأقدار"، ثم يستدل له بالآية، ويوضحه بضرب مثال، وفي ذلك يقول: «فأما الأول وهو "إنما يعينهم على حمل الأقدار، ورود الأنوار": وذلك أن الأنوار إذا وردت كشفت للعبد عن قرب الحق سبحانه وتعالى منه، وأن هذه الأحكام لم تكن إلا عنه، فكان علمه بأن الأحكام إنما هي من سيده سلوة له، وسبب لوجود صبره. ألم تسمع لما قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾². أي: ليس هو حكم غيره فيشق عليك، بل هو حكم سيدك القائم بإحسانه إليك، ولنا في هذا المعنى:

وخفف عني ما ألقى من العنا *** علمي بأنك أنت المبتلي والمقدر

وما لأمرني عما قضى الله معدل *** وليس له منه الذي يتخير

ومثال ذلك: لو أن إنساناً في بيت مظلّم، فضرب بشيء ولا يدري من الضارب له، فلما أدخل عليه مصباح: نظر فإذا هو شيخه أو أبوه أو أميره، فإن علمه بذلك مما يوجب صبره على ما هنالك³.

فهذه أمثلة تبين لنا فيها كيف استفاد ابن عطاء الله من هذا الأسلوب القرآني المعلن عنه في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾⁴.

1- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 111.

2 - سورة الطور الآية 48.

3- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 07.

4 - سورة العنكبوت الآية 43 .

الفصل الأول : تفسير ابن عطاء الله (مصادره ، وسائله ، العلوم التي استعان بها)

المطلب الثالث :

الاستئناس بالحكاية.

تمهيد :

ذكر ابن عطاء الله حكايات عن سير الصالحين يمثل بها للمعنى الوارد في الآيات، مشددا على القارئ أن يفتح سمعه ليعلم حقا أن الله عبادة هذه أوصافهم، فيقول: « فافتح رحمك الله سمعك لهذه الحكاية وأمثالها، تعلم أن الله عبادة أشغلهم به عن كل شيء، ولم يشغلهم عنه شيء، أذهل عقولهم عظمتهم، وأدهش نفوسهم هيئته، فاستقر في أسرارهم وده ومحبته »¹. وفيما يلي عدة مواضع استأنس فيها ابن عطاء الله أثناء تفسيره لآيات القرآن الكريم بحكايات نورها كما يلي:

. الموضع الأول: أورد الآية وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾². ثم فسرهما فقال: « فبين الله تعالى أنه إنما خلق هذين الجنسين لعبادته، أي ليأمرهم بها، كما تقول لعبد: ما اشتريتك أيها العبد إلا لتخدمني أي لأمرك بالخدمة فتقوم بها. وقد يكون العبد مخالفا متأبيا، ولم يكن شراؤك إياه لذلك، وإنما كان ليقوم بمهماتك ولقضاء حاجاتك.

فبين الحق تعالى: أنه ما خلق العباد لأنفسهم إنما خلقهم ليعبدون ويوحده. فإنك لا تشتري عبدا ليعلم نفسه، إنما تشتريه ليكون لك خادما. فهذه الآية: حجة على كل عبد اشتغل بحظ نفسه عن حق ربه، وبهواه عن طاعة مولاه »³.

ثم مثل للمعنى المستفاد من الآية بحكايات منها:

. حكاية عن سبب توبة إبراهيم بن أدهم : وفيها يقول: « ولذلك سمع إبراهيم بن أدهم رحمه الله

عليه . وهذا كان سبب توبته . لما خرج متصيذا، هاتفا يهتف به من قريوس⁴ سرجه

1- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 68.

2 - سورة الذاريات الآيات 56- 57- 58.

3- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 68.

4- قريوس : هو رأس مقدم السرج الذي يكون أمام الفارس .

ياإبراهيم، ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت. ثم سمع الثانية: يا إبراهيم، ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت¹.

. حكاية عن بعض العارفين: وفيها يقول أحد العارفين: « دخلت على بعض المشايخ بالمغرب في داره، فقممت لأملاً ماءً للوضوء، فقام الشيخ ليماً عني، فأبيت فأبى إلا أن يماً، وأمسك طرف الحبل بيده، وفي الدار عنده بجانب البئر شجرة زيتون قد خيمت على الدار، فقلت: يا سيدي لم لا تربط طرف هذا الحبل بهذه الشجرة؟ فقال: أو ها هنا شجرة؟ إن لي في هذه الدار ستين عاماً، ما اعرف أن في هذه الدار شجرة². »

. حكاية عن رجل بصعيد مصر من الأولياء: وفيها يقول: « كان رجل بالصعيد من الأولياء بمسجد، طلب منه أحد ممن يخدمه أن يأخذ جريدة من إحدى نخلتين كانتا في المسجد، فأذن له فقال: يا سيدي من أيهما آخذ؟ من الصفراء أو من الحمراء؟ فقال: يا بني: أن لي بهذا المسجد أربعين عاماً، لا أعرف الصفراء من الحمراء³. »

. حكاية عن حال بعضهم مع أولاده: وفيها يقول: « ويحكى عن بعضهم أنه كان يعبر عليه أولاد في داره فيقول: أولاد من هؤلاء؟ أولاد من هؤلاء؟ فيقال له: أولادك، فكان لا يعرفهم حتى يُعرّف بهم، لاشتغاله بالله تعالى. وكان بعض المشايخ يقول في أولاده إذ رآهم: هؤلاء الأيتام، وإن كان أبوهم حياً⁴. »

ثم يواصل ابن عطاء الله أثناء هذه الحكايات التي مثل بها لمعاني الآية، يعرفنا مفهوم الفقه الحقيقي بأنه: "فهم سر الإيجاد والعمل له"، مستشهداً بقول الإمام مالك: "الفقه: نور يضعه الله في القلب"، وبقول شيخه أبي العباس المرسى، وفي كل ذلك ينوه بقدر هؤلاء القوم، ويدعو الله تعالى بالانضمام إليهم.

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 68.

² - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 68.

³ - المصدر نفسه .

⁴ - المصدر نفسه .

وفي ذلك يقول : « فالفقيه من فهم سر الإيجاد فعمل له، وهذا هو الفقه الحقيقي الذي من أعطيه فقد أعطى المنة العظمى، وفيه قال مالك رحمه الله: ليس الفقه بكثرة الرواية، وإنما الفقه نور يضعه الله في القلب.

وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول: (الفقيه من انفقأ الحجاب عن عيني قلبه). فمن فقه عين سر الإيجاد بأنه ما أوجده إلا لطاعته، وما خلقه إلا لخدمته، كان هذا الفقه منه سببا لزهده في الدنيا، وإقباله على الأخرى، وإهماله لحظوظ نفسه، واشتغاله بحقوق سيده، مفكرا في المعاد، قائما بالاستعداد حتى قال بعضهم: (لو قيل لي غدا تموت لم أجد مستزاد). وقال بعضهم: وقد قالت له أمه يا بني مالك لا تأكل الخبز؟ فقال: بين مضغ الخبز وأكل الفتيت قراءة خمسين آية.

فهؤلاء قوم أذهل عقولهم عن هذه الدار، ترقب هول المطلع، وأهوال القيامة، وملاقاة جبار السموات والأرض فغيبهم ذلك عن الاستيقاظ لملاذ هذه الدار، والميل إلى مسراتها، فافتح رحمك الله سمعك لهذه الحكاية وأمثالها تعلم أن الله عبادا اشغلهم به عن كل شيء، ولم يشغلهم عنه شيء أذهل عقولهم عظمتهم، وأدهش نفوسهم هيئته، فاستقر في أسرارهم وده ومحبته. جعلنا الله منهم، ولا أخرجنا عنهم¹.
. حكاية أبي العباس عن نفسه² :

ذكر ابن عطاء الله حكاية سمعها من شيخه المرسى بعدما نقل جوابه عن الكيمياء مستدلا أثناءه بالآية، ثم يستنتج منها توجيهها تربويا يخاطب به المريد، فيقول: « وقال مرة أخرى (أي المرسى) رحمه الله، لما سئل عن الكيمياء فقال: أخرج الطمع من قلبك، واقطع يأسك من ربك، أن يعطيك غير ما قسم لك. وليس يدل على شعار العبد كثرة عمله، ولا مداومته على ورده، وإنما يدل على نوره عناه بربه، أو انحباسه إليه بقلبه، وتحرره من رق الطمع؟ وتحليه بحلية الورع،

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 68.

² - المصدر نفسه ، ص 104.

وبذلك تحسن الأعمال، وتركوا الأحوال، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَئِيَّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾¹، فحسن الأعمال إنما هو بالفهم عن الله.

والفهم هو ما ذكرناه من الاغتناء بالله، والاكتفاء به، والاعتماد عليه، ورفع الحوائج إليه، والدوام بين يديه، وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى. وتفقد وجود الورع من نفسك أكثر مما تتفقد ما سواه، وتظهر من الطمع في الخلق، فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة أبحر ما طهره إلا اليأس منهم، ورفع الهمة عنهم.

وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول: (كنت في ابتداء امرئ بشعر الإسكندرية، جئت إلى بعض من يعرفني، فاشترت منه حاجة بنصف درهم، ثم قلت في نفسي: لعله لا يأخذ مني، فهتف بي هاتف: (السلامة في الدين، بترك الطمع في المخلوقين). وسمعتة يقول: صاحب الطمع لا يشبع أبدا، إلا ترى حروفه كلها مجوفة؟ الطاء والجيم؟ والعين. فعليك أيها المرید برفع همتك عن الخلق، ولا تذلل لهم في شأن الرزق، فقد سبقت قسمته وجودك، وتقدم ثبوته ظهورك² .

. يستأنس بحكاية عن أحد السابقين :

استأنس ابن عطاء الله بحكاية عن أحد السابقين بعد تمثل المعنى المستفاد من الآية في نفس السامع فيقول : «... ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾³، وكم مرة أردت أيها العبد أمرا، فصرفه عنك فوجدت لذلك غما في قلبك وحرصا في نفسك، حتى إذا كشف لك عن عاقبة ذلك علمت أنه سبحانه نظر لك بحسن النظر من حيث لا تدري، وخار لك من حيث لا تعلم، وما أقبح مریدا لا فهم له، وغبيدا لا استسلام له، فكن كما قيل:

وكم رمت أمرا خرت لي في انصرامه *** فلا زلت بي مني أبر وأرحما

¹ - سورة الكهف الآية 07 .

² - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 20 .

³ - سورة البقرة الآية 216 .

عزمت على أن أحس بخاطر *** على القلب إلا كنت أنت المقدما
وأن لا تراني عند ما قد نهيتني *** لكونك في قلبي كبيرا معظما
ويحكى: أن بعضهم كان إذا أصيب بشيء، أو ابتلى به يقول: خيرة، فاتفق ليلة أن جاء
ذئب فأكل ديكاً له، ففيل له به فقال: خيرة ثم ضرب في تلك الليلة كلبه فمات، ففيل له فقال:
خيرة، ثم نحق حمارة فمات، فقال: خيرة.
فضاق أهله بكلامه هذا ذرعاً، فاتفق أن نزل في تلك الليلة عرب أغاروا عليهم، فقتلوا كل
من بالملحة، ولم يسلم غيره وأهل بيته. استدل العرب النازلون (على الناس بصياح الديك) ونباح
الكلب، ونهيق الحمار، وهو قد مات له كل ذلك، فكان هلاك هذه الأشياء سبباً لنجاته،
فسبحان المدبر الحكيم¹.

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 104.

المبحث الثالث :

مسائل من العلوم استعان بها في تفسيره .

المطلب الأول : مسائل من علوم القرآن و علم الفقه والأصول.

المطلب الثاني : مسائل من العقيدة و علوم أخرى .

المطلب الأول :

مسائل من علوم القرآن و علم الفقه والأصول

1. مسائل من علوم القرآن .

أ . تناسب الآيات .

ب . أسباب النزول .

ج . أحكام التجويد .

2. مسائل من علم الفقه والأصول .

أ . مقاصد الشريعة .

ب . مسائل في الفقه .

1. مسائل من علوم القرآن:

سوف أعرض لثلاث مسائل من علوم القرآن هي: مسألة في تناسب معاني الآيات، ومسألة في أسباب النزول، ومسألة في أحكام التجويد، حسب ما توفر لدي أثناء البحث.

أ. تناسب معاني الآيات:

يراد بعلم المناسبة البحث عن الرابط بين الآيات بعضها ببعض في السورة الواحدة، أو بين السور، وقد ألف في هذا العلم أبو جعفر ابن زبيد (ت 708هـ) كتابه (البرهان في ترتيب سور القرآن)، كما ألف برهان الدين البقاعي (ت 885هـ) تفسيراً سماه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)¹. وقد وجدت لابن عطاء الله نماذج رصد فيها المعاني المتوافقة بين الآيات يتبين منه الترابط القوي بين عناصر النظم القرآني، وفيما يلي نعرض مثالين لذلك :

تناسب في معنى الآية : حيث أعلم الله تعالى عباده بحكمة خلقهم، ثم ضمن لهم كل ما يشغلهم عن تحقيق هذه الحكمة وقد ابن عطاء الله هذا التناسب فقال: «لما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾²، علم سبحانه وتعالى أن لهم بشريات تطالبهم بمقتضاها، تشوش عليهم صدق توجهه إلى العبودية، فضمن لهم الرزق، كي يتفرغوا لخدمته، وكي لا يشتغلوا بطلبه عن عبادته، فقال: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾³، أي ما أريد منهم أن يرزقوا أنفسهم، فقد كفيتهم ذلك بحسن كفايتي، وبوجود ضماني. وما أريد أن يطعمون لأني أنا القوي الصمد، الذي لا يطعم، ولذلك عقبه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾⁴، أي: ما أريد منهم أن يرزقوا أنفسهم. لأني أنا ذو القوة، ومن له القوة في ذاته غني عن أن يطعم.

1- حسن عزوزي ، الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير ، طبعة وزارة الأوقاف المغربية سنة 2001م ، ج2 ص401 .402.

2- سورة الذاريات الآية 56.

3- سورة الذاريات الآية 57.

4- سورة الذاريات الآية 58.

فتضمنت هذه الآية: الضمان للعبد بوجود أرزاقهم، بقوله تعالى: أن الله هو الرزاق. وألزم المؤمنين أن يوحده في رزقه، وأن لا يضيفوا شيئاً منه إلى خلقه، وأن لا يضيفوا ذلك إلى أسبابهم، وأن لا يسندوه إلى اكتسابهم¹. فبين ابن عطاء الله وجه ضمان الرزق تبعاً للخلق في هذه الآية .

. ربط معنى الآية بغيرها للتناسب :

يسط ابن عطاء الله المعنى في آية الرزق، ثم يربط معناها بآية أخرى فيها خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لما بينهما من تناسب، وذلك في الفائدة الرابعة من الفوائد المستنبطة من آية الرزق في سورة الذاريات ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ فيقول: «الفائدة الرابعة: قوله تعالى ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾²، أي لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك، وكيف نأمرك بذلك، ونكلفك أن ترزق نفسك، وأنت لا تستطيع ذلك؟ وكيف يحمد بنا أن نأمرك بالخدمة، ولا نقوم لك بالقسمة؟

فكأنه سبحانه لما علم أن العباد ربما يشوش عليهم طلب الرزق في دوام الطاعة، وحجبهم ذلك عن التفرغ للموافقة، فخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم ليسمعوا فقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا، لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا، نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾³، أي قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا وهما شيئان: شيء ضمنه الله لك فلا تتبعه، وشيء طلبه منك فلا تحمله.

فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه، فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقلما يتنبه لمن يوقظه، بل حقيق على العبد أن يشتغل بما طلب منه، عما ضمن له⁴. فبين ابن عطاء الله وجه تكفل الله تعالى لخلقهم بأرزاقهم من أجل أن يتفرغوا لعبادته في آية الذاريات، وناسب هذا المعنى

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 68.

² - سورة طه الآية 132.

³ - سورة طه الآية 132.

⁴ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 74.

الفصل الأول : تفسير ابن عطاء الله (مصادره ، وسائله ، العلوم التي استعان بها)

خطابه للرسول صلى الله عليه وسلم في آية طه، فهو صلى الله عليه وسلم المدرك للمعنى على حقيقته القائم بامتثال الخطاب على وجهه.

ب . أسباب النزول :

يعتبر علم أسباب النزول أمر لازم للمفسر فقد نص ابن عجيبة على اعتباره ضمن العلوم الضرورية ضمن حديثه عن شروط المفسر¹، وقد استفاد منه ابن عطاء الله وفيما يلي مثال استأنس فيه ابن عطاء الله بسبب النزول.

. يستأنس بسبب نزول الآية :

يوظف ابن عطاء الله أحيانا أسباب النزول ليستدل بها للمعنى المستنبط من الآية ومثال ذلك قصة ثعلبة الصحابي، نزلت فيه آية من سورة التوبة وفيها يقول: « ويكفيك في ذلك ما قال رسول الله لثعلبة بن حاطب، لما قال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ثعلبة بن حاطب، قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطيقه. فكرر عليه ثعلبة فأعاد عليه الصلاة والسلام ما قال أولا:، قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطيقه. فما زال إلى أن دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختار لنفسه، فكان عاقبة اختياره لنفسه، ومخالفته لمختار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أكثر ماله حتى تعطل عن بعض الصلوات أن يصليها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا صلاة الجمعة، ثم كثرت أغنامه ومواشيه، حتى لم يمكنه صلاة الجمعة أيضا، ثم مصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه الزكاة فقال: ما أرها إلا جزية، أو أخت الجزية وامتنع من دفع الزكاة، وقصته مشهورة، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾²». ³ فحرص ابن عطاء الله أن يفهم من سبب النزول أن ثعلبة اختار لنفسه، وترك خيار الرسول صلى الله عليه وسلم له.

¹ - حسن عزوزي ، الشيخ أحمد بن عجيبة ، ص 412.

² - سورة التوبة الآية 75 - 76 - 77.

³ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 89.

ج. أحكام التجويد :

توظيفه لمخارج الحروف : وذلك في ضمير الشأن (هو) الدال على الذات العلية والذي تكرر في القرآن الكريم كثيرا، وفيه استثناس لما يفهمه الصوفية من الإشارات.

يقول ابن عطاء الله : « فإن هجاء (هو) إذا مُكِّنَت الضمة من الهاء حرفان، هاء وواو، فالهاء تخرج من أقصى الحلق وهي من حروفه، والواو تخرج من الشفة. فهو مجموع من بين ابتداء أول المخارج وانتهاء آخرها، وفي ذلك إشارة إلى وجود موجود معلوم، الذي هو ضد النفي المعدوم. وتنبيه إلى ابتداء كل حادث منه وانتهائه إليه، وليس له هو ابتداء، والهاء هي من حروف الحلق، التي لا تنطبق عليها اللهوات ولا تنضم عليها الشفتان»¹. فترى ابن عطاء الله يستفيد من مخارج الحروف التي بدايتها من الحلق ونهايتها الشفتين، ومن مخرج الهاء التي لا تخضع لانطباق اللهوات ولا ضم الشفتين.

2. مسائل من علم الفقه والأصول :

أ. أصول الفقه : سوف نعرض لمباحث أصولية استفاد منها ابن عطاء الله في تفسيره .

. فحوى الخطاب : وهي دلالة النص على معنى يكون أولى من المنطوق به في النص. وقد استند ابن عطاء الله في استنباط الحكم من الآية إلى مبحث أصولي، مثل جواز البيع والتجارة من فحوى الخطاب في قوله تعالى : ﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾²، فيقول : « فأثبت الحق سبحانه وتعالى لهم في هذه الآية: أنهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ولم ينف عنهم أنهم لا يتجرون ولا يبيعون، بل في الآية ما يدل على جواز البيع والتجارة، من فحوى الخطاب إذا تدبرته، تدبر أولى الألباب »³.

1- ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد ، ص 35.

2- سورة النور الآية 37.

3- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 45.

فالمنطوق النص أن تجارهم ويبيعهم لا تلهيهم إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ودل النص على معنى آخر وهو أنهم يبيعون ويشترون وهو أمر جائز لهم وهذا المعنى أولى من الذي سبق ولذلك قال ابن عطاء الله : من فحوى الخطاب.

ثم يستدل لهذا المعنى بآيات أخرى فيقول: «ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾، فلو نهاهم عن الغنى، لنهاهم عن التسبب المؤدى إليه وهو التجارة والبيع، ألا ترى أنه قال: ﴿وإيتاء الزكاة﴾، فإيجابه الزكاة عليهم، دليل على أن هؤلاء الرجال التي هذه الأوصاف أوصافهم، قد يكون منهم أغنياء ولا يخرجهم عن المدحة غناهم، إذا قاموا فيه بحقوق مولاهم»¹.
الإشارة بالمفهوم :

ونعني به مفهوم المخالفة حيث يدل النص على معنى يخالف المنطوق، وقد استند ابن عطاء الله في استنباط المعاني من الآية إلى المفهوم وهو مبحث أصولي من مباحث دلالة الألفاظ، وفيما يلي مثال لذلك من قول ابن عطاء الله : «الخامس: قوله تعالى: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾²، فيه إشارة إلى أنه لا يؤذن للنفس الأمانة، واللومة بالرجوع إلى الله تعالى رجوع الكرامة، بل إنما ذلك للنفس مطمئنة لأجل ما هي عليه من الطمأنينة قيل لها: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾، فقد أبحنا لك الدخول إلى حضرتنا، والخلود في جنتنا، فكان في ذلك تحريض للعبد على مقام الطمأنينة ولا يصل إليه أحد إلا بالاستسلام إلى الله تعالى، وعدم التدبير معه»³.

ب . مقاصد الشريعة

يبين ابن عطاء الله حقيقة مقام الزهد وكيف ينجو الإنسان من استجلاب حظ نفسه، وذلك في الفائدة السابعة في قوله تعالى : ﴿فَسَقَىٰهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ﴾⁴، فقال: «ففي ذلك دليل على أنه يجوز للمؤمن أن يؤثر الظلال على الضواحي، وبارد الماء على سخنه، وأسهل

1- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 45.

2- سورة الفجر الآية 28.

3- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 58.

4- سورة القصص الآية 24.

الطريقين على أشقهما وأوعرهما ولا يخرجها ذلك عن مقام الزهد، ألا ترى أن الحق سبحانه وتعالى أخبر عن موسى عليه السلام، انه تولى إلى الظل أي قصده وجاء إليه ¹.

ذلك أن من مقاصد الشريعة اليسر ودفع المشقة، ويستدل لذلك بآيات من القرآن، وفتوى الفقهاء فيمن نذر أن يمشي إلى مكة حافيا، فيقول: «وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ²، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ ³، ولذلك كان عند الفقهاء: إذا نذر المشي إلى مكة شرفها الله حافيا جاز له أن ينتعل ولا يلزمه الحفاء، **لأنه ليس للشرع في متاعب العباد قصد خاص**، ولم تأت الشرائع بمنع الملاذ للعباد، وكيف وهي مخلوقة من أجلهم.... فقد تبين لك أن الحق تعالى لم يطالب العبد بعدم تناول المندوذات وإنما طالبهم بالشكر عليها إذ تناولوها، فقال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ ⁴ ⁵.

ج . مسائل في الفقه :

. مسألة من نذر أن يمشي إلى مكة شرفها الله حافيا: يوظف ابن عطاء الله مسائل من الفقه أثناء استشهاده بآيات القرآن يستأنس بها، حسب دواعي الموضوع الذي يكون بصدد، مثل مسألة من نذر أن يمشي إلى مكة شرفها الله حافيا، فجواب الفقهاء مخرج على أن الشريعة لا قصد لها في متاعب العباد حتي وإن تعدى العبد فألزم نفسه بما فيه مشقة فيقول: «وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ⁶، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ ⁷، ولذلك كان عند الفقهاء: إذا نذر المشي إلى مكة شرفها الله حافيا جاز له

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 65.

² - سورة البقرة الآية 185.

³ - سورة النساء الآية 28.

⁴ - سورة سبأ الآية 15.

⁵ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 65.

⁶ - سورة البقرة الآية 185.

⁷ - سورة النساء الآية 28.

أن ينتعل ولا يلزمه الوفاء، لأنه ليس للشرع في متاعب العباد قصد خاص، ولم تأت الشرائع بمنع الملاذ للعباد، وكيف وهي مخلوقة من أجلهم¹ .
مسألة لا زكاة علي الأنبياء :

يمثل ابن عطاء الله بمسألة عدم وجوب الزكاة على الأنبياء مستدلاً بالآية والحديث، وذلك أثناء تعرضه لإدخار السابقين، وأنه على وجه الأمانة وهم لا يرون أنفسهم مع الله مالكين، وإنما الأموال وديعة يتصرفون فيها عن الله بالنيابة، لأنهم فهموا قوله تعالى : ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾²، وفي ذلك يقول: «ولا يشهدون أنهم مع الله مالكون، بل ما في أيديهم يشهدونه، من ودائع الله، ويتصرفون فيها بالنيابة عن الله، سمعوا قوله تعالى : ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾، فعلموا أنه لا ملك لهم مع الله، وإنما هي نسبة أضيفت إليك، وإضافة منة من بها عليك، ليرى كيف تعمل وهو العليم الخبير.

ولذلك كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تجب عليهم الزكاة لأنهم لا ملك لهم مع الله حتى تجب عليهم الزكاة فيه، وإنما تجب عليك زكاة ما أنت له مالك، إنما يشهدون ما في أيديهم من ودائع الله تعالى لهم، يبذلونه في أوان بذله، ويمنعونه من غير محله ولأن الزكاة إنما هي طهرة لما عساه أن يكون ممن وجبت عليه، لقوله تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾³.
والأنبياء عليهم الصلاة والسلام مبرؤون من الدنس، لوجود العصمة وافهم هاهنا قوله صلى الله عليه وسلم: (نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورِثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةً)⁴، يتبين ما ذكرناه ويتضح ما قررناه⁵.

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 65.

² - سورة الحديد الآية 07.

³ - سورة التوبة الآية 103.

⁴ - الحديث أخرجه ابن حزيمة في صحيحه عن أبي هريرة بلفظ : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (والذي نفسي بيده لا تقسم ورثتي شيئاً مما تركت ، ما تركناه صدقة). صحيح ابن حزيمة ج 9 ، ص 122

⁵ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 92.

. لا زكاة على الصبي عند أبي حنيفة :

استشهد ابن عطاء الله بمسألة لا زكاة على الصبي عند أبي حنيفة، ليبين أن الزكاة طهرة من دنس المعصية، والصبيان لا معصية عليهم لعدم التكليف، وكذا الأنبياء لا مخالفة لهم لوجود العصمة ومن ثم لا زكاة عليهم، فقال: « ولأن الزكاة إنما هي طهرة لما عساه أن يكون ممن وجبت عليه، لقوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ ، ولأجل ذلك لم يوجب أبو حنيفة رحمه الله على الصبيان زكاة، لعدم دنس المخالفة، والمخالفة لا تكون إلا بعد جريان التكليف وذلك بعد البلوغ ، وافهم هاهنا قوله صلى الله عليه وسلم: (نحن معاشر الأنبياء، لا نورث ما تركناه صدقة)، يتبين ما ذكرناه ويتضح ما قررناه »¹.

المطلب الثاني :

مسائل من العقيدة وعلوم أخرى.

1. مسائل من العقيدة.

2. مسائل من علوم أخرى.

أ - علم المنطق .

ب - سير الصحابة .

ج - القصص القرآني .

1. مسائل من العقيدة:

يعرض ابن عطاء الله لكثير من المسائل العقدية، فتارة يؤيدها بالأدلة، وتارة يشرح بالمفهوم، وتارة يرد على المعتزلة، وفيما يلي مسائل من ذلك:

- بيان تعريف الإيمان ومن وافقه فيه : تعرض ابن عطاء الله لمعنى الإيمان ووصفه بالزيادة والنقصان، مستدلاً بآيات القرآن الكريم وبيان ذلك كما يلي:

أما تعريف الإيمان فهو: (الإيمان لغة : التصديق والإقرار، وشرعاً: اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، أما زيادته ونقصانه فدل الكتاب والسنة على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾¹. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾². وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾³. وأما دليله من السنة قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ)⁴. وكذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ شعبةً أعلاها لا إلهَ إلاَّ الله وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق والحياةُ شعبةٌ من الإيمان)⁵ (⁶ ، ومن ثم نلاحظ أن ابن عطاء الله يقول بقول أهل السنة أن الإيمان قول وعمل وأنه يزيد وينقص مستدلاً بآيات القرآن الكريم.

- مسألة خلق المعصية والطاعة، وفيها رد على المعتزلة:

في معرض الحديث عن العارفين الذين يتعوذون من الشيطان إتباعاً لأمر الرحمان لا خوفاً من تسلط أو قوة الشيطان يسوق ابن عطاء الله قول الشاذلي يمثل به حقيقة نسبة الطاعة

1 - سورة محمد الآية 17

2 - سورة الأنفال الآية 2

3 - سورة الفتح الآية 4

4 - صحيح البخاري حديث برقم (7510) ، صحيح مسلم حديث برقم (193)

5 - صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم (57)

6 - ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص17

والمعصية للنفس والشيطان فيقول: « وقال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى: الشيطان كالذكر والنفس كالأنثى، وحدوث الذنب بينهما كحدوث الولد بين الأب والأم لا أنهما أوجدها، ولكن عنهما كان ظهوره ¹ ».

ثم يشرح كلام الشيخ الشاذلي ويستدل بآيات يرد بها على المعتزلة وسماهم مبتدعين بنسبتهم خلق الطاعة والمعصية لغير الله تعالى فيقول: « ومعنى كلام الشيخ هذا، أنه كما لا يشك عاقل أن الولد ليس من خلق الأب والأم ولا من إيجادهما ونسب إليهما لظهوره عنهما كذلك لا يشك مؤمن، أن المعصية ليست من خلق الشيطان والنفس بل كانت عنهما لا منهما، فلظهورها عنهما نسبت إليهما.

فنسبة المعصية إلى الشيطان والنفس نسبة إضافية وإسناد، ونسبتها إلى الله نسبة خلق وإيجاد، كما أنه خالق الطاعة بفضله، كذلك هو خالق المعصية بعدله. ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ ². وقال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ³. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴾ ⁴. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ⁵.

والآية القاصمة للمبتدعة المدعين، أن الله لا يخلق الطاعة، ولا يخلق المعصية قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ⁶. فإن قالوا: قد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ ⁷، الجواب فالأمر غير القضاء ⁸ ».

1- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 36

2- سورة النساء الآية 78.

3- سورة الزمر الآية 62.

4- سورة فاطر الآية 03.

5- سورة النحل الآية 17.

6- سورة الصافات الآية 96.

7- سورة الأعراف الآية 28.

8- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 36

وبصرح ابن عطاء الله في موضع آخر بقول المعتزلة في قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾¹، فيقول: «وأهل الاعتزال يحملون الآية على ظاهرها فيقولون:

الحق خلقهم للطاعة، والكفر والمعصية من قبل أنفسهم، وقد أبطلنا هذا المذهب قبل² ثم يبين الحكمة من بيان القرآن لسر الخلق والإيجاد فيقول: «وفي تبين سر الخلق والإيجاد، إعلام للعباد، وتنبيه: لماذا خلقوا؟ كي لا يجهلوا مراد الله تعالى فيهم، فيضلوا عن سبيل الهداية، ويهملوا وجود الرعاية، فبين الحق تعالى أنه ما خلق العباد لأنفسهم إنما خلقهم ليعبدون ويوحده. فإنك لا تشتري عبدا ليخدم نفسه، إنما تشتريه ليكون لك خادما، فهذه الآية حجة على كل عبد اشتغل بحظ نفسه عن حق ربه، وبجواه عن طاعة مولاه»³.

. مسألة الطلب من الله هل يناقض مقام العبودية؟ والجواب علي ذلك:

وذلك في الفائدة الرابعة: من الفوائد في قوله تعالى : ﴿إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتُ إِلَى مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، فقال: «تدل الآية على أن الطلب من الله تعالى، لا يناقض مقام العبودية فبعد ذلك طلب سيدنا موسى من الله، فدل على أن مقام العبودية لا يناقض الطلب»⁴.

ثم يطرح اعتراض قد يرد في الذهن بحال إبراهيم وكلاهما نبيان فيجيب عنه فيقول: «فإن قلت: إن كان مقام العبودية لا يناقض الطلب، فكيف لم يطلب إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم حين رمي به في المنجنيق وتعرض له جبريل عليه السلام، فقال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فبلى.

قال: سله، قال: حسبني من سؤالي، علمه بحالي.

فاكتفى بعلم الله تعالى به عن إظهار الطلب منه.

1- سورة الذاريات الآية 56-57-58.

2- وسماهم المبتدعة حين الرد عليهم لمخالفتهم معنى الآيات . ابن عطاء الله السكندري ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ص 36

3 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 67.

4 - المصدر نفسه ، ص 63.

فالجواب: أن الأنبياء صلوات الله عليهم يعاملون في كل موطن بما يفهمون عن الحق، أنه اللائق به. ففهم إبراهيم عليه السلام أن المراد به في ذلك الموطن، عدم إظهار الطلب والاكتفاء بالعلم، فكان بما فهمه عن ربه، وكان هذا لأن الحق سبحانه أراد أن يظهر سره، وعنايته به للملأ الأعلى الذين لما قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾¹، فأراد الحق تعالى أن يظهر سر قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، يوم زج إبراهيم عليه السلام في المنجنيق، كأنه يقول: يا من قال: أتجعل فيها من يفسد فيها، فكيف رأيتم خليلي؟ نظرتم إلى ما يكون في الأرض من صنع أهل الفساد، كنمرود ومن ضاهاه من أهل الفساد، وما نظرتم إلى ما يكون فيها من أهل الصلاح والرشاد، كما كان من إبراهيم عليه السلام ومن تابعه من أهل الوداد؟ وأما موسى صلوات الله عليه، فإنه علم أن مراد الحق تعالى منه في ذلك الوقت إظهار الفاقة، وإبداء المسألة فقام بما يقتضيه وقته².

لينتهي بنا ابن عطاء الله إلى نتيجة وهي أن كلا يتصرف بما يقتضيه وقته وحاله، وكل إلى الله راجعون، وهكذا ينبغي أن يكون حال العارفين، فيقول: «ولكل وجهة هو موليها، فكل على بينة وهداية، وتوفيق من الله ورعاية»³.

. مسألة التأدب مع الله تعالى في الخطاب :

يسوق ابن عطاء الله ما يتمسك به من يقولون أن العبد يخلق أفعاله، من ظاهر قوله تعالى : ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾⁴.

وبحسب أن ذلك التعبير القرآني ورد تعليماً للعباد التأدب مع الله تعالى في الخطاب ، ويستدل بدعاء إبراهيم عليه السلام وقول الخضر عليه السلام، فيقول: «فإن قالوا: قد قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾. الجواب: فهو على هذا التفصيل، تعليم للعباد التأدب معه، فأمرنا أن نضيف المحاسن إليه، لأنها اللائقة بوجوده،

1- سورة البقرة الآية 30.

2- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 63.

3- المصدر نفسه ، ص 63.

4- سورة النساء الآية 79.

والمساوئ إلينا، لأنها اللاتقة بوجودنا، قياما بحسن الأدب كما قال الخضر عليه السلام: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾¹، وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾².

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾³.

ولم يقل الخضر: (فأراد ربك أن يعييبها، كما قال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما).

فأضاف العيب إلى نفسه، والمحاسن إلى سيده، وكذلك إبراهيم عليه السلام لم يقل: فإذا أمرضني فهو يشفيني، بل قال: إذا مرضت فهو يشفيني. فأضاف المرض إلى نفسه، والشفاء إلى ربه، مع إن الله تعالى هو فاعل ذلك حقيقة وخالقه.

فقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ أي خلقا وإيجادا. ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ أي إضافة وإسنادا.

كما قال عليه السلام (الخير بيديك، والشر ليس إليك)، فقد علم عليه السلام، أن الله خالق للخير والشر، والنفع والضر ولكن التزم أدب التعبير فقال: (الخير بيديك والشر ليس إليك) على ما بيناه فافهم⁴.

. مسألة لا يجب على الله شيء :

يفصل ابن عطاء الله في تفسيره للآية 54 من سورة الأنعام معنى قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾⁵، فيقول: «أوجبها على نفسه إيجاب فضل وامتنان وتفضل وإحسان إذ هو سبحانه لا يجب عليه شيء ، إذ لو وجب عليه شيء للزمه ما وجب عليه

1- سورة الكهف الآية 79.

2- سورة الكهف الآية 82.

3- سورة الشعراء الآية 80.

4- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 37.

5- سورة الأنعام الآية 54.

ولكان في ذلك حكما عليه»¹. وبهذا يدفع ابن عطاء الله كل فهم من ظاهر الآية يخالف العقيدة الصحيحة لأهل السنة والجماعة.
تفصيل ما يجب اعتقاده في حق الله تعالى :

عدد ابن عطاء الله ما يجب أن يعتقد المؤمن في حق الله تعالى، أثناء تفسيره لآية 54 من سورة الأنعام، عند قوله تعالى : ﴿ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُم سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾²، ويسميتها أصول المشايخ، فيقول: « اعلم أن الله تعالى سبحانه. فهو بصير مبصر ومتكلم ولا يتقدر في العقول، ولا له جهة ومكان ومتعبد ... الأنام على لسان الأنبياء فهذه أصول المشايخ على وجه الإيجاز»³.
. مسألة: أكل آدم من الشجرة قضاء من الله:

يبين ابن عطاء الله أن أكل آدم عليه السلام من الشجرة قضاء من الله تعالى، ثم يبين ما فيه من عظام النعم عليه، فيقول: « وكان مراد الحق منه ذلك لينزله إلى الأرض ويستخلفه فيها، فكان هبوطا في الصورة، وترقيا في المعنى، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: (والله ما أنزل الله آدم إلى الأرض لينقصه، وإنما أنزله إلى الأرض ليكمله).

فلم يزل آدم عليه السلام راقيا إلى الله تعالى، تارة على معراج التقريب والتخصيص، وتارة على معراج الذلة والمسكنة، وهو في التحقيق أتم، ويجب على كل مؤمن إن يعتقد إن النبي ورسول لا ينتقلان من حالة إلا إلى حالة أكمل منها.

وإذ قد عرفت هذا فاعلم أن الحق سبحانه وتعالى له التدبير والمشئنة وكان قد سبق من تدبير مشيئته، أنه لا بد أن يعمر الأرض ببني آدم وأن يكون منهم كما يشاء.

1- ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 26.

2- سورة الأنعام الآية 54.

3- ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 27.

وكان من تدبير حكمته: أن لا بد من تمام ذلك، وظهوره إلى عالم الشهادة، فأراد الحق سبحانه أن يكون تناول آدم للشجرة سببا لنزوله إلى الأرض، ونزوله إلى الأرض سببا لظهور مرتبة الخلافة التي من عليه بها، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه:

(أكرم بها معصية أورثت الخلافة وسنت التوبة لمن بعده إلى يوم القيامة). وكان نزوله إلى الأرض بحكم قضاء الله تعالى، قبل أن يخلق السماوات والأرض.

قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: (والله لقد أنزل آدم إلى الأرض، قبل أن يخلقه، كما قال سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾¹)، فمن حسن تدبير الله تعالى لآدم، أكله من الشجرة ونزوله الأرض وإكرام الله تعالى إياه بالخلافة والإمامة².

2. مسائل من علوم أخرى: سأعرض تحت هذا العنوان مسائل مفرقة وجدتها لابن عطاء الله في

تفسيرها ممثلة في مصطلحات في المنطق وتأکید من سير الصحابة وقصص القرآن

أ. علم المنطق :

يوظف ابن عطاء الله مصطلحات من علم المنطق مثل "نظر كلي" ، وكذا طرق التقسيم العقلية بالتدرج ، ومثال ذلك في تعرضه للإيمان فيقول: «وقد سبق أن الإيمان هو التصديق ، فاعلم أن التصديق تارة يكون مع شهود المصدق به ، وتارة يكون مع الغيبة عنه وهذا نظر كلي... والطرق التي يستند إليها المؤمنون : أولها.... طريق أهل العموم... والطريق الثاني : قيام الدليل والبرهان.... والطريق الثالث :.....هم أهل الذين استند إيمانهم إلى شهود عيان وهم الراسخون في العلم وهذا طريق أهل الله ولذلك قال شيخ شيخنا أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه إنا لننظر إلى الله ر الإيمان والإيقان فأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان.....فتشته فلم تجد شيئا»³.

ب. سير الصحابة :

. استشهاده بقصة علي مع عاصم بن زياد الحارثي :

1- سورة البقرة الآية 30.

2 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 23.

3- ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 19.

يستفيد ابن عطاء الله من سير الصحابة ليدعم بها أدلته ، مثل موقف علي رضي الله عنه من عاصم بن زيد، لما ترك الطيبات معتقدا في ذلك النسك، ليدل ابن عطاء الله على أن الشريعة جاءت تيسيرا للعباد ودفعاً للمشقة عنهم، ولذلك قدم بآيات منها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾¹، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾²، ثم قال: «قال الربيع بن زياد الحارثي لعلي رضي الله عنه: أسعدني على أخي عاصم، قال: ما باله؟ قال: لبس العباءة يريد النسك، فقال علي رضي الله عنه: علي به، فأنتي مؤتزرا بعباءة مترديا بأخرى، شعث الرأس واللحية، فعبس في وجهه وقال: ويحك: أما استحييت من أهلك؟ أما رحمت ولدك؟ أترى أن الله تعالى أباح لك الطيبات وهو يكره أن تنال منها شيئا، بل أنت أهون على الله.

أما سمعت من الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ، فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ، وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ، وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾³. أفترى أن الله أباح هذا للعباد إلا ليتنزلوه، ويحمدوا الله عليه فيشبههم؟ وإن ابتذلك نعم الله بالفعل خير منه بالمقال، قال عاصم: (فما بالك في خشونة مأكلك وخشونة ملبسك)، قال: ويحك إن الله فرض على أئمة الحق أن يقدروا أنفسهم بضعة الناس .

فقد تبين لك من علي رضي الله عنه، أن الحق تعالى لم يطالب العبد بعدم تناول المملذذات وإنما طالبهم بالشكر عليها إذا تناولوها فقال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾⁴ «⁵.

1- سورة البقرة الآية 185.

2- سورة النساء الآية 28.

3- سورة الرحمن الآية من 10 إلى 22.

4- سورة سبأ الآية 15.

5- ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 66.

ج . القصص القرآني :

. يلتمس من قصة نوح وابنه ما يخدم فكرة إسقاط التدبير¹ :

يلتمس ابن عطاء الله المعنى الإشاري من الحوار الوارد بين نوح وابنه كما جاء في القرآن الكريم، ليوجه السالك إلى ترك التدبير ثم التسليم إلى ما تجري به المقادير، وفي ذلك يقول : « اعلم أن هلاك ابن نوح عليه السلام، إنما كان لأجل رجوعه إلى تدبير نفسه، وعدم رضاه بتدبير الله، الذي اختاره لنوح عليه السلام، ومن كان معه في السفينة، فقال له نوح عليه السلام: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾² .

قال: ﴿سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾³ .

قال: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾⁴ .

فآوي في المعنى إلى جبل عقله، ثم كان الجبل الذي اعتصم به صورة ذلك في المعنى القائم به، فكان كما قال الله تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾⁵ .
في الظاهر بالطوفان، وفي الباطن بالحرمان، فاعتبر أيها العبد بذلك.

فإذا تلاطمت عليك أمواج الأقدار، فلا ترجع إلى جبل عقلك الباطل، لئلا تكون من

المغرقين في بحر القطيعة، ولكن ارجع إلى سفينة الاعتصام بالله والتوكل عليه.

﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁶ ، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ

حَسْبُهُ﴾⁷ . فإنك إذا فعلت ذلك استوت بك سفينة النجاة على جودي الأمن، ثم تهبط بسلامة القرية، وبركات الوصلة عليك، وعلى أمم ممن معك وهو عوالم وجودك، فافهم ذلك ولا تكن من

1- ابن عطاء الله ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 29.

2- سورة هود الآية 42.

3- سورة هود الآية 43.

4- سورة هود الآية 43.

5- سورة هود الآية 43.

6- سورة آل عمران الآية 101.

7- سورة الطلاق الآية 03.

الغافلين، واعبد ربك ولا تكن من الجاهلين، فقد علمت أن إسقاط التدبير والاختيار، أهم ما يلتزمه الموقنون، ويطلبه العابدون، وأشرف ما يتحلى به العارفون»¹.

فاتخذ ابن عطاء الله من ابن نوح صورة من يستند إلى تدبيره، و يأوي إلى جبل عقله، ومن نوح عليه السلام صورة من يسقط تدبيره مع ربه، ويستسلم لقدره فتكون له النجاة .
تحليل لقصة إبراهيم وبيان لحقوق (حسي الله):

استفاد ابن عطاء الله من قصة إبراهيم فوظف من تفاصيلها المروية زيادة بيان لقوله تعالى: ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾²، فقال: «كان شيخنا أبو العباس رضي الله عنه، يقول في قوله تعالى: ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قال: (وفى بمقتضى قوله : حسي الله)، وذلك أن جبريل عليه السلام، لما قال لإبراهيم، ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فبلى. قيل: علم جبريل عليه السلام أنه لا يستغيث به، وأن قلبه لا يشهد إلا الله عز وجل وحده، فقال له حينئذ: سله؟ أي إن لم تستغث بي التزاما منك عدم التمسك بالوسائط، فسل ربك فإنه أقرب إليك مني. فقال إبراهيم عليه السلام مجيبا له: حسي من سؤالي علمه بحالي.

أي إني نظرت فرأيت أنه أقرب إلي من سؤالي، ورأيت سؤالي من الوسائط، وأنا لا أريد أن أتمسك بشيء دونه، ولأني علمت أن الحق سبحانه وتعالى عالم، فلا يحتاج أن يذكر بسؤال، ولا يجوز عليه الإهمال، فاكتفيت بعلم الله عن السؤال، وعلمت أنه لا يدعني من لطفه في كل حال، وهذا هو الاكتفاء بالله تعالى والقيام بحقوق حسي الله»³.

فنجد ابن عطاء الله يستدل بثناء الله تعالى على إبراهيم بصفة الوفاء، وذلك بتحليله للحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وجبريل، فكان جواب إبراهيم عن حالة من الشهود غاب فيها، حتى عد سؤاله من الوسائط فاستغنى بالله عنه، كل ذلك قياما بحقوق ﴿حسي الله﴾.

1- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 29.

2- سورة النجم الآية 37.

3- ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 39.

الفصل الثاني :

التفسير والتأويل عند ابن عطاء الله وبيان أسلوبه في التأليف

المبحث الأول : أنواع التفسير عند ابن عطاء الله وموقفه من التأويل .

المبحث الثاني : منهج ابن عطاء الله في التفسير وموقفه من التفسير الإشاري

المبحث الثالث : أسلوب ابن عطاء الله في التفسير والتأليف .

تمهيد :

للتفسير ثلاثة أقسام: تفسير بالرواية ويسمى التفسير بالمأثور، وتفسير بالدراية ويسمى التفسير بالرأي، وتفسير بالإشارة ويسمى التفسير الإشاري، غير أنه باستقراء الآيات التي فسرهما ابن عطاء الله وجدت له بعضاً من أنواع التفاسير هي (التفسير بالمأثور، التفسير اللغوي، والتفسير الموضوعي، و التفسير الصوفي الإشاري)، وسوف نوردنا في هذا الفصل مع التوضيح والتمثيل لكل نوع، ثم نتحدث عن التأويل في القرآن الكريم وموقف ابن عطاء الله منه كل ذلك في المبحث الاول.

ثم نبين منهج ابن عطاء الله في تفسيره بيانا عمليا، اجتمعت فيه الأنواع السابقة، مركزا على التفسير الإشاري إذ هو الصبغة الغالبة عند ابن عطاء الله، ثم بيان الضوابط التي ذكرها العلماء في التفسير الإشاري وذلك في المبحث الثاني.

أما المبحث الثالث فحديثنا فيه عن الأسلوب المتميز والمتنوع لابن عطاء الله في تأليفه عامة وفي تفسيره خاصة.

المبحث الأول :

أنواع التفسير عند ابن عطاء الله وموقفه من التأويل.

تمهيد .

المطلب الأول: أنواع التفسير عند ابن عطاء الله .

المطلب الثاني : التأويل وموقف ابن عطاء الله منه .

المطلب الأول:

أنواع التفسير عند ابن عطاء الله

1. التفسير بالمأثور .
2. التفسير اللغوي .
3. التفسير الموضوعي .
4. التفسير الإشاري .

1. التفسير بالمأثور:

ويقصد به (ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه)¹، بمعنى تفسير القرآن بالقرآن والحديث النبوي وأقوال الصحابة وفيما يلي نذكر أمثلة في تفسير ابن عطاء الله لكل نوع على الترتيب:

. فمثال تفسير القرآن بالقرآن قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾²، إذ فسر معنى الرحمة واستدل لها من القرآن فقال: «فلا يحيط بها شيء بل هي المحيطة بكل شيء، وإليه الإشارة في قوله سبحانه حاكيا عن الملائكة صلوات الله عليهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾³.... وإليه يشير قوله سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁴، فاستوى برحمانيته على عرشه الذي هو أعظم مخلوقاته، واندرجت العوالم في طي العرش المندرج في رحمته، إشارة إلى عموم رحمته، ولكن الرحمة العامة ليست مقصورة هنا، لأنه خصصها هاهنا بالمؤمنين، وتلك الرحمة شملت المؤمنين والكافرين، وهذه الرحمة التي قال فيها: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁵»⁶.

. ومثال القرآن بالحديث النبوي في قوله تعالى: ﴿وَلَذِكُرُ اللَّهَ أَكْبَرُ﴾⁷ عدد ابن عطاء الله خمسة أوجه واستدل للوجه الرابع والخامس بالحديث النبوي فقال: «وكذا ﴿اللَّهُ أَكْبَرُ﴾ فيه خمسة أوجه.... الرابع: إذا ذكر الله تعالى في الصلاة أفضل وأكبر من ذكره في غير الصلاة ومشاهدة المذكور في الصلاة أعظم وأكمل وأكبر من الصلاة،.... ثم ما بعد توحيده شيء

1. الزرقاني عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. ص 44.

2. سورة الأعراف الآية 156.

3. سورة غافر الآية 07

4. سورة طه الآية 05

5. سورة الأعراف الآية 56.

6- ابن عطاء الله السكندري. رسالة في تفسير آية الأنعام 54. تحقيق: محمد عبد الرحمن الشاغول مكتب الروضة

الشريفة للبحث العلمي. الناشر المكتبة الأزهرية للتراث، دار السعادة لطباعة. (د،ط). (د،ت)، ص 25.

7. سورة العنكبوت الآية 45.

أعظم من الصلاة ، ولهذا كانت ثاني قاعدة من قواعد الإسلام بقوله عليه السلام: (بُنِيَ الإسلامُ عَلَى خَمْسٍ، أَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ...)¹ الحديث . وجعلت تكبيرة افتتاحها " اللَّهُ أَكْبَرُ" ، ولم يجعل لغيره من الأسماء كلها، ولا يجوز غير ذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (تَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ)² ، وكذلك ذكر هذا الاسم في الآذان، وفي كل تكبيرة للصلاة، فذكر هذا الاسم أفضل من جميع العبادات ، وأقرب للمناجاة »³.

وقال في موضع آخر : « الخامس: أن ذكر الله لكم بهذه النعم العظيمة، والمنن الجسيمة، وندبه إليكم بدعوته إياكم لطاعته، أكبر من ذكركم له بالذكر عليها إذ لا تطيقون شكر نعمته، ولهذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم : (لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ)⁴ ، معناه : لا أطيق وكان أعلمهم وأشرفهم وأرفعهم قدرا وأفضلهم، فأظهر عجزه مع كمال علمه ومعرفته صلى الله عليه وسلم »⁵.

. مثال تفسير القرآن بآثار الصحابة: وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾⁶ ، إذ ذكر عدة تفسيرات واستدل لأحدها بقول ابن عباس فقال: « يحتمل أن يكون قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾ ، أن يكون المراد إثبات رزقكم أي إثباته في اللوح المحفوظ، فإن كان المراد كذلك، فهو تطمين للعباد، وإعلام لهم أن رزقكم، أي الشيء الذي منه رزقكم كتبناه عندنا وأثبتناه في كتابنا وقضيناه بآياتنا من قبل وجودكم وعيناه من قبل ظهوركم، فلا شيء تضطربون؟ وما لكم إلي لا تسكنون؟ وبوعدي لا تتقون؟.

1- الحديث أخرجه مسلم بن الحجاج (206-261هـ) . صحيح مسلم . تحقيق: فؤاد عبد الباقي . بيروت . دار

إحياء التراث العربي . كتاب الإيمان رقم 19 .

2- الحديث ذكره ابن عبد البر في التمهيد ج 9 ص 182 .

3- ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ص 45 .

4- الحديث أخرجه أحمد بن حنبل (164-241هـ) . المسند . مؤسسة قرطبة مصر . (د.ط.ت) . ج 6 ص 58.

5- ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ص 45 .

6 . سورة الذاريات الآية 22 .

ويحتمل أن يكون المراد ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي الشيء الذي منه رزقكم، وهو الماء كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾¹، وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو المطر. فيكون قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي الشيء الذي منه أصل رزقكم، ولأن الماء في نفسه رزق «². فقد ذكر ابن عطاء الله للآية تفسيرين والتفسير الثاني دلل عليه ابن عطاء الله بقول ابن عباس وهو أحد أعمدة مدرسة التفسير في عهد الصحابة.

2. التفسير اللغوي:

ويقصد به (بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب أي ألفاظها وأساليبها التي نزل بها القرآن)³، وقد أشار إلى هذا الشاطبي فقال: (أنزل القرآن على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره، وبالعام يراد به العام في وجه والخاص في وجه آخر، وبالعام يراد به الخاص، وظاهر ويراد به غير الظاهر، وكل ذلك يعرف من أول الكلام أو وسطه أو آخره)⁴، فالتفسير اللغوي يبحث في ألفاظ العرب وأساليبها، وفيما يلي مثال للألفاظ وأمثلة أخرى للأسلوب وردت في تفسير ابن عطاء الله :

- توظيف المعنى اللغوي لكلمة "اليقين": استعان ابن عطاء الله أثناء تفسيره لقوله تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾⁵ بالمعنى اللغوي للفظ "اليقين" وذلك في النوع الثاني من أنواع الولاية فقال: (وأما الولاية الثانية ولاية الإيقان وهي تتضمن الإيمان والتوكل، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، ولا يكون التوكل إلا مع اليقين ولا يكون توكل ويقين إلا مع الإيمان، لأن اليقين عبارة عن استقرار العلم بالله تعالى في القلب،

1 - سورة الأنبياء الآية 30 .

2 - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 80 .

3 - الطيار مساعد بن سليمان ناصر ، التفسير اللغوي للقرآن ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، سنة 1422هـ ، ص 80 .

4 - الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ، الموافقات ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى، سنة 1422هـ ، ج 2 ص 45 . 46

5 - سورة البقرة الآية 257.

مأخوذ من يقين الماء في الجبل إذا استقر وسكن فيه¹. فالمعنى اللغوي لليقين السكون والاستقرار، وهو متضمن في المعنى الاصطلاحي استقرار العلم بالله في القلب.

- القسم والتشبيه في الآية للتأكيد:

استفاد ابن عطاء الله من أسلوب القسم والتشبيه الوارد في قوله تعالى: ﴿وَيَا سَمَاءُ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ، فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾²، للتأكيد على ضمان الرزق وللوضوح في شأنه، إذ المشبه به أمر مشاهد من كل الناس دون تعجب أو ارتياب، فقال: « وهذه الآية هي التي غسلت الشكوك من قلوب المؤمنين وأشرقت في قلوبهم أنوار اليقين، فأوردت على قلوبهم الزوائد ما تضمنته من الفوائد، وذلك أنها تضمنت ذكر الرزق، ومحله والقسم عليه، والتشبيه له بأمر لا خفاء به، قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾، والحق هو ضد الباطل، والباطل هو المعلوم الذي لا ثبات له، والرزق والشك في الرزق، شك في الرزاق »³. قال القرطبي: (أكد ما أخبرهم به من البعث وما خلق في السماء من الرزق، وأقسم عليه بأنه لحق ثم أكد بقوله: ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ وخص النطق من بين سائر الحواس، لأن ما سواه من الحواس يدخله التشبيه)⁴. وقد ركز ابن عطاء الله في هذه الآية على وجه القسم، إذ أن العادة في اللغة جارية بتأكيد الخبر باليمين⁵، ثم إن التمثيل له بالمحسوس لينتفي الشك في ضمان الرزق، قال ابن عجيبة: (شبه ما وعد به من الرزق وغيره بتحقيق نطق الآدمي؛ لأنه ضروري، يعرفه من نفسه كل أحد، قال الطيبي: وإنما خص النطق دون سائر الأعمال الضرورية، لكونه أبقى وأظهر، ومن الاحتمال أبعد، فإن النطق يفصح عن كل شيء، ويجلي كل شبهة، فضمن

1 - ابن عطاء الله السكندري، لطائف المتن، ص 30.

2 - سورة الذاريات الآية 22 - 23

3 - ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 45.

4 - القرطبي أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري (ت671هـ). الجامع لأحكام القرآن. دار الكتاب العربي للطباعة

والنشر. الطبعة الثالثة. سنة 1987م. ج 17 ص 39.

5 - الرازي فخر الدين. التفسير الكبير. دار إحياء التراث العربي بيروت. الطبعة الثانية. سنة 1417 هـ. 1997م.

ج 10 ص 331.

الرّزق وإنجاز وعده ضروري، كنطق التّاطق¹، وقال ابن عاشور عن التشبيه في الآية بأنه : (زيادة تقرير لوقوع ما أوعده بأن شبه بشيء معلوم كالضرورة، لا امتراء في وقوعه، وهو كون المخاطبين ينطقون، وهو من التمثيل بالأمر المحسوسة)²، ومن ثم فإن أسلوب القسم في الآية والتشبيه دلا على الشك القوى الذي يحيط بمسألة الرزق لدى خلد العبد، فإن التأكيد الذي من أساليبه القسم لا يكون إلا عند تطرق الشك، ثم إن هذه الآية هي الخامسة في شأن الرزق.

تأكيد المعنى بالقسم :

يبين ابن عطاء الله ورود القسم في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾³، فقال: «ثم إنه سبحانه وتعالى، لم يكتف بنفي الإيمان عمن لم يحكم، أو حكم ووجد الحرج في نفسه على ما قضى، حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسوله صلى الله عليه وسلم، رافة وعناية، وتخصيصا ورعاية، لأنه لم يقل: (فلا والرب)، وإنما قال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. ففي ذلك تأكيد بالقسم، وتأكيد في المقسم عليه، علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة، سواء كان الحق عليها أو لها.

وفي ذلك إظهار لعنايته برسوله صلى الله عليه وسلم، فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه، والانقياد لأمره؛ ولم يقبل منهم الإيمان بألوهيته حتى يذعنوا لأحكام رسوله صلى الله عليه وسلم، لأنه كما وصفه ربه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾⁴، فحكمه حكم الله، وقضاؤه قضاء الله، كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾⁵، والله⁵، وأكد ذلك بقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^{1 2}، فدل القسم على تأكيد المعنى وهو

1 - ابن عجيبة أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس (ت1224هـ). البحر

المديد. تحقيق أحمد عبد الله قرشي رسلان. القاهرة سمة 1419هـ. ج5 ص 571.

2 - محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير من التفسير. الدار التونسية للنشر. (د.ط.ت). ج 14 ص 101.

3 - سورة النساء الآية 65.

4 - سورة النجم الآية 3 - 4.

5 - سورة الفتح الآية 10.

وهو الرضا بحكم رسول الله، وتأکید في المقسم عليه وهو العناية برسوله صلى الله عليه وسلم.

الإضافة في الآية لبيان التشريف :

يبين ابن عطاء الله دلالة الإضافة في قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾³، فقال: « وفي الآية إشارة لعظيم قدره، وتفخيم أمره صلى الله عليه وسلم، وهي قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾، فأضاف نفسه تعالى إليه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿كهيعص، ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾⁴. فأضاف الحق سبحانه اسمه إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وأضاف زكريا إليه ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين، وتفاوت ما بين الرتبتين⁵. فكشفت دلالة الإضافة عن المرتبة الخاصة للنبي صلى الله عليه وسلم، مقابلة مع غيره من الأنبياء.

3. التفسير الموضوعي :

تعريفه : هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنى أو غاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة والنظر فيها لبيان معناها واستخراج عناصرها وربطها برباط جامع⁶، وله تسميات أخرى منها "الاتجاه التوحيدي في التفسير" و "التفسير التجميعي"، وكلها مصطلحات تشير إلى طريقة واحدة في تفسير القرآن الكريم تركز أساسا على "الوحدة الموضوعية"، وتجعلها غاية في التفسير والبيان، غير أن مصطلح "التفسير الموضوعي" أكثر دقة ودلالة على المقصود، وأقرب إلى الاعتماد من غيره⁷. وقد تطور البحث في هذا النوع من

1 - سورة الفتح الآية 10.

2 - ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 6.

3 - سورة النساء الآية 65.

4 - سورة مريم الآية 1-2.

5 - ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 6.

6 - عبد الستار فتح الله سعيد. المدخل إلى التفسير الموضوعي. بور سعيد: دار التوزيع والنشر الإسلامية. الطبعة الثانية. سنة 1991م. ص 20.

7 - أحمد رحمانى. التفسير الموضوعي: نظرية وتطبيقا. منشورات جامعة باتنة الجزائر. الطبعة الأولى. سنة 1996م. ص 31.

التفسير في العصر الحديث، فشد اهتمام العلماء من جميع الوجوه، وأخذ مسارا جديدا في مقاصده وأهدافه وطريقة عرضه وبخثه، من خلال نوعية الموضوعات التي يثيرها ويستخرجها من القرآن الكريم، وفي الغاية التي يستهدفها، ليصبح فنا من فنون التفسير القرآني، قائما بذاته، متميز المنهج، معلوم الحدود والضوابط¹.

وقد ظهر في تفسير ابن عطاء الله هذا اللون من التفسير الموضوعي بمعناه العام، وبين رحمه الله دواعي التكرار لموضوع معين في عدد من الآيات، لأهداف مختلفة فتارة يكون التكرار لرفع القدر وتفخيم الأمر مثل موضوع الإسلام، وتارة يكون لنفي الشك والاستبعاد الحاصل في النفوس مثل موضوع الاستدلال على المعاد أو التأكيد على ضمان الرزق وغير ذلك.

وفيما يلي أمثلة لذلك :

. موضوع الإسلام :

جمع ابن عطاء الله أثناء حديثه عن قواعد التدبير ومنازعة المقادير الآيات التي اشتركت في موضوع " الإسلام " وبين وجه هذا التكرار ، ثم بين أن الإسلام ظاهر وباطنه الاستسلام ، وختم ذلك التفصيل بحال سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي أثنى عليه الله عز وجل لوفائه فقال : « قواعد التدبير ومنازعة المقادير :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾².

1 - سليمان عبد القادر . منهجية التفسير الموضوعي في فهم النص القرآني . بحث منشور في مجلة الواحات للبحوث

والدراسات المركز الجامعة غرداية . العدد التاسع جوان 2010 م . المطبعة العربية غرداية الجزائر . ص 285.

2 - سورة البقرة الآية 130 - 131 .

وقال: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾¹، وقال تعالى: ﴿ مَلَّةٌ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾²، وقال تعالى: ﴿ فَلَهُ أَسْلِمُوا ﴾³.
وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾⁴.
وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾⁵.

وقال: ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾⁶.
وقال: ﴿ تَوْفَنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾⁷. وقال: ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾⁸.
إلى غير ذلك، فاعلم أن هذا التكرار لذكر الإسلام تنويه لقدره وتفضيحه لأمره،
والإسلام له ظاهر، والاستسلام باطن ذلك الظاهر.

فالمسلم من أسلم نفسه إلى الله، فكان ظاهراً بامتثال أمره، وباطناً بالاستسلام إلى
قهره، وتحقيق مقام الاستسلام بعد المنازعة في أحكامه والتقويض له في نقضه وإبرامه. فمن
ادعى الإسلام طولب بالاستسلام. ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾⁹. ألا ترى أن
إبراهيم عليه السلام، لما قال له ربه أسلم، قال: ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾¹⁰، فلما زج به
في المنجنيق استغاثت الملائكة قائلة: يا ربنا هذا خليلك قد نزل به ما أنت أعلم، فقال الحق
سبحانه وتعالى: (اذهب إليه يا جبريل، فإن استغاث بك فأغثه، وإلا فاتركني وخليلي).

1 - سورة آل عمران الآية 19 .

2 - سورة الحج الآية 78 .

3 - سورة الحج الآية 34 .

4 - سورة آل عمران الآية 20 .

5 - سورة آل عمران الآية 85 .

6 - سورة لقمان الآية 22 .

7 - سورة يوسف الآية 101 .

8 - سورة الأنعام الآية 163 .

9 - سورة البقرة الآية 111 .

10 - سورة البقرة الآية 131 .

فلما جاءه جبرائيل عليه السلام في أفق الهواء قال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وأما إلى الله، فبلى. قال: فاسأله، قال: (حسبي من سؤالي علمه بحالي) ¹. فلم يستنصر بغير الله، ولا حنجت همته لغير الله، بل استسلم لحكم الله مكتفياً بتدبير الله له عن تدبيره لنفسه، وبرعاية الحق له عن رعايته لها، وبعلم الحق سبحانه عن سؤاله، علماً منه أن الحق به لطيف في جميع أحواله، فأثنى الله تعالى عليه بقوله: ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ² «³. فقد جمع ابن عطاء الله الآيات التي دلت على موضوع الإسلام واتفقت على تحقيق المعنى اللغوي وهو الاستسلام، وبين تحقق إبراهيم عليه السلام بهذا المقام. موضوع الاستدلال على المعاد:

أورد ابن عطاء الله في الفائدة الأولى من الآية الخامسة في شأن الرزق وهي قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ، فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ ⁴، موضوع الاستدلال على المعاد، إذ فيه آيات عديدة بسبب الاضطراب والارتباب الواقع في النفوس ولذلك تكررت الحجة لتمكن الشبهة فذكر بعضاً منها على وجه التمثيل فقال: «الفائدة الأولى: اعلم انه تعالى لما علم كثرة اضطراب النفوس في شأن الرزق كرر ذكره لما تكررت ورود عوارضه على القلوب، كما تكررت الحجة إذا علمت أن الشبهة متمكنة في نفس خصمك كما كرر تعالى الاستدلال على المعاد في آيات عديدة لما اضطربت فيه الملحدون واستبعدوا أن يعود الإنسان بعد أن تمزقت أوصاله وضمحل بناءه، وصار تراباً أو أكلته السباع والهوام فاحتج عليهم في كتابه العزيز حججاً كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ⁵. وقوله في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ ¹. وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ ². إلى غير ذلك «³.

1 - هذا الأثر ذكره القرطبي في تفسيره مروياً عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم. القرطبي

، الجامع لأحكام القرآن ، ج 11 ص 303.

2 - سورة النجم الآية 37 .

3- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 37 38 .

4 - سورة الذاريات الآية 22-23 .

5 - سورة يس الآية 78-79 .

. موضوع الرزق :

أورد ابن عطاء الله في الفائدة الأولى من الآية الخامسة في شأن الرزق وجه تكرر موضوع الرزق في آيات عديدة من باب تكرر الحجة لتكرر عوارضها على القلوب وذلك بعد تمثيله بموضوع الاستدلال على المعاد، فقال : « وكذلك لما علم الحق شدة اضطراب النفوس في أمر الرزق أكد الحجة في ذلك في آيات عديدة ، فلما علم الحق تعالى ذلك من نفوس العباد، قال تارة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴾⁴.

وقال أخرى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ﴾⁵.

وقال أخرى: ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾⁶.

وقال أخرى: ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾⁷.

وقال هاهنا: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾. ليبين محل الرزق، فتسكن إليه

القلوب، وليس الضمان مع إبهام الحمل، كالضمان مع تبينه، فكأنه تعالى يقول: لم يكن يجب علينا أن نبين لكم محل رزقكم، لكم عندنا رزق نوصله لكم إذا جاء أبلانه، وليس علينا بيان، ولكن بلطفه ورحمته وفضله ومنته، بين محل الرزق ليكون ذلك ابلغ في ثقة النفوس به، وأقوى في دفع الشك⁸.

1 - سورة الروم الآية 27 .

2 - سورة فصلت الآية 39 .

3- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 77.

4 - سورة الذاريات الآية 58 .

5 - سورة الروم الآية 40 .

6 - سورة طه الآية 132 .

7 - سورة الملك الآية 21 .

8- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 77.

. موضوع العلم :

أورد ابن عطاء الله في مصنفه "التنوير في إسقاط التدبير" فائدة ذكر فيها قوله صلى الله عليه وسلم : (طَالِبُ الْعِلْمِ تَكْفَّلَ اللَّهُ بِرِزْقِهِ)، فبين أن المراد العلم النافع حيثما تكرر في الكتاب أو السنة فهو الذي تقارنه الخشية، ثم عدد مجموعاً من الآيات تدل على ذلك فقال : « فائدة: قوله عليه الصلاة والسلام: (طَالِبُ الْعِلْمِ تَكْفَّلَ اللَّهُ بِرِزْقِهِ)¹. اعلم أن العلم حيثما تكرر في الكتاب العزيز، أو في السنة، إنما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية، وتكفله المخافة قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾². فبين أن الخشية تلازم العلم، وفهم من هذا: أن العلماء إنما هم أهل الخشية، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾³. ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾⁴. ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁵. وقوله عليه الصلاة والسلام: (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم)⁶. وقوله عليه الصلاة والسلام: (العلماء ورثة الأنبياء)⁷. وقوله هاهنا : (طَالِبُ الْعِلْمِ تَكْفَّلَ اللَّهُ بِرِزْقِهِ).

إنما المراد بالعلم في هذا الموطن، العلم النافع القاهر القامع للهوى وذلك متعين بالضرورة، لأن كلام الله تعالى وكلام رسول الله عليه الصلاة والسلام أجلُّ من أن يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك في غير هذا الكتاب. والعلم النافع: هو الذي يستعان به على طاعة الله تعالى، ويلزمك المخافة من الله تعالى، والوقوف على حدود الله، وهو علم المعرفة بالله. ويشمل العلم النافع والعلم بالله والعلم بما به أمر الله إذا كان تعلمه بالله. فقوله عليه الصلاة والسلام: (طَالِبُ الْعِلْمِ تَكْفَّلَ اللَّهُ بِرِزْقِهِ).

1 - الحديث أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة باب من اسمه زياد عن زياد بن الحارث الصدائي ، قال

: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من طلب العلم تكفل الله برزقه » رقم 2676 ج 8 ص 344 .

2 - سورة فاطر الآية 28 .

3 - سورة المجادلة الآية 11 .

4 - سورة آل عمران الآية 07 .

5 - سورة طه الآية 114 .

6 - الحديث أخرجه أبو عيسى الترمذي في سننه باب باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة رقم 2606 ج 9

ص 296 وقال وَلَا نَعْرِفُ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَاصِمِ بْنِ رَجَاءٍ بْنِ خَيْوَةَ .

7 - الحديث أخرجه البخاري في صحيحه باب العلم قبل القول والعمل رقم 2606 ج 1 ص 119 .

اللهُ بِرِزْقِهِ). أي تكفل له أن يوصله له مع الهناء والعزة والسلامة من الحجة وإنما أولنا هذا للتأويل، وإن معنى التكفل، تكفل خاص، وذلك لأن الحق سبحانه وتعالى تكفل برزق العباد اجمع طلبوا هذا العلم أو لم يطلبوه. فدل على هذه الكفالة كفالة خاصة كما ذكرناه، لأنه أفردا بالذكر»¹.

فابن عطاء الله قرر أن العلم حيثما تكرر في كتاب الله فإنما يراد به العلم النافع الذي يؤدي بصاحبه إلى الخوف والخشية، وملازمة التواضع والذلة، والتخلُّق بأخلاق الإيمان، إلى ما يتبع ذلك من بغض الدنيا والزهادة فيها، وإيثار الآخرة عليها، ولزوم الأدب بين يدي الله تعالى، إلى غير ذلك من الصفات العلية، ويؤكد ابن عطاء الله جلالة كلام الله أن يحمل على غير هذا. ويؤيد هذا ما ذكره الثعالبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ فقال: (والمراد بهذا العلم العلم النافع الذي يُورِثُ الخشية)²، وقال أيضا في موضع آخر من تفسير: (العلم النافع ما زهَّدَكَ في دنياك، ورَغَّبَكَ في أخراك، وزادَ في خوفك وتَّقواك، وبعثَكَ على طاعةٍ مولاك، وصَقَّأَكَ مِنْ كَدَرِ هَوَاك)³.

. موضوع العبودية :

فصل ابن عطاء الله في مقام العبودية من خلال انعطاف جمع فيه آيات تضمنت العبودية، ثم أحاديث تبين اختيار النبي صلى الله عليه وسلم مقام العبد وصفات العبد ليرتب عليها لزوم ترك الاختيار وترك التدبير ليتم مقام العبودية فقال: «اعلم أن أجل مقام أقيم العبد فيه: مقام قول الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾»⁴.

1- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 97 .

2- عبد الرحمان الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، ج 1 ص 179 .

3- المرجع نفسه ، ج 3 ص 253 .

4 - سورة الإسراء الآية 01 .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾¹.

وقوله تعالى: ﴿كَهَيْعَص ، ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرْيَا﴾².

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾³.

ولما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا، اختار العبودية لله تعالى، ففي ذلك أدل دليل أنها من أفضل المقامات، وأعظم القربات. وقال صلى الله عليه وسلم: (إنما أنا عبد لا أكل متكئا، إنما أنا عبد الله، أكل كما يأكل العبيد)⁴. وقال صلى الله عليه وسلم: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ)⁵. سمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول: (ولا فخر، أي لا أفتخر بالسيادة، إنما الفخر لي بالعبودية لله تعالى ولأجلها كان الإيجاد)⁶. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁷، والعبادة ظاهر العبودية، والعبودية روحها.

وإذ قد فهمت هذا فروح العبودية وسرها إنما هو ترك الاختيار وعدم منازعة الأقدار، فتبين من هذا أن العبودية ترك التدبير والاختيار مع الربوبية. فإذا كان لا يتم مقام العبودية الذي هو أشرف المقامات إلا بترك التدبير، فحقيق على العبد أن يكون له تاركا، وللتسليم لله تعالى سالكا، ليصل إلى المقام الأكمل، والمنهج الأفضل⁸. أكد ابن عطاء الله أن مقام مقام العبودية أفضل المقامات إذ خاطب الله به نبيه في كتابه في عدة آيات دلت على نفس الموضوع.

¹ - سورة الأنفال الآية 41 .

² - سورة مريم الآية 01-02 .

³ - سورة الجن الآية 19 .

⁴ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد عن عطاء بن أبي رباح قال : « دخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة ، وبين يديه طبق عليه رغيف قال : فوضع الرغيف على الأرض ونحى الوسادة ، فقال : (إنما أنا عبد ، أكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد) رقم الحديث 19 الصفحة 20 .

⁵ - الحديث أخرجه أبو عيسى الترمذي في سننه، باب وَمِنْ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، رقم 3073 ج1 ص422. وقال قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ..

⁶ - ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص 55 .

⁷ - سورة الذاريات الآية 56 .

⁸ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص25 .

. موضوع "ضعف الشيطان أمام من صرف المهمة إلى الله":

أورد ابن عطاء الله مجموع من الآيات التي تبين أن الحكم والقوة والنصرة لله جميعا ، وأن الشيطان ضعيف، والعارفون إنما يستعينون منه بالله تنفيذا لأمر الله، فلا سلطان له عليهم فقال انطلاقا من جواب بعض العارفين: « قيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك للشيطان؟ قال وما الشيطان؟ نحن قوم انصرفنا إلى الله تعالى، فكفانا من دونه.

وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول: (لما قال الحق تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾¹، فقوم فهموا من هذا الخطاب: أن الله طالبهم بعبادة الشيطان فصرفوا همهم إلى عداوته، فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب. وقوم فهموا من ذلك: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أي وأنا لكم حبيب، فاشتغلوا بمحبة الله فكفاهم من دونه، ثم ذكر الحكاية المتقدمة)². فإن استعاذوا من الشيطان، فلأجل أن الله تعالى أمرهم بذلك، لا لأنهم يشهدون أن لغير الله من الحكم شيئا معه، وكيف يشهدون لغيره حكما معه، وهم يسمعونه يقول: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾³.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾⁴.

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾⁵.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾⁶.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾⁷.

وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾⁸.

¹ - سورة فاطر الآية 06 .

² - الحكاية المتقدمة : هي جواب بعض العارفين لما سئل عن الشيطان .

³ - سورة يوسف الآية 40 .

⁴ - سورة النساء الآية 76 .

⁵ - سورة الحجر الآية 42 .

⁶ - سورة النحل الآية 99 .

⁷ - سورة الطلاق الآية 03 .

⁸ - سورة البقرة الآية 257 .

وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾¹.

فهذه الآيات ونظائرها قوت قلوب المؤمنين ونصرتهم النصر المبين فان استعاضوا من الشيطان فبأمره، وإن استولوا بنور الإيمان عليه فبوجود نصره، وإن سلموا من كيده لهم فبتأييده وبره². فهذه مجموع آيات دلل بها ابن عطاء الله على أن الشيطان ضعيف كلما صرفت المهمة إلى الله تعالى، فهو الملجأ سبحانه والمأوى.

4. التفسير الإشاري:

عرف التفسير الصوفي بالتفسير الإشاري، ويعني عند أهله أن يرى المفسر معنى آخر غير المعنى الظاهر، ربما تحمله الآية الكريمة ولكنه لا يظهر للعامة من الناس، وإنما يظهر لخاصتهم ومن فتح الله قلبه وأنار بصيرته وسلكه ضمن عباده الصالحين، الذين منحهم الله الفهم والإدراك، وهذا النوع من العلم ليس من العلم الكسبي الذي ينال بالبحث والمذاكرة وإنما هو من العلم الوهبي الذي هو أثر التقى والاستقامة والصلاح³، كما قال تعالى تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁴. ولقد غلب على تفسير ابن ابن عطاء الله هذه الصبغة، فيؤكد ابن عطاء الله أن فهم معاني الوحي يتفاوت على حسب دائرة الأنوار المحيطة وقوتها وفي وقت دون وقت لأنها تعتمد على منح ربانية من وراء الغيب تتكشف حسب ما يُنعم به رب الغيوب، والفهم على حسب المقام، فرب فهم ينقدح لك من النص فتعبر عنه حسب الزمن والمقام الذي أنت فيه، ثم يتغير مقامك فتفهم من نفس النص فهما آخر، ويشبه ذلك ابن عطاء الله بالثمر من الشجر فإنه يسقى بماء واحد، ولكن طعمه متفاوت، وما يقال عن القرآن يقال عن الحديث لأنهما وحي يوحى وفيما يلي بيان لذلك :

¹ - سورة الروم الآية 47 .

² - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص35 .

³ . محمود عبد الرزاق . المعجم الصوفي أول دراسة علمية في الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي . دار ماجد عسيري

جدة . الطبعة الأولى . سنة 1425 هـ . 2004 م ، ج1 ص116 .

⁴ . سورة البقرة الآية 282 .

- التفسير على حسب ما فتح لصاحب الأنوار :

شرح ابن عطاء الله قوله صلى الله عليه وسلم: (..فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَب ...)¹
أفعدد من وجوه الإجمال الطلب عشرة، ثم أدرك عجزه عن الإحاطة بهذه الوجوه، فأقر أن الأمر أوسع ولا يحيط به أحد ولو ظل العلماء بالله أبد الآبدين يعبرون ما قدروا على ذلك وإليك نصه إذ يقول: « فهذه عشرة أوجه في الإجمال في الطلب، وليس القصد بها الحصر، إذ الأمر أوسع من ذلك، ولكن بحسب ما ناول الغيب، وأنعم به المولى سبحانه وتعالى، وهو كلام صاحب الأنوار المحيطة. فما يأخذ الآخذ منه إلا على حسب نوره، ولا يأخذ من جواهر بحره إلا على قدر قوة غوصه، وكل يفهم على حسب المقام الذي أقيم فيه: ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ﴾². وما لم يأخذوه أكثر مما اخذوا، واسمع قوله عليه الصلاة والسلام: (وأوتيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصاراً). فلو عبر العلماء بالله أبد الآباد، عن أسرار الكلمة الواحدة من كلامه، لم يحيطوا بها علماً، ولم يقدروا فهمها، حتى قال بعضهم: عملت بهذا الحديث سبعين عاماً وما فرغت منه، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه). وصدق رضي الله عنه، فلو مكث عمر الدنيا أجمع وأبد الآباد لم يفرغ من حقوق هذا الحديث، وما أودع فيه من غرائب العلوم وأسرار الفهوم³ ».

فالمقصود من هذا المثال بيان التفسير الإشاري بصورته المحملة عند ابن عطاء الله وسوف نتعرض بالتفصيل والتمثيل لموقف ابن عطاء الله من التفسير الإشاري في المطلب الثاني من المبحث الثاني من هذا الفصل.

¹ - الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه باب الاقتصاد في المعيشة رقم 2135 ج 6 ص 362.

² - سورة الرعد الآية 4 .

³ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 90 .

المطلب الثاني :

التأويل وموقف ابن عطاء الله منه .

1. التأويل في القرآن والسنة .
2. التأويل في اصطلاح المتأخرين .
3. أنواع التأويلات الباطلة .
4. موقف ابن عطاء الله من التأويل .

1. التأويل في القرآن والسنة:

التأويل في اللغة بمعنى الرجوع والمآل والعود والمصير والعاقبة¹، وقد استعمل التأويل في الكتاب والسنة وبين الصحابة والتابعين على معنيين :

المعنى الأول : هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، أو حقيقة ما ينطبق عليه اللفظ²، وهذا المعنى هو الذي جاء في القرآن، فلقد تكررت كلمة التأويل في القرآن في أكثر من عشرة مواضع، كان معناها في جميع استعمالاتها الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، أو الأثر الواقعي لمدلول اللفظ المستعمل، سواء كان ذلك في الماضي أو في المستقبل³، كقوله تعالى حكاية عن المشركين وتكذيبهم لأخبار القيامة : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾⁴.

فالله تعالى يخبرنا أنهم يوم يتحققون من وقوع ما أخبرهم به في القرآن من جراء تكذيبهم الرسل ، يعلمون يقينا أن ما جاءت به الرسل، كان هو الحق الذي لا ريب فيه⁵ فيقولون : ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾⁶، ﴿ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾⁷.

¹ . ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت 711هـ) . لسان العرب . دار إحياء التراث العربي لبنان .

الطبعة الثالثة . سنة 1999م . ج 13 ص 33 .

ابن فارس أحمد . معجم مقاييس اللغة . تحقيق عبد السلام محمد هارون . مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة . سنة

1970م . ج 1 ص 159 .

الأزهري أبو منصور محمد بن محمد . تهذيب اللغة . تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين . القاهرة سنة 1967م .

(د.ط) . ج 15 ص 437.

² . ابن تيمية . الرسالة التدمرية . القاهرة المطبعة السلفية . سنة 1977م . ص 57 .

ابن تيمية . الفتوى الحموية القاهرة المطبعة السلفية . سنة 1978م . ص 19 .

³ . محمود عبد الرزاق . المعجم الصوفي . ج 1 ص 106 .

⁴ . سورة الأعراف الآية 53 .

⁵ . ابن جرير الطبري أبو جعفر محمد . جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري . تحقيق محمود محمد

شاكر ، ومراجعة أحمد محمد شاكر . طبعة دار المعارف القاهرة . (د.ت) . ج 12 ص 478 .

⁶ . سورة السجدة الآية 12 .

⁷ . سورة الأعراف الآية 53 .

ووقع هذه الأخبار يوم القيامة، هو تأويل ما أخبر به القرآن من الوعد والوعيد والجنة والنار وما يؤول إليه أمر هؤلاء، وقال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾¹ ردا على من أنكر الحقائق التي جاء بها القرآن، حيث كذبوا به مع جهلهم بتلك الحقائق، ولما يأتهم تأويله أي مصيرهم وعاقبة أمرهم² ، ولكون تأويله لم يأتهم بعد، قالوا : إن محمدا افتراه وأنشأه وسارعوا في عدائه³ .

وتأويل أخبار القرآن، منه ما مضى كإخباره عن الأمم الماضية وما حدث لهم من أمور، ومنه ما سيأتي كإنبائه عن أحوال القيامة وما فيها من بعث ونشور وحساب وجنة ونار، والتأويل بهذا المعنى قد استعمل في نوعي الأسلوب فصل فيها "محمود عبد الرزاق" بما يلي اعتبارا أن الكلام نوعان⁴ :

1- إنشائي : وهذا يشتمل على أمور الشريعة التكليفية، من الأوامر والنواهي، وتأويل الأمر في هذا النوع تنفيذه ومن هنا قال السلف : إن السنة هي تأويل الأمر، وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ)⁵ ، تعنى أنه كان ينفذ في سجوده الأمر في قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾⁶ .

2- خبري : وهذا يشتمل على إخبار الله عن أمور الغيب، كالقيامة وأحوالها وأهوالها، ومن هذا الباب الكلام في ذات الله وصفاته، وتأويل هذا النوع هو عين المخبر به إذا وقع، وليس تأويله فهم معناه، وهذا النوع لا يعلم حقيقته كيف ولا قدرا إلا الله سبحانه وتعالى، لأن الله يقول : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾⁷ ، فإن الله أخبر أن في الجنة خمرا ولبنا وعسلا، ونحن نعلم أن حقيقة هذه الأشياء ليست

1 . سورة يونس الآية 39.

2 . محمود عبد الرزاق . المعجم الصوفي . ج1 ص 106.

3 . ابن جرير الطبري . تفسير الطبري . ج 15 ص 93.

4 . محمود عبد الرزاق . المعجم الصوفي . ج1 ص 108.

5 . الحديث أخرجه البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله (ت 256هـ) . الجامع الصحيح . دار ابن كثير

اليمامة بيروت . الطبعة الثالثة . سنة 1407هـ في كتاب الأذان (784) 281/1.

6 . سورة النصر الآية 3.

7 . سورة السجدة الآية 17.

مماثلة لحقيقة ما نراه منها في الدنيا، بل بينهما تباين عظيم مع وجود نوع من التشابه في الأسماء، من قبيل المواطأة أو المشاركة في الأسماء، ولكن هناك خاصية لتلك الحقائق في ذاتها، لا سبيل لنا إلى إدراكها في الدنيا لعدم وجود نظيرها عندنا ومعرفة هذه الحقائق على ما هي عليه، هي تأويل ما أخبر الله به في القرآن، وهذا هو التأويل الذي اختص الله بعلمه، ولا سبيل لأهل العلم إليه لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾¹ . فيجب الوقوف على لفظ الجلالة بهذا الاعتبار، ولكن يجب التنبيه إلى أن جهلنا بحقائق هذه الأشياء في ذاتها لا ينفي علمنا بالمعنى الذي خوطبنا به في ذلك، لوجود الفرق الكبير بين علم المعنى وبين علم التأويل، والكيفية التي دلت عليها النصوص² .

وقد استعمل عبد الله بن مسعود التأويل بالمعنى الأول في الخبر من الكلام وهو وقوع المخبر به ووجوده، سواء كان ذلك في الماضي كالقصص التي أخبرنا عنها القرآن، أو في المستقبل كأخبار القيامة والجنة والنار، فقد روى أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾³ ، فقال : (ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم ، فإذا ردت عليكم، فعليكم أنفسكم، ثم قال: إن القرآن نزل حيث نزل، منه آيات قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن، ومنه آيات وقع تأويلهن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ومنه آيات وقع تأويلهن بعد النبي بيسير، ومنه آيات يقع تأويلهن يوم القيامة، وهو ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة، ولم تلبسوا شيعا، ولم يذق بعضكم بأس بعض، فأمروا وانهوا، فإذا اختلفت القلوب والأهواء، وألبستم شيعا، وذاق بعضكم بأس بعض، فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويلها)⁴ .

1 . سورة آل عمران الآية 7 .

2 . محمد السيد الجليلند - قضية التأويل عند الإمام ابن تيمية . رسالة ماجستير . دار العلوم جامعة القاهرة رقم 113 - سنة 1970 م . ص 151 وما بعدها .

3 . منصور محمد منصور الحفناوى . تحقيق ودراسة البرهان في متشابه القرآن للكرمانى . رسالة ماجستير بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة . رقم 200 لسنة 1975 م . ج 1 ص 72 .

3 . سورة المائدة الآية 105 .

4 . ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم أحمد بن عبد الحليم . تفسير سورة الإخلاص . تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد . الدار السلفية الهند . الطبعة الأولى . (د، ت) . ص 107 .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : " قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ¹ ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سَمَّى الله فاحذروهم) ² .

المعنى الثاني : ورد التأويل في الكتاب والسنة على معنى التفسير والبيان، والمفسرون يقصدون به كشف المعنى وتوضيح مراد المتكلم، وهذا التأويل كالتفسير يقبل صحيحه ويرد باطله ³ ، وحين قرأ عبد الله بن عباس الآية السابقة، قال : (أنا ممن يعلمون تأويله) ⁴ . ومقصده بهذا القول هو العلم وتفسير القرآن وبيانه، وكذلك دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له : (اللَّهُمَّ فَفِّهْ فِي الدِّينِ وَعَلِّمُهُ التَّأْوِيلَ) ⁵ ، وكل ما ورد عن ابن عباس من أنه يعلم تأويل القرآن، فيجب حمله على معنى التفسير والبيان، ولا يجوز القول بأنه يعلم حقائق الغيب، أو تأويل الأخبار الواردة عنها في القرآن لأن ذلك من الغيوب التي استأثر الله بعلمها ⁶ .

والطبري في تفسيره قد استعمل التأويل أيضا في معنى التفسير والبيان، إذ يقول : (تأويل الآية عندنا كذا)، ثم يشرع في تفسيرها، (وقال أهل التأويل فيها كذا)، ثم يحكى أقوال المفسرين من السلف فيها، (والأشبه بتأويل الآية كذا)، ومراده بكل ذلك تفسير الآية

1 . سورة آل عمران الآية 7 .

2 . أخرجه البخاري في الجامع الصحيح . كتاب التفسير : باب منه آيات محكمات (رقم 4273)، ج 4 ص 1655 .

3 . إبراهيم عبد الرحمن خليفة . المحكم والمتشابه في القرآن الكريم . رسالة دكتوراه مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة . سنة 1973 م . ص 117 .

4 . ابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت 774 هـ) . تفسير القرآن العظيم . طبعة دار الفكر بيروت . سنة 1401 هـ ج 1 ص 328 .

5 . رواه الإمام أحمد في مسنده بلفظه . ج 1 ص 266 ، والحديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المناقب بلفظ : (اللهم علمه الحكمة) رقم (3546) ج 3 ص 1371 .

6 . محمود عبد الرزاق . المعجم الصوفي . ج 1 ص 111 .

وتوضيح معناها، ونظرا لكثرة استعمال التأويل في هذا المعنى عند السلف ولشيوعه بينهم اختلط بمعنى التفسير، فصار كل منهما يستعمل حيث يستعمل الآخر، (وبالتدرج أصبح التأويل مصطلحا خاصا يطلق على التفسير المجازي والعقلاني للتعبيرات الحرفية بلغة التشبيه)¹.

2. التأويل في اصطلاح المتأخرين :

اشتهر التأويل في عرف المتأخرين من الفقهاء ورجال الأصول، بمعنى صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى تحتمله، إذا كان هذا المعنى الذي تصرف إليه الآية موافقا للكتاب والسنة، وقد اشتهر هذا التأويل في كتب الأصول والفقه وكأنه هو المقصود عند إطلاق كلمة التأويل، وأصبح من الشهرة بحيث تجاهلوا بجانبه المعنى اللغوي العام الوارد في القرآن والسنة، وقد استخدم المفسرون من المتكلمين وكثير من الصوفية والباطنية التأويل بهذا المعنى في تفسير مذاهبهم².

وربما يعرف هذا التأويل في الاصطلاحات المتأخرة بالمجاز اللغوي المقابل للحقيقة، وهذا النوع يقبل بشروط معينة، أو أحكام موضوعية لمعرفة الدلالة المجازية للألفاظ، ولا بد من الالتزام بها حتى يقبل، وقد جمعها "محمود عبد الرزاق" في كتابه "المعجم الصوفي" نلخصها كما يلي³:

- 1- بيان أن اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي، ويراد منه، لأن لغة القرآن يجب أن تفسر في ضوء العرف اللغوي العام الذي كان سائدا في عصر نزوله .
- 2- وجود دليل قاطع في وجوب صرف اللفظ وتأويله من الحقيقة إلى المجاز، لأن المتأخرين اشترطوا في تأويل اللفظ وحمله على المعنى المجازي، وجود الدليل الصارف له عن الحقيقة، وقطعيته في الدلالة .
- 3- سلامة الدليل عن المعارض، فإذا قام دليل قرآني أو فطري يبين أن الحقيقة مراده، امتنع تركها، فإذا كان الدليل نصا في الدلالة، لم يلتفت إلى نقيضه وإن كان ظاهرا، فلا بد

1 . هجب وج كالمرز . الموسوعة الإسلامية الميسرة . ترجمة راشد البراوي . القاهرة مكتبة الأنجلو . سنة 1985م . ج 1 ص 175 .

2 . محمد السيد الجليلند . قضية التأويل عند الإمام ابن تيمية . ص 153 وما بعدها .

3 . محمود عبد الرزاق . المعجم الصوفي . ج 1 ص 112 .

من المرجح، وعدم علمنا بوجود الدليل المعارض لا يدل على عدم وجوده، بل قد يكون هناك دليل يمنع الصرف إلى المجاز ولكن لا نعلمه .

4- إذا تكلم الرسول بكلام وأراد به خلاف ظاهره، فلا بد أن يقرن بخطابه دليلاً آخر يبين أن الحقيقة غير مرادة، ولا سيما في الخطاب عن الأمور الغيبية، التي يطلب من العبد فيها الإيمان بها، والاعتقاد بما جاءت به فقط، وهذا ما يسميه علماء البيان بالقرينة المانعة من إيراد المعنى الأصلي للفظ، وإذا لم ينصب الرسول صلى الله عليه وسلم دليلاً على ذلك، فيكون خطابه للأمة من باب التلبيس والتدليس وليس من باب الهدى والبيان والرسول ينزهون عن ذلك، وإذا أقام دليلاً على إرادة المجاز لا الحقيقة فلا بد أن يكون دليلاً بينا وواضحاً ظاهراً بنفسه، ولا يجوز أن يحيلهم في ذلك إلى دليل خفي لا يفهمه إلا بعض الناس وخاصتهم، لا سيما إذا كان ذلك فيما يتعلق بالأمور الإلهية التي هي أساس الاعتقاد، حتى لا يكون خطابه في ذلك أشبه بالأحاجي والألغاز¹.

فإذا اختل واحد من هذه الشروط سقط الإفهام والبيان من الخطاب، لأن الخطاب فائدته تتوقف على أمرين :

الأول : حسن بيان المتكلم عما في نفسه من المعاني بالألفاظ الدالة على ذلك.

الثاني : تمكن السامع من الفهم وحسن تقبله للخطاب، فإذا افتقد أحد هذين الأمرين لم يحصل المطلوب ولا يكون للخطاب فائدة ما وصار الخطاب نوعاً من العبث².

تلك هي الضوابط في هذا النوع من التأويل المقتضي لصرف اللفظ القرآني عن حقيقته الظاهرة إلى دلالة المجازية.

3. أنواع التأويلات الباطلة :

لما تعددت الفرق وظهر أهل البدع صار كل فريق ينتصر لمذهبه، وكانوا جميعاً يهرعون إلى القرآن الكريم، محاولين إسناد مذاهبهم بما يستنبطون من نصوصه، يحتجون بها على مخالفهم، مستعينين بالتأويل لتوجيه النصوص إلى ما يؤيد آراءهم واعتقاداتهم. كما قال

¹ . عبد السلام محمد وفا . المجاز في القرآن بين مثبتيه ونافيه . رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة . سنة 1986م . ص 60.

² . محمد السيد الجليلند . قضية التأويل عند الإمام ابن تيمية ، ص 181 .

الخياط المعتزلي (ت بعد 300هـ) في رده على ابن الراوندي الملحد (ت 298هـ) : (فهذه تأويلات المعتزلة لما تلا من الآيات . يقصد الآيات التي استشهد بها ابن الراوندي . وكلها واضح قريب غير خارج من اللغة ولا مستكره المعنى) ¹، وقال القاضي عبد الجبار (ت 415هـ): (وهكذا طريقتنا في سائر المتشابه أنه لا بد من أن يكون له تأويل صحيح يخرج على مذهب العرب، من غير تكلف وتعسف) ²، وفي هذا حرص منهم على إظهار مساعدة اللغة لمذاهبهم فقد أفرد ابن جني (ت 392هـ) في كتابه "الخصائص" بابا يخدم هذه المذاهب وسماه : (باب ما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية) ³، وأدخل فيه نفي الظاهر والحقيقة من صفات الله تعالى وصرفها إلى المجاز وجعل تلك التأويلات من سعة اللغة العربية ⁴.

وفي المقابل وُجد اتجاه آخر في تأويل نصوص القرآن، هدفه الدفاع عن العقيدة الإسلامية في وجه الأديان والفلسفات التي دخلت المجتمع فأنتجت ظهور المجسمة والمشبهة، فانبرى علماء الإسلام يكشفون سوء فهم الفرق للنصوص القرآنية ويبينون المعنى الصحيح الذي يجب أن توجه إليه، فكان التأويل بنوعيه النقلي والعقلي سندا معينا في الرد على الطاعنين وتفنيد دعواهم ⁵.

ومن ثم أصبحت مخالفة شروط التأويل الصحيح، تسمى تأويلات باطلة لأن مستندها نصر الأهواء والاعتقادات الباطلة، لا تحتملها اللغة ولا تخدمها مقاصد الخطاب

1 . الخياط عبد الرحيم بن محمد . الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد . تحقيق: محمد حجازي . القاهرة دار الثقافة . ص 183.

2 . القاضي عبد الجبار . إعجاز القرآن من كتابه المغني في باب العدل والتوحيد . ج 16 ص 380.

3 . ابن جني . الخصائص . تحقيق محمد علي النجار . الهيئة العامة المصرية للكتاب . الطبعة الثالثة سنة 1406هـ . ج 3 ص 248.

4 . الطيار مساعد بن سليمان ناصر . التفسير اللغوي للقرآن . دار ابن الجوزي الرياض . الطبعة الأولى . سنة 1422هـ . ص 518.

5 . حسين حامد الصالح . التأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية . بيروت دار ابن حزم . الطبعة الأولى . سنة 2005م . ص 59.

القرآني، وقد حصر أنواع التأويلات الباطلة "محمود عبد الرزاق" في كتابه "المعجم الصوفي" نلخصها فيما يأتي¹ :

- 1 - كل تأويل لا يحتمله اللفظ في أصل وضعه، ولم تجر به عادة العرب في الخطاب، مثل تأويلهم لفظ الأحد في قول الله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾² بأنه المجرد من الصفات، أو هو الذي لا جزء له ولا قسم له فإن هذا غير معروف في لغة العرب .
- 2 - كل تأويل لا يحتمله اللفظ بحسب التركيب الخاص من تشنية وجمع، وإن جاز أن يحتمله اللفظ في تركيب آخر، كتأويلهم قوله تعالى : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي﴾³ بأن اليتين هما القدرة أو النعمة، فإن لفظ اليد مفردا وعند إطلاقه قد يحتمل أحد هذين المعنيين، أما وهو في صيغة التشنية، وفي هذا التركيب بالذات، فإنه لم يرد في لغة العرب بهذا المعنى .
- 3 - كل تأويل لا يحتمله السياق المعين، وإن جاز في غيره، كتأويلهم قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾⁴، بأن إتيان الرب هنا معناه إتيان بعض آياته، أو إتيان أمره، فهذا التأويل لا يحتمله السياق بحال من الأحوال .
- 4 - كل تأويل لا يؤلف استعماله في ذلك المعنى المراد في لغة المخاطب، وإن كان مألوفا كاصطلاح خاص، كتأويل لفظ الأفول بالحركة في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾⁵ ، فإن هذا غير معهود في لغة العرب، بل المعهود الأفول بمعنى الغياب، فلا يجوز حمل آية من القرآن عليه لأنه نوع من التلبيس .

¹ . محمود عبد الرزاق . المعجم الصوفي . ج1 ص 114 .

2 . سورة الإخلاص الآية 1 .

3 . سورة ص الآية 75 .

4 . سورة الأنعام الآية 158 .

5 . سورة الأنعام الآية 76 .

5 - التأويل الذي لا دليل عليه من سياق أو قرينة، لأن هذا لا يقصده المتكلم الذي يريد في خطابه هداية الناس والبيان لهم¹.

4. تأويل المتشابه :

القرآن منه محكم ومتشابه والمتشابه هو ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلاً، المقطعات في أوائل السور²، وآيات الصفات. وقد حرر "ابن عاشور" في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾³، قضية الاختلاف في تأويل المتشابه، فذكر أن الخلاف ناشئ منذ عهد السلف، اعتباراً بالواو في الآية ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ هل هي للعطف أم للاستئناف على قولين :

. الأول أنها للعطف وفيه تشريف عظيم، وإلى هذا التفسير مال ابن عباس ومجاهد، والربيع بن سليمان، والقاسم بن محمد، والشافعية، وابن فورك، والشيخ أحمد القرطبي، وابن عطية، وعليه فليس في القرآن آية استأثر الله بعلمها. ودليل ذلك أن الله أثبت للراسخين في العلم فضيلة، ووصفهم بالرسوخ، فأذن بأن لهم منزلة في فهم المتشابه، لأن المحكم يستوي في علمه جميع من يفهم الكلام، ففي أي شيء رسوخهم، وحكى إمام الحرمين عن ابن عباس أنه قال في هاته الآية : (أنا ممن يعلم تأويله)⁴.

. الثاني أن الوقف على قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾، و جملة ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ مستأنفة، وهذا مروي عن جمهور السلف، وهو قول ابن عمر، وعائشة، وابن مسعود، وأبي بن كعب،

¹ ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم. مقدمة في أصول التفسير. تحقيق: محمود محمد محمود نصار. نشر دار التربية بغداد

. (د.ت). ص43 وما بعدها.

² الجرجاني السيد الشريف علي بن محمد بن علي الحسيني (ت816هـ). التعريفات. مكتبة لبنان بيروت. سنة

1978م. ص43.

³ سورة آل عمران الآية 7.

⁴ الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. ج3 ص38.

ورواه أشهب عن مالك في جامع العتبية، وقاله عروة بن الزبير، والكسائي، والأخفش والفرّاء، والحنفية، وإليه مال فخر الدين الرازي¹.

ثم ناقش ابن عاشور دليل كل فريق مستعينا بما نقل عن ابن عطية والتفتازاني والفخر الرازي وانتهى إلى النتيجة التالية : (وما ذكرناه وذكره ابن عطية لا يعدو أن يكون ترجيحاً لأحد التفسيرين، وليس إبطالاً لمقابله إذ قد يوصف بالرسوخ من يفرق بين ما يستقيم تأويله، وما لا مطمع في تأويله. وفي قوله : ﴿وما يذكر إلا أولوا الأبواب﴾، إشعار بأنّ الراسخين يعلمون تأويل المتشابه²). وقد اختار ابن عاشور في آيات الصفات وجوب التأويل وصرح أنه أصل عند الأشعري فقال: (لأن الله تعالى موجود في نفس الأمر لكنه لا يتصف بما هو من صفات الحوادث كالتنقل والتمدد لما علمت ، فلا بد من تأويل هذا عندنا على أصل الأشعري في تأويل المتشابه³).

ويحرر صاحب "تفسير التحرير والتنوير" هذه النتيجة فيقول: (ولا يخفى أنّ أهل القول الأول لا يثبتون متشابهاً غير ما خفي المراد منه، وأنّ خفاء المراد متفاوت⁴، وأنّ أهل القول الثاني يثبتون متشابهاً استأثر الله بعلمه، وهو أيضاً متفاوت؛ لأنّ منه ما يقبل تأويلات قريبة، وهو ممّا ينبغي ألاّ يعدّ من المتشابه في اصطلاحهم، لكنّ صنيعهم في الإمساك عن تأويل آيات كثيرة سهل تأويلها مثل: ﴿فإنّك بأعيننا﴾⁵، دلّ على أنّهم يسدّون باب التأويل في المتشابه، قال الشيخ ابن عطية: (إنّ تأويل ما يمكن تأويله لا يعلم تأويله على الاستيفاء إلاّ الله تعالى فمن قال من العلماء الحذاق: بأنّ الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه، فإنّما أراد هذا النوع، وخافوا أن يظنّ أحد أنّ الله وصف الراسخين بعلم التأويل على الكمال⁶). وعليه تبين لنا أن من قال بتأويل المتشابه، لا يقطع بأنّ تأويله هو مراد الله تعالى، ولا أن الراسخين يعلمون التأويل على الكمال، كما أن الذين يسدون باب التأويل في المتشابه

¹ . المرجع نفسه .

² . المرجع نفسه .

³ . المرجع نفسه . ج2 ص 229.

⁴ . المرجع نفسه . ج3 ص 39 .

⁵ . سورة الطور الآية 48.

⁶ . الطاهر بن عاشور . التحرير والتنوير . ج3 ص 39 .

يخافون أن يظن أحد أن الراسخين يعلمون التأويل لكلام الله على الكمال، إضافة إلى عدهم من المتشابهة أنواعا ليست منه.

ومن ثم يحسن بنا ذكر أنواع التأويل لتبين ما هو منها على التحقيق، وما هو خارج عنها، معتمدين على ما ذكره الطاهر بن عاشور كما يلي:

. منه ما هو واضح بَيِّن، فصرف اللفظ المتشابه عن ظاهره إلى ذلك التأويل يُعادل حمل اللفظ على أحد معنیه المشهورين لأجل كثرة استعمال اللفظ في المعنى غير الظاهر منه. فهذا القسم من التأويل حقيق بالأ يسمّى تأويلاً¹.

. ومنه ما ظاهر معنى اللفظ فيه أشهر من معنى تأويله، ولكِنّ القرائن أو الأدلة أوجبت صرف اللفظ عن ظاهر معناه، فهذا حقيق بأن يعدّ من المتشابهة. ثم إنّ تأويل اللفظ في مثله قد يتيسّر بمعنى مستقيم يغلب على الظن أنّه المراد إذا جرى حمل اللفظ على ما هو من مستعملاته في الكلام البليغ مثل الأيدي والأعين في قوله: ﴿بَنِينَاهَا بِأَيْدٍ﴾²، وقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعِينِنَا﴾³، فَمَنْ أخذوا من مثله أنّ الله أعيناً لا يُعرف كنهها، أو له يداً ليست كأيدينا، فقد زادوا في قوة الاشتباه⁴.

. ومنه ما يعتبر تأويله احتمالاً وتجويزاً بأن يكون الصرف عن الظاهر متعيناً، وأمّا حمله على ما أولوه به فعلى وجه الاحتمال والمثال، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾⁵، وقوله: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾⁶، فمثل ذلك مقطوع بوجوب تأويله ولا يدعي أحد، أن ما أولّه به هو المراد منه ولكنّه وجه تابع لإمكان التأويل، وهذا النوع أشدّ مواقع التشابه والتأويل⁷. وقد استبان لك من هذه

¹ . الطاهر بن عاشور . التحرير والتنوير . ج 3 ص 40 .

² . سورة الذاريات الآية 47 .

³ . سورة الطور الآية 48 .

⁴ . الطاهر بن عاشور . التحرير والتنوير . ج 3 ص 40 .

⁵ . سورة طه الآية 5 .

⁶ . سورة البقرة الآية 210 .

⁷ . الطاهر بن عاشور . التحرير والتنوير . ج 3 ص 40 .

التأويلات: أن نظم الآية جاء على أبلغ ما يعبر به في مقام يسع طائفتين من علماء الإسلام في مختلف العصور¹.

5. موقف ابن عطاء الله من التأويل :

استعمل ابن عطاء الله التأويل لعدة وجوه منها : التأويل ليتوافق مع جلالة الخطاب القرآني، ومنها اختياره لأحد التأويلات في الآية مناسبة لمقام الكلام، ومنها وجوب التأويل في المتشابه، وفيما يلي أمثلة لذلك من تفسيره:

- اللجوء إلى التأويل ليتوافق مع جلالة الخطاب القرآني:

يؤكد ابن عطاء الله على ضرورة اللجوء إلى التأويل أحيانا لما يفهم من ظاهر الآيات، ولا يتوافق مع جلالة الخطاب القرآني وشريف مقاصده، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾²، فإن ظاهر الآية يفيد أن خروج آدم وحواء من الجنة شقاء أي شقاء القطيعة مع رب العالمين، في حين أنه خاطب آدم بالإفراد، ليدل على أنه الشقاء الذي يلحق الرجال دون النساء، والمتمثل في التعب والكد للمسؤولية الملقاة على الرجال. وبيان ذلك ما نصه عند ابن عطاء الله: «قوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾، والمراد بقوله تعالى: ﴿فَتَشْقَى﴾ تعب الظواهر لا الشقاوة التي هي ضد السعادة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَشْقَى﴾ ولم يقل فتشقى، لأن المتاعب والكلف، إنما هي على الرجال دون النساء، كما قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾³. ولو كان المراد شقاء بالقطيعة، أو وجود الحجة لقال: (فتشقى) فدل الإفراد على أنه ليس الشقاء هنا بقطيعته ولا إبعاده، مع أنه لو ورد كذلك لحملناه على الظن الجميل وأرجعناه إلى المتاعب الظاهرة على التأويل»⁴.

حمل ابن عطاء الله معنى الشقاء على تعب الظواهر والكد والسعي للعيش، وهذا

التأويل ذكره الطبري واستدل له بأثر مروي عن سعيد بن جبير فقال: (﴿مِنَ الْجَنَّةِ

¹ . المرجع نفسه.

² - سورة طه الآية 117.

³ - سورة النساء الآية 34 .

⁴ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 23 .

فَتَشَقَّى ﴿١﴾ يقول: (فيكون عيشك من كدّ يدك، فذلك شقاؤه الذي حذرّه ربه. كما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد، قال: أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يحرث عليه، ويمسح العرق من جبينه، فهو الذي قال الله تعالى ذكره ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشَقَّى﴾ فكان ذلك شقاؤه)¹، وذكر القرطبي أن إفراد (فتشقى) يعلمنا أن نفقة الزوجة على الزوج، فمن يومئذ جرت نفقة النساء على الأزواج)²، وكذلك علل ابن حيان هذا الإسناد فقال: (وأسند الشقاء إليه وحده بعد اشتراكه مع زوجه في الإخراج من حيث كان هو المخاطب أولاً والمقصود بالكلام، ولأن في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله، وفي سعادته سعادتها فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها. وقيل: أراد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك راجع إلى الرجل)³، وأورد السيوطي أثراً في هذا التعليل مروياً عن سفيان ابن عيينة فقال: (وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة قال: لم يقل فتشقيان؛ لأنها دخلت معه فوقع المعنى عليهما جميعاً وعلى أولادهما)⁴.

فتحصل لدينا أن لمعنى "الشقاء" تأويلات، بسبب الإفراد فيه والتثنية في الإخراج، ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا﴾ فقيل: عدم الإفراد اختصار للكلام، وقيل: إعلام بوجوب النفقة على الرجل، وقيل: لاعتبار إلحاق الذرية. وكل هذه النقول تؤيد ما ذهب إليه ابن عطاء الله، ويظهر حرصه على تأويل الآية حتى ولو لم ترد قرينة الإفراد فيقول: «مع أنه لو ورد كذلك (أي دون إفراد) لحملناه على الظن الجميل وأرجعناه إلى المتاعب الظاهرة على التأويل»⁵، ويؤيد ذلك بمعاني آيات أخرى تدل على ذلك، كما أثبت في غير هذا الموضع قولاً لأبي الحسن الشاذلي يقول فيه: (والله ما أنزل الله آدم إلى الأرض لينقصه، ما أنزله إلا ليكمله)⁶.

- توظيفه لأحد التأويلات في الآية مناسبة للمقام الحديث :

- ¹ - ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، ج 18 ص 385.
- ² - القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 11 ص 253.
- ³ - ابن حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج 8 ص 126.
- ⁴ - جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج 7 ص 39.
- ⁵ - ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 23.
- ⁶ - ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، ص 87.

يوظف ابن عطاء الله أحد التأويلات في الآية وفق المسألة التي تناسب ذلك، فمثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَرُصُوصٌ﴾¹، أوردها بعد بسطه لمسألة ملازمة الفقير إلى الله المتسبب لصلاة الجماعة، فقال: «وقوله رضي الله عنه: وملازمته الخمس في جماعة، وذلك أن الفقير المتسبب لما فاته التخلي والتجرد لعبادة الله تعالى، فيدخل مدخل الخصوص بدوام الخدمة، وملازمة الموافقة، فينبغي أن لا تفوته ملازمة الخمس في جماعة، لتكون ملازمته لها سبباً لتجديد الأنوار، وموجبا لوجود الاستبصار، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (تَفْضُلُ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ عَلَى صَلَاةِ الْفَذِّ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)². وفي الحديث الآخر: (بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا)³. ولو شرع للعباد أن يصلي كل إنسان في حانوته وداره، لتعطلت المساجد التي قال فيها الحق سبحانه وتعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾⁴. ولأن في ملازمة الصلاة جماعة اجتماع القلوب، وتناصرها، والتئامها ورؤية المؤمنين واجتماعهم وقال صلى الله عليه وسلم: (يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ)⁵. ولأن الجماعة إذا اجتمعت انبسطت بركات قلوبهم على من حضرهم، وامتدت أنوارهم لمن شهدهم، وكان اجتماعهم وتضامهم كالجيش إذا اجتمع وتضام كان ذلك سبباً في وجود نصرته، وهو أحد التأويلين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَرُصُوصٌ﴾⁶.

¹ - سورة الصف الآية 04.

² - الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: (صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةِ الْفَذِّ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)،

رقم 610 ، ج 3 ص 35 .

³ - الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: (صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً) ، رقم

609 ج 3 ص 34 .

⁴ - سورة النور الآية 36- 37 .

⁵ - الحديث أخرجه الترمذي أبو عيسى (ت279هـ) . سنن الترمذي . تحقيق أحمد محمد شاكر . بيروت دار إحياء

التراث العربي . (د، ط، ت)، بلفظ: (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَدُ اللَّهِ مَعَ

الْجَمَاعَةِ ، وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ) ، رقم 2092 ج 8

ص 70 .

⁶ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 54 .

أورد الألوسي في تفسيره للآية معنيين فقال: (والظاهر أن المراد تشبيههم في التحام بعضهم ببعض بالبنیان المرصوص من حيث أنهم لا فرجه بينهم ولا خلل، وقيل: المراد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنیان المرصوص، والأكثر على الأول، وفيه استحباب قيام المجاهدين في القتال صفوفًا كصفوف الصلاة وأنه يستحب سدّ الفرج والخلل في الصفوف، وإتمام الصف الأول فالأول، وتسوية الصفوف عدم تقدم بعض على بعض فيها)¹، فاختار ابن عطاء الله المعنى الثاني وهو انبساط بركات القلوب على بعضها وامتداد أنوارها كالجيش ينتصر بالتضام والالتحام وهذا الوصف هو ذاته في الصلاة، ولذا استخرج ابن عطاء الله الفوائد المشتملة على حضور صلاة الجماعة واستدل بأحاديث وبأحد التأويلات في الآية .

- اختياره أحد معاني التأويل مع التعليل :

بين ابن عطاء الله معنى العلم حيثما ورد في القرآن وأن المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة ودليله قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾² . وفي ذلك يقول: « فبين الحق تعالى أن الخشية تلازم العلم، وفهم من هذا: أن العلماء إنما هم أهل الخشية، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾³ ، ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾⁴ ، ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾⁵ . وقوله عليه الصلاة والسلام: (وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ)⁶ . وقوله عليه الصلاة والسلام: (الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ)⁷ «⁸ .

¹ - محمود الألوسي ، روح المعاني ، ج20 ص 480.

² - سورة فاطر الآية 28 .

³ - سورة المجادلة الآية 11 .

⁴ - سورة آل عمران الآية 07 .

⁵ - سورة طه الآية 114 .

⁶ - الحديث رواه الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (181-255هـ) . في سنن الدارمي . تحقيق: فوز أحمد

زمري وخالد السبع العلمي . دار الكتاب العربي بيروت . الطبعة الأولى 1408هـ ، بلفظ (وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ

لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ)، رقم 351 ، ج 1 ص 383 .

⁷ - الحديث أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (202-275هـ) . في سنن أبي داود . تحقيق:

محمد محي الدين عبد الحميد . دار الفكر . (د.ط.ت) ، رقم 3157 ، ج 10 ص 49 .

⁸ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 98 .

استنادا إلى هذا يفسر ابن عطاء الله قوله صلى الله عليه وسلم: (طَالِبُ الْعِلْمِ تَكْفَلُ اللَّهُ بِرِزْقِهِ)¹، فيقول: « إنما المراد بالعلم في هذا الموطن، العلم النافع القاهر للهوى القامع وذلك متعين بالضرورة »².

ويعلل ابن عطاء الله اختياره لهذا التأويل فيقول: « لأن كلام الله تعالى، وكلام رسول الله عليه الصلاة والسلام أجل من أن يحمل على غير هذا. والعلم النافع: هو الذي يستعان به على طاعة الله تعالى ويلزمك المخافة من الله تعالى والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله. ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما به أمر الله إذا كان تعلمه بالله »³. وكذا يختار ابن عطاء الله في معنى التكفل في قوله عليه الصلاة والسلام: (طالب العلم تكفل الله برزقه). معنى خاصا ويعلله فيقول: « أي تكفل له أن يوصله له مع الهناء والعزة والسلامة من الحجة وإنما أولنا هذا للتأويل، وأن معنى التكفل، تكفل خاص، وذلك لأن الحق سبحانه وتعالى تكفل برزق العباد أجمع طلبوا هذا العلم أو لم يطلبوه، فدل على هذه الكفالة كفالة خاصة كما ذكرناه، لأنه أفردنا بالذكر. ولهذا المعنى قال الشيخ أبو العباس في حزيه لما قال: (وأعطنا كذا وكذا، قال: والرزق الهني، الذي لا حجاب به في الدنيا، ولا سؤال ولا حساب ولا عقاب عليه في الآخرة، على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة والطبع) »⁴.

وجوب التأويل للمتشابه :

لقد سبق معنا أن ابن عطاء الله أشعري في عقيدته، وحدثنا الطاهر ابن عاشور أن من أصول الأشعري تأويل المتشابه، فافتضى ذلك أن ابن عطاء الله يقول بتأويل المتشابه ولا يحمله على ظاهره، مع اعتبار أنه لا اختلاف في هذه المسألة على الحقيقة؛ لأن من قال بأن الراسخ يعلم تأويله لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾⁵ أراد أنه يعلمه ظاهراً لا حقيقة، ومن قال إنه لا يعلمه أراد أنه لا يعلمه حقيقة؛

¹ - سبق تخريجه ص 153 .

² - ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 98 .

³ - ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 98 .

⁴ - ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 98 .

⁵ - سورة آل عمران الآية 7.

وَأَمَّا ذَلِكَ إِلَى الْقَدِيمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَقِيلَ كُلُّ مُتَشَابِهٍ يُمَكِّنُ رُدُّهُ إِلَى مُحْكَمٍ فَإِنَّ الرَّاسِخَ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾¹، فَهَذَا مُتَشَابِهٌ يُمَكِّنُ رُدُّهُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾²، الَّذِي هُوَ مُحْكَمٌ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ فَيَكُونُ مَعْنَاهُ التَّزْكُّ وَالْإِعْرَاضُ، وَكُلُّ مُتَشَابِهٍ لَا يُمَكِّنُ رُدُّهُ إِلَى مُحْكَمٍ فَالرَّاسِخُ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾³، فَالرَّاسِخُ فِي الْعِلْمِ هُوَ الثَّابِتُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا يَتَهَيَّأُ اسْتِزْلَالُهُ وَتَشْكِيكُهُ، وَقِيلَ هُوَ الَّذِي حَقَّقَ الْعِلْمَ لِيَسِطِرَ الْقُرُوعَ بِالْإِجْتِهَادِ حَتَّى رَسَخَ فِي قَلْبِهِ³.

ثم إن الآيات المتشابهات إنما نزلت ابتلاء من الله لعباده، ثم شدد سبحانه في نصيحة عباده ونهاهم أن يتبعوا المتشابه بالحكم أي لا يحكموا عليه بشيء، فإن تأويله لا يعلمه إلا الله، وأما الراسخون في العلم إن علموه فبإعلام الله بفكرهم واجتهادهم فإن الأمر أعظم أن تستقل العقول بإدراكه من غير إخبار إلهي بالتسليم أولى⁴.

ومن أمثلة المتشابه ما تعلق بصفات الخالق تبارك وتعالى، ونمثل هنا بصفة (التردد) فقد وردت صفة التردد نسبة لله تعالى في قوله صلى الله عليه وسلم: (وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)⁵، فقال ابن عطاء الله بوجوب تأويلها تخریجا لها على أصل الأشعري فقال: (واعلم رحمك الله تعالى أن التردد يجب تأويله ولا يحمل على ظاهره، وإنما التردد في المخلوقين، إما لتقابل الحوادث، وإما لانتهاه العواقب، وذلك محال في حق الله سبحانه و تعالى، وإنما المراد بالتردد هنا أن سابق علم الله يقتضي وفاة العبد بالوقت الذي سبق العلم بتعيينه)⁶.

¹ - سورة التوبة الآية 67.

² - سورة طه الآية 52.

³ - النسفي أبو بركات عبد الله بن أحمد (ت 710هـ). كشف الأسرار شرح المصنف على المنار. المطبعة الكبرى الأميرية بولاق مصر. الطبعة الأولى. سنة 1316هـ.

⁴ - محي الدين بن عربي، الفتوحات المكية، ج1 ص 206.

⁵ - الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، رقم الحديث 6021، ج20 ص 158.

⁶ - ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، ص 27.

- وقد وافق شراح الحديث وجوب التأويل لهذه الصفة بدافع التنزيه لله تعالى ودفع الشبه الوارد فقال الخطابي: (التَرَدُّدُ فِي حَقِّ اللَّهِ غَيْرُ جَائِزٍ)، ومن ثم اتسعت دائرة التأويل في هذا اللفظ حصرها صاحب "فتح الباري" فيما يلي¹:
- أَنَّ الْعَبْدَ قَدْ يُشْرِفُ عَلَى الْهَلَاكِ فِي أَيَّامِ عُمْرِهِ مِنْ دَاءٍ يُصِيبُهُ وَفَاقَةَ تَنْزِلٍ بِهِ فَيَدْعُو اللَّهَ فَيَشْفِيهِ مِنْهَا وَيَدْفَعُ عَنْهُ مَكْرُوهَهَا، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ كَتَرَدُّدٍ مَنْ يُرِيدُ أَمْرًا ثُمَّ يَبْدُو لَهُ فِيهِ فَيْتَرُكُهُ وَيَعْرِضُ عَنْهُ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ لِقَائِهِ إِذَا بَلَغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ الْقَنَاءَ عَلَى خَلْقِهِ وَاسْتَأْثَرَ بِالْبَقَاءِ لِنَفْسِهِ.
 - أَنَّ يَكُونُ مَعْنَاهُ مَا رَدَدْتَ رُسُلِي فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدِيدِي إِيَّاهُمْ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ وَحَقِيقَةُ الْمَعْنَى عَلَى الْوُجْهَيْنِ عَطَفَ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ وَلُطْفُهُ بِهِ وَشَفَقَتُهُ عَلَيْهِ.
 - أَنَّ يَكُونُ تَرْكِيبُ الْوَلِيِّ يَحْتَمِلُ أَنْ يَعِيشَ خَمْسِينَ سَنَةً وَعُمْرُهُ الَّذِي كُتِبَ لَهُ سَبْعُونَ فَإِذَا بَلَغَهَا فَمَرَضَ دَعَا اللَّهَ بِالْعَافِيَةِ فَيُحْيِيهِ عِشْرِينَ أُخْرَى مَثَلًا ، فَعَبَّرَ عَنْ قَدْرِ التَّرْكِيبِ وَعَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ بِحَسَبِ الْأَجَلِ الْمَكْتُوبِ بِالتَّرَدُّدِ.
 - وذكر ابن الجوزي أَنَّ يَكُونُ مَعْنَى التَّرَدُّدِ اللَّطْفُ بِهِ كَأَنَّ الْمَلَكَ يُؤَخِّرُ الْقَبْضَ، فَإِنَّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَى قَدْرِ الْمُؤْمِنِ وَعَظَمِ الْمَنْفَعَةِ بِهِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا احْتَرَمَهُ فَلَمْ يَبْسُطْ يَدَهُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا ذَكَرَ أَمْرَ رَبِّهِ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ امْتِثَالِهِ .
 - وأضاف ابن الجوزي جوابًا آخر وهو أَنَّ يَكُونُ هَذَا خِطَابًا لَنَا بِمَا نَعْقِلُ وَالرَّبُّ مُنَزَّهٌ عَنْ حَقِيقَتِهِ ، بَلْ هُوَ مِنْ جِنْسِ قَوْلِهِ " وَمَنْ أَتَانِي يَمْنِي أَتَيْتَهُ هَرَوَلَةً " فَكَمَا أَنَّ أَحَدَنَا يُرِيدُ أَنْ يَضْرِبَ وَلَدَهُ تَأْدِيبًا فَتَمْنَعُهُ الْمَحَبَّةُ وَتَبْعُهُ الشَّفَقَةُ فَيَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمَا وَلَوْ كَانَ غَيْرَ الْوَالِدِ كَالْمُعَلِّمِ لَمْ يَتَرَدَّدْ بَلْ كَانَ يُبَادِرُ إِلَى ضَرْبِهِ لِتَأْدِيبِهِ فَأُرِيدَ تَفْهِيمُنَا تَحْقِيقَ الْمَحَبَّةِ لِلْوَلِيِّ بِذِكْرِ التَّرَدُّدِ .
 - وَجَوَزَ الْكِرْمَانِيُّ إِحْتِمَالًا آخَرَ وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ: أَنَّهُ يَقْبِضُ رُوحَ الْمُؤْمِنِ بِالتَّأْنِي وَالتَّدرِجِ، بِخِلَافِ سَائِرِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا تَحْصُلُ بِمُحَرَّدٍ قَوْلٍ كُنْ سَرِيعًا دَفْعَةً .
- وذكر محي الدين بن عربي معنى آخر للتردد فقال: (فالاختيار للذات من كونها إلهًا فإن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وهو التردد الإلهي في الخبر الصحيح)¹ . ومهما يكن فإن وجوب

¹ - ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج 18 ص 342.

الفصل الثاني : التفسير والتأويل عند ابن عطاء الله وبيان أسلوبه في التأليف

تأويل هذه الصفة وما شابهها من المتشابه، في تفسير ابن عطاء الله واقع ومؤيد بكثرة الاحتمالات الواردة عند غيره من المفسرين .

¹ - محي الدين بن عربي ، الفتوحات المكية ، ج4 ص 497.

المبحث الثاني :

منهج ابن عطاء الله في التفسير

وموقفه من التفسير الإشاري

المطلب الأول : منهج ابن عطاء الله في التفسير.

المطلب الثاني : التفسير الإشاري وموقف ابن عطاء الله منه .

المطلب الأول :

منهج ابن عطاء الله في التفسير .

1. شرح الفكرة بطريقة لطيفة مع الاستشهاد بالآيات .
2. تسمية معاني الآية فوائد .
3. طرح الاعتراض المتوهم في ظاهر الآية ثم الإجابة عليه .
4. الكشف عن خصائص الآية .
5. تفسير الآية بمعاني متعددة .
6. تركيزه على آيات محورية لترسيخ مبدأ "إسقاط التدبير" .
7. منهجه العام في التفسير من خلال الآية 54 من سورة الأنعام

تمهيد:

في هذا المطلب نتتبع طريقة ابن عطاء الله في تفسير الآيات والتعامل معها، فنجده يشرح المعني بطريقة لطيفة مستشهدا بالآيات، ويسمي معاني الآية فوائد، وأحيانا يطرح الاعتراض المتوهم في ظاهر الآية ثم يجيب عليه، كما يكشف عن خصائص الآية، ويوظف معاني الآيات في موضوع إسقاط التدبير خاصة، وتفسير الآية بمعاني متعددة، كما يركز على آيات محورية لتأسيس وترسيخ مبدأ "إسقاط التدبير"، كل هذه العناصر أتعرض لها بالشرح والتمثيل، ثم أختتم ذلك بالمنهج العام لتفسيره من خلال الآية 54 من سورة الأنعام، باعتبارها الآية الوحيدة التي تصدى لتفسيرها وقصده وأفرده برسالة خاصة.

1. شرح الفكرة بطريقة لطيفة مع الاستشهاد بالآيات :

يشرح ابن عطاء الله السبب العاشر من الأسباب التي توجب صبر العبد وثبوته لأحكام سيده، وقوته عند ورودها، مستشهدا بالآية التي تدل على تبرم النفس مما تكره، مع أن حكمة الله تعالى أن أودع المكاره وجود اللطاف وبيان ذلك بما نصه : « العاشر: وهو "إنما صبرهم على أقداره، علمهم بما أودع فيها من لطفه وإبراره"، وذلك أن المكاره أودع الحق تعالى فيها وجود الألفاف، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾¹، وقوله عليه الصلاة والسلام: (حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ)²، وفي البلايا والأسقام والفاقات من أسرار الألفاف ما لا يفهمه إلا أولوا البصائر. ألم تر أن البلايا تخمد النفس وتذلها، وتدهشها عن طلب حظوظها ويقع من البلايا وجود الذلة، ومع الذلة تكون النصرة: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾³. وبسط القول في ذلك، يخرجنا عن قصد الكتاب»⁴.

لقد انساق ابن عطاء الله بسلسلة في تبسيط معنى تضمن البلايا للألفاف الإلهية، حتى خشي خروجه بهذا الاستطراد عن غرض الكتاب، مركزا على الأثر العميق الذي تحدثه البلايا في النفس، مثل قهر صولة النفس وإخمادها ووجود ذلتها وقطعها عن حظوظها، كل ذلك من أجل تحقيق ذلتها لله المشروط في حصول النصر لها بنص الآية: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾.

2. تسمية معاني الآية فوائد :

يوظف ابن عطاء الله آيات القرآن حسب ما اقتضاه الموضوع الذي يؤلف فيه وقد تستوقفه بعض الآيات التي يغزر عندها فهمه بما يفتح الله عليه، فيرتبها على شكل فوائد متتابعة، استفادها من الآية (الأولى ، الثانية ، الثالثة ،) ، وفيما يلي أمثلة لذلك:

¹ . سورة البقرة الآية 216 .

² . أخرجه الترمذي في سننه عن أنس رقم 2482: باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات،

وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ . ج 9 ص 119 .

³ . سورة آل عمران الآية 123 .

⁴ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص10 .

- المثال الأول: قوله تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾¹، قال فيها: «ألا ترى أن الحق سبحانه وتعالى أخبر عن موسى عليه السلام بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، فانظر رحمك الله: كيف سأل من ربه ذلك لعلمه أنه لا يملك شيئاً غيره، وكذلك ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك، يسأل الله تعالى ما قل وجل»²، ثم يعدد الفوائد التي استفادها من الآية وقد أوصلها إلى سبعة نثبتها فيما يلي باختصار، بقوله: «وفي هذه الآية فوائد:

الفائدة الأولى: وهو أن يكون المؤمن طالبا من ربه ما قل وجل، وقد ذكرناه آنفا.
الفائدة الثانية: أنه صلى الله عليه وسلم نادى متعلقا باسم الربوبية لأنه المناسب في هذا المكان، لأن الرب من ربك بإحسانه، وغذاك بامتنان، فكان في ذلك استعطاف لسيده إذ ناداه باسم الربوبية، التي ما قطع عنه موائدها، ولا حبس فوائدها.
الفائدة الثالثة: قوله: ﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، ولم يقل: (إني إلى الخير فقير)، وفي ذلك من الفائدة: أنه لو قال: (إني إلى خيرك أو الخير فقير)، لم يتضمن أنه قد أنزل رزقه، ولم يهمل أمره.

الفائدة الرابعة: تدل الآية على أن الطلب من الله تعالى، لا يناقض مقام العبودية وبعد ذلك طلب من الله، فدل على أن مقام العبودية لا يناقض الطلب.

الفائدة الخامسة: انظر إلى طلب موسى عليه السلام من ربه، وجود الرزق، ولم يواجهه بالطلب، بل اعترف بين يدي الله بوصف الفقر والفاقة، وشهد له سبحانه وتعالى بالغنى، لأنه إذا عرف نفسه بالفقر والفاقة عرف ربه بالغنى والملاءة، وهذا من بسط المناجاة وهي كثيرة.

الفائدة السادسة: وكان من حقها أن تكون أولى: إن موسى عليه السلام فعل المعروف مع ابنتي شعيب عليه السلام، ولم يقصد منهما أجرا، ولا طلب منهما جزاء، بل لما سقي لهما

¹ . سورة القصص الآية 24.

² - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 62.

أقبل على ربه فطلب منه، ولم يطلب منهما، وإنما طلب من مولاه الذي مهما طلب منه أعطاه، والصوفي من يوفى من نفسه، ولا يستوفى لها.

الفائدة السابعة: انظر إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾¹. ففي ذلك دليل على أنه يجوز للمؤمن أن يؤثر الظلال على الضواحي، وبارد الماء على سخنه، وأسهل الطريقين على أشقهما وأوعرها ولا يخرجها ذلك عن مقام الزهد².

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ

تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾³، استدل بهذه الآية بعد ليين أن خواطر الاضطراب والتدبير عابرة لدى المؤمن ولا لنور الإيمان الذي يحصل معه التذكر تثبت، وفي ذلك يقول: «والمؤمن وإن وردت عليه خواطر الاضطراب والتدبير فهي عابرة لا ثبوت لها، ومضمحلة لا وجود لها، لأن نور الإيمان قد استقر في قلوب المؤمنين، وأخذت أنواره نفوسهم، وملاً إشراقه قلوبهم، وشرح ضياؤه صدورهم، فأبى الإيمان المستقر في قلوبهم، أن يسكن معه غيره، وإنما هي سنة وردت على القلوب أمكن فيها ورود طيف التدبير، ثم تتيقظ القلوب فيزول الطيف الذي لا يكون إلا مناماً»⁴. ثم يعدد الفوائد التي استفادها من الآية وقد أوصلها إلى عشرة نشبتها فيما يلي باختصار، إذ يقول: «وفي هذه الآية فوائد:

الفائدة الأولى: قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ

الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾، دل ذلك على أن أصل أمرهم على وجود السلامة منه، وإن عرض ذلك الطيف، ففي بعض الأحيان تعريفا بما أودع فيهم من ودائع الإيمان.

الفائدة الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ﴾⁵، ولم يقل: إذا أمسكهم، أو

أخذهم؟ لأن المس ملامسة من غير تمكن، فأفادت هذه العبارة، أن طيف الهوى لا يتمكن من قلوبهم، بل يماسها مماسة.

الفائدة الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾⁶،

فالإشارة هنا بالطيف إلى أن الشيطان لا يمكنه أن يأتي إلى القلوب الدائمة اليقظة.

¹ . سورة القصص الآية 24 .

² - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 63 إلى ص 65.

³ . سورة الأعراف الآية 201.

⁴ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 30 .

الفائدة الرابعة : قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ﴾ ولم يقل إذا مسهم وارد من الشيطان، أو نحوه، لأن الطيف لا ثبت له ولا وجود له، إنما هو صورة مثالية، ليس لها حقيقة وجودية.

الفائدة الخامسة : قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ حذف متعلقة ولم يقل تذكروا الجنة، أو النار أو العقوبة، أو غير ذلك.

الفائدة السادسة : أنه قال سبحانه: ﴿مُبْصِرُونَ﴾ ولم يقل: تذكروا فأبصروا، أو تذكروا ثم أبصروا، أو تذكروا وأبصروا.

الفائدة السابعة: في هذه الآية ونظائرها توسعة على المتقين، ولطف بالمؤمنين، لأنه لو قال: إن الذين اتقوا لا يمسه طائف من الشيطان، لخرج من ذلك كل أحد إلا أهل العصمة، فأراد سبحانه وتعالى، أن يوسع دوائر رحمته.

الفائدة الثامنة : تبين مراتب المتذكرين من المتقين.

الفائدة التاسعة: يمكن أن يكون قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾ أن يكون المراد الطائف ها هنا طائف الهاجس أو الخاطر الوارد من وجود النفس بإلقاء الشيطان¹.

- المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ، فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾²، قال فيها « وهذه الآية هي التي غسلت الشكوك من قلوب المؤمنين، وأشرقت في قلوبهم أنوار اليقين، فأوردت على قلوبهم الزوائد، ما تضمنته من الفوائد، وذلك أنها تضمنت ذكر الرزق، ومحله، والقسم عليه، والتشبيه له بأمر لا خفاء به، ولنتبع ذكر هذه الفوائد فائدة فائدة.

ثم يعدد الفوائد التي استفادها من الآية وقد أوصلها إلى ثمانية نثبتها باختصار، غير أنه في الفائدة الأولى منها أطال في شرحها مستشهدا بالآيات.

وفي بيان ذلك يقول: « الفائدة الأولى: اعلم انه تعالى لما علم كثرة اضطراب النفوس في شأن الرزق كرر ذكره لما تكررت ورود عوارضه على القلوب.

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ص 31 - 33.

² . سورة الذاريات الآية 22 . 23 .

الفائدة الثانية: يحتمل أن يكون قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أن يكون المراد إثبات رزقكم أي إثباته في اللوح المحفوظ.

الفائدة الثالثة: يمكن أن يكون مراد الحق سبحانه وتعالى بهذه الآية، تعجيز العباد عن دعوى القدرة على الأسباب.

الفائدة الرابعة: في اقتران الرزق بالأمر الموعود، فائدة جلييلة.

الفائدة الخامسة: في ذلك حجة عظيمة على العباد، أن يكون الوفي لوعده الذي لا يخلف الميعاد يقسم للعباد على ما ضمن لهم، لعلمه بما النفوس منطوية عليه من الشك والاضطراب، ووجوب الارتياح.

الفائدة السادسة: وهو أنه تعالى أقسم بالربوبية الكاملة للسماء والأرض، ولم يقسم بغيرها من الأسماء، وذلك لأن الربوبية الكاملة للسماء والأرض لا ينبغي أن يشك في الثقة بها.

الفائدة السابعة: قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾. والحق هو ضد الباطل، والباطل هو المعلوم الذي لا ثبات له، والرزق والشك في الرزق، شك في الرزاق.

الفائدة الثامنة: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ﴾ تأكيد في إثبات الرزق، وتقرير لحقيقته، وأنه لا ينبغي أن يرتاب فيه مؤمن، ولا يشك فيه موقن، وأن ثبوته بمشهد بصائر القلوب كثبوت المنطق الظاهر بمشهد الأبصار فنقل المعنى إلى الصورة ومثل الغيب بالشهادة، وقطع شك العباد في أمر الرزق.

فانظر رحمك الله اعتناء الحق سبحانه وتعالى بأمر الرزق وتكراره له، ونبين مواطنه، وتنظيره بالأمر المحسوسة التي لا يرتاب فيها شاهدها، وأقسامه على ذلك بالربوبية المحيطة بالسماء والأرض، وكذلك تكرر في كلام صاحب الشرع صلوات الله عليه¹.

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 77 - 83.

فهذه الطريقة في التعامل مع الآيات من حيث استخراج الفوائد، وجدت عند المفسرين قبل ابن عطاء الله مثل ابن الجوزي¹ (ت 598 هـ)، والبيضاوي² (ت 691 هـ) في آيات قليلة، وعند فخر الدين الرازي³ (ت 606 هـ) في 65 موضعاً من تفسيره.

3. طرح الاعتراض المتوهم في ظاهر الآية ثم الإجابة عليه :

تكررت طريقة افتراض السؤال ثم الجواب عليه عند ابن عطاء الله، تارة لتوضيح المعنى أو بيان وجه اختصاص اللفظ القرآني في السياق، وتارة لاستنفاد لكل الاحتمالات والوجوه الممكنة، وتارة لدحض كل حجة قد يتوهمها المعترض، وهذا يدل على قوة التمكن في رد كل معترض والإحاطة بوجوه اللفظ ومحامله، مراعاة لما يوافق أو يخالف الأدلة. وفيما يلي نمثل لكل نوع مما ذكر :

- افتراض السؤال لبيان المناسبة في المعنى أو الزيادة في توضيحه :

وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾⁴ يفترض السؤال لبيان المناسبة فيقول: « فإن قيل : فما مناسبة السلام هنا »⁵، ثم يجيب عليه بأقوال غير منسوبة إلى أصحابها فيقول: « قيل: لأنهم لما رجعوا إلى الإنابة بعد أن كانوا معرضين، وإلى الاستقامة بعد أن كانوا حايدين، علم أنهم يطالعون ما سبق لهم من المخالفات، ويتذكرون ما فعلوه من السيئات، فيوجب ذلك الوحشة لهم، لأجل ما قدموا ولعظيم ما اجترموا، فأراد أن يرخي عليهم ذيل الستر والإحسان وييسط لهم بساط الأمن والامتنان، ففاتحهم بالسلام أنموذجاً على ما أعد لهم من الإكرام. قال بعض العارفين : إنما سلم عليهم لأنهم كانوا في

¹ - ابن الجوزي عبد الرحمن . زاد المسير . ج 6 ص 39.

² - البيضاوي ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد . تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل .

ج 1 ص 70 .

³ - فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي . تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب .

ج 1 ص 221 .

⁴ - سورة الأنعام الآية 54.

⁵ - ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، باعتناء عاصم الكيالي، بيروت دار الكتب العلمية ، منشورات

علي بيضون طبعة ضمن شرح حزب البر الطبعة الأولى سنة 2004م، ص 95.

غيبة سفرة الجفا»¹. ثم يتابع بإجابات من عنده فيقول: «ولأنهم ارتحلوا من نفوسهم إليه، ولأن السلام يدل على وجود الأمان ممن برز منه السلام، ولأن السلام منه عليهم استجلابا للمحبة منهم له، قال صلى الله عليه وسلم: (ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم)»²»³.

وكذا في قوله تعالى في نفس الآية: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ﴾ يفترض السؤال ثم يجب عليه لبيان وجه اختصاص اللفظ القرآني في السياق فيقول: «فإن قلت: فما اختصاص هذا الاسم وجه ﴿رَبُّكُمْ﴾ ولم يقل (إلهكم) ولا (خالقكم)، فاعلم أن الرب هو المربي بالإحسان والمتودد لك بالامتنان، فكأنه يقول: الذي رباكم بالإحسان أولا، هو الذي كتب على نفسه الرحمة آخرا، ليضم الإحسان إلى شكله، وليشفع الامتنان بمثله»⁴.

وكذا في قوله تعالى في نفس الآية: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ يفترض السؤال ثم يجب عليه لبيان المعنى فيقول: «فإن قلت: فما هي الرحمة المكتوبة؟ فاعلم أن رحمته كما قال: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ فلا يحيط بها شيء بل هي المحيطة بكل شيء، وإليه الإشارة في قوله سبحانه حاكيا عن الملائكة صلوات الله عليهم ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾⁵..... ولكن الرحمة العامة ليست المقصودة هنا لأنه خصصها هاهنا بالمؤمنين وهذه الرحمة التي قال فيها: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁶، فلما جاءوا إلى الرسول متتصلين، ومن الخطايا معتذرين، أمره الله بأن يخبرهم أن الله قد كتب على نفسه الرحمة لهم، فأوجبها على نفسه إيجاب فضل وامتنان وتفضل وإحسان»⁷.

وكذا في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾⁸، في حث الأهل على الصلاة فيقول: «ومن كان محافظا على

¹ - المصدر نفسه ، ص 95.

² - أخرجه مسلم في صحيحه باب: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا. رقم 54، ج 1 ص 74.

³ - ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، باعتناء عاصم الكيالي ، ص 96.

⁴ - المصدر نفسه ، ص 102.

⁵ - سورة غافر الآية 07.

⁶ - سورة الأعراف الآية 56.

⁷ - تفسير آية الأنعام ص 25-26.

⁸ - سورة طه الآية 132.

الصلاة، وكان عنده أهل لا يصلون، وهو غير أمر لهم بها، حشر يوم القيامة في زمرة المضيعين للصلاة»¹، ثم يفترض السؤال ويحجب عليه فيقول: «فإن قلت: إني أمرتهم فلم يفعلوا، ونصحتهم فلم يقبلوا، وعاقبتهم على ذلك بالضرب فلم يكونوا لها فاعلين، ولا للأمر ممثلين، فكيف أصنع، فالجواب أنه ينبغي لك مفارقة من تمكن مفارقتهم ببيع أو طلاق، والإعراض عمن لا تمكن مفارقتهم عنك بذلك، وأن تهجرهم في الله، فإن الهجرة في الله توجب الصلة به»².

وكذا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾³ يفترض السؤال ويحجب عليه ليميز بين الغنى بالله والافتقار إلى الله فيقول: «فإن قلت: فأيتها أتم؟ الغنى بالله أو الافتقار إلى الله؟ فاعلم أنه إذا نظرت إلى الفقر من حيث هو، والغنى من حيث هو، فالافتقار إلى الله أتم من الغنى بالله، لأن الفقر هو وصف العبودية، والغنى هو وصف الربوبية، وليس الأفضل لك إلا ما يليق بمقام عبوديتك، وهو الافتقار إلى الله، وظهور الذلة والانكسار. والافتقار إلى الله والغنى به يتعاقبان، فتارة يكون فيك الافتقار إلى الله، فيظهر عليك أثر مسكنتك وما يليق بذلتك في عبوديتك. وتارة يظهر أثر الغنى بالله، فيظهر اعتزازك به وصولتك، فلا يقاومك بشيء إذا كان به حولك وقوتك.

فالغالب على أرباب الأحوال ظهور أثر الغنى بالله، وعلى أرباب المقامات ظهور الافتقار إلى الله، وقد يكون المريد الغالب عليه الغنى بالله، فيظهر عليه ما لا يظهر على شيخه من كبر مقامه، لأن الغالب عليه الافتقار إلى الله، فيظهر عليه الأثر المناسب لمقامه»⁴.

- يطرح الاعتراض المتوهم في ظاهر الآية ثم يحجب عليه:

¹ - ابن عطاء الله السكندري، رسالة في أدب العلم، ص54.

² - ابن عطاء الله السكندري: تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم. كتاب ترتيب السلوك ويليهِ رسالة في

أدب العلم، تحقيق: خالد الأزهرى، منشورات علي محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة

الأولى 2004 م - 1424 هـ، ص55.

³ - سورة فاطر الآية 15.

⁴ - ابن عطاء الله السكندري، رسالة في أدب العلم، ص58.

مثل قوله تعالى : ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾¹ ، فقد أوردها ابن عطاء الله دليل اعتراض، على قول من قال: أن الصحابة ليس فيهم من يريد الدنيا، وقد استشهد بمواقف من حياتهم كقول عمر رضي الله عنه: إني لأجهز الجيش وأنا في صلاتي. في حين أن الخطاب في الآية موجه إلى الصحابة بعد غزوة أحد، حتى قال بعض الصحابة رضي الله عنهم عند نزولها: (مَا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنَّا يُرِيدُ الدُّنْيَا)².

ويجيب ابن عطاء الله على ذلك فيقول: «فإن قلت: قد زعمت أن ليس منهم من يريد الدنيا وأنزل الحق سبحانه وتعالى في شأنهم يوم واحد: ﴿مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، حتى قال بعض الصحابة رضي الله عنهم: (ما كنا نظن أن أحد منا يريد الدنيا) حتى نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾.

فاعلم وفقك الله لفهم عنه، وجعلك من أهل الاستماع منه، أنه يجب على كل مؤمن، أن يظن بالصحابة الظن الجميل، وأن يعتقد فيهم الاعتقاد الفضيل، وأن يلتبس لهم أحسن المخارج في أقوالهم وأفعالهم، وجميع أحوالهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد وفاته، لأن الحق سبحانه وتعالى لما زكاهم تزكية مطلقة لم يقيد بها بزمان دون زمن، وكذلك تزكية رسول الله عليه الصلاة والسلام لهم بقوله: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)³.

¹ - سورة آل عمران الآية 152.

² - قال السيوطي عنه : أخرجه أحمد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والبيهقي بسند صحيح عن ابن مسعود . السيوطي جلال الدين عبد الرحمان . الدر المنثور في التفسير بالمأثور . طبعة دار الفكر القاهرة . (د.ت)، ج2 ص 461 .

³ - الحديث أخرجه ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله، عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ، رقم 1082 ج3 ص148، وقال أبو عمر : « هذا إسناد لا تقوم به حجة ؛ لأن الحارث بن غصين مجهول ».

وعن هذه الآية جوابان:

أحدهما: منكم من يريد الدنيا للآخرة، كالذين أرادوا الغنيمة ليعاملوا الله بما يأخذونه منها، بذلا وإيثارا، ومنكم من لم يكن ذلك مراده إنما كان مراده تحصيل فضل الجهاد لا غير، فلم يلو على الغنائم، ولم يعط يلتفت إليها. فمنهم الفاضل، ومنهم الأفضل، ومنهم الكامل، ومنهم الأكمل.

الجواب الثاني: أن السيد يقول لعبده ما شاء وعلينا أن نتأدب مع عبده لثبوت نسبته منه، فليس كلما خاطب السيد به عبده ينبغي أن ننسبه للعبد، ولو أن تخاطبه به، إذ للسيد أن يقول لعبده ما شاء تحريضا لعبده، وتنشيطا لهمة وقصده، وعلينا أن نلزم حدود الأدب معه. وإن تصفحت الكتاب العزيز وجدت فيه كثيرا، منها: سورة عبس، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: (لو كان رسول الله عليه الصلاة والسلام، كاتما شيئا من الوحي لكتّم هذه السورة)¹. فقد تقرر من هذا أنه ليس إسقاط التدبير الممدوح: ترك الدخول في أسباب الدنيا، والفكرة في مصالحها ليستعين بذلك على طاعة مولاه والعمل لأخراه، وإنما التدبير المنهي عنه، هو التدبير فيها لها، وعلامة ذلك: أن يعصي الله تعالى من أجلها، وأن يأخذها كيف كان من حلها، أو غير حلها². فتراه إذا تعلق الأمر بمسألة عميقة الفهم افترت فيها الأمة، يجيب بإسهاب وإحكام مثل قضية فهم أفعال الصحابة والحديث عن أحوالهم، لأن فيها اختلف الشيعة والخوارج مع أهل السنة، فلا بد من الفهم الصحيح في التلقي عنهم، وتأويل أفعالهم وأحوالهم بما يليق بمرتبتهم.

4. الكشف عن خصائص الآية:

يكشف ابن عطاء الله عن خصائص الآيات أثناء الاستشهاد بها، فمثلا قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي،

¹ - هذا الأثر أخرجه أبو عيسى الترمذي في سننه عن عائشة رضي الله عنها قالت لو كان النبي صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتّم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ الآية باب ومن سورة الأحزاب، رقم 3132 ج 10 ص 496. وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

² - ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 47.

وَادْخُلِي جَنَّتِي¹. استشهد بها على جزاء النفس المطمئنة باستحقاقها لهذا الخطاب، بعد أن بين صفاتها، فقال: «فأي عبد توفر عقله، واتسع نوره تنزلت عليه السكينة من ربه، فسكنت نفسه عن الاضطراب، ووثقت بولي الأسباب فكانت مطمئنة، أي خادمة ساكنة لأحكام الله، ثابتة لأقداره، ممدودة بتأييده وأنواره، خارجة عن التدبير والمنازعة، مسلمة لمولايها بأنه يراها: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾²، فاستحقت أنه يقال لها: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾³.

ثم يستطرد في ذكر خصائص هذه الآية، وقد أوصلها إلى عشرة فقال: «وفي هذه الآية خصائص عظيمة، ومناقب لهذه النفس المطمئنة جسمية.

الأولى : منها أن النفوس ثلاثة: أمارة - ولوامة - ومطمئنة. فلم يواجه الحق سبحانه وتعالى واحدة، من الأنفس الثلاث إلا المطمئنة، فقال في الأمارة: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾⁴، وفي اللوامة: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾⁵، وأقبل على هذه بالخطاب فقال: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي﴾.

الثاني: تكتيته إياها بـ(راضية)، والتكنية في لغة العرب تحليل في الخطاب، وفخر عند أولى الألباب.

الثالث: مدحه إياها بالطمأنينة، ثناء منه عليها بالاستسلام إليه، والتوكل عليه.

الرابع: وصفة هذه النفس بالطمأنينة، والمطمئن هو المنخفض من الأرض، فإذا انخفضت بتواضعها وانكسارها، أثنى عليها مولايها إظهارا لفخرها لقوله صلى الله عليه وسلم: (من تواضع لله رفعه الله)⁶.

¹ - سورة الفجر الآية 27-28-29-30 .

² - سورة فصلت الآية 53 .

³ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 57 .

⁴ - سورة يوسف الآية 53 .

⁵ - سورة القيامة الآية 02 .

⁶ - هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، مسند أبي سعيد الخدري بلفظ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً رَفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلِّيِّينَ وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً وَضَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ) رقم 11299 ج 23 ص 344.

الخامس: قوله تعالى: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾، فيه إشارة إلى أنه لا يؤذن للنفس الأمارة، واللومة بالرجوع إلى الله تعالى رجوع الكرامة، بل إنما ذلك للنفس المطمئنة لأجل ما هي عليه من الطمأنينة قيل لها: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾. فقد أبجنا لك الدخول إلى حضرتنا، والخلود في جنتنا، فكان في ذلك تحريض للعبد على مقام الطمأنينة ولا يصل إليه أحد إلا بالاستسلام إلى الله تعالى، وعدم التدبير معه.

السادس قوله: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾. ولم يقل إلى الرب، ولا إلى الله، فيه إشارة إلى رجوعها إليه من حيث لطف ربوبيته، لا إلى قهر أهليته، فكان ذلك تأنيسا لها وملاطفة وتكريما ومواددة.

السابع: قوله تعالى ﴿رَاضِيَةً﴾ أي عن الله في الدنيا بأحكامه، وفي الآخرة بجموده وإنعامه، فكان في ذلك تنبيه للعبد أنه لا يحصل له الرجعى إلى الله إلا مع الطمأنينة بالله، والرضا عن الله، وإلا فلا.

وفي ذلك إشارة إلى أنه لا يحصل أن يكون مرضيا عند الله في الآخرة، حتى يكون راضيا عنه في الدنيا.

فإن قلت هذه الآية تقتضي أن يكون الرضا من الله نتيجة الرضا من العبد، والآية الأخرى تدل على أن الرضا من العبد نتيجة الرضا من الله عنه؟

فاعلم أن لكل آية ما أثبتت، فلا خفاء في الجمع بين الآيتين، وذلك أن قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾¹.

يدل من وجود ترتيبه على أن الرضا من العبد نتيجة الرضا من الله والحقيقة تقتضي بذلك، لأنه لو لم يرض عنهم أولا، لم يرضوا عنه آخرا.

والآية الآخرة تدل: على أن من رضي عن الله في الدنيا، كان مرضيا عنه في الآخرة، وذلك بين لا إشكال فيه.

الثامن: قوله تعالى: ﴿مَرْضِيَّةً﴾ وذلك مدحة عظيمة لهذه النفس المطمئنة، وهي أجل المدح والنعوت، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾¹ بعد أن وصف نعيم أهل الجنة أي رضوان من الله عنهم فيها أكبر من النعيم الذي هم فيه.

¹ - سورة البينة الآية 08 .

التاسع: قوله تعالى ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾. فيه بشارة عظمت للنفس المطمئنة إذ نوديت ودعيت إلى أن تدخل في عبادته، وأي عباد هؤلاء؟ هم عباد التخصيص والنصر، لا عباد الملك والقهر، هم العباد الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾². وقال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾³. لا العباد الآخرون الذين قال فيهم: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾⁴.

فكان فرح النفس المطمئنة بقوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أشد من فرحها بقوله تعالى: ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، لأن الإضافة الأولى إليه تعالى، والإضافة الثانية إلى جنته.

العاشر: قوله تعالى: ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ فيه إشارة إلى أن هذه الأوصاف التي اتصفت بها النفس المطمئنة، هي التي أدتها إلى أن تدعى أن تدخل في عبادته، وإلى أن تدخل في جنته، جنة الطاعة في الدنيا، والجنة المعلومة في الآخرة. والله أعلم⁵.

والملاحظ في هذه الخصائص أنها فوائد لغوية مثل (الكناية، المعنى المعجمي، الإسناد، النسبة في الياء "عبادي")، ومنها ما يرجع إلى الفهم الإشاري بقوله "فيه إشارة" في الخامس والسادس والسابع والعاشر.

5. توظيف معاني الآيات لترسيخ مبدأ إسقاط التدبير

يوظف ابن عطاء الله الآيات ما أمكنه الحال، خدمة لموضوع إسقاط التدبير، اعتماداً على المعاني المستفادة منها، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾⁶، فتراه بعد كل الخصائص التي استنبطها للنفس المطمئنة كما بينا في الصفحة السابقة، يفرد إشارات أخرى تسند فكرة إسقاط التدبير التي هي محور نظريته الصوفية فيقول: «قد تضمنت الآية صفتين، كل واحدة منهما تدل على هدم التدبير، وذلك أنه سبحانه وتعالى وصف هذه النفس التي خصصها بهذه الخصائص التي

¹ - سورة التوبة الآية 72 .

² - سورة الإسراء الآية 65 .

³ - سورة الحجر الآية 40 .

⁴ - سورة مريم الآية 93 .

⁵ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 57 .

⁶ - سورة الفجر الآية 27-28-29-30 .

ذكرناها بأوصاف منها: الطمأنينة والرضا، وهما لا يكونان إلا مع إسقاط التدبير، إذ لا تكون النفس مطمئنة حتى تترك التدبير مع الله تعالى ثقة منها بحسن تدبيره لها، لأنها إذا رضيت عن الله استسلمت له، وانقادت لحكمه، وأذعنت لأمره، فاطمأنت لربوبيته، وقرت بالاعتماد على ألوهيته، فلا اضطراب مع ما أعطاها من نور العقل، يثبتها فلا حركة لها، خامدة لأحكامه، مفوضة له في نقضه وإبرامه»¹.

فنجده يركز على آيات محورية ينطلق منها لتأسيس وترسيخ مبدأ "إسقاط التدبير"، وفيما يلي نورد مثالا (تفسير آية من سورة النساء) ، يتجلى من خلاله كيف استفاد ابن عطاء الله من منطوق الآية ومفهومها وظاهرها وإشارتها، وقد صدر بها كتابه "التنوير في إسقاط التدبير" بعد أن وطأ بالعرض المقصود من تصنيفه للكتاب فقال : « وأهم ما ينبغي تركه والخروج عنه والتطهر منه: وجود التدبير ومنازعة المقادير. فصنفتُ هذا الكتاب مبينا لذلك، ومظهرها لما هنالك »².

ثم افتتح بهذه الآية لينطلق من تفسيرها إلى محور (إسقاط التدبير) فقال: « فقله تعالى في الآية الأولى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾³ ، فيه دلالة على أن الإيمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حَكَمَ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه، قولا وفعلا، وأخذا وتركاً، وحبا وبغضا، ويشمل ذلك حكم التكليف، وحكم التصريف، والتسليم والانقياد واجب على كل مؤمن في كليهما.

فأحكام التكليف: الأوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد.

وأحكام التصريف: هو ما أورده عليك من قهر المراد.

فتبين من هذا أنه لا يحصل لك حقيقة الإيمان إلا بأمرين: بالامتثال لأمره، والاستسلام لقهره.

ثم إنه لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مؤمنين، بل اشترط فقدان الحرج، وهو الضيق في نفوسهم من أحكامه صلى الله عليه وسلم، سواء كان الحكم بما يوافق أهوائهم أو

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 59.

² - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 5 .

³ - سورة النساء الآية 65 .

يخالفها. وإنما تضيق النفوس لفقدان الأنوار، ووجود الأغيار، فمنه يكون الحرج وهو الضيق، والمؤمنون ليسوا كذلك، إذ نور الإيمان ملأ قلوبهم، فاتسعت وانشרכת، فكانت واسعة بنور الواسع العليم، ممدودة بوجود فضله العظيم، مهياة لواردات أحكامه، مفوضة إليه في نقضه وإبرامه ¹. فتبين أن إسقاط التدبير يورث برد التسليم لأحكام الله وأحكام رسوله، ويدفع حرارة الهوى وضيق النفوس .

6. تفسير الآية بمعاني متعددة :

يفسر ابن عطاء الله الآيات بمعاني متعددة محتملة يرتب عليها نتائج، مثل قوله تعالى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾²، فقد أورد فيها احتمالين :

الاحتمال الأول قال فيه : «يحتمل أن يكون قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، أن يكون المراد إثبات رزقكم أي إثباته في اللوح المحفوظ»³، ويرتب عليه دعوة إلى طمأنة العباد على أرزاقهم، والسكون إلى رهم فيقول: «فإن كان المراد كذلك، فهو تطمين للعباد، وإعلام لهم أن رزقكم، أي الشيء الذي منه رزقكم كتبناه عندنا وأثبتناه في كتابنا وقضيناه بآياتنا من بل وجودكم وعيناه من قبل ظهوركم. فلا شيء تضطربون؟ وما لكم إلي لا تسكنون؟ وبوعدي لا تتقون؟»⁴.

الاحتمال الثاني قال فيه: «ويحتمل أن يكون المراد: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، أي الشيء الذي منه رزقكم، وهو الماء كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾»⁵. وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو المطر. فيكون قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، أي الشيء الذي منه أصل رزقكم، ولأن الماء في نفسه رزق»⁶.

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 6 .

² - سورة الذاريات الآية 22 .

³ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 80 .

⁴ - المصدر نفسه .

⁵ - سورة الأنبياء الآية 40 .

⁶ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 80 .

وفي تعدد هذه المعاني التي يحتملها النص، تفتح الدلالة في هذه الآية، فالمعنيان لا يتدافعان بل يحتملها النص القرآني.

7. منهجه العام في التفسير من خلال الآية 54 من سورة الأنعام :

قصد ابن عطاء الله تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾¹ ، في رسالة مستقلة وذلك لما تضمنته هذه الآية من اختصاص الذين يؤمنون بالسلام من رب العالمين، ثم بما كتبه ربنا سبحانه على نفسه من الرحمة، وهذا محور أساس في التصوف، ولذلك قال ابن عطاء الله في آخر هذه الرسالة : « فهذه الآية تشير إلى أصول المشايخ على وجه الإيجاز »².

و من ثم سوف أتبع هذه الرسالة باعتبارها نموذج مستقل يكشف عن الخطوات التي يتبعها ابن عطاء الله في تفسيره لآية من القرآن تفسيراً كاملاً وهي كما يلي:

■ بين وجه استحقاق هؤلاء السلام عليهم من الله تعالى فقال : « رتب سبحانه وتعالى استحقاق السلام عليهم على محبتهم للرسول صلوات الله عليه وسلامه ، فكأنه يقول: إذا جاءوك فسلم عليهم نيابة عني فإن سلامك من سلامي »³ ، ثم مضى يبسط المعنى ويستدل بالآيات والأحاديث ويوجب عن مناسبة السلام هنا بعدة أجوبة منها أن السلام عليهم استجلاباً للمحبة منهم له ودليلاً في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (ألا أدلكم على أمر إذا أنتم فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم)⁴.

■ قوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ بلفظ المضارع دل على حصول الإيمان لهم على الدوام والاستمرار وفي ذلك يقول : « ثم إنه جاء سبحانه بنسبة الإيمان لهم بصيغة تقتضي الدوام والاستمرار والثبوت والاستقرار »⁵. وكذا قوله ﴿ جَاءَكَ ﴾ ففسر معنى المجيء بالطاعة، وهذا يقتضي كما قال: دوام المجيء لكل جيل وفي كل عصر .

¹ - سورة الأنعام الآية 54 .

² - ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 28 .

³ - المصدر نفسه ، ص 13 .

⁴ - أخرجه مسلم في صحيحه باب: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا. رقم 54 ، ج 1 ص 74.

⁵ - ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 15.

■ وقف عند معنى الإيمان وذكر فرقا بين (مؤمن به) و (مؤمن له) وكلاهما مستعمل في القرآن، وشرح ذلك في حق الله وحق رسوله، فقال: «فأما إيمانك به إيمانك بأمر الله، وأما الإيمان له فهو قبول أمره وكذلك واجب عليك أن تؤمن بالرسول وتؤمن له وإيمانك له قبولك لأمره، وانقيادك لحكمه، وقد نفى الله سبحانه الإيمان برسول الله إلا لمن آمن له، فقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾¹.... وقد قال سبحانه: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ﴾² أي انقاد لحكم إبراهيم وأذعن له، وحكى عن قوم نوح أنهم قالوا: ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾³...⁴.

■ يرتب على قسمي الإيمان (إيمان به وإيمان له) تعريف الإيمان، فقال: إنه ثبوت الهداية وأن الهداية متوقفة على حصول النور للمهتدي، ودليله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يُجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾⁵، ويسط هذه المسألة بسطا وافيا مستدلا بشواهد من القرآن وحتى بأمثلة محسوسة، مثل قوله «... كما أن البصير له نور خاص هو متصف به، وللشمس نور فياض فإذا تطابق النوران حصل الإدراك...»⁶.

■ ينتقل بعد ذلك لطرق حصول الإيمان فيقول: «فاعلم أن التصديق تارة يكون مع شهود المصدق به، وتارة يكون الغيبة عنه وهذا نظر كلي والطريق التي يستند إليها المؤمنون أولها: ... طريق أهل العموم والثاني: قيام الدليل والبرهان.... والطريق الثالث: هم الذين استند إيمانهم إلى شهود عيان وهم الراسخون في العلم وهذا طريق أهل الله»⁷.

■ ثم ينتقل للحديث عن الإيمان له فيقول أنه أثر عن الله تعالى

¹ - سورة النساء الآية 65 .

² - سورة العنكبوت الآية 26 .

³ - سورة الشعراء الآية 111 .

⁴ - ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 16-17.

⁵ - سورة النور الآية 40 .

⁶ - ابن عطاء الله السكندري ، تفسير الآية 54 من سورة الأنعام ، ص 18.

⁷ - المصدر نفسه ، ص 19.

■ ثم يستدل بالحديث الذي يبين أثر الإيمان، والذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لحارثة: (لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك)¹، وبعد جواب حارثة قال صلى الله عليه وسلم: (عبد نور الله قلبه بنور الإيمان) ، ثم يقف ابن عطاء الله مع هذا الحديث باسقاط معانيه الإشارية ، والتي منها الفرق بين مقام الصحابة ومقام حارثة²، وكذا قول حارثة (كأني أنظر) ، ولم يقل (نظرت)، لأنه كما يقول أبو العباس المرسى: (الأولياء يطالعون المثل، والأنبياء يطالعون حقائق المرئيات)³، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت الجنة)⁴.

■ ثم ينتقل للحديث عن متعلق الإيمان وهي الآيات (العلامات) الدالة عليه ، وقد تكون آية أجلى من آية وآية أبهر من آية، لقوله تعالى : ﴿ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴾⁵ ، فدل بمفهومه ما اقتضته صفة المفاضلة⁶.

¹ - الحديث أخرجه الإمام البيهقي في كتابه الزهد الكبير عن الحارث بن مالك قال : (أتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم وقد أخذ رداءه ، فكببه ، فوضعه تحت رأسه ، فسلمت عليه ، فقال لي : كيف أنت يا حارث ؟ فقلت : رجلا من المؤمنين ، فقال : انظر ماذا تقول ؟ قال : قلت : نعم رجل من المسلمين حقا فاستوى نبي الله صلى الله عليه وسلم جالسا ثم قال : « إن لكل شيء حقيقة فما حقيقة ذلك ؟ » قال : قلت : عزفت نفسي عن الدنيا ، وأسهرت ليلي ، وأخمصت نخاري ، فكأني أنظر إلى عرش ربي ، وكأني أرى أهل الجنة يتزاوون فيها ، وكأني أسمع عواء أهل النار فيها ، فقال : عرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالإيمان) ، باب إن لكل شيء حقيقة فما حقيقة ذلك، رقم 982 ج 2 ص 488..

² - ابن عطاء الله السكندري ، تفسير الآية 54 من سورة الأنعام ، ص 23.

³ - المصدر نفسه ، ص 23.

⁴ - الحديث أخرجه البخاري ضمن حديث خسوف الشمس ، رقم الحديث 993 ج 4 ص 173 .

⁵ - سورة النازعات الآية 20.

⁶ - ابن عطاء الله السكندري ، تفسير الآية 54 من سورة الأنعام ، ص 24.

■ شرح معنى ﴿كَتَبَ﴾ فقال : «اعلم أن "كتب" يقال بالاشتراك على معان، منها بمعنى الفرض.... ومنها بمعنى خلق..... ومنها بمعنى قضى..... ومنها بمعنى الكتابة على باهما»¹، واستدل لكل معنى بآية من القرآن ثم قال: «وقد تكون في كتب بمعنى الكتابة ومجازا في الباقي لأنه المتبادر إلى الفهم والتبادر دليل الحقيقة»².

■ بين وجه اختصاص الاسم ﴿رَبُّكُمْ﴾ في الآية في شكل سؤال ليجيب عليه، وكذا معنى الرحمة المكتوبة فيجيب فيقول: «فاعلم أن رحمته كما قال : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾³، فلا يحيط بها شيء بل هي المحيطة بكل شيء، وإليه الإشارة في قوله سبحانه حاكيا عن الملائكة صلوات الله عليهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾⁴.... وإليه يشير قوله سبحانه: ﴿الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁵، فاستوى برحمانيته على عرشه الذي هو أعظم مخلوقاته، واندرجت العوالم في طيِّ العرش المندرج في رحمته إشارة إلى عموم رحمته، لكن الرحمة العامة ليست مقصودة هنا (أي في الآية 54 من سورة الأنعام)، لأنه خصصها هاهنا بالمؤمنين وتلك رحمة شملت المؤمنين والكافرين، وهذه الرحمة هي التي قال فيها: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁶ «⁷.

■ بين وجه إيجاب الله تعالى على نفسه للرحمة، وذلك لمجيئهم أي طاعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم فقال: «... أوجبها على نفسه إيجاب فضل وامتنان وتفضل وإحسان، إذ هو سبحانه لا يجب عليه شيء، إذ لو وجب عليه شيء للزمه ما وجب عليه، ولكان في ذلك حكما عليه»⁸.

¹ - المصدر نفسه، ص 24.

² - المصدر نفسه، ص 25.

³ - سورة الأعراف الآية 156.

⁴ - سورة غافر الآية 07.

⁵ - سورة طه الآية 05.

⁶ - سورة الأعراف الآية 56.

⁷ - ابن عطاء الله السكندري، تفسير الآية 54 من سورة الأنعام، ص 25 - 26.

⁸ - المصدر نفسه، ص 26.

- ختم تفسيره لهذه الآية بمسائل في العقيدة متعلقة بصفات الله تعالى فقال : « اعلم أن الله سبحانه ... فهو بصير مبصر ومتكلم ولا يتقدر في العقول ولا له جهة ومكان ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء وأنجز ما وعد من نصرة الدين بقوله تعالى : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾¹ »².
- خاتمة القول أن تفسيره لهذه الآية مس فيه جوانب عديدة من لغة في ظاهر العبارة وباطن الإشارة، ثم استنباطات من حيث وضع اللفظ في التركيب و من حيث دلالة الألفاظ (كتب ، الرحمة)، ثم من حيث التوجيهات التربوية لإقبال المؤمنين على الله تعالى، وقد ختمها بالصفات الواجب اعتقادها في حق الله تعالى .

¹ - سورة التوبة الآية 33.

² - ابن عطاء الله السكندري ، تفسير الآية 54 من سورة الأنعام ، ص 28 .

المطلب الثاني :

التفسير الإشاري وموقف ابن عطاء الله منه.

1. أساس التفسير الإشاري وسمته.
2. الاستدلال للتفسير الإشاري.
3. أقوال العلماء في التفسير الإشاري .
4. شروط قبول التفسير الإشاري.
5. أمثلة للتفسير الإشاري.
6. موقف ابن عطاء الله من التفسير الإشاري.

تمهيد :

عرف التفسير الإشاري بالتفسير الصوفي، ويعني عند أهله أن يرى المفسر معنى آخر غير المعنى الظاهر، ربما تحمله الآية الكريمة ولكنه لا يظهر للعامة من الناس، وإنما يظهر لخاصتهم ومن فتح الله قلبه وأنار بصيرته وسلكه ضمن عباده الصالحين، الذين منحهم الله الفهم والإدراك، وهذا النوع من العلم ليس من العلم الكسبي الذي ينال بالبحث والمذاكرة وإنما هو من العلم الوهبي الذي هو أثر التقى والاستقامة والصلاح¹، كما قال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾². وفيما يلي نتعرض لأساس التفسير الإشاري وسمته وشروط قبوله وأمثلته، ونختتم بموقف ابن عطاء الله منه.

¹ . محمود عبد الرزاق ، المعجم الصوفي ، ج 1 ص 116

² . سورة البقرة الآية 282.

1. أساس التفسير الإشاري وسمته:

يعتمد التفسير الصوفي الإشاري أساساً على أن للقرآن ظاهراً وباطناً، ويقصد بالظاهر أحكام الشريعة وبالباطن أنوار الحقيقة، وعلم الشريعة علم المجاهدة، وعلم الحقيقة علم الهداية، وعلم الشريعة علم الآداب وعلم الحقيقة علم الأحوال، وعلم الشريعة يعلمه علماء الأحكام وعلم الحقيقة يعلمه العلماء بالله¹، يقول السلمي في مقدمة تفسيره عن الباعث لإقدامه على كتابة تفسير القرآن: (لما رأيت المتوسمين بعلوم الظاهر قد سبقوا في أنواع فرائد القرآن، من قراءات وتفسيرات ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجمل ومفصل وناسخ ومنسوخ، ولم يشتغل أحد منهم بفهم الخطاب على لسان أهل الحقيقة إلا آيات متفرقة، أحببت أن أجمع حروفاً أستحسنها من ذلك وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك وأرتبه على السور حسب وسعى وطاقتي)².

ويقول سهل بن عبد الله التستري في تفسيره، وهو أول ما ظهر للصوفية من تفسير للقرآن: (ما من آية في القرآن إلا ولها أربعة معان، ظاهر وباطن وحد ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد حلالها وحرامها، والمطلع إشراف القلب على المراد بها فقها من الله عز وجل، فالعلم الظاهر علم عام، والفهم لباطنه والمراد به خاص)³.

كما ظهر أيضاً تفسير ثالث "للعبد الكريم القشيري" سلك فيه مسلك الصوفية في إدراك الإشارات التي يراها الصوفي خلف آيات القرآن، وسماه لطائف الإشارات، وعن الباعث على تأليفه يقول: (وكتابتنا هذا يأتي على طرف من إشارات القرآن على لسان أهل المعرفة إما من معاني قولهم أو قضايا أصولهم، سلكنا فيه طريق الإقلال خشية الملال

¹ . محمود عبد الرزاق ، المعجم الصوفي ، ج 1 ص 117

² . سلمان نصيف جاسم التكريتي ، تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية ، دراسة وتحقيق حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي رسالة ماجستير ، مكتبة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة سنة 1975م. ص 22 .

³ . التستري سهل بن عبد الله . تفسير القرآن العظيم . طبعة دار الكتب العربية الكبرى القاهرة . سنة 1329هـ . (د.ط)، ص 61 .

مستمدين من الله تعالى عوائد المنة، متبرئين من الحول والقوة مستعصمين من الخطأ والخلل، مستوثقين لأصوب القول والعمل)¹.

ولم يظهر في تاريخ التفسير الإشاري حتى القرن الخامس، أهم من حقائق التفسير للسلمي، ولطائف الإشارات للقشيري، وإن كان القشيري قد استفاد من السلمي فائدة كبرى واقتبس منه كثيرا من آرائه².

وقد ظهر تفسير القرآن المنسوب لابن عربي، ولكنه في الحقيقة للكاشاني السمرقندي، ويعد هذا التفسير أهم تفسير إشاري بعد اللطائف، قال مؤلفه في مقدمته: (ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حد ومطلع، فالظهر هو التفسير، والبطن هو التأويل، والحد هو ما تنتهي إليه الفهوم من معنى الكلام، والمطلع ما يصعد إليه منه فيطلع على شهود الملك العلام)³.

ومن ثم فإن للتفسير الإشاري لدى الصوفية سمات غالبية جمعها بعد الاستقراء "محمود عبد الرزاق" نوردها فيما يلي⁴:

1- أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وأن الظاهر للعوام والباطن لا يدركه إلا الخواص، وإدراك الخواص مستمد من فيض إلهي ينير بصائرهم، ويكشف لهم على حد قولهم معارف لدنية مباشرة.

2- أن العلم بالقرآن على هذا النحو يفترق عن العلوم القرآنية الأخرى في بدايته وفي طرائقه وفي غاياته، فضلا عن أنه يفترق عن سائر العلوم بضرورة العمل، فالعالم لا بد أن يكون عاملا وعمله هو جهاده ورياضاته التي تؤدي إلى صقل إرادته وشحذ همته وتنقية مرآته

¹ . إبراهيم بسيوني . تحقيق لطائف الإشارات للقشيري . القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة الثالثة . سنة

1981م . ج 1 ص 41.

² . محمود عبد الرزاق . المعجم الصوفي . ج 1 ص 119.

³ . ابن عربي محي الدين . تفسير ابن عربي . ج 1 ص 4.

- حامد محمود الزفري . محي الدين بن عربي مفسرا . رسالة دكتوراه . مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر القاهرة - سنة 1972م . ص 174.

⁴ . محمود عبد الرزاق . المعجم الصوفي . ج 1 ص 119 .

الباطنية من كل شائبة، فالتفسير عموماً ليس تفسيراً مباشراً، بل يسلك تركية النفوس وتطهير القلوب والحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة .

- 3 - أن التفسير الإشاري وإن كان يعتمد على ما وراء العبارة الظاهرية إلا أنه لم تخل من بعض ما نقل من الآثار على النحو المذكور في التفسير بالمأثور أو التفسير بالرأي بالطريقة الاستنباطية، أو تفسيرات تعتمد على معاني الألفاظ والتفسيرات بلاغية.
- 4- تتعرض هذه التفسيرات لكثير من المعاني والمصطلحات الصوفية التي تكشف عن طريقتهم وتجربتهم، لا سيما أنهم يوجهون الآيات كشواهد لهذه الرموز والمصطلحات.
- 5- ومع ما فيها من معاني تقبل بصعوبة، أو يلتبس لها وجهها تحمل عليه بمشقة، إلا أن هناك معانٍ مشكلة تصل في بعض الأحيان إلى الكفر والزندقة .
- 6- لم تسلم هذه التفسيرات من الإسرائيليات، والاستشهاد بغير القرآن والسنة، ولم تتبع الدقة في تحرى ثبوت الحديث، أو مراعاة التعليق على الأسانيد، وكذلك لم تخل من فكر باطني¹.

اختلف العلماء منذ ظهور هذا النوع من التفسير بين مجوز له ومانع، ولكل أدلته وفيما يلي نعرض تفصيل ذلك .

2. الاستدلال للتفسير الإشاري :

استدل الصوفية ومنهم السراج الطوسي بكثير من الآيات القرآنية العامة، التي تدعو إلى التدبر وفهم كتاب الله بالتأمل وحسن الاستماع، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾²، وكقوله: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾³، والمعنى لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب، ولم يرد أنهم لا يفهمون نفس الكلام، وكقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ

¹ - الشاطبي أبو إسحاق . الموافقات في أصول الشريعة للإمام . المطبعة التجارية بمصر (د.ت) . ج 3 ص 403 وما بعدها .

- حسن عبد التواب . في التفسير الصوفي للقرآن . رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف

القاهرة . سنة 1972م . ص 144 .

² . سورة البقرة الآية 3 .

³ . سورة النساء الآية 78 .

الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا¹، حيث دل على أن ظاهر المعنى شيء وهم عارفون به لأنهم عرب، والمراد هو شيء آخر وهو الذي لا شك فيه أنه من عند الله، والتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن، فلم يحصل منهم تدبر، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ²﴾، وقال أبو سعيد الخراز: (أول الفهم لكتاب الله عز وجل العمل به، لأن فيه العلم والفهم والاستنباط، وأول الفهم إلقاء السمع والمشاهدة لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ³﴾.

ويواصل السراج الطوسي استدلاله على التفسير الإشاري فيقول: (وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ⁴﴾، فالقرآن كله حسن ومعنى إتباع الأحسن، ما يكشف للقلوب من العجائب عند الاستماع وإلقاء السمع من طريق الفهم والاستنباط⁵. ومن السنة يستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم: (لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع)⁶، فلفظ الظاهر والباطن في فهمهم قرآنيان، ولا يمكن الاعتراض على الفكرة القائلة بأن في القرآن ناحية واضحة تدرك في ضوء الاشتقاق، وأن به ناحية أخرى ربما كانت أخف وأعمق بالنسبة للأولى، لأن هذه الفكرة يمكن أن تطبق في الواقع على أي نص فكل نص له ناحية قريبة مباشرة تدرك بلا عناء، وناحية أخرى تحتاج إلى عمل وجهد في استيعابها وفهمها، كما لا يمكننا أن ننكر أن الحقيقة الإنسانية الثابتة تشير إلى عدم تساوى الناس في الفهم والإدراك، وقد ظهرت تلك الحقيقة في حياة الرسول صلى الله عليه

¹ . سورة محمد الآية 24 .

² . سورة ق الآية 37 .

³ . السراج الطوسي أبو نصر عبد الله بن علي السراج (ت 378هـ) . اللمع في التصوف . تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور . القاهرة دار الكتب الحديثة سنة 1969م . ص 113 .

⁴ . سورة الزمر الآية 18 .

⁵ . السراج الطوسي . اللمع في التصوف . ص 113 .

⁶ . لم أجده في كتب السنة مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه أثر موقوف على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ولفظه قال : " إن القرآن ليس منه حرف إلا له حد ولكل حد مطلع " معجم الطبراني الكبير رقم (8667)، ج 9 ص 136 .

وسلم وصحابته رضي الله عنهم الذين تفاوتت أقدارهم في سرعة ومدى فهمهم للقرآن، وهذا يفسر ما أثر عنهم من تفسيرات مختلفة¹.

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: (كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما أريته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾²، حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري أو لم يقل بعضهم شيئا، فقال لي: يا بن عباس أكذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة، فذاك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾³، قال عمر رضي الله عنه: ما أعلم منها إلا ما تعلم⁴.

والشاهد هنا أن ابن عباس رضي الله عنه فهم من خطاب الله معنى خفيا وراء ظاهر الألفاظ لم يدركه عامة الصحابة في مجلسهم، وهذا يشبه عمل الصوفية في التفسير الإشاري.

ومثله أيضا ما روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله لاعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال: (إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختر ما عنده، فبكى أبو بكر وقال: فدينك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول فدينك بآبائنا وأمهاتنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير، وكان أبو بكر هو أعلمنا به⁵.

¹ . محمد كمال جعفر ، التصوف طريقا وتجربة ومذهبا ، ص157 .

² . سورة النصر الآية 1 . 2 .

³ . سورة النصر الآية 3 . 4 .

⁴ . الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، برقم (4043) . ج4 ص1563 .

⁵ . أخرجه أبو عيسى الترمذي في سننه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ بَابِ مَنْاقِبِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رقم 3593 ج12 ص 118 . وَقَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من أَمَنَ الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر إلا خلة الإسلام، لا ييقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر)¹. فأبو بكر الصديق فهم بطريق الإشارة ما لم يفهمه عامة الصحابة وأسعد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الأمر كما قال .

3. أقوال العلماء في التفسير الإشاري:

اختلف العلماء في التفسير الإشاري، وتباينت فيه أقوالهم فمنهم من أجازوه ومنهم من منعه، ومنهم من عده من كمال الإيمان ومحض العرفان، ومنهم من اعتبره زيغا وضلالا وانحرافا عن دين الله تبارك وتعالى .

لكن الموضوع دقيق ويحتاج إلى دقة وعمق في فهمه ببصيرة وعلى حقيقة، ليظهر الغرض من هذا النوع من التفسير، هل هو اتباع الهوى والتلاعب بآيات الله كما فعل الباطنية والشيعة²، فيكون ذلك من قبيل الزندقة والإلحاد، أو الغرض منه الإشارة إلى أن كلام الله تعالى يعز أن يحيط به البشر إحاطة تامة، وأن كلامه تعالى فيه مفاهيم وأسرار ودقائق وعجائب لا تنقضي على مدار الأزمان، وبهذا يتوالى إعجازه مرة بعد مرة، فيكون ذلك من محض العرفان وكمال الإيمان، كما نسب السيوطي إلى ابن عباس رضي الله عنهما : (إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون، لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا ومن أوغل فيه بعنف هوى، أخبار وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم

¹ . أخرجه البخارى في صحيحه . برقم (3691) . ج3 ص1417 .

² . أحمد عرفات أبو الحسن القاضي . الفكر السياسي عند الباطنية وموقف الغزالي منه . إعداد رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة . سنة 1988 م .

- محمد محمود عبد الحميد . مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية . دراسة تحليلية نقدية . رسالة ماجستير .

سنة 1983 م . الفصل الخاص بحيل الباطنية وأصناف المتبعين لهم . ص 217 .

- محمد محمد إبراهيم العسال . الشيعة الإمامية الإثنا عشرية ومنهجهم في التفسير . رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين . جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1981 م . ص 19 .

ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء¹.

وفيما يلي نتعرف على أقوال العلماء في هذا النوع من التفسير مرتبة حتى عصرنا الحاضر ومنها تتحدد شروط قبول التفسير الإشاري:

1- رأى ابن الصلاح :

ينقل ابن الصلاح عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال : (صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير ، فإن كان قد اعتقد أن هذا تفسير فقد كفر) ثم يعقب على ذلك بقوله : (وأنا أقول : الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيء من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم ، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية ، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن فإن النظير يذكر بالنظير ومن ذلك ، قتال النفس في الآية المذكورة في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾² ، فكأنه قال : أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك لما فيه من الإلهام والإلباس)³.

2- رأى الشاطبي :

يقسم الشاطبي الاعتبارات القرآنية الواردة على القلوب الطاهرة وأصحاب البصائر إذا صحت على كمال شروطها على ضربين :

- أ- ما يكون أصل انفجاره من القرآن ويتبعه سائر الموجودات ، فإن الاعتبار الصحيح في الجملة هو الذي يخرق من البصيرة في حجب الأكوان من غير توقف ، فإن توقف فهو غير صحيح حسبما بينه أهل التحقيق بالسلوك .
- ب- ما يكون انفجاره من الموجودات كلياً أو جزئياً ويتبعه الاعتبار في القرآن .

¹ . السيوطي جلال الدين عبد الرحمن . الإتيان في علوم القرآن . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم . دار التراث القاهرة .

الطبعة الثالثة . سنة 1405 هـ . ج 2 ص 185 .

² . سورة التوبة الآية 123 .

³ . عبد المعطي أمين قلعي . تحقيق فتاوى ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه . الطبعة الأولى . دار

الوعى سوريا . سنة 1403 هـ . ج 1 ص 29 .

فإن كان الأول فهذا الاعتبار صحيح وهو معتمد على فهم باطن القرآن من غير إشكال، وإن كان الثاني فالتوقف على اعتباره في فهم باطن القرآن لازم وأخذه على إطلاقه ممتنع لأنه بخلاف الأول¹.

3- رأى حاجي خليفة :

يرى حاجي خليفة أن التصوف علم يعرف به كيفية رقي أهل الكمال من النوع الانساني في مدارج سعادتهم ، والأمور العارضة لهم في درجاتهم ، بقدر الطاقة البشرية ، وأما التعبير عن هذه الدرجات والمقامات كما هو حقه ، فغير ممكن لأن العبارات إنما وضعت للمعاني التي وصل إليها فهم أهل اللغات ، وأما المعاني التي لا يصل إليها إلا غائب عن ذاته فضلا عن قوى بدنه ، فليس بممكن أن يوضع لها ألفاظ ، فضلا عن أن يعبر عنه بألفاظ ، فكما أن المعقولات لا تدرك بالأوهام والموهومات ، لا تدرك بالخياليات ، والتخييلات لا تدرك بالحواس ، كذلك ما من شأنه أن يعاين بعين اليقين لا يمكن أن يدرك بعلم اليقين ، فالواجب على من يرد ذلك أن يجتهد في الوصول إليه ، بالعين دون أن يطلبه بالبيان فإنه طور وراء طور العقل².

4- رأى سعد الدين التفتازاني :

في شرحه للعقائد النسفية وتحت قول النسفي : (النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معان يدعها أهل الباطن إلحاد) علق سعد الدين التفتازاني بقوله : (سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها ، بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم في ذلك نفى الشريعة بالكلية ، وأما ما يذهب إليه بعض المحققين بأن النصوص على ظاهرها ، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تكشف عن أرباب السلوك ، يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة ، فهي من كمال الإيمان ومحض العرفان)³.

¹ . الشاطبي أبو إسحاق . الموافقات في أصول الشريعة للإمام ، المطبعة التجارية بمصر (د.ت) . ج3 ص272 .

2 . حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي (ت 1067هـ) . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . نشرة المستشرق جوستاف فلويجل . بغداد طبعة مكتبة المثنى (د.ت) . ج1 ص413 .

³ . التفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله (ت 793هـ) . شرح العقائد النسفية . طبعة المكتبة الأزهرية

للتراث القاهرة . سنة 1421هـ . ص143 .

5- رأى محي الدين بن عربي :

يقول : (وكما كان أصل تنزيل الكتاب من الله على أنبيائه ، كان تنزيلا للفهم على قلوب بعض المؤمنين ، والأنبياء ما قالت على الله ما لم يقل لها ، ولا أخرجت ذلك من نفوسها ولا أفكارها ، ولا عملت فيها ، بل جاءت من عند الله ، قال تعالى : ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾¹ ، وقال فيه : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾² ، وإذا كان الأصل المتكلم فيه من عند الله لا من فكر الإنسان ورؤيته ، وعلماء الرسوم يعلمون ذلك ، فينبغي أن يكون أهل الله العاملون به أحق بشرحه ، وبيان ما أنزل الله فيه من علماء الرسوم فيكون شرحه أيضا تنزيلا من عند الله على قلوب أهل العلم كما كان الأصل)³ .

6- رأى أبي حامد الغزالي :

يقول الغزالي : (لا تظنن في ضرب الأمثال، فرصة مني في رفع الظواهر واعتقادا في إبطالها، حتى أقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله : ﴿ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ ﴾⁴ ، حاشا لله فإن إبطال الظواهر رأى الباطنية الذين نظروا بعين عوراء إلى أحد العالمين، وجهلوا جهلا بالموازنة بينهما، فلم يفقهوا وجهه، كما أن إبطال الأسرار مذهب الحشوية، فالذي يجرد الظاهر حشوي، والذي يجرد الباطن باطني، والذي يجمع بينهما كامل، بل أقول : موسى فهم من خلع النعلين اطرح الكونين، فامتثل الأمر ظاهرا بخلع النعلين وباطنا بخلع الكونين)⁵ ، غير أن صاحب المعجم الصوفي قال : (وتفسير الغزالي لخلع النعلين باطنا بخلع الكونين، تعسف كبير ، فليس في دلالة اللغة ولا قرينة الخطاب إطلاق الكونين وإرادة النعلين)⁶ ، والذي يظهر لي أن في هذا الفهم عن الغزالي هو التعسف الكبير، لأن الغزالي لم يقل الخطاب ذكر النعلين وأراد الكونين، بل الصحيح الذي يفهم عن الغزالي

¹ . سورة فصلت الآية 42 .

² . سورة فصلت الآية 42 .

³ . ابن عربي محي الدين . الفتوحات المكية . طبعة دار صادر بيروت . (د.ت) . ج 1 ص 280 .

- المزيد عن رأى ابن عربي في التفسير الإشاري للقرآن . حامد محمود الزفري . محي الدين بن عربي مفسرا .

⁴ . سورة طه الآية 12 .

⁵ . أبو حامد الغزالي . مشكاة الأنوار . تحقيق أبي العلا عفيفي . الدار القومية القاهرة . سنة 1964م . (د،ط) .

ص 33 .

⁶ . محمود عبد الرزاق . المعجم الصوفي . ج 1 ص 121 .

هو أن الخطاب القرآني ذكر النعلين وأراد النعلين، ولا يمنع المخاطب أن يفهم إضافة إلى ذلك خلع الكونين. ليتحقق لنا إثبات الظاهر مع الإشارة إلى معنى زائدا يفهم عند الظاهر.

7- رأى عبد العظيم الزرقاني :

يرى الزرقاني أن بعض الناس قد فتنوا بالإقبال على دراسة تلك الإشارات والخواطر، فدخل في روعهم أن الكتاب والسنة بل والإسلام كله ما هو إلا سوانح وواردات على هذا النحو من التأويلات والتوجيهات، وزعموا أن الأمر ما هو إلا تخيلات، وأن المطلوب منهم هو الشطح مع الخيال أينما شطح فلم يتقيدوا بتكاليف الشريعة، ولم يحترموا قوانين اللغة العربية في فهم أبلغ النصوص العربية، كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والأدهى من ذلك أنهم يتخيلون ويخيلون للناس أنهم هم أهل الحقيقة، الذين أدركوا الغاية واتصلوا بالله اتصالاً أسقط عنهم التكليف، وسما بهم عن حضيض الأخذ بالأسباب ما دموا في زعمهم مع رب الأرباب، وهذا لعمر الله هو المصاب العظيم الذي عمل له الباطنية، كيما يهدموا التشريع من أصوله ويأتوا بنيانه من قواعد، فواجب النصح لإخواننا المسلمين يقتضينا أن نحذرهم الوقوع في هذه الشباك، ونشير عليهم أن ينفضوا من أمثال تلك التفاسير الإشارية الملتوية، لأنها كلها أذواق ومواجيد خارجة عن حدود الضبط والتقييد، وكثيرا ما يختلط فيها الخيال بالحقيقة والحق بالباطل فالأحرى بالفطن العاقل أن ينأى بنفسه عن هذه المزالق وأن يفر بدينه من هذه الشبهات، وأمامه في الكتاب والسنة وشروحهما على قوانين الشريعة واللغة رياض وجنات¹.

في هذا القول إلحاق التفسير الإشاري بالباطني ثم عدّه من الشبهات، ودافع الزرقاني في ذلك فتنة بعض من طلبة العلم بالإشارات، حتى غدت هي همهم وشغلهم فالتفتوا عن حقيقة المعاني القرآنية، ومعالجة هذه الظاهرة لا يكون بإبطال التفسير الإشاري بل يكون بتوجيه هؤلاء إلى تفسير القرآن على وفق الشريعة وقوانين اللغة، وصرفهم عن التفسير الإشاري لقصورهم لا لقصوره.

8- رأى محمد حسين الذهبي :

¹ . عبد العظيم الزرقاني . مناهل العرفان في علوم القرآن . دار الفكر بيروت . الطبعة الأولى . سنة 1996م . ج 1 ص 558.

يقرر الذهبي أن الأدلة مجتمعة تعطينا أن القرآن الكريم له ظهر وبطن، ظهر يفهمه كل من يعرف اللسان العربي، وبطن يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر، غير أن المعاني الباطنية للقرآن، لا تقف عند الحد الذي تصل إليه مداركنا القاصرة بل هي أمر فوق ما نزن وأعظم مما نتصور¹.

يقول : (أما المعنى الباطن فلا يقف على جريانه على اللسان وحده بل لا بد فيه مع ذلك إلى نور يقذفه الله تعالى في قلب الإنسان ، يصير به نافذ البصيرة سليم التفكير ، ومعنى هذا أن التفسير الباطن ليس أمرا خارجا عن مدلول اللفظ القرآني)² ، ويقول أيضا : (أما الصوفية أهل الحقيقة وأصحاب الإشارة فقد اعترفوا بظاهر القرآن ولم يحدوه كما اعترفوا بباطنه ولكنهم حين فسروا المعاني الباطنية خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، فبينما تجد لهم أفهاما مقبولة تجد لهم بجوارها أفهاما لا يمكن أن يقبلها العقل أو يرضى بها الشرع)³.

والخلاصة في رأي الذهبي أن مثل هذه التفاسير الغريبة للقرآن مزلة قدم لمن لا يعرف مقاصد القوم، وليتهم احتفظوا بها عند أنفسهم ولم يذيعوها على الناس فيوقعهم في حيرة واختلاف، منهم من يأخذها على ظاهرها ويعتقد أن ذلك هو مراد الله من كلامه، وإذا عارضه ما ينقل في كتب التفسير على خلافها ربما كذب بها أو أشكل عليه ومنهم من يكذبها على الإطلاق ويرى أنها تقول على الله وبهتان، إذن ليتهم ما فعلوا ذلك، إذن لأراحونا من هذه الحيرة وأراحوا أنفسهم من كلام الناس فيهم وقذف البعض لهم بالكفر والإلحاد في آيات الله⁴.

9 - رأي محمد كمال جعفر :

في حين آخر يرى كمال جعفر أنه يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أنه من الطبيعي أن لا يقف الصوفي عند المعاني التقليدية في أي من القرآن أو السنة قولاً وعملاً، لأنه ليس

¹ . الذهبي محمد حسين . التفسير والمفسرون للدكتور . مكتبة وهبة القاهرة . الطبعة السابعة سنة 1421 هـ ج2

ص22.

² . المرجع نفسه ج2 ص22.

³ . المرجع نفسه ج2 ص22.

⁴ . المرجع نفسه ج2 ص42.

كالفقيه أو العالم الذي يعتمد على النظر العقلي فحسب، لأن ذلك لا يشبع رغبته ولا يمد روحه بالزاد الضروري، بل إنه يتعمق إلى معان وراء المعنى الظاهر المباشر، وإن لم يكن من الضروري أن تكون هذه المعاني العميقة متناقضة مع تلك المعاني الظاهرية، ويشير كمال جعفر إلى نقطة هامة، وهي أن القرآن بالنسبة للصوفي يحمل حقيقتين متساويتين في الأهمية، فهو من جهة وحي تاريخي اتخذ وضعه في الزمان والمكان المحددين، وهو من جهة أخرى النبع الفيض الذي لا تنفذ حقائقه الإلهية الصادرة عن الله جل جلاله، وهو لا متناه لأنه كلام الموجود الذي لا يتناهى، والمعاني الباطنية لكلماته غير متناهية كذلك أيضاً¹.

كما أن الصوفي المتأمل قد يصل إلى مرحلة يدرك فيها أعماق المعاني الروحية في القرآن، وهذه الفكرة في حد ذاتها بصرف النظر عن الاعتبارات الأخرى قد تثير صعوبات، بحيث أنها تؤدي إلى أن يكون تفسير القرآن مختلفا باختلاف الذوات المشتركة فيها، أي أن يكون الموقف موقفا ذاتيا مما ينتج بدوره تفسيرات متعارضة ويؤدي إلى اضطراب كبير، ولكن الحقيقة أن الصوفية فعلا يرون أن تعدد التفسيرات أمر حتمي، لأن معاني القرآن لا نهائية وتتكشف لكل صوفي حسب طاقته الروحية وحسب فضل الله يؤتيه من يشاء، وليس في ذلك أي ضير ما دام هذا متصلا بالمعاني الكمالية التي لا تتجاوز حدود المعاني المباشرة المتفق عليها².

ومن ثم أمكننا القول بأن تمني الذهبي أن لو أمسك الصوفية عن هذه الإشارات لسدوا بابا وجنبوا غيرهم الحكم لهم أو عليهم، إنما هو جنوح إلى غير ممكن اعتبارا أن الناطقين بالإشارات نطقوا بها مقهورين في فهم ورد عليهم عند الآيات حسب أنوارهم وحسب ما ناوله صاحب الغيب كما يقول ابن عطاء الله، وقد استفاد منه تلامذتهم المريدون في تربيتهم وتعميق فهمهم وغلا كيف يسكت صاحب الحق خوفا ممن لا يقصده بالخطاب. كما أن التخريج الذي خرج "كمال جعفر" للإشكال اللازم تعدد معاني الآيات، وأن فيه كشفا للانهائية المعاني القرآن، فهو تخريج جيد وصائب، إذ كيف يُظن أن يحيط الخلق بكلام الخالق.

¹ . محمد كمال جعفر . التصوف طريقا وتجربة ومذهبا . ص 157 .

² . التستري سهل بن عبد الله . من التراث الصوفي . خدمة محمد كمال إبراهيم جعفر . طبعة دار المعارف القاهرة . سنة

1974م . ص 109 .

4. شروط قبول التفسير الإشاري وأمثله :

أ. شروطه :

- يرى محمد كمال جعفر أنه لا بد قبل تقرير شروط قبول التفسير الصوفي التنبيه إلى أن التفسير الصوفي يرتبط بنوعية اعتقاد المفسر، ويمكن إجمال تفسيراتهم في نوعين :
- 1- التفسير النظري : وهو التفسير المبني على نزعة فلسفية حيث تتوجه الآيات القرآن لديهم وفق نظرياتهم وتتفق مع تعاليمهم .
 - 2- التفسير الإشاري : هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ولا يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة .
- والفرق بين التفسير النظري و التفسير الإشاري في أثرهما على تفسير القرآن أن التفسير النظري يبني على مقدمة علمية تنقدح في ذهن الصوفي أولاً ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك، أما التفسير الإشاري فلا يركز على مقدمات علمية بل يركز على مجاهدات رياضية، يأخذ الصوفي نفسه بها حتى يصل إلى درجة إيمانية تنكشف له فيها من سبل العبارات هذه الإشارات، وتتوالى على قلبه تحليل الآيات من المعاني الربانية .
- كما أن التفسير الصوفي النظري يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من معاني وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل عليه إلا هذا ، على حسب طاقته أما التفسير الإشاري فلا يرى الصوفي أن كل ما يراد من الآية بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ويراد منها أولاً وقبل كل شيء ذلك المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره .
- ويرى "كمال جعفر" في شرطه لقبول التفسير الصوفي أن تأويل الصوفية للقرآن أو الفهم الخاص له إذا خلا من أي هدف سياسي أو اجتماعي، سواء كان لرد اعتبار أو كوثيقة أمن أو بسط سلطان أو كسب ثروة أو احتفاظ بمراكز نفوذ تتعلق بأشخاص أو بجماعات، إذا لم يكن له مثل هذا الهدف وإذا كان لا يعارض نصاً قرآنياً آخر، ولا يعارض الاستعمال العربي، ولا يؤدي إلى تحريف أو انحراف، وإذا كان وجوده يضيف ثروة روحية أو عقلية، وإذا كان لا يدعى من السلطة ما يجعله أمراً ملزماً، بفرض واحدته في الأحقية، إذ

كان كذلك فهو تأويل مقبول، ليست له غاية إلا تعميق الفهم عن الله الذي ما زال كتابه منبعاً لا يغيض ومعيناً لا ينضب للحقائق والأسرار¹.

ومن ثم وبناء على ما سبق من الآراء يمكن تقرير الشروط التي يقبل بها التفسير الصوفي في العناصر الآتية :

1- ألا يكون التفسير الصوفي منافياً للظاهر من النظم القرآني الكريم .

2- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده .

3- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي .

4- ألا يدعى أن التفسير الصوفي هو المراد وحده من الظاهر .

5- ألا يكون التأويل بعيداً لا يحتمله اللفظ فيه تلبيس على أفهام الناس .

فإذا توفرت هذه الشروط، وليس للتفسير ما ينافيه أو يعارضه من الأدلة الشرعية، جاز الأخذ به أو تركه، لأنه من قبيل الوجدانيات، لا تقوم على دليل نظري، وإنما هو أمر يبعث على تنمية المشاعر وتحصيل مكارم الأخلاق، فيجده الصوفي من نفسه ويسره بينه وبين ربه، فله أن يأخذ به أو يعمل بمقتضاه دون أن يلزم به أحداً من الناس، والأحرى ألا يسمى هذا اللون من الفهم تفسيراً وإنما يسمى ذكر النظر بالنظير الذي يعتبر صحيحاً².

ب . أمثلة للتفسير الإشاري :

نذكر أمثلة لعدد من الصوفية مثل سهل ابن عبد الله التستري و السراج الطوسي والجنيد وأبي القاسم القشيري على الترتيب:

سهل بن عبد الله التستري³ :

¹ . محمد كمال جعفر . التصوف طريقاً وتجربة ومذهباً . ص 26 .

² . محمد كمال جعفر . التصوف طريقاً وتجربة ومذهباً . ص 160 .

³ . أبو محمد سهل بن عبد الله التستري ولد في تستر سنة 200هـ كان من كبار العلماء والأولياء ولم يكن له في الورع

نظير لقي ذا النون المصري وأقام في البصرة زمناً طويلاً وتوفي بها سنة 283هـ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج

- جاء له في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾¹ ، قال : (يعني إذ تحركت بغيره لغيره عصمني ، وإذا ملت إلى شهوة من الدنيا منعها عني ، وقوله والذي يميتني ثم يحيي أي الذي يميتني بالغفلة ثم يحييني بالذكر)² .
- كما جاء له في قوله : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾³ ، قال : (الإشارة في البيوت إلى القلب فمنها ما هو عامر بالذكر ، ومنها ما هو خرب بالغفلة ومن ألهمه الله عز وجل بالذكر فقد خلصه من الظلم)⁴ .
- وقال في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَجَاهِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾⁵ . ظاهرهما ما عليه من أهل التفسير ، وباطنها هو الروح والعقل والقلب والطبع والهوى والشهوة ، فإن بغى الطبع والهوى والشهوة على القلب والعقل والروح ، فليتقاتل العبد بسيف المراقبة وسهام المطالعة وأنوار الموافقة ليكون الروح والعقل غالباً والهوى والشهوة مغلوباً⁶ .
- . أبو نصر السراج الطوسي⁷ :
- أورد بعض الأمثلة التي ذكرها الصوفية من طريق الإشارة والاستنباط والفهم الصحيح ، وبين أنهم لم يقدموا فيها ما أخر الله تعالى ولا أخر ما قدم الله ، ولا نازعوا الربوبية ولا خرجوا عن العبودية ولا يكون فيه تحريف الكلم ، منها قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾⁸ ، سئل عنه أبو بكر الكتاني فقال : القلب السليم على ثلاثة أوجه من طريق الفهم :

¹ . سورة الشعراء الآية 80 . 81 .

² . التستري سهل بن عبد الله . تفسير القرآن العظيم . ص 70 .

³ . سورة النمل الآية 52 .

⁴ . المرجع نفسه . ص 70 .

⁵ . سورة الحجرات الآية 9 .

⁶ . المرجع نفسه . ص 91 .

⁷ . أبو نصر السراج الصوفي : هو عبد الله بن علي بن يحيى ، أبو نصر السراج الطوسي الصوفي مصنف كتاب اللمع في

التصوف . توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة . صلاح الدين الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج 8 ص 76 .

⁸ . سورة الشعراء الآية 88 . 89 .

أحدها : هو الذي يلقي الله تعالى عز وجل وليس في قلبه مع الله شريك .
والثاني : هو الذي يلقي الله تعالى وليس في قلبه شغل مع الله عز وجل ولا يريد غير الله تعالى .

والثالث : الذي يلقي الله عز وجل ولا يقوم به غير الله عز وجل ، فني عن الأشياء بالله ، ثم فني عن الله بالله ¹ .

ويعقب السراج الطوسي بقوله : (معنى قوله : فني عن الله بالله ، يعنى يذهب عن رؤية طاعة الله عز وجل ورؤية ذكر الله ورؤية محبة الله ، بذكر الله له ومحبة قبل الخلق ، لأن الخلق بذكره لهم ذكروه ، ومحبته لهم أحبوه ، وبقدسم عنايته بهم أطاعوه) ² .

¹ . السراج الطوسي . اللمع في التصوف ص126

² . المرجع نفسه . ص126 .

. الجنيد بن محمد سيد الصوفية في عصره¹ :

ومثل ما أشار به قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾² ، إلى سكونه وقلة اضطراب جوارحه عند السماع، وكذلك ما كان يشير به أبو على الروذباري إذا رأى أصحابه مجتمعين فيقرأ : ﴿ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾³)⁴ .
. أبو القاسم القشيري⁵ :

وردت له الإشارة في قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾⁶ ، قال : (لا يجوز قتل نفس الغير بغير الحق، ولا للمرء أن يقتل نفسه أيضا بغير الحق، وكما أن قتل النفس بالحديد وما يقوم مقامه من الآلات محرم، فكذلك القصد إلى هلاك المرء محرم، ومن انهمك في مخالفة ربه فقد سعى في هلاك نفسه، وقوله : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا ﴾ أي تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه، وعلى معنى الإشارة إن النصرة من قبل الله ومنصور الحق لا تنكسر سنانة ولا تطيش سهامه)⁷ .

¹ . الجنيد أبو القاسم بن محمد ، النهاوندي الأصل، البغدادي القواريري الخزاز، ولد ببغداد بعد العشرين ومئتين، وتفقه

على أبي ثور. وسمع من الحسن بن عرفة وغيره، واختصَّ بصحبة السري السقطي والحارث المحاسبي وأبي حمزة

البغدادي. وتوفي سنة ثمان وتسعين ومئتين . الصلاح الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج7 ص 223.

² . سورة النمل الآية 88.

³ . سورة الشورى الآية 29.

⁴ . المرجع نفسه . ص129

⁵ . أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري شيخ خراسان في عصره زهدا وعلميا في الدين ولد به سنة (376هـ) له

تصنيف الرسالة القشيرية المشهورة في التصوف، وله تفسير يسمى "لطائف الإشارات" يجمع بين الحقيقة والشرعية

، توفي بنيسابور سنة (465 هـ). عبد المنعم الحفني ، الموسوعة الصوفية ، رقم الترجمة 251 ص 477

⁶ . سورة الإسراء الآية 33.

⁷ . إبراهيم بسيوني . تحقيق لطائف الإشارات للقشيري . القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة الثالثة ، سنة

1981م . ج2 ص 346 .

هذه أمثلة لعدد من كبار العلماء الصوفية ممن جمعوا بين علمي الظاهر والباطن أو بين علم المعاملة وعلم السلوك، نتحقق بها التزامهم بضوابط التفسير الإشاري الصحيح، كما نتبين الفهم الذي يحصل لأرباب السلوك عند معاني الآيات، والذي لا يكون إلا فتحاً ربانياً ووهباً نورانياً، وفيما يلي نرى موقف ابن عطاء الله من التفسير الإشاري ثم نتبعه بأمثلة له من تفسيره.

5. موقف ابن عطاء الله من التفسير الإشاري:

أما تاج الدين بن عطاء الله، فقد عقد فصلاً يبسط فيه تفسير شيخه أبي العباس المرسي لآيات من القرآن على طريقة الصوفية، وبعدها وقف موقف المؤيد المطلق لهذا النوع من التفسير مبيناً الفرق الدقيق بين التفسير الإشاري الذي يثبت الظاهر من الآية على مقتضى اللغة وبين التفسير الباطني الذي يلغي الظاهر من معنى الآية، ويعتبر ابن عطاء الله تفسير الصوفية لكلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالمعاني الغريبة، ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، فيقول: «ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان، وثمة أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه، وقد جاء في الحديث: (لكل آية ظهر وبطن)¹، فلا يصدنك عن تلقى هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله ورسوله، فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا: لا معنى للآية إلا هذا، وهم لم يقولوا ذلك بل يقرون بالظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله ما أفهمهم»².

وبتحليل هذا النص يتبين لنا الضوابط التي يعتمدها ابن عطاء الله في التفسير الإشاري المقبول وليس فيه إحالة لكلام الله وهي:

– ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له.

¹ . السيوطي جلال الدين عبد الرحمن . الإتيان في علوم القرآن . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم . دار التراث القاهرة .

الطبعة الثالثة . سنة 1405 هـ ج 2 ص 314 . والأثر المذكور موقوف على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقد تقدم

تخرجه ص 226.

² – ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص 98 .

- معنى الآية ثابت حسب ما دلت عليه ألفاظها في عرف اللسان.

- ثمة أفهام باطنة تفهم عند الآية لمن فتح الله قلبه .

ثم يبين الضابط الذي به يرد التفسير الإشاري ويعتبر إحالة لكلام الله ويسمي الباطني الباطل ويتمثل فيما يلي:

- القول بأن لا معنى للآية إلا هذا الفهم الباطني.

- عدم الإقرار بالظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها.

ومن ثم نصل إلى نتيجة أن ابن عطاء الله يفرق بدقة بين التفسير الإشاري المقبول والتفسير الباطني الباطل المردود، ويوافق علماء التفسير فيما ذهبوا إليه من الضوابط بينهما سواء ممن سبقوه أو جاءوا بعده.

5 . أمثلة للتفسير الإشاري عند ابن عطاء الله:

يعد ابن عطاء الله أحد الرواد في تهذيب النفس وفق مبادئ القرآن والسنة، وقد وجدت له عدة أمثلة في تفسيره لآيات القرآن، وظف فيها مفاهيم ومصطلحات الصوفية بما نسميه التفسير الإشاري وفيما يلي أثبت بعضها:

يفسر الآية ويشير إلى مصطلح "الاتحاد": وذلك أثناء شرحه لحديث البخاري المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه والمتضمن قوله صلى الله عليه وسلم: «... كنت سمعته الذي يسمع به ...»¹ فيستشهد بقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾² فيقول: «... وكما قال عيسى: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ ، لأنك أنت القائل في صوري وأنت اللسان الذي أتكلم به بحكم أنك متحد في هويتي وعيني ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (من عرف نفسه عرف ربه)³»، وبهذا نجد يوظف المفاهيم الصوفية (الفناء والبقاء والاتحاد) ومثل هذا كثير في مؤلفاته.

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، باب التواضع، رقم 6021 ج 20 ص 158 .

² - سورة المائدة الآية 116 .

³ - الحديث مشهور عند الصوفية وقد ألف فيه السيوطي رسالة أسماها "القول الأشبه في حديث (من عرف نفسه عرف ربه)، وقال عنه الشيخ ابن عربي: وإن لم يصح رواية فقد صح من طريق الكشف . العجلوني إسماعيل بن محمد الجراحي (ت 1162هـ) . كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس . تحقيق أحمد القلاش . بيروت : مؤسسة الرسالة . الطبعة الرابعة 1405هـ ، ص 127 .

وهنا يظهر أن ابن عطاء الله يقول بفكرة الاتحاد بمفهومها الصوفي الإيجابي، والذي يعني كما قال السيوطي : (فناء المخالفات وبقاء الموافقات، وفناء حظوظ النفس من الدنيا وبقاء الرغبة في الآخرة، وفناء الأوصاف الذميمة وبقاء الأوصاف الحميدة، وفناء الشك باليقين)²، وأكد صورة ذلك محي الدين بن عربي بقوله: (من أعظم الدليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شيء، وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها، وإنما كان القمر محلا لها، فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء ولا حل فيه)³.

أما المفهوم السلبي الذي فهمه خصوم الصوفية فهو بمعنى: أن الله تعالى حل في كل ما خلقه في هذا الكون من إنسان وحيوان وأشجار، وبحار وجبال، بمعنى أن المخلوق عين الخالق، وهذا يخالف عقائد الأمة وهو كفر صريح .

ولقد برأ الإمام ابن تيمية أهل التصوف من تهمة القول بالاتحاد بمفهومه السلبي قال في الفتاوي : (ليس أحد من أهل المعرفة بالله يعتقد حلول الرب تعالى به أو بغيره من المخلوقات ولا اتحاده به، وإن سمع شيء من ذلك منقول عن بعض أكابر الشيوخ فكثير منه مكذوب اختلقه الأفاكون من الاتحادية الإباحية الذين أضلهم الشيطان وألحقهم بالطائفة النصرانية)⁴. أقسام المعرفة (الاستدلال والمشاهدة) :

يذكر ابن عطاء الله أثناء حديثه عن "أقسام معرفة الحق"، طريقتين: طريق العقل وطريق المشاهدة، فعن طريق العقل قال: «هي معرفة الأسماء والصفات، ويقع التفاوت فيها بين أهل المعرفة - حسب النظر العقلي - فمنهم من نظر إلى أفعاله وذلك حد معرفته ، ومنهم من نظر إلى قدرة القادر ولاحظ صفاته ورأى حكمته وذلك حد معرفته وإدراك عقله لا يتعداه ، ومنهم من نظر إلى الصانع لا إلى الصنعة ولم تحجبه الصفات عن عظمة الذات وذلك نهاية العقول في الاستدلال بالصنعة على صانعها بداية قال تعالى : ﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، هتك الأستار في علم الأسرار ، ص 27 .

² . السيوطي جلال الدين عبد الرحمان . الحاوي للفتاوي . بيروت . الطبعة الثانية . سنة 1975م . ص 50.

³ . ابن عربي محي الدين . الفتوحات المكية . ج 3 ص 85.

⁴ . ابن تيمية ، الفتاوى الكبرى ، ج 11 ص 75.74.

في السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ¹، وقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾²، وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾³، وقال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾⁴،⁵ فنراه يستدل بالآيات الموافقة لذلك.

ثم يحدثنا عن الطريق الثاني وهو طريق المشاهدة والذي يسلكه الصوفية - ويسمهم الخصوص باختصاصهم بفهم لم يشاركهم فيه غيرهم - وله شواهد من الآيات، وعندها يوظف فهمه الصوفي لها فيقول: «أما استدلال الخصوص بالصانع على صنعته نهاية، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁶، وقوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾⁷، وقوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁸، والناس في المشاهدة على ثلاثة أقسام: بداية للعامة، ووسط للخاصة، ونهاية لخاصة الخاصة. فالعموم شاهدوا جمالا حسن الصورة حسن المعنى في الجسم الكثيف المركب الأدنى، والخصوص شاهدوا جمالا حسن الصورة حسن أس المعنى اللطيف المفيد في هياكل الفناء، وخصوص الخصوص شاهدوا جمال إجلال حسن الجمال الأسنى المنزه المطلق في الوجود، الصادر عن سر الأسماء الحسنى. وكل مشاهد إنما يشهد بقدر ما رفع له من الحجاب، وأشهده إياه من قسمة كانت له في أم الكتاب، فمن مشاهد يشهد مخلوقا مفيدا خلقا بخلق، ومشاهد يشهد تحقيقا مطلقا حقا بحق، فشتان بين ناظر معتبر وناظر»⁹.

¹ - سورة يونس الآية 101 .

² - سورة الغاشية الآية 17 .

³ - سورة البقرة الآية 164 .

⁴ - سورة الذاريات الآية 20 - 21 .

⁵ - ابن عطاء الله السكندري . القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد . ص 59 .

⁶ - سورة فصلت الآية 53 .

⁷ - سورة النساء الآية 79 .

⁸ - سورة إبراهيم الآية 10 .

⁹ - ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ص 59 .

المبحث الثالث :

أسلوب ابن عطاء الله في التأليف والتفسير.

1. أسلوب ابن عطاء الله من خلال مؤلفاته .
2. استخلاصه لمعنى الآية ثم صياغته بأسلوبه .
3. تفصيله في معنى الآية على أسلوب المناطق .
4. توظيفه لأسلوب الوعظ .
5. توظيفه لأسلوب المناجاة .

1. أسلوبه من خلال مؤلفاته :

تعدد ألفاظ المترجمين لابن عطاء الله في وصف أسلوبه، وقد تتبع ذلك المحققون لمؤلفاته منهم خالد الأزهرى الذي قال أثناء تحقيقه لكتاب "ترتيب السلوك" : (وكلامه في كتبه على طريقة أهل التصوف¹، حيث يشرح كلامهم بآثار السلف وفنون العلم²، ويلوح من كتبه أسرار ومعارف وحكم ولطائف³، أما أسلوبه فينطبع بالإمتاع المفضي إلى الإقناع فكلماته بديعة⁴ وعباراته عذبة لها وقع في القلوب⁵، ولذا وصفوا مصنفاته بأنها مفيدة⁶ ونافعة⁷)⁸.

ومن ثم كان يتكلم بالجامع الأزهر فوق كرسي بكلام يروح النفوس⁹، وحلقاته تعجّ دائما بالمستمعين المعجبين، ذلك أن لدروسه وأسلوبه في الشرح حلاوة وتأثير على السامعين¹⁰، إذ يمزج كلام القوم بآثار السلف، وفنون العلم، له تصانيف كلها مشتملة على أسرار ومعارف وحكم ولطائف نثرا ونظما¹¹.

¹ - الداودي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد . طبقات المفسرين . تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة وهبة . طبعة الأولى . سنة 1392هـ - 1972م . ج 1 ص 76.

² - ابن حجر . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . ج 1 ص 292.

- ابن عماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج 6 ص 19.

³ - ابن عماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج 6 ص 20.

⁴ - تاج الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج 5 ص 176.

⁵ - صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي . الوافي بالوفيات . اعتناء محمد يوسف نجم . بيروت دار صادر 1391هـ - 1971م . ج 8 ص 57.

⁶ - ابن فرحون . الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب . ص 70.

- الداودي ، طبقات المفسرين . ج 1 ص 76.

⁷ - الصومعي أحمد التادلي ، المُعزّي في مناقب الشيخ أبي يعزى ، تحقيق : علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير 1996 ، ص 285.

⁸ - خالد الأزهرى ، مقدمة التحقيق لكتاب "ترتيب السلوك لابن عطاء الله السكندري" ، ص 7.

⁹ - الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) . سير أعلام النبلاء . تحقيق مجموعة من الفضلاء .

مؤسسة الرسالة بيروت . سنة 1405هـ ، ج 11 ص 97.

10 - جمال الدين الشيال ، أعلام الإسكندرية ، ص 221.

¹¹ - ابن عطاء الله السكندري ، القصد الجرد ، ضبط وتصحيح : مرسي محمد علي ، ص 03 .

تتميز الكتابة العطائية بمميزات ذكرها العلماء المحققون لمؤلفاته ، وبهذا التميز في الأسلوب تكتشف المصنفات المنسوبة إليه من حقيقة النسبة، ولبيان ذلك نتتبع ما وُصفت به بعض مؤلفاته، حسب كل مصنف وما وجدنا عنه من أوصاف :

. رسالة ترتيب السلوك: قال عنها المحقق خالد الزهري: « وقد اطلعت على هذه الرسالة وتاملت مضمونها وشكلها فألفيتها لا تنسجم مع الإطار العام الذي يضبط عناصر الكتابة عند ابن عطاء الله، ولا تنطبق عليها خصائص أسلوبه، فأسلوبها تقريرى بخلاف سائر مصنفات ابن عطاء الله ذات الطابع التصويري والوقع العذب والتأثير البديع، مكا أنها خلت من أي استدلال بكلام أبي العباس المرسى، ولا وجود لكلام أبي الحسن الشاذلي إلا مرة واحدة، والحالة أنه لا تكاد تخلو كتبه من كلامهما، وعليه فأقصى ما يمكن أن يقال في هذه الرسالة أنها منسوبة إليه وليست له »¹.

. كتاب مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح: قال عنه خالد الأزهرى: « له عدة عناوين منها هذا الذي ورد عند سركيس وبر وكلمان، وذكره حاجي خليفة والبغدادي بعنوان(مفتاح الفلاح في ذكر الله الكريم الفتح) ، وورد عند ابن عجيبة بعنوان(مفتاح الفلاح في الذكر وكيفية السلوك)، وقال فيه الصومعي:(يصلح للسالكين خصوصاً). وقد أنكر أبو سالم العياشي نسبة هذا الكتاب إلى ابن عطاء ، ونسب هذا الإنكار إلى شيخه عبد القادر الفاسي، وعمه العارف بالله عبد الرحمان الفاسي اللذين نسباه إلى شمس الدين البرشيني، وعمدتهم في ذلك أن كلام ابن عطاء الله لا يخلو من كلام شيخه المرسى والشيخ أبي الحسن الشاذلي مما هو غائب في "مفتاح الفلاح"². ويمكن أن يضاف: أن هذا الكتاب مطبوع بالتكلف في عبارته والتعسف في صياغته، وهذا مناقض لأهم خصائص الكتابة العطائية وهي عذوبة العبارة، والإبداع في الصياغة بدون تصنع، كما ان ابن عطاء الله يستنكف عن الإغراق في التحليل الكلامي الفلسفي لمسائل العقيدة مما هو ملاحظ في هذا الكتاب

¹ - ابن عطاء السكندري كتاب ترتيب السلوك ويليهِ رسالة في أدب العلم، تحقيق : خالد الأزهرى ، ص8.

² - أبو سالم العياشي ، الرحلة العياشية ، ج 1 ص 357 .

المذكور»¹، ومن ثم فإن عذوبة العبارة، والإبداع في الصياغة دون تكلف، ومجانبة الجدل الكلامي في العقيدة سمة تأليف ابن عطاء الله .

رسالة في أدب العلم :. قال عنها خالد الزهري: «هذه الرسالة بعث بها إلى أصحابه بالإسكندرية وهي "أدب العلم" ، وفي مبناها ومعناها تنسجم مع ما ورد في كتبه الصحيحة النسبة إليه ككتاب "الحكم" و "لطائف المنن" و "التنوير في إسقاط التدبير" ، بل إننا نجد فيها عبارات هي نفسها مذكورة بلفظها في سائر كتبه خاصة "الحكم" ، كما أنها لم تخل من أهم ميزة تسم الكتابة لديه وهي الجمع بين أسلوب الإمتاع وأسلوب الإقناع»².

.الحكم العطائية : فيما يلي شهادات وصفية لكتاب "الحكم" :

قال الشيخ ابن عباد يصف كتاب "الحكم" : « لكونه صغير الجرم عظيم العلم، ذا عبارات رائعة ومعان حسنة فائقة، قصد فيها إلى إيضاح طريق العارفين والموحدين وإبانة مناهج السالكين والمتجربين ، أخذنا في وضع تنبيه يكون كالشرح لبعض معانيه الظاهرة، وكالكشف للمعة يسيرة من أنواره الباهرة، ولا قدرة لنا على استيفاء جميع ما اشتمل عليه الكتاب وما تضمنه من لباب اللباب، لأن كلام الأولياء والعلماء بالله منطوق على أسرار مصونة وجواهر حكم مكنونة لا يكشفها إلا هم ، ولا تتبين حقائقها إلا بالتلقي عنهم»³. وقال الشيخ "أحمد زروق" مبينا قوة سبك العبارات وقوة تماسكها في كتاب "الحكم" : «...وأوله مرتبط بالأخير من قوله، بل كل مسألة منه تكملة لما قبلها وتوطئة لما بعدها، وكل باب منه كالشرح للذي قبله والذي قبله كأنه - مقدمة - له، كل حكمة إنما هي بالتكملة أو المقدمة، فأوسطه طرفاه، وآخره مبتداه، وأوله منتهاه»⁴.

وقال "أحمد عز الدين خلف الله" : « الحكم العطائية دستور للتربية الإسلامية أولا

وآخرها، صاغه أحد المجتهدين في عبارات سهلة جزلة رائعة، وإشارات جامعة مانعة، حتى

¹ - ابن عطاء السكندري كتاب ترتيب السلوك ويليهِ رسالة في أدب العلم، تحقيق : خالد الأزهرى، ص11.

² - المصدر نفسه ، ص39.

³ - ابن عباد الرندي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت792هـ)، غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، وضع

حواشيه خليل عمران المنصور ، بيروت ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1419هـ-1998م ، ص 2.

⁴ - أحمد زروق ، الشرح السابع عشر للحكم ، تحقيق: عبد الحليم محمود و محمود شريف ، دار الشعب

1405هـ، ص44.

صلحت كل كلمة منها موضوع رسالة لدرجة الدكتوراه في التربية أو علم النفس التربوي طبقاً للمعنى الذي تدور حوله وقل مثل ذلك في التوحيد، والأخلاق، والصحة النفسية وغيرها من العلوم الأساسية في التربية الإسلامية. وإني لأتحدى جميع علماء التربية المعاصرين في العالم عرباً كانوا أو أعاجم، أن يحاولوا صياغة دستور مثل هذا الدستور الذي صنفه صاحبه في القرن السابع الهجري.

وقد حاول الكثيرون مجاراته في هذا الميدان، فلم يدركوا شأوه ولم يبلغ أحدهم مداه ولا نصيفه مع غزارة علومهم وتبحرهم بوجه خاص في علوم المعرفة، ويكفي أن شروح "الحكم" تقع في حوالي مائة مجلد، ومع ذلك فإنك حين تقرأ الأصل تجد أنه يفوقها جميعاً، على صغر حجمه»¹.

وقال الأستاذ رمضان البوطي: «هو - أي كتاب الحكم - مجموعة من مقاطع الكلام البليغ الجامع لأوسع المعاني بأقلّ العبارات»².

كتاب لطائف المنن: قال الشيخ عبد الحليم محمود في مقدمة تحقيقه لكتاب "لطائف المنن": «وإننا حين نقدم هذا الكتاب - أي "لطائف المنن" - فإنما نقدم كتاباً من النوع النفيس الذي يقرؤه القارئ فينعم بأسلوب جميل، ويستفيد علماً نافعاً، وهكذا كتب ابن عطاء الله السكندري، إنها في أساليبها تتسم بالفصاحة، وفي معانيها تتسم بالنفاسة، وهي بأسلوبها ومعانيها تنبثق عنها روحانية هي سمة مؤلفات أولياء الله، وإذا كان أولياء الله هم الذين إذا رؤوا ذكر الله، فإن مؤلفاتهم حينما تقرأ فإنها تهدي إلى الله وتقود إليه سبحانه، ولقد قال "أبو الحسن الشاذلي": كتاب "الإحياء" يفيد العلم، وكتاب "قوت القلوب" يفيد النور، وكلاهما يفيدان العلم والنور، وكذلك الأمر في كتب ابن عطاء الله: تفيد العلم والنور وتفيد لذة تذوق الأسلوب الجميل، وإذا كان أسلوب ابن عطاء الله قد بلغ القمة في كتابه "الحكم" حتى ليقول الشيخ "محمد عبده": (كاد كتاب الحكم أن يكون قرآناً)، فإن أسلوبه في بقية كتبه هو من الأساليب الممتازة في البلاغة: كلامه جواهر، وجواهره لآلى، ولآله

¹ - ابن عطاء الله السكندري، الحكم، تحقيق: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، ص 53.

² - سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج 1 ص 9.

ماس ، وماسه من النوع النادر، ولقد بلغ ابن عطاء الله القمة : أسلوبا ومعنى في مناجاته التي يقرؤها الصالحون قبيل الفجر فيجدون ثمرتها إشراقا في صدورهم ونورا في قلوبهم¹ .

ونتيجة لهذه الشهادات يمكننا أن نلخص تلك المميزات فيما يلي :

- ✓ سائر مصنفات ابن عطاء الله ذات طابع تصويري ووقع عذب وتأثير بديع .
- ✓ لا تكاد تخلو كتبه من كلام شيخه المرسي والشيخ أبي الحسن الشاذلي .
- ✓ عذوبة العبارة، والإبداع في الصياغة بدون تصنع
- ✓ الاستنكاف عن الإغراق في التحليل الكلامي الفلسفي لمسائل العقيدة .
- ✓ تكرر عبارات هي نفسها مذكورة بلفظها في سائر كتبه خاصة "الحكم" .
- ✓ الجمع بين أسلوب الإمتاع وأسلوب الإقناع .
- ✓ قوة سبك العبارات وقوة تماسكها في كتاب "الحكم" وأوله مرتبط بالأخير من قوله، بل كل مسألة منه تكملة لما قبلها وتوطئة لما بعدها ، صغير الجرم عظيم العلم، ذو عبارات رائعة ومعان حسنة فائقة .
- ✓ عبارات الحكم سهلة جزلة رائعة، وإشارات جامعة مانعة، حتى صلحت كل كلمة منها موضوع رسالة لدرجة الدكتوراه في التربية أو علم النفس التربوي طبقا للمعنى الذي تدور حوله وقل مثل ذلك في التوحيد، والأخلاق، والصحة النفسية وغيرها من العلوم الأساسية في التربية الإسلامية.
- ✓ كتاب الحكم مجموعة من مقاطع الكلام البليغ الجامع لأوسع المعاني بأقل العبارات.
- ✓ كتاب "لطائف المنن" من النوع النفيس يقرؤه القارئ فينعم بأسلوب جميل، يستفيد علما نافعا .
- ✓ وهكذا كتب ابن عطاء الله السكندري، إنها في أساليبها تتسم بالفصاحة، وفي معانيها تتسم بالنفاسة، وهي بأسلوبها ومعانيها تنبثق عنها روحانية هي سمة مؤلفات أولياء الله، وإذا كان أولياء الله هم الذين إذا رؤوا ذكر الله، فإن مؤلفاتهم حينما تقرأ فإنها تهدي إلى الله وتقود إليه سبحانه.

¹ - عبد الحلهم محمود ، مقدمة لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري ، ص15 .

✓ تفيد العلم والنور وتفيد لذة تذوق الأسلوب الجميل، وإذا كان أسلوب ابن عطاء الله قد بلغ القمة في كتابه "الحكم" حتى ليقول الشيخ "محمد عبده": (كاد كتاب الحكم أن يكون قرآنا)، فإن أسلوبه في بقية كتبه هو من الأساليب الممتازة في البلاغة: كلامه جواهر، وجواهره لآلى، ولآله ماس، وماسه من النوع النادر، ولقد بلغ ابن عطاء الله القمة: أسلوبا ومعنى في مناجاته¹.

2. استخلاصه لمعنى الآية ثم صياغته بأسلوبه:

يستخلص ابن عطاء الله المعنى الوارد في الآية المناسبة لموضوع حديثه ثم يوظف معناها بأسلوب مرتب تتجلى فيه الفكرة، ومثال ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾²، يبين معناها ثم يعيد صياغته بأسلوبه، تقريبا للأفهام واستنطاقا للمعاني المستفادة من الآية فيقول: «رتب سبحانه وتعالى استحقاق السلام عليهم على محبتهم للرسول صلوات الله عليه وسلامه، فكأنه يقول: إذا جاءوك فسلم عليهم نيابة عني فإن سلامك من سلامي»³. فهذه الصياغة بمثابة التفسير والمعنى المستفاد من الآية.

3. تفصيله في معنى الآية على أسلوب المنطقة:

فصل ابن عطاء الله في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁴، على طريقة المنطقة من إيراد التقسيمات في المعنى ليفصل كل معنى لوحده، ثم يفند ما يحتمل من الاعتراضات بقوله (فإن قال قائل قلت) وفي كل مرة يجب ليصل في النهاية إلى النتيجة فيقول: «اعلم أن الأحوال ثلاثة: قبل التحكم، وفيه، وبعده.

¹ - عبد الحليم محمود، مقدمة لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري، ص 15.

² - سورة الأنعام الآية 54.

³ - ابن عطاء الله السكندري، تفسير الآية 54 من سورة الأنعام، ص 14.

⁴ - سورة النساء الآية 65.

فأما قبل التحكيم: فعبوديتهم التحكيم، وأما في الحكم، وبعده فعبوديتهم: عدم وجدان الحرج في أمورهم.

فإن قلت: إن ذلك لازم من قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾. قيل: ليس كل من حكم فقد الحرج عنه، إذ قد يحكم ظاهراً والكراهة عنده موجودة فلا بد أن ينضم إلى التحكيم، فقدان الحرج ووجود التسليم.

فإن قال القائل: إذا لم يجدوا الحرج فقد سلموا تسليماً، فما فائدة الإتيان بقوله: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ بعد نفي الحرج المستلزم لقبول التسليم، الذي من صفته وجود التأكيد؟

فالجواب عنه: أن قوله تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ أي في جميع أمورهم فإن قلت: إن ذلك لازم من قوله: ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾. فالجواب: أن التحكيم ما أطلقه بل قيده بقوله تعالى: ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فصارت الآية تتضمن ثلاثة أمور - أي نتيجة ذلك - :
أحدها: التحكيم فيما اختلفوا فيه.

الثاني: عدم وجدان الحرج في التحكيم.

والثالث: وجود التسليم المطلق، فيما شجر بينهم، وفيما نزل في أنفسهم، فهو عام بعد خاص فافهم¹.

وهذه الطريقة وجدت عند المتكلمين وكذا المفسرين منهم الفخر الرازي مثل قوله :
(فإن قلت : إذا أفاد جمعاً مخصوصاً من ذلك الجنس فقد أفاد تعريف ذلك الجنس، قلت :
هذه الفائدة كانت حاصلة بدون الألف واللام، لأنه لو قال: رأيت رجالاً، أفاد تعريف ذلك الجنس وتميزه عن غيره، فدل على أن للألف واللام فائدة زائدة وما هي إلا الاستغراق)².

كما يستعمل ابن عطاء الله ألفاظ المناطقة والمتكلمين في تفسيره، مثل "النظر الكلي" فيقول: « فاعلم أن التصديق تارة يكون مع شهود المصدق به، وتارة يكون مع الغيبة عنه وهذا نظر كلي والطريق التي يستند إليها المؤمنون أولها: ... طريق أهل العموم والثاني : قيام الدليل والبرهان والطريق الثالث: هم الذين استند إيمانهم إلى شهود

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص11.

² - الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ج2 ص 180.

عيان وهم الراسخون في العلم وهذا طريق أهل الله»¹، فالنظر الكلي من ألفاظ المناطقة يفصلون به في مقابل النظر الجزئي.

4. توظيفه لأسلوب الوعظ :

يستعمل ابن عطاء الله أسلوب الوعظ ليستخرج به لوث التدبير ومنازعة المقادير من نفس العبد، فمثلاً عند تفسيره للآية 54 من سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾، وبعد تفصيله لمعاني "كتب" قال: «فكأنه سبحانه يقول لك: يا عبدي علمت اضطرابك، وغلبت شهود مساوئك عليك، فوعدتك رحمتي، وما اكتفيت لك بذلك حتى كتبت لك على نفسي كتاباً، لئلا يستولي عليك اليأس من فضلي، ولئلا يغلب عليك مطالعة عدلي»²، وهذا الأسلوب الوعظي طريقه خطاب الله لعبده بلسان الحال محاكاة للحديث القدسي بلسان المقال وهو نوع من التأليف عند ابن عطاء الله، فقد ألف كتابه "تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس" على نسق هذا الأسلوب فقال في بدايتها: «أيها العبد اطلب التوبة من الله في كل وقت فإن الله تعالى قد ندبك إليها.....أتريد أن تجاهد نفسك وأنت تقويها بالشهوات حتى تغلبك ألا فقد جهلت قال قلب شجرة تسقى بماء الطاعة وثمراتها مواجيدها....»³، كما نجد هذا الأسلوب عند الشيخ عبد القادر الجيلاني⁴ في كتابه "الفتح الرباني"⁵ وهو مجموع اثنين وستين مجلساً أولها في "عدم الاعتراض على الله"، وآخرها في "التوحيد"، اعتمد فيها الشيخ الجيلاني على أسلوب الوعظ المباشر للمخاطب تارة بقوله "يا غلام" وتارة بالجمع.

5. توظيفه لأسلوب المناجاة :

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، تفسير الآية 54 من سورة الأنعام ، ص 19.

² - ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، برعاية عاصم الكيالي ، ص 102 .

³ - ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 4 و ص 7.

⁴ - عبد القادر بن صالح الجيلاني الحنبلي شيخ بغداد مولد سنة 471 هـ بجيلان تفقه على يد أبي سعيد المحرّمي توفي ببغداد سنة 561 هـ . الذهبي في سير أعلام النبلاء ، رقم الترجمة 5061 ج 15 ص 182.

⁵ - كتاب الفتح الرباني يقع في 311 صفحة طبعة دار الكتب العلمية بيروت، سنة 1418 هـ الموافق ل 1997 م.

أسلوب المناجاة أسلوب مؤثر يخاطب فيه العبد من سره في سره فيصلح حاله....ولذا ختم ابن عطاء الله كتابه "التنوير في إسقاط التدبير" بمناجاة الحق لعبده على مثل هواتف من الحق إلى الخلق في شأن ترك التدبير وتؤكد ضمان الرزق وقد تضمنت ست نداءات فقال: « فصل: نذكر فيه مناجاة الحق سبحانه وتعالى لعبده على ألسنة هواتف الحقائق في شأن التدبير والرزق.

أيها العبد: ألق سمعك وأنت شهيد، يأتك مني المزيد، وأصغ بسمع قلبك، فأنا عنك لست ببعيد.

أيها العبد: كنت لك بتدبيري لك من قبل أن تكون لنفسك، فكن لنفسك بأن لا تكون لها، وتوليت رعايتها قبل ظهورك، وأنا الآن في الرعاية لها.

أيها العبد: أنا المنفرد بالخلق والتصوير، وإن المنفرد بالحكم والتدبير، لم تشركني في خلقي وتصويري فلا تشاركني في حكمي وتدبيري. أنا المدبر للملكي، وليس لي فيه ظهير، وأنا المنفرد بحكمي فلا أحتاج فيه إلى وزير.

أيها العبد: من كان لك بتدبيره قبل الإيجاد فلا تنازعه في المراد، ومن عودك حسن النظر منه لك، تقابله بالعناد.

أيها العبد: عودتك حسن النظر مني لك فكن على إسقاط التدبير منك معي.

أيها العبد: أمرتك بخدمتي، وضمنت لك قسمتي، فأهملت ما أمرت وشككت فيما ضمننت، ولم أكتف لك بالضمان حتى أقسمت ولم أكتف بالقسم حتى

مثلت، وخاطبت عبادا يفهمون، فقلت: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ،
فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَّا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ﴾¹. ولقد اكتفى بوصفي
العارفون، واحتال على كرمي الموقنون. فلو لم يكن وحدي لعلموا أنني لا أقطع عنهم واردات
رفدي. ولو لم يكن ضماني لوثقوا بوجود إحساني. وقد رزقت من غفل عني وعصاني.
فكيف لا أرزق من أطاعني ورعاني؟².

وقد أعاد إثبات هذه المناجاة في كتابه "تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس" بتفصيل
وزيادة أطول من هذا فقال: «فصل: نذكر فيه مناجاة الحق سبحانه وتعالى لعبده على لسان
هو أنف الحقائق في شأن التدبير والرزق.....»³، ثم أتبع ذلك بمناجاة العبد إلى ربه تكرر
فيها لفظ (إلهي) عشر مرات فقال فيها: «إلهي أنا الفقير في فقري فكيف وأنا الجهول في
علمي فكيف لا أكون جهولا في جهلي، إلهي مني ما يليق بلؤمي زمنك ما يليق بكرمك
.....أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر»⁴.

¹ - سورة الذاريات الآية 22-23 .

² - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 122 .

³ - ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 42

⁴ - المصدر نفسه ، ص 44 . 45.

الفصل الثالث :

البحث الدلالي في تفسير ابن عطاء الله .

المبحث الأول :

الاشتقاق ودلالة الصيغ في تفسير ابن عطاء الله .

المبحث الثاني :

الدلالة اللغوية وتطبيقاتها في تفسير ابن عطاء الله .

المبحث الثالث :

الظواهر اللغوية وأثرها في دلالة الآيات .

تمهيد:

اللغة العربية لغة حية متطورة لها القدرة على مواكبة التطور في جميع النواحي، وذلك من خلال قدرتها على استحداث الألفاظ، والمفردات التي يتطلبها هذا التطور، فهي لغة اشتقاقية، والاشتقاق من أهم الوسائل التي لجأ إليها العلماء في استحداث الألفاظ، مما دعا بعضهم إلى تأليف كتب مستقلة في هذا الجانب - نذكر على سبيل التمثيل - "الاشتقاق" لابن دريد (ت 321هـ)، وبعض آخر خصص فصولاً في كتبهم منهم: "ابن جني" في "الخصائص" و"السيوطي" في "المزهر في علوم اللغة".

أما الدلالة الصرفية فإنها تستمد عن طريق الصيغ الصرفية وبنيتها¹، فعلم الصرف يدرس التغيرات التي تطرأ على أبنية الألفاظ، فتؤدي دلالات جديدة، وأن هذه التغيرات وحدات صوتية تكون إما سابقة أو لاحقة، أو داخلية في الكلمة، إلا أن علم الصرف يعدّ مقدمة لعلم النحو وملازماً له في العربية، لأنّ اهتمام الصرف ببنية الكلمة إنما هو لاستعمالها في تركيب نحوي².

وضمن هذا المسار أتبع في هذا الفصل تفسير ابن عطاء الله لآيات القرآن الكريم بنظرة دلالية معتمداً على الدلالية اللغوية والدلالة الصرفية والدلالة التركيبية، وسوف أحاول الكشف عن أنواع الدلالات التي وجدتها لابن عطاء الله في تفسيره بعد التعريف والتمثيل لها عند غيره من علماء اللغة والتفسير.

¹ . إبراهيم أنيس . دلالة الألفاظ . مكتبة الأنجلو المصرية . الطبعة الخامسة . سنة 1984م . ص 47.

² . عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي وداود غطاشة . علم الدلالة والمعجم العربي . دار الحرية للطبع والنشر . الطبعة الأولى سنة 1989م . ص 35.

المبحث الأول :

الاشتقاق ودلالة الصيغ في تفسير ابن عطاء الله.

المطلب الأول : الاشتقاق وأنواعه .

المطلب الثاني : دلالة الصيغ الصرفية والتركيبية .

المطلب الأول : الاشتقاق وأنواعه

1. تعريفه .

2. أنواعه .

أ . الاشتقاق الصغير .

1 - الاسم المفرد "الله" .

2 - حرف الألف .

ب . الاشتقاق الكبير .

1. تعريفه :

أشار العلماء إلى تعريفات كثيرة للاشتقاق، تدور كلها في محور واحد، إلا الاختلاف في وجهات نظر كل عالم، و أقدم التعريفات ما جاء عن "الزجاج" في اشتقاق الكلمات إذ يقول: (إن كل لفظتين اتفقا في بعض الحروف، وإن نقصت حروف إحداها عن حروف الأخرى، فإن إحداها مأخوذة من صاحبتهما) ¹، وحده "علي بن عيسى الرماني" بأنه: () اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه على الأصل) ² ، فالاشتقاق عند العرب: هو علم عملي تطبيقي، لأنه عبارة عن: (توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد، يحدد مادتها ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد) ³. فالاشتقاق بهذه الصورة، هو إحدى الوسائل الرائعة في اللغة التي تنمو عن طريقها وتوسع، ويزداد ثراؤها في المفردات، فتمكن به من التعبير عن الجديد من الأفكار والمستحدث من وسائل الحياة ⁴.

-
- ¹ . الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري . معاني القرآن وإعرابه . تحقيق: عبد الجليل عبده شلي . خرج أحاديثه: علي كمال الدين محمد . دار الحديث القاهرة . سنة 2004 . (د.ط) . ج 1 ص 38 .
- السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر(ت 911هـ) . المزهر في علوم اللغة وأنواعها . تحقيق: محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البيجاوي . دار إحياء الكتب العربية . مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده . (د.ت.ط) . ج 1 ص 354 .
- ² . كتاب الحدود في النحو للرماني . ضمن رسائل في النحو واللغة (وهي ثلاث رسائل) / كتاب تمام لفصيح الكلام، لابن فارس / وكتاب الحدود في النحو للرماني / وكتاب منازل الحروف للرماني / تحقيق: مصطفى جواد ويوسف يعقوب مشكوبي / دار الجمهورية . بغداد . 1969م / (د.ط) ، ص 39 .
- ابن جني :أبو الفتح عثمان(ت 392هـ) . الخصائص . تحقيق: محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد . الطبعة الرابعة . سنة 1990م ، ج 2 ص 136 .
- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن . الأشباه والنظائر في النحو . تحقيق: عبد العال سالم مكرم . مؤسسة الرسالة بيروت . الطبعة الأولى . سنة 1985 ، ج 1 ص 56 .
- عبد الرسول سلمان الزبيدي . البحث اللغوي عند فخر الدين الرازي . أطروحة دكتوراه . كلية الآداب جامعة بغداد . سنة 1990م ، ص 314 .

3 . صبحي الصالح . دراسات في فقه اللغة . مطابع دار العلم للملايين . الطبعة الثانية . سنة 1978م ، ص 174

⁴ . رمضان عبد التواب ، فصول في فقه العربية ، مطبعة المدني . بغداد ، ط3 سنة 1987م ، ص 291 .

وقد أشار ابن عطاء الله إلى الاشتقاق في بعض من آيات القرآن الكريم حسبما دعت حاجة الموضوع ويقصد به الاشتقاق الصغير، أما الاشتقاق الكبير فلم يتعرض له، وقد وجدت له تفصيل في اشتقاق اسم الجلالة (الله)، وبسط في اشتقاق حرف الألف، ولذلك سوف أقصر على هذين المثالين في هذا المطلب مقدما قبل ذلك تعريف للاشتقاق الصغير.

2. أنواعه : للاشتقاق نوعين هما : (الاشتقاق الصغير والاشتقاق الكبير).

أ. الاشتقاق الصغير:

هو أكثر أنواع الاشتقاق ورودا في اللغة، ويسميه بعض العلماء: الاشتقاق العام¹، أو الاشتقاق الصرفي²، أو الاشتقاق الأصغر³، ولا خلاف بين علماء اللغة في تعريفه فهو عندهم: أخذ صيغة من أخرى، مع اتفاقهما معنى، ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مقيدة لأجلها، اختلفا حرفا أو هيئة، كضارب من الضرب⁴.

بيد أن ما أجده في تفسير ابن عطاء الله أنه يتكلم عن اللفظة في النص، ولم يشير إلى تقسيمات العلماء السابقين، ولكنه يذكر لفظة (اشتقاق) وهو عنده الاشتقاق الصرفي أو يذكر المادة الأولى، وسأذكر اشتقاق الألفاظ التي وجدتها له في تفسيره:

1 - الاسم المفرد "الله":

أورد ابن عطاء الله لاشتقاق كلمة (الله) وهو اسم الجلالة، في القسم الأول من كتابه "القصص المجرد في معرفة الاسم المفرد" بعنوان: "في معرفة اشتقاقه وأقسامه وذكر تفصيل حروفه" فقال: «اشتقاق الاسم المفرد: وقد اختلف العلماء في هذا الاسم المفرد، هل هو مشتق أم لا؟ والكلام فيه على ثلاثة أوجه: أحدها من طريق اللغة، الثاني من

¹. علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، لجنة البيان العربي، ط4 سنة 1956م، ص 178.

². رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص 291.

³. ابن جني: أبو الفتح عثمان (ت 392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الرابعة. سنة 1990م، ج 2 ص 135.

⁴. المرجع السابق، ج 2 ص 135.

طريق الحكمة، الثالث من طريق المعرفة ¹ ، ويعيننا في هذا الموضوع الوجه الأول من طريق اللغة فقط وفيه يقول: « فأما الوجه الأول فمن طريق اللغة فعلى قولين: قائل يقول باشتقاقه وإطلاقه، وقائل يقول بالتوقف عنه ومنعه».

فقد بين ابن عطاء الله الخلاف الواقع في اسم الجلالة إلى قولين ، وقد نقل هذا الخلاف كثير من المفسرين نتعرف على أقوال بعضهم فيما يلي مرتبة حسب الزمن :

قال القشيري(ت 465هـ): ﴿الله﴾ اسم تفرّد به الحق - سبحانه فلا سميّ له فيه . قال الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم : 65] اي هل تعرف أحداً غيره تسمّى ﴿الله﴾ ، فهذا اسم يدل على استحقاق صفات الجلال لا على اشتقاق الألفاظ ،²

قال الفخر الرازي(ت 606هـ): (وههنا بحث ، وهو أن جماعة من المحققين ذهبوا إلى أن قولنا : الله جار مجرى الإسم العلم لذات الله تعالى وذهب قوم آخرون إلى أنه لفظ مشتق والحق عندنا هو الأول)³

قال القرطبي(ت 668هـ): (واختلفوا في هذا الاسم هل هو مشتق أو موضوع للذات علم؟، فذهب إلى الأول كثير من أهل العلم. واختلفوا في اشتقاقه وأصله، وروى سيبويه عن الخليل)⁴.

قال ابن عجيبة(ت 1224هـ): (و ﴿الله﴾ اسم مُزْتَجَلٌ جامد ، والألف واللام فيه لازمة لا للتعريف، قال الواحدي : اسم تفرّد به الباري - سبحانه - يجري في وصفه مجرى الأسماء الأعلام، لا يُعرف له اشتقاق، وقال الأقلّيشي ⁵ : إن هذا الاسم مهما لم يكن مشتقاً كان دليلاً على عين الذات ، دون أن يُنظر فيها إلى صفة من الصفات، وليس باسم مشتق من صفة، كالعالم والحق والخالق والرازق ، فالألف واللام على هذا في (الله) من نفس الكلمة ،

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ص 14.

² . القشيري ، تفسير القشيري ، ج 1 ص 245.

³ . الرازي فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت 606هـ) . التفسير الكبير . دار إحياء التراث العربي بيروت . الطبعة الثانية . سنة 1417 هـ . 1997 م ، ج 9 ص 202.

⁴ . القرطبي أبو عبد الله ، الجامع لأحكام القرآن ، ج 1 ص 102.

⁵ . الأقلّيشي: أحمد بن قاسم بن عيسى بن فرج أبو العباس الأقلّيشي المقرئ سكن قرطبة وانتقل إلى طليطلة ومات بها سنة 410 عشر وأربعمئة. له من الكتب معاني القرآن. هدية العارفين ، ج 1 ص 38.

كالزاي من زيد ، وذهب إلى هذا جماعة ، واختاره الغزالي ، وقال : كل ما قيل في اشتقاقه فهو تعسّف¹.

ونستنتج أن الخلاف في هذه المسألة متداول بين المفسرين ولذلك اكتفى ابن عطاء الله بعرضه مفصلاً دون ترجيح، فقد عرض أدلة كل فريق، وسأفصلها في ما يلي وأقارنها بما جاء عند غيره من المفسرين وأبدأ بقول المانعين :

القول الأول: المانعون وعنهم يقول ابن عطاء الله: « فالتوقف المانع قال لا يجوز اشتقاقه من معنى بوجه أصلاً فإن الله تعالى قال : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾² وفيه ثلاث معان: الأول: هل تعلم أحداً تسمى الله غير الله ؟ أو اسماً غير ما سمي به نفسه.

الثاني : هل تعلم أحداً يستحق كمال الأسماء والصفات ما يستحقه الله ويتصف به حقيقة؟ الثالث: هل تعلم اسماً أعظم من هذا الاسم المفرد، أو له اشتقاق من شيء كما يشتق لأسماء الخلق؟! فهو لا يشبهه شيء، وإنما هو دال على ذات الإله الذي قامت به

الصفات، بمثابة اسم العلم الدال على المسمى من غير اشتقاق له من شيء، وهو اسم تفرد الله سبحانه وتعالى واختصه لنفسه، ووصف به ذاته. وقدمه على جميع أسمائه وأضاف أسمائه كلها إليه، وكل ما يأتي بعده من الأسماء نعت له، وصفة لوصفه، ومتعلقة به وتوصف سائر الأسماء بأنها أسماء الله تعالى وتعرف في الأغلب بالإضافة إليه، يقال أنها من أسماء الله تعالى، ولا يقال من أسماء الصبور، أو الغفور، أو الجبار ، ولا يقبل اسم عوضاً منه، ولا ذكر بدلاً عنه، وإنما يقال لا إله إلا الله، وبذلك نطق القرآن والحديث، لأنه أدل على كنه المعاني الإلهية واختص بها، وهو بها أشهر، وأتم وأظهر، فاستغنى عن التعريف بغيره من الأسماء، وعرف غيره بالإضافة إليه، وجعله للنطق والذكر والتعلق، دون الاتصاف به والتخلق³». والملاحظ أن ابن عطاء الله اكتفى من أدلة المانعين بنص الآية والمعاني الثلاثة الواردة فيها ثم راح يبين وجه اختصاص الله تعالى بهذا الاسم.

1 . ابن عجيبة أحمد بن محمد بن المهدي الحسيني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس . البحر المديد في تفسير

القرآن المجيد . بيروت : دار الكتب العلمية . الطبعة الثانية . سنة 2002 م . 1423 هـ ، ج 1 ص 1.

2 . سورة مريم الآية 65.

3 . ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد ، ص 15. 16.

وهذا القول قد رجحه "الفخر الرازي" فقال: (والحق عندنا هو الأول)¹ ، ثم استدل له بأربعة وجوه فقال: (ويدل عليه وجوه :

الأول : أن الاسم المشتق عبارة عن شيء ما حصل له المشتق منه ، ، فلو كان قولنا الله اسماً مشتقاً من معنى لكان المفهوم منه أنه شيء ما حصل له ذلك المشتق منه ، وهذا المفهوم كلي لا يمتنع من حيث هو عن وقوع الشركة فيه ، فلو كان قولنا الله لفظاً مشتقاً لكان مفهومه صالحاً لوقوع الشركة فيه ، ولو كان الأمر كذلك لما كان قولنا لا إله إلا الله موجباً للتوحيد ، لأن المشتق هو قولنا الله وهو غير مانع من وقوع الشركة فيه ولما اجتمعت الأمة على أن قولنا لا إله إلا الله يوجب التوحيد المحض علمنا أن قولنا ﴿الله﴾ جار مجرى الاسم العلم .

الثاني : أنه كلما أردنا أن نذكر سائر الصفات والأسماء ذكرنا أولاً قولنا الله ثم وصفناه بسائر الصفات ولا يمكننا أن نعكس الأمر فنقول الرحمن الرحيم الله فعلمنا أن الله هو اسم علم للذات المخصوصة وسائر الألفاظ دالة على الصفات والنعوت .

الثالث : أن ما سوى قولنا ﴿الله﴾ كلها دالة ، إما على الصفات السلبية ، كقولنا : القدوس السلام ، أو على الصفات الإضافية ، كقولنا الخالق الرازق أو على الصفات الحقيقية كقولنا : العالم القادر ، أو على ما يتركب من هذه الثلاثة ، .

الرابع : قوله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾² ، والمراد هل تعلم من اسمه الله غير الله ، وذلك يدل على أن قولنا : الله اسم لذاته المخصوصة ، وإذا ظهرت هذه المقدمة فالترتيب الحسن أن يذكر عقبه الصفات كقوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمَصُور ﴾³ ، فأما أن يعكس فيقال : هو الخالق المصور البارئ الله ، فذلك غير جائز⁴ .

ولقد حقق "الطاهر بن عاشور" في المسألة فأورد كلاماً نفيساً حيث قال: (وأحسب أن اسمه تعالى تقرر في لغة العرب قبل دخول الإشراك فيهم فكان أصل وضعه دالاً على انفراده بالألوهية إذ لا إله غيره فلذلك صار علماً عليه، وليس ذلك من قبيل العلم بالغلبة بل

¹ . الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ج 9 ص 202.

² . سورة مريم الآية 65.

³ . سورة الحشر الآية 24.

⁴ . الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ج 9 ص 202.

من قبيل العلم بالانحصار مثل الشمس والقمر فلا بدع في اجتماع كونه اسم جنس وكونه علماً، ولذلك أرادوا به المعبود بحق رداً على أهل الشرك قبل دخول الشرك في العرب، وإنما لم نقف على أن العرب أطلقوا الإله معرّفًا باللام مفرداً على أحد أصنامهم وإنما يضيفون فيقولون إله بني فلان والأكثر أن يقولوا رب بني فلان أو يجمعون كما قالوا لعبد المطلب أرضض الآلهة ، وفي حديث فتح مكة : (وجد رسول الله البيت فيه الآلهة) . فلما اختص الإله بالإله الواحد واجب الوجود اشتقوا له من اسم الجنس علماً زيادة في الدلالة على أنه الحقيق بهذا الاسم ليصير الاسم خاصاً به غير جائز الإطلاق على غيره سنن الأعلام الشخصية¹.

القول الثاني : القائلون بالاشتقاق : وتعددت اشتقاقاتهم قال ابن عطاء الله : «والقائل بإطلاق اشتقاقه قال هو مشتق من أربعة أشياء: من الوله، ومن الحجب، ومن العلو، ومن البقاء»². وسوف أعرض في كل واحد من هذه المعاني الأربعة قول ابن عطاء الله وأقارنه بأقوال غيره:

معنى الوله : قال فيه ابن عطاء الله: «فأما اشتقاقه من معنى "الوله" فأصله "إله"، والإله هو الذي يوله له، ويقصد في طلب الحوائج، ويفزع إليه في النوائب ويرجى فضله ويخاف عدله كما قال الشاعر(من البحر الطويل):

وَكَلْتُ إِلَيْكُمْ فِي بَلَايَا تَنْوِينِي *** فَأَلْفَيْتُكُمْ عَوْنًا كَرِيمًا مُمَجِّدًا³

واسم ﴿الله﴾ من الألوهية، هو اسم يوجب الوله، إما لشدة طرب العبد وسروره، وإما لفرط شدة حزنه وخوفه وذعره، فيكون بين وقتين، وقت قبض، ووقت بسط، ففي حالة القبض يوجب له هيبة، يصحب طرفها دهشة، وفي حالة البسط يوجب له قرية، يصحب طرفها فرحة، فمن عرف ربه فزع إليه ودعاه، ووله له وأعرض عمن سواه، وآثر رضاه على هواه»⁴.

¹ . محمد الطاهر ابن عاشور . التحرير والتنوير من التفسير . الدار التونسية للنشر . (د.ط.ت) ، ج 1 ص 23.

² . ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد ، ص 15. 16.

³ . البيت لم أعرف له قائل .

⁴ . ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد ، ص 15. 16.

وعرف النيسابوري الوله : (وقيل : من الوله وهو ذهاب العقل سواء فيه الواصلون إلى ساحل بحر العرفان والواقفون في ظلمات الجهالة وتيه الخذلان)¹.

معنى (إله): قال ابن عطاء الله : « وقيل من معنى "إله" ، زيدت فيه اللام للتفخيم ، ف قيل "الإله" ، ثم حذفوا همزة المتخللة بين اللامين ، وأدغموا اللام الأولى التي للتفخيم ، في اللام الثانية التي للتعظيم ، فعظمت فقيل ﴿الله﴾² ، وهذا المعنى قد نقله غير ابن عطاء الله من المفسرين قال الفخر الرازي (فلهم قولان : قال الكوفيون : أصل هذه اللفظة إلاه ، فأدخلت الألف واللام عليها للتعظيم ، فصار الإلاه ، فحذفت همزة استثقلاً ، لكثرة جريانها على الألسنة ، فاجتمع لآمان ، فأدغمت الأولى فقالوا : «الله»)³ ، وروى سيوييه عن الخليل أن أصله (إلاه) ، مثل فعال ، فأدخلت الألف واللام بدلا من همزة . قال سيوييه : مثل الناس أصله أناس⁴ ، وقال البصريون أصله لاه ، فألحقوا بها الألف واللام فقيل : ﴿الله﴾⁵ ، قال القرطبي : (للتعظيم ، وهذا اختيار سيوييه)⁶.

قال ابن عاشور : (وأراهم أبدعوا وأعجبوا إذ جعلوا علم ذاته تعالى مشتقاً من اسم الجنس المؤذن بمفهوم الألوهية تنبيهاً على أن ذاته تعالى لا تستحضر عند واضع العلم وهو الناطق الأول بهذا الاسم من أهل اللسان إلا بوصف الألوهية وتنبيهاً على أنه تعالى أولى من يُؤَلَّه ويُعبد لأنه خالق الجميع فحذفوا همزة من الإله لكثرة استعمال هذا اللفظ عند الدلالة عليه تعالى ، ونُزِّل هذا اللفظ في طوره الثالث منزلة الأعلام الشخصية فتصرفوا فيه هذا التصرف لينتقلوا به إلى طور جديد فيجعلوه مثل علم جديد ، وهذه الطريقة مسلوكة في بعض الأعلام)⁷.

¹ . القمي النيسابوري . غرائب القرآن ورغائب الفرقان حاشية على تفسير الطبري . بيروت . دار الفكر . سنة 1978 م . 1398 هـ . (د.ط) ، ج 1 ص 17 .

² . ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد ، ص 15 . 16 .

³ . الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ج 1 ص 148 .

⁴ . القرطبي أبي عبد الله ، الجامع لأحكام القرآن ، ج 1 ص 102 .

⁵ . الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ج 1 ص 148 .

⁶ . القرطبي أبي عبد الله ، الجامع لأحكام القرآن ، ج 1 ص 102 .

⁷ . الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 1 ص 23 .

معنى الحجب: قال فيه ابن عطاء الله: «وأما اشتقاقه من معنى الحجب، فأصله "لاه"، ومعناه "احتجب عن الخلق، وحجب أبصارهم عن رؤيته في الدنيا، فمن عرف ربه راقبه، وحاسب نفسه، وعلم أنه يراه من حيث لا يراه، فهو يستحي منه»¹.

معنى العلو والرفعة: قال فيه ابن عطاء الله: «وأما اشتقاقه من معنى العلو والرفعة، فاصله أيضا لاه، يقال لاهت الشمس إذا علت وتوسطت قبة السماء في علو مركزها واستوت حالة وقوفها»². جاء في "القاموس المحيط": (لَاةٌ يَلِيهِ لَيْهًا تَسْتَرُ، وَجَوَزٌ سَيَّوِيهِ اشْتِقَاقُ الْجَلَالَةِ مِنْهَا، وَعَلَا، وَارْتَفَعَ. وَتَمَيَّتِ الشَّمْسُ إِلَهَةً لَارْتِفَاعِهَا. وَلَا هُوتٌ إِنْ كَانَ مِنْ كَلَامِهِمْ، فَفَعَلُوتٌ، مِنْ لَاةٍ. وَاللَّاتُ صَنَمٌ لَثَقِيفٍ)³

وجاء في معجم "الجمهرة": (لَاةٌ يَلِيهِ لَيْهًا: تَسْتَرُ. وَجَوَزٌ سَيَّوِيهِ أَنْ يَكُونَ لَاةً أَصْلَ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى. وَقَوْلُهُمْ: يَا اللَّهُ: بَقْطَعِ الْهَمْزَةِ، إِنَّمَا جَازَ لِأَنَّهُ يُنَوَّى بِهِ الْوَقْفُ عَلَى حَرْفِ النِّدَاءِ تَفْخِيمًا لِلْأَسْمِ. وَقَوْلُهُمْ: لَا هُمَّ وَاللَّهُمَّ فَالْمِيمُ بَدَلٌ مِنْ حَرْفِ النِّدَاءِ)⁴.

قال القرطبي: (وقيل إنه مشتق من الارتفاع، فكانت العرب تقول لكل شئ مرتفع: لاهها فكانوا يقولون إذا طلعت الشمس: لاهت)⁵.

وقد لخص هذه المعاني الاشتقاقية النيسابوري فقال: (وقيل: اشتقاقه من ألّهت إلى فلان أي سكنت إليه. فالنفوس لا تسكن إلا إليه تعالى، والعقول لا تقف إلا لديه، لأن الكمال محبوب لذاته ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾⁶).

¹ ابن عطاء الله السكندري، القصد المجرد، ص 15. 16.

² المصدر السابق، ص 15. 16.

³ الفيروز آبادي: الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. دار الفكر بيروت. سنة 1983م، ج 3 ص 387.

⁴ ابن دريد محمد بن الحسين الأزدي. جمهرة اللغة. تحقيق: كرنكو حيدر آباد الدكن بالهند. سنة 1351هـ. (د.ط) ج 2 ص 156.

⁵ القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1 ص 103.

⁶ سورة الرعد الآية 28. 29.

وقيل : من الوله وهو ذهاب العقل سواء فيه الواصلون إلى ساحل بحر العرفان والواقفون في ظلمات الجهالة وتيه الخذلان . وقيل : من لاه ارتفع لأنه تعالى ارتفع عن مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات .

وقيل : من أله في الشيء إذا تحير فيه ، لأن العقل وقف بين إقدام على إثبات ذاته نظراً إلى وجود مصنوعاته ، وبين تكذيب لنفسه لتعالیه عن ضبط وهمه وحسه ، فلم يبق إلا أن يقر بالوجود والكمال مع الاعتراف بالعجز عن إدراك كنه الجلال والجمال ، وههنا العجز عن درك الإدراك إدراك .

وقيل : من لاه يلوه إذا احتجب ، لأنه بكنه صمديته محتجب عن العقول، ولما كان ذاته تعالى باقياً على حاله وكذا الممكنات التابعة له ، فرمما يخطر ببال الضعفاء أن هذه الأشياء موجودة بذواتها فلا سبب لاحتجاب نوره إلا كمال ظهوره ، فالحق محتجب والخلق محجوب .

وقيل : من أله الفصيل إذا ولع بأمه ، لأن العباد مولعون بالتضرع إليه في البليات ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾¹ ، هذا شأن الناقصين ، وأما الكاملون فهو جليسهم وأنيسهم أبداً ..²

(وقيل : من أله الرجل يأله إذا فزع من أمر نزل به فأله أي أجاره)³ .
(وقد ذُكرت وجوه أخرى في أصل اسم الجلالة :

— منها أن أصله لآة مصدر لاه يليه ليهاً إذا احتجب سمي به الله تعالى ، ثم أدخلت عليه الألف واللام للمح الأصل كالفضل والمجد اسمين ، وهذا الوجه ذكره الجوهري عن سيبويه أنه جوزة .

— ومنها أن أصله ولاة بالواو فعال بمعنى مفعول من وله إذا تحير ، ثم قلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها ، كما قلبت في إعاء وإشاح ، أي وعاء ووشاح ، ثم عرف بالألف واللام وحذفت الهمزة .

¹ . سورة الروم الآية 33.

² . القمي النيسابوري ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، ج 1 ص 17.

³ . المرجع نفسه ، ج 1 ص 18.

— ومنها أن أصله (لآها) بالسريانية علم له تعالى فعرب بحذف الألف وإدخال اللام عليه).

— ومنها أنه علم وضع لاسم الجلالة بالقصد الأوّل من غير أخذ من أله وتصويره الإله فتكون مقارنته في الصورة لقولنا الإله مقارنةً اتفاقيةً غير مقصودة ، وقد قال بهذا جمع منهم الزجاج ونسب إلى الخليل وسيبويه ، ووجهه بعض العلماء بأن العرب لم تحمل شيئاً حتى وضعت له لفظاً فكيف يتأتى منهم إهمال اسم له تعالى لتجري عليه صفاته)¹.

والخلاصة : أن في اسم الجلالة عدة معاني من حيث الاشتقاق، إنه من الوله، ومن الحجب، ومن العلو، ومن البقاء ... ذكر بعضها ابن عطاء الله وترك البعض الآخر، لأنها تجتمع كلها في أصل (أله) بالفتح أو بالكسر، قال الطاهر بن عاشور: (وأصل هذا الاسم الإله بالتعريف وهو تعريف إله الذي هو اسم جنس للمعبود مشتق من أله بفتح اللام بمعنى عبد ، أو من أله بكسر اللام بمعنى تحير أو سكن أو فرع أو ولع مما يرجع إلى معنى هو ملزوم للخضوع والتعظيم فهو فعال (إله) بكسر الفاء بمعنى مفعول)².

وقبل الانتهاء من هذه المسألة نجد النيسابوري القمي يعتبر أن: (النزاع بين الفريقين (القائلين بالاشتقاق و المانعين له) لفظي، لأن القائلين بالاشتقاق متفقون على أن الإله مشتق من (أله) بالفتح (إلهة) أي عبد عبادة ، وأنه اسم جنس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق)³.
بعد هذا التفصيل ولمناسبة المقام أذكر خواص اسم الجلالة اللفظية التي فصلها ابن عطاء الله .

خواص اسم الجلالة اللفظية :

ذكر ابن عطاء الله أن لاسم الجلالة خواص لفظية ليست في غيره من الأسماء فقال: « هذا الاسم من بين أسمائه، وخصوصيته وفضله وشرفه. فمن خواصه أنه في ذاته اسم

¹ . الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 1 ص 24.

² . المرجع نفسه ، ج 1 ص 23.

³ . القمي النيسابوري ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، ج 1 ص 16.

كامل في حروفه تام في معناه خاص بأسراره مفرد بصفته فكان أولاً " الله " فحذفت منه الألف فبقى " لله " ثم حذفت اللام الأولى فبقى " له " ثم حذفت اللام الثانية فبقى " هو " فكان كل حرف تام المعنى ، كامل الخصوصية ، لم يتغير منه معنى ، ولا اختلف بتفريق حروفه منه فائدة ولا نقصت منه حكمة. ولكل لفظة معان عجيبة مستقلة بذاتها غريبة. وغيره من الأسماء كلها ليس كذلك أمرها، فإنه إذا حذفت شيء من حروفها أو فرق بعضها من بعض، اختلفت معانيها واعتلت أساميها وذهبت أحكام حكمها ونقصت فائدتها. فلهذا كان هذا الاسم جامعاً شاملاً تاماً كاملاً، على الجملة والتفصيل. ولم يؤثر فيه تفصيل حروفه ولا تفريقها، ولا أفرادها في شيء من جملة معانيه ولا أخلت بشيء من أسراره ولا نقصت تجزئته شيئاً من كله»¹.

هذا التفصيل في حروف اسم الجلالة قد سبق به الفخر الرازي في التفسير الكبير فقال : (اعلم أن هذا الاسم مختص بخواص لم توجد في سائر أسماء الله تعالى ، ونحن نشير إليها : فالخاصة الأولى : أنك إذا حذفت الألف من قولك : ﴿الله﴾ بقي الباقي على صورة ﴿الله﴾ وهو مختص به سبحانه، كما في قوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾² ، ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾³ ، وإن حذفت عن هذه البقية اللام الأولى بقيت البقية على صورة «له» كما في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁴ ، وقوله: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾⁵ ، فإن حذفت اللام الباقية كانت البقية هي قولنا : «هو» وهو أيضاً يدل عليه سبحانه كما في قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾⁶ ، وقوله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾⁷ ، والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية والجمع؛ فإنك تقول: (هما ، هم) فلا تبقى الواو فيهما ، فهذه الخاصية موجودة في لفظ «الله» غير

¹ . ابن عطاء الله ، السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ص 15.16.

² . سورة الفتح الآية 4.

³ . سورة المنافقون الآية 7.

⁴ . سورة الزمر الآية 63.

⁵ . سورة التغابن الآية 1.

⁶ . سورة الإخلاص الآية 1.

⁷ . سورة غافر الآية 65.

موجودة في سائر الأسماء ، وكما حصلت هذه الخاصية بحسب اللفظ فقد حصلت أيضاً بحسب المعنى ، فإنك إذا دعوت الله بالرحمن فقد وصفته بالرحمة ، وما وصفته بالقهر ، وإذا دعوته بالعليم فقد وصفته بالعلم ، وما وصفته بالقدرة ، وأما إذا قلت يا الله فقد وصفته بجميع الصفات ؛ لأن الإله لا يكون إلهاً إلا إذا كان موصوفاً بجميع هذه الصفات ، فثبت أن قولنا الله قد حصلت له هذه الخاصية التي لم تحصل لسائر الأسماء ¹ ، وقد استفاد ذلك منه القمي النيسابوري في تفسيره ² ، وجاء في تفسير القرطبي : أن اسم الجلالة أصله (الهاء) فقال : (وزعم بعضهم أن الأصل فيه " الهاء " التي هي الكناية عن الغائب، وذلك أنهم أثبتوه موجداً في فطر عقولهم فأشاروا إليه بحرف الكناية ثم زيدت فيه لام الملك إذ قد علموا أنه خالق الأشياء ومالكها فصار "له" ثم زيدت فيه الألف واللام تعظيماً وتفخيماً) ³.

2 - حرف الألف :

يقف ابن عطاء الله عند اشتقاق حرف الألف من حيث اللغة ومن حيث المعرفة ومن حيث الإشارات العميقة التي يستدل بها على التوحيد، وما يعيننا هنا هو الوجه اللغوي فقط وعنه يقول: « فالألف : مشتق من الألفة والتأليف، ألف به جميع خلقه على توحيده ومعرفته، بأنه إلههم وموجدهم، وخالقهم ورازقهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ⁴ ، وقال تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ⁵ ، فإنه فإنه تعالى كان ولا شيء معه كما هو الآن على ما عليه، كان ولا شيء قبله، ولا شيء بعده، فكأنه كما قال: (كُنْتُ كَنْزاً لَمْ أُعْرِفْ فَأَرَدْتُ أَنْ أُعْرِفَ فَخَلَقْتُ خَلْقاً فَعَرَفْتُهُمْ بِي، فَبِي عَرَفُونِي) ⁶ ، وألف بين قلوب عباده على محبته وعبادته وطاعته في الإيمان والتوحيد، قال الله

¹ . الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ج 1 ص 148.

² . القمي النيسابوري ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ج 1 ص 18.

³ . القرطبي أبو عبد الله ، الجامع لأحكام القرآن ، ج 1 ص 103.

⁴ . سورة الزخرف الآية 87.

⁵ . سورة لقمان الآية 25.

⁶ . الحديث قدسي ذكره العجلوني في كشف الخفا ومزيل الإلباس فقال : (كنت كنزاً لا أعرف ، فأحببت أن أعرف،

فخلقت خلقاً، فعرفتهم بي فعرفوني). وفي لفظ (فتعرفت إليهم في عرفوني)، قال ابن تيمية ليس من كلام النبي

صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف. وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآلئ

تعالى: ﴿لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا آَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ آَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾¹ وآلف كلمتهم على الاعتراف بعبوديته. والإقرار بوحدانيته وربوبيته. قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾². وآلف قلوب عباده بالفضل والإحسان والعطاء. وجعله رزقاً مقسوماً لهم. تارة قبضاً وتارة بسطاً، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾³ «⁴.

ب. الاشتقاق الكبير:

قال عنه ابن جني: (هذا موضع لم يسمّه أحد من أصحابنا غير أنّ أبا علي (رحمه الله) يستعين به ويخلد إليه)⁵، وسمّاه ابن جني الاشتقاق الأكبر⁶، وقال عنه: (أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وأن تباعد شيء من ذلك منه ردّ بلطف الصنعة والتأويل إليه)⁷.

أما ابن عطاء الله فلم أجده يشير إلى هذا النوع من الاشتقاق ولم أعثر على مثال له في معرض تفسيره .

المطلب الثاني :

والسيوطي وغيرهم. وقال القاري لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي ليعرفوني كما فسر ابن عباس رضي الله عنهما. رقم 2016 ج 2 ص 132.

¹ . سورة الأنفال الآية 63.

² . سورة مريم الآية 93 .

³ . سورة الذاريات الآية 56 . 57 . 58 .

⁴ . ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ص 30 .

⁵ . ابن جني ، الخصائص ، ج 2 ص 135 .

⁶ . المرجع نفسه ، ج 2 ص 136 .

⁷ . المرجع نفسه ، ج 2 ص 136 .

دلالة الصيغ الصرفية والتركيبية.

1. أبنية الصيغ الصرفية .
2. أبنية الأسماء وأبنية الأفعال .
3. دلالة الاسم و دلالة الفعل .
4. معاني الإضافة .
5. دلالة الحروف .

1. الصيغ الصرفية:

يعدّ علم الصرف من أجلّ علوم العربية وخصّصها بالعناية؛ لأنه يتعلق ببنية الألفاظ العربية ويجري منها مجرى المعيار والميزان¹.

وتدلّ الصيغ الصرفية داخل التركيب اللغوي من جهة دلالاتها على دلالة معينة، وعند تنسيقها في التركيب اللغوي فإنها تعطينا دلالة جديدة غير دلالتها التي وضعت لها، أي عبارة أخرى، إن الصيغ الصرفية تدلّ على معانٍ، وتتنظم هذه الصيغة داخل نظم الكلام أي السياق هو الذي يعطي معنى جديداً لها، فما انتظم عقد علم إلاّ والصرف واسطته، ولا ارتفع مناره، إلاّ وهو قاعدته، إذ هو إحدى دعائم الأدب، وبه تعرف سعة كلام العرب، وتنجلي فرائد مفردات الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية².

أما في تفسير ابن عطاء الله فالجانب الصرفي جاء في مواضع قليلة جداً في تفسيره، نظراً لعدم تفسيره لكل آيات القرآن. فقد تطرق إلى بعض الصيغ عند بيانه لبعض من النصوص القرآنية، وجاءت أبنية الصيغ الصرفية على قسمين هما:

2. أبنية الأسماء وأبنية الأفعال :

والأبنية هي: (بناء الكلمات ووزنها وصيغتها وهيئاتها؛ التي يشرك فيها غيرها، وهي عدد حروفها المرتبة، وحركاتها المعنية وسكونها، مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه، وإنّ أيّ تغيير في الترتيب يقود إلى تغيير في الوزن)³، وثم فالأبنية نوعين : أبنية الأسماء وأبنية الأفعال، والاسماء للثبات والاستقرار والأفعال للتجدد والانقراض أو الاستمرار.

¹ . الجرجاني: السيد الشريف علي بن محمد بن علي الحسيني(ت 816هـ). التعريفات . مكتبة لبنان بيروت . سنة 1978م ، ص 76.

² . الحملاوي الشيخ أحمد . شذا العرف في فن الصرف . مطبعة الداية . بغداد 1988م . (د.ط) ، ص 15.

³ . الأسترابادي: رضي الدين محمد بن الحسن(ت 568هـ) . شرح شافية ابن الحاجب: ضبط وشرح محمد نواف الحسن ومحمد الزقراف ومحمد محيي الدين عبد الحميد . دار الكتب العلمية بيروت . سنة 1975م . (د،ط) ، ج 1 ص 2 .

يقول ابن عطاء الله : «وذلك لأن الصفة تدل على الثبوت والاستقرار، والأفعال أصل وضعها التجدد والانقراض»¹.

أ. الأسماء والأفعال:

تطرق ابن عطاء الله من خلال تفسيره لآيات التنزيل الكريم، إلى بعض الصيغ الاسمية، وبيان دلالاتها داخل النص، ومن الصيغ التي وردت عنده هي:

فَعَّال:

وتدلّ هذه الصيغة على المبالغة، لأن فعالاً منقولة عن فَعَّال في الصنعة، لأن الأصل في المبالغة هو النقل من شيء إلى آخر؛ فتحصل عند ذلك المبالغة، وهذا البناء يقتضي المزاولة والتجديد، لأن صاحب الصنعة ملازم لها²، قال أبو هلال العسكري: (إذا فعل الفعل وقتاً بعد وقت قيل فَعَّال مثل صَبَّار)³.

أورد ابن عطاء الله هذه الصيغة عند بيان قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾⁴، إذ يقول: «اعلم أن محيى هذه الصيغة على بقاء فعال يقتضي المبالغة فيما سيقّت له، فرزاق ابلغ من رازق، لان فعال في باب المبالغة ابلغ من فاعل فيمكن أن تكون هذه المبالغة، لتعداد أعيان المرزوقين، ويمكن أن تكون لتعداد الرزق، ويحتمل أن يكون المراد هما جميعاً»⁵. فالمقصود من الآية تقرير ما تقدم من عدم إرادة الرزق وعدم الاستعانة بالغير فجيء بوصف الرزق على صيغة المبالغة لأنه بدونها لا يكفي في تقرير عدم إرادة الرزق⁶، فصيغة ﴿الرزاق﴾ أي على سبيل التكرار لكل حي وفي كل وقت⁷.

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 71.

² . السامرائي: فاضل صالح . معاني الأبنية في العربية . جامعة الكويت . الطبعة الأولى . سنة 1981م ، ص 108.

³ . العسكري، أبو هلال(ت395هـ) . الفروق في اللغة . تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي . دار الآفاق الجديدة بيروت . الطبعة الرابعة . سنة 1980م ، 15.

⁴ . سورة الذاريات الآية 58 .

⁵ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 71.

⁶ . الألوسي: أبو الثناء شهاب الدين بن محمود البغدادي(ت1270هـ) . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . دار الفكر بيروت . سنة 1977م ، ج 19 ص 415.

⁷ . البقاعي . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . تحقيق: محمد عبد المعين . طبعة مجلس المعارف الإسلامية حيدر آباد الركن الهند . الطبعة الأولى . سنة 1969م ، ج 8 ص 213.

- دلالة الصفة أبلغ من دلالة الفعل :

ذكر ابن عطاء الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾¹، أن الصفة الواردة في الآية ﴿الرزاق﴾ أبلغ من دلالة الفعل (يرزق) ولذلك عدل التعبير القرآني عن الفعل إلى الصفة فقال: «اعلم أن الدلالة على المعنى المقصود به، وجود الثناء بالصفة أبلغ من الدلالة عليه بالفعل. فقولك زيد محسن، أبلغ من قولك زيد يحسن، أو قد أحسن، وذلك لأن الصفة تدل على الثبوت والاستقرار والأفعال أصل وضعها التجدد والانقراض فلذلك كان قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ أبلغ من قوله (إِنَّ اللَّهَ هُوَ يَرْزُقُ). ولو قال: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ يَرْزُقُ) لم يفد إلا إثبات الرزق له، ولم يفد حصر ذلك فيه، فلما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ أفاد ذلك انحصار الرزق فيه، فكأنه لما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ فقد قال: لا رازق: إلا الله»².

3. دلالة الاسم و دلالة الفعل:

¹ . سورة الذاريات الآية 58.

² . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 71 .

عني أغلب النحاة الأوائل بدلالة الجملتين الاسمية والفعلية، وربطوا هاتين الدالتين بالشكل التكويني لكل منهما، فالمصدرة باسم جملة اسمية، وتكتب من تصدرها الدلالة على الاستقرار والثبوت، أما المصدرة بالفعل فهي جملة فعلية تكتسب من تصدر الفعل الدلالة على التغيير والحدوث¹.

وتعدّ كتب التفسير من أهم المصادر التي يعوّل عليها في دراسة النحو القرآني، ويعني النحو دراسة الكلمة وتحليلها في سياقها العام، وتحديد وظيفتها الدلالية في التركيب الذي بفضلها يتبيّن المعنى العام للكلمة². ومن هذا المجال الذي تحتله كتب التفسير في النحو القرآني تأتي أهمية دراسة الاسم والفعل من خلال كتب التفسير.

وقد تعرض ابن عطاء الله أثناء تفسيره لآيات القرآن لبعض من مظاهر اللغة العربية، التي تفيده دلالتها في توظيف معنى الآية في سياق الموضوعات التي يكون بصدددها، ومن تلك المظاهر : بيان المفردات، ، وبيان دلالة الاسم والفعل، فضلاً عن تطرقه إلى بعض من القراءات القرآنية من أجل الوقوف على المعنى للنص القرآني.

ففي دلالة الجملة الاسمية والفعلية، وقف ابن عطاء الله عند بعض من النصوص القرآنية، وقد وافق رأي النحاة بأن الاسم يفيد الثبوت والفعل يفيد التجدد والحدوث³، فإن الأفعال مقيدة بالزمن، والفعل الماضي مقيد بالزمن الماضي على الأغلب، والمضارع مقيد بزمن الحال والاستقبال في الغالب، في حين أن الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة فهو أشمل وأعم وأثبت⁴. وقد أشار القزويني إلى هذا المعنى في قوله: (وأما كونه . يعني المسند . فعلاً فللتقيد بأحد الأزمنة الثلاثة على أحصر ما يكون مع إفادة التجدد، وأما كونه اسماً فإفادة

¹ . كريم حسين ناصح الخالدي . الدلالة في النحو العربي . مجلة كلية التربية للبنات . جامعة بغداد . العدد الثامن . سنة 1997م ، ص 84 .

- ابتهاج كاصد ياسر الزبيدي . البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر بن الحسن الطوسي . أطروحة دكتوراه . كلية التربية للبنات بغداد . سنة 2003م ، ص 243 .

² . بكري عبد الكريم . الزمن في القرآن الكريم (دراسة دلالية في الأفعال الواردة فيه) . دار الفجر للنشر والتوزيع . الطبعة الثانية سنة 1999م ، ص 4 .

³ . الجرجاني عبد القاهر . دلائل الإعجاز في علم المعاني . حققه وقدم له رضوان الداية وفاير الداية . مكتبة سعد الدين دمشق . الطبعة الثانية . سنة 1987م ، ص 182 .

⁴ . السامرائي : فاضل صالح . معاني الأبنية في العربية ، ص 9 .

عدم التقييد والتجديد)¹.

أ . دلالة الاسم:

سار ابن عطاء الله في تفسيره في بيان دلالة الاسم والفعل بانياً آراءه على آراء النحويين متخذاً من آرائهم طريقاً لبيان النصوص القرآنية، وهذا يدل على إلمام ابن عطاء الله إماماً يعتد به في اللغة العربية وآراء العلماء السابقين.

فقد ورد في تفسيره دلالة الاسم على الثبات، من خلال دلالة الصفة التي هي أحد أنواع الاسم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾²، ففي هذه الآية صفة ﴿الرزاق﴾ والجملة الاسمية ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾، تدل على الدوام والاستقرار فيقول: «اعلم أن الدلالة على المعنى المقصود به، وجود الثناء بالصفة أبلغ من الدلالة عليه بالفعل. فقولك زيد محسن، أبلغ من قولك زيد يحسن، أو قد أحسن، وذلك لأن الصفة تدل على الثبوت والاستقرار والأفعال أصل وضعها التجدد والانقراض، فلذلك كان قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ أبلغ من قوله (إن الله هو يرزق)، ولو قال: إن الله هو يرزق لم يفد إلا إثبات الرزق له، ولم يفد حصر ذلك فيه، فلما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ أفاد ذلك انحصار الرزق فيه، فكأنه لما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ فقد قال: لا رازق: إلا الله»³. وأشار "أبو البقاء" في الكليات بقوله: (والجملة الاسمية موضوعة للأخبار بثبوت المسند للمسند إليه بلا دلالة على تجدد أو استمرار، إذا كان خبرها اسماً فقد يقصد به الدوام والاستمرار الثبوتي بمعونة القرائن... وإذا كان خبرها مضارعاً فقد تفيد استمراراً تجددياً، إذا لم يوجد داعٍ إلى الدوام...)⁴، فالمقصود من النص أن الاسم يدل على الثبوت إذا كان المسند

¹ - القزويني جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت 739 هـ). الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبدیع). شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتاب اللبناني بيروت. الطبعة الخامسة. سنة 1980م، ج 1 ص 87.

² - سورة الذاريات الآية 58.

³ - ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 70.

⁴ - الكفوي أبو البقاء بن موسى الحسيني (ت 1094 هـ). الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية). قابله على نسخة خطية وأعدده للطبع ووضع فهرسه: عدنان درويش ومحمد المصري. مؤسسة الرسالة. الطبعة الرابعة. سنة 1998م، ص 140

- السامرائي: فاضل صالح. معاني الأبنية في العربية، ص 17.

اسماً، أمّا إذا كان فعلاً فلا يفيد ذلك، وهذا ما أشار إليه ابن عطاء الله في هذه الآية بقوله : « وجود الثناء بالصفة أبلغ من الدلالة عليه بالفعل، فقولك زيد محسن، أبلغ من قولك زيد يحسن، أو قد أحسن، وذلك لأن الصفة تدل على الثبوت والاستقرار والأفعال أصل وضعها التجدد والانقراض »¹.

ب . دلالة الفعل:

درس المفسرون صيغة (تفعل) في القرآن الكريم في جوانبها الزمنية التي يضيفها السياق، إذ وجدوا أنّ مقولات بعض النحويين المتعلقة بحصر هذه الصيغة في الحال والاستقبال لا تستوعب كل المقامات الزمنية التي تعبر عنها هذه الصيغة المجردة، وإنّما تنتقل إلى مواقع زمنية من الصيغ مزيجاً من التحليلات النحوية والبلاغية². فالجملة الفعلية، مفادها الإخبار بمطلق العمل مقروناً بالزمان من غير أن يكون مبالغة وتوكيداً³، إذ يدلّ على صور متعددة من الأحداث والأزمان الدالة على التغيير والتجدد، فهي موضوعة لتصوير الحدث في الماضي أو الحال أو المستقبل، فتدلّ تجدد سابق أو حاضر أو آتٍ⁴.

وقد وافق ابن عطاء الله في نظريته إلى الأفعال، ما ذهب إليه المفسرون في اختلاف دلالاتها الزمنية المتنوعة، و تعرض في تفسيره لبعض من الأفعال معتمداً على دلالتها لبيان المعنى الذي يستنبطه أو الفكرة التي يقررها ومن أمثلة ذلك :

- دلالة الفعل على التجدد والاستمرار:

قد يأتي المضارع دالاً على الاستمرار بقطع النظر عن الأزمنة التي يرد فيها، أي أنّه يدلّ على الأزمنة العامة وهذا يأتي في سياق لا يقع فيه الحدث في زمن خاص، ولكنه يحدث في كل زمن، أو عندما يدلّ على تقليد سارت عليه طائفة من الناس أو أمة من الأمم⁵.

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 70.

² - بكري عبد الكريم . الزمن في القرآن الكريم ، ص 18.

² - مطلوب أحمد . أساليب بلاغية (الفصاحة ، البلاغة ، المعاني) . وكالة المطبوعات الكويت . الطبعة الأولى . سنة

1980م ، ص 142.

³ - ابتهاج كاصد ياسر الزبيدي . البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر بن الحسن الطوسي ، ص 247.

⁵ . بكري عبد الكريم . الزمن في القرآن الكريم ، ص 11.

وقد أشار ابن عطاء الله إلى هذا الغرض في الأفعال في قوله تعالى: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾¹، فقلوه: ﴿نرزقك﴾ أي رزقا متتابعاً لا ينقطع وفي ذلك يقول ابن عطاء الله: «وأتى قوله تعالى: ﴿ونحن نرزق﴾ على هذه الصيغة، ليدل ذلك على الاستقرار والدوام لأن قولك: أنا أكرمك، ليس كقولك أنا أكرمتك، لأن قولك أنا أكرمك يدل على إكرام بعد إكرام، وقولك أنا أكرمتك، لا يدل إلا على أن ثم إكراماً كان وقوعه فيما مضى من غير أن يدل على التكرار والدوام، فقلوه تعالى: ﴿نحن نرزقك﴾ أي رزقا بعد رزق، لا نعطل عنك منتناً، ولا نقطع عنك نعمتنا»²، وهذا المضارع في هذا التركيب مما لا يراد به حال ولا استقبال، إنما يراد به الاستمرار على المعنى مع قطع النظر عن الأزمنة، وهذا حثٌ للعباد على تسكين القلب إلى ما وعد الله به من النعيم والثواب والطمأنينة إليه، فإن وعده سبحانه صادق ولا شيء تطمئن النفس إليه ابلغ من الوعد الصادق.

- دلالة صيغة الفعل على التجريد من الزمن -

يذكر ابن عطاء الله أن الأفعال قد تصاغ على صيغة خاصة وليس المراد خصوص تلك الصيغة، فإذا قلت: (قد أفلح من آمن) فالمراد ثبوت الوصف من غير تعرض لزمن معين، وقد ذكر ذلك ابن عطاء الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا..... إلى النور﴾ فقال: «ربط الولاية بالإيمان ليعرفك غزارة قدر الإيمان وعلو منصبه حيث كان سبباً لثبوت ولاية الله تعالى لعبده، ولا يفهم من هذه الآية اختصاص الولاية بمن وقع منه الإيمان قبل نزول الخطاب لإتيانه بصيغة الماضي بل المراد، بل المراد من قام به الإيمان وجبت ولاية الله تعالى له أي وقت كان ذلك الإيمان، وقد تصاغ الأفعال على صيغة خاصة وليس المراد خصوص تلك الصيغة كما تقول: قد أفلح من آمن وخاب من كفر.. ألا ترى أن المراد بالأول قد أفلح من كان منه إيمان، وخاب من كان منه كفر من غير تعريض لزمن معين. «⁽³⁾، فتراه يثبت الولاية لكل من حصل له الإيمان دون تعلق حصوله بزمن مما يدل على أن الولاية في الخلق لا تنقطع ما بقي المؤمنون.

- دلالة الفعل على ثبوته في الماضي مع تجدد ظهوره -

¹ سورة طه الآية 132.

² ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 75.

³ ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، تحقيق: عبد الحليم محمود، ص 2526.

يبين ابن عطاء الله في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾¹ ، أن الجملة الفعلية المركبة من الفعل الماضي ﴿خلقكم﴾ ، ﴿رزقكم﴾ تدل على أن الفعل قد مضى شأنه وإنما يتجدد ظهوره لا ثبوته ، فيقول : « أفاد تعالى بقوله : ﴿ أن الرزق قد مضى شأنه وأبرم أمره ، وليس للقضاء فيه أمر يتجدد في الأحيان ، ولا يتعاقب بتعاقب الزمان ، وإنما يتجدد ظهوره لا ثبوته »².

4. معاني الإضافة :

والأمثلة في معاني الإضافة متعددة نذكر منها :

- ﴿ربك﴾ من قوله تعالى : ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾³ فكاف المخاطب مضاف إليه وفي معنى الإضافة هنا قوة التحمل والتخفيف لهذا الحكم لأنه حكم المحسن إليك وفي ذلك يقول ابن عطاء الله : « ألم تسمع لما قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ، فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ . أي : ليس هو حكم غيره فيشق عليك ، بل هو حكم سيدك القائم بإحسانه إليك »⁴.
- ﴿ربك﴾ من قوله تعالى : ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾⁵ ، ولم يقل إلى الرب ، ولا إلى الله ، فيه إشارة إلى رجوعها إليه من حيث لطف ربوبيته ، لا إلى قهر ألهيته ، فكان ذلك تأنيسا لها وملاطفة وتكريما ومواددة.⁶

¹ . سورة الروم الآية 40.

² . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 71.

³ . سورة الطور الآية 48.

⁴ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 8.

⁵ . سورة الفجر الآية 28 .

⁶ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 60.

- ﴿جنتي﴾ من قوله تعالى : ﴿وادخلي جنتي﴾ فإلياء مضاف إليه وهي تدل على قال ابن عطاء الله : «فيه إشارة إلى أن هذه الأوصاف التي اتصفت بها النفس المطمئنة، هي التي أدتها إلى أن تدعى أن تدخل في عبادته، وإلى أن تدخل في جنته، جنة الطاعة في الدنيا، والجنة المعلومة في الآخرة. والله اعلم.»¹.

- ﴿ربك﴾ من قوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾²، قال ابن عطاء الله : «وفي الآية إشارة أخرى لعظيم قدره، وتفخيم أمره صلى الله عليه وسلم، وهي قوله تعالى : ﴿فلا ربك﴾، فأضاف نفسه تعالى إليه، كما قال في الآية الأخرى : ﴿كهيعص، ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرًا﴾³، فأضاف الحق سبحانه اسمه إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وأضاف زكريا إليه، ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين، وتفاوت ما بين الرتبتين»⁴.

5. دلالة الحروف : سوف أتحدث عن فرعين : الحروف التي تؤدي معاني، ثم عن حروف المعجم التي يتألف منها الكلام من حيث دلالتها في نفسها على معاني خاصة .

أ. حروف المعاني:

من الخصائص التي ميزت اللغة العربية هي تعدد معاني حروفها، فتعدد معاني الحروف مكن أسرار اللغة وسر جمالها. ففي اللغة العربية نجد تغير المعنى للحرف الواحد تبعاً لما يراد من معنى في سياق الكلام؛ لأن معاني الحرف الواحد قد تصل إلى العشرات من المعاني كما هو الحال في (اللام . الباء . من) وغيرها من حروف المعاني. وهذا مما دفع العلماء إلى القيام بتتبع هذا الجانب من جوانب اللغة، فأفردوا لها مصنفات تناولوا فيها المعاني والوجوه المختلفة لكل حرف من هذه الحروف⁵.

¹ . المصدر نفسه ، ص 61.

² . سورة النساء الآية 65 .

³ . سورة مريم الآية 1 . 2 .

⁴ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 07.

⁵ . السامرائي عباس محمد . دراسة في حروف المعاني الزائدة . مطبعة الجامعة بغداد . الطبعة الأولى . سنة 1987م ، ص

وقد لاحظوا أنّها تقع في ضمن حقل دلالي مشترك، فضلاً عن أنّها وسائل الربط في التركيب الذي ينصبّ عليه عمل النحوي، كما عني بها أيضاً أهل الفقه والأصول؛ لأنّ هذه الحروف بالنسبة لديهم تدخل في تحديد الأحكام الأصولية تبعاً لدلالاتها المختلفة، واختلفوا جميعاً في حقيقة دلالاتها على المعنى؛ أتدلّ في نفسها؟ أم في غيرها؟ والغالب أنّها تدلّ على معنى في غيرها¹.

أمّا المحدثون فهم على خلاف، إذ يرى طائفة منهم أنّها كلمات وظيفية تعبر عن العلاقات الداخلية بين أجزاء الجملة، وهي علاقات سياقية لها فعل نحوي أكثر منه لغوي، لذا فإنّ هذه الحروف لا تمتلك معنى معجمياً، بل لها معنى وظيفي عام هو التعلق، ثم تختص تحت هذا العنوان بوظيفة خاصة².

أمّا الطائفة الأخرى فتري، أنّ الحروف تدلّ على معانيها في نفسها وهي منفردة، فحين تقول (إلى) تفهم أنّه بمعنى بلوغ الغاية و(على) بمعنى العلوّ، ولكن معناها هذا مقيد بالسياق الذي تردّ فيه، وإتّما وجدت الحروف لتؤدي معاني الألفاظ المتعلقة بها، وليس لتؤدي معناها الذاتي، لأنّه معنى غير مكتمل؛ فهي إذن وسيلة لفهم اللفظ المتعلق بها وليس لفهم معناها الخاص³.

وقد عرّف الأصوليون الحرف بقولهم: (هو الذي جاء لمعنى تنعدم خاصية الاسم

¹ ابن جني . الخصائص . ج 2 ص 370.

- المرادي: حسن بن قاسم (ت 749هـ). الجنى الداني في حروف المعاني . تحقيق: طه محسن . مطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، 1976م . (د.ط) ، ص 34.

² . تمام حسان . اللغة العربية معناها ومبناها . الهيئة المصرية العامة للكتاب . سنة 1973م . (د،ط).

127.124

- عودة خليل أبو عودة . التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن . مكتبة المنار . الأردن . الطبعة الأولى . سنة 1985 م ، ص 75 .

³ عبد الهادي الفصيلي . اللامات دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية . مطابع دار العلم بيروت . الطبعة الأولى . سنة 1980م ، ص 56 .

- ابتهاج كاصد ياسر الزبيدي . البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر بن الحسن الطوسي ، ص 274.

والفعل فيه، ويظهر المعنى في غيره¹.

العدول عن التعبير بالحروف في النص القرآني:

يفصل ابن عطاء الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾² سبب العدول عن التعبير بالحروف للربط بين (التذكر والإبصار) كما يلي :

عدل عن التعبير بـ"الواو" فلم يقل : (تذكروا وأبصروا) وذلك : « لأنه كان لا يفيد أن البصرى كانت عن التذكر، والمراد أنها كانت مسببة عنه، ترغيباً للعباد فيها»³.

وعدل عن التعبير بـ"ثم" فلم يقل: (تذكروا ثم أبصروا) وذلك : « لأن فيها ما في الواو، من عدم الدلالة على السببية، وفيها أنها كانت تقتضي عكس المضي لما فيها من المهلة»⁴.

وعدل عن التعبير بـ"الفاء" فلم يقل : (تذكروا فأبصروا) وذلك : « لاقتضاءها التعقيب ومراد الحق سبحانه: أن هؤلاء العباد لا تتأخر أبصارهم عن تذكرهم»⁵.

وعبر الحق سبحانه بقوله: ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾، « كأَنهم لم يزالوا على ذلك البصرى، ثناء منه سبحانه عليهم وإظهار لوفور المنة إليه لديهم، كما نقول: تذكر زيد المسألة، فإذا هي صحيحة، أي أنها لم تنزل صحيحة، وإنما الآن صحيحة، كما رفع العلم بها. كذلك المتقون، ما زالوا مبصرين، ولكن حين ورد طيف الهوى عليهم، غطى على بصيرتهم الثابت نورها فيهم، فلما استيقظوا ذهب سحابة الغفلة، فأشرقت شمس البصيرة»⁶.

¹ ابن الحاجب: أبو عمرو عثمان بن عمر (ت 646 هـ). الإيضاح في شرح المفصل. تحقيق: موسى بناي العليلى. مطبعة العاني. بغداد 1983م. (د، ط)، ج2 ص237.

- السيوطي جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، ج 3 ص22.

² سورة الأعراف الآية 201.

³ ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص33.

⁴ المصدر نفسه، ص33.

⁵ المصدر نفسه، ص33.

⁶ المصدر نفسه، ص33.

ب . حروف المعجم:

يقف ابن عطاء الله وقفة عند معنى حرف الهاء ويجعلها دالة على الموجد الحق وبها يقع التسبيح لكل مخلوق بحسب حاله فيقول: « كل يسبح خالقه، ويشير لموجده ﴿ بالهاء ﴾ المضمرة بضرورة حاله، وبإشارة مقالته ﴿ هو ﴾، قال الله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾¹، والتسبيح هو التنزيه، وهو الذكر المضممر الذي لا يفقه منه إلا الإشارة بإثبات وجود الواحد للموجودات الواحد القادر المنزه عن صفات المحدثات»².

¹ . سورة الإسراء الآية 44 .

² . ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد ، ص 32

فابن عطاء الله يعتبر أن ﴿الهاء﴾ حرف يشير به المخلوقون إلى موجد ثابت في العقول، وقد نقل القرطبي أن الهاء أصل لاسم الجلالة فقال: (وزعم بعضهم أن الأصل فيه "الهاء" التي هي الكناية عن الغائب، وذلك أنهم أثبتوه موجدًا في فطر عقولهم فأشاروا إليه بحرف الكناية ثم زيدت فيه لام الملك إذ قد علموا أنه خالق الأشياء ومالكها فصار "له" ثم زيدت فيه الألف واللام تعظيمًا وتفخيماً)¹.

¹ . القرطبي أبو عبد الله ، الجامع لأحكام القرآن ، ج 1 ص 103.

المبحث الثاني :

الدلالة اللغوية وتطبيقاتها في تفسير ابن عطاء الله

تمهيد .

المطلب الأول: تقسيم الألفاظ باعتبار الدلالة .

المطلب الثاني :الحقيقة والمجاز.

تمهيد :

اعتنى الأصوليون بدراسة مباحث الدلالة، فتوسعوا فيها حتى أضافوا كثيراً من هذه المباحث على ما قدمه علماء اللغة، وكان مرمى الأصوليين من البحث في أساليب العربية هو وضع قوانين تتخذ أساساً لهم في استنباط الأحكام الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، متوخين قصد الشارع من هذا التنزيل، إذ ما جاءت الشريعة إلا لتقيم حياة إنسانية كريمة في فهم نصوصها، وتعرف على تحديد الدلالات¹.

وسوف نعرف في هذا المبحث أقسام الدلالة حسب كل فريق من المتعمقين في مبحث الدلالات من (المتكلمين ، الأصوليين ، الحنفية) باعتبار ما اتفقوا أو اختلفوا عليه من المصطلحات، ثم نبين أنواع الدلالات التي وجدت عند ابن عطاء الله من خلال الأمثلة التي وقف عندها أثناء تفسيره لآيات القرآن الكريم، ثم نتعرض لموضوع الحقيقة والمجاز وموقف ابن عطاء الله منه وإيراد الأمثلة الممكنة من تفسيره.

¹ . عزيز سليم علي القرشي . البحث الدلالي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت 885هـ) . أطروحة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها . كلية التربية . الجامعة المستنصرية سنة 2004م ، ص 85.

المطلب الأول:

تفسير الألفاظ باعتبار الدلالة .

1. تقسيم المناطقة والأصوليين .

2 . طرق تحديد الدلالة عند الأصوليين .

أولا : دلالة المنطوق .

أ - المنطوق الصريح .

ب - المنطوق غير الصريح .

ثانيا : دلالة المفهوم .

أ - مفهوم الموافقة .

ب - مفهوم المخالفة .

1. تقسيم المناطق والأصوليين :

يرى المناطق والأصوليون، أنّ هذه الدلالة تنحصر في ثلاثة أنواع هي:
دلالة المطابقة : وهي التي يدل اللفظ فيها على تمام معناه الموضوع له بطريق المطابقة، كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق¹، وتختص دلالة المطابقة بأحكام كثيرة منها ثلاثة هي²:

أ: ليس يلزم في كل معنى من المعاني أن يكون له لفظ يدلّ عليها، بل لا يبعد أن يكون ذلك مستحيلاً؛ لأنّ المعاني التي تقبل كل واحد منها غير متناهية.
ب: الحقيقة في وضع الألفاظ إنّما للدلالة على المعاني النطقية دون الموجودات الخارجية.

ج: الألفاظ المشهورة من جهة اللغة المتداولة بين الخاصة والعامة لا يجوز أن تكون موضوعة وضعاً حقيقياً لا يعرفه إلاّ الخاص، ولا يصح أن تكون مقطوعة بإزاء المعاني الدقيقة التي لا يفهمها إلاّ الأذكاء.

2- دلالة التضمن : وهي اعتبار اللفظ إلى جزئه من حيث هو كذلك، نحو دلالة الفرس والإنسان والأسد على معانيها التي هي متضمنة لها، كالحيوانية والإنسانية، فإنّ هذه المعاني كلها تدلّ عليها الألفاظ عند الإطلاق؛ لأنّها متضمنة لها من حيث هذه الحقائق، ودلالاتها عليها من جهة تضمنها له³.

3- دلالة الالتزام : أجمع البلاغيون على أنّ الدلالة الوضعية لا يقع فيها تفاوت، وإنّما يقع

¹ . مطلوب أحمد . معجم المصطلحات البلاغية وتطورها . المجمع العلمي العراقي . سنة 1987 م . (د.ط) ، ج 3 ص10

² . المرجع السابق ، ج 3 ص10 .

- العلوي: يحيى بن حمزة . الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ج 1 ص35 .

³ . مطلوب أحمد . معجم المصطلحات البلاغية وتطورها . ج 3 ص10 .

- السكاكي أبو يعقوب محمد بن علي (ت 626هـ) . مفتاح العلوم . مطبعة المكتبة العلمية الجديدة . بيروت (د.ت.ط) ، 156 .

- الزملكاني: كمال الدين عبد الواحد عبد الكريم (ت 651هـ) . البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . تحقيق:

خديجة الحديثي وأحمد مطلوب . مطبعة العاني بغداد . الطبعة الأولى . سنة 1974 م ، ص 98 .

- القزويني جلال الدين . الإيضاح في علوم البلاغة ، ص212 .

التفاوت في الدلالة الالتزامية أو دلالة الالتزام، وقال ابن الزمكاني: (اللفظ إما أن يعتبر بالنسبة إلى تمام مسمّاه وهو المطابقة، أو إلى جزئه من حيث هو كذلك وهو التضمن أو إلى ما يكون خارجاً عن المسمى من حيث هو كذلك وهو الالتزام)¹ فالأولى وضعية والباقيتان عقليتان؛ لأنّ وضع اللفظ إذا وضع للمسمّى انتقل الذهن من المسمّى إلى اللازم².

والخلاصة في هذا أن المناطق والأصوليين أقروا تقسيم الدلالة اللفظية إلى ثلاثة أقسام هي: (دلالة عقلية) (المطابقة) وتضمنية والتزامية).

2. طرق تحديد الدلالة عند الأصوليين :

انقسم الأصوليون إلى فئتين في تحديد طرائق الدلالة هما: طريقة المتكلمين وطريقة الأحناف.

الأولى: طريقة الجمهور (المتكلمين) وقسموا طرائق الدلالة إلى قسمين³:

أ: المنطوق ، ب: المفهوم ، وينقسم المنطوق على قسمين:

أ: المنطوق الصريح . ب: المنطوق غير الصريح.

والمنطوق غير صريح ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ: الاقتضاء . ب: الإيماء . ج: الإشارة.

¹ . الزمكاني كمال الدين . البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . تحقيق: خديجة الحديثي وأحمد مطلوب ، ص 98 .

- السكاكي أبو يعقوب . مفتاح العلوم ، ص 156 .

- القزويني جلال الدين . الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 212 .

- القزويني جلال الدين . التلخيص في علوم البلاغة . تحقيق: عبد الرحمن البرقوني . دار إحياء الكتب العربية بيروت .

الطبعة الأولى . سنة 1932 م ، ص 237 .

- مطلوب أحمد . معجم المصطلحات البلاغية وتطورها . ج 3 ص 8.

² . السكاكي أبو يعقوب . مفتاح العلوم ، ص 156 .

- الزمكاني كمال الدين . البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . تحقيق: خديجة الحديثي وأحمد مطلوب ، ص 98.

³ . بشير مهدي الكبيسي . مفاهيم الألفاظ ودلالاتها عند الأصوليين . أطروحة دكتوراه . كلية العلوم الإسلامية جامعة

بغداد . سنة 1991 م ، ص 7. 8 .

- الزلي إبراهيم مصطفى . أصول الفقه الإسلامي في نسخته الجديد . دار الحكمة للطباعة والنشر . سنة 1991 م . (د.ط) ، ج

1 ص 10. 11.

والمفهوم إلى قسمين : أ: مفهوم الموافقة ، ب: مفهوم المخالفة
الثانية: طريقة الفقهاء (الأحناف).

وقد قسموا طرائق الدلالة إلى أربعة أنواع وهي:

أ: عبارة النص. ب: إشارة النص. ج: دلالة النص. د: اقتضاء النص.
ويتضح من الموازنة بين الطريقتين¹ ما يأتي:

أ: إن طرائق الدلالة عند الأحناف تلتقي مع تقسيم المتكلمين إلا في طريقتين. الأول :
الإيماء: إذ لا يعدها الأحناف من طرائق الدلالة وإن كانت تعدّ عندهم في القياس،
والثاني : مفهوم المخالفة، فهم لا يقدمون بدلالته.

ب: يلتقي الفريقان في دلالة الاقتضاء والإشارة اسما ومضمونا، ولكن ما سماه الجمهور
(المنطوق الصريح) وسمّاه الأحناف (دلالة العبارة) وكذلك مفهوم الموافقة عند
المتكلمين يسمّى (دلالة النص) عند الأحناف²، ويبدو واضحاً من خلال هذا التقسيم
الذي أقرّه كل من المتكلمين والأحناف، بأنّ المنطوق الصريح الذي سماه المتكلمون
ودلالة العبارة عند الأحناف، هي دلالة المطابقة ودلالة التضمنين التي أقرّها كل من
المناطق والأصوليين، فدلالة المطابقة والتضمنين، إذاً هي دلالة المنطوق الصريح عند
المتكلمين ودلالة العبارة عند الأحناف³.

أمّا المنطوق غير صريح عند المتكلمين وإشارة النص واقتضائه عند الأحناف فهو دلالة
الالتزام عن المناطق والأصوليين؛ لأنّ دلالة الالتزام تتضمن (الاقتضاء والإشارة والإيماء)⁴.
وعليه فابن عطاء الله يرى أن أقسام الدلالة إما نصاً صريحاً، وإما إشارة أو تلويحاً ،
وذلك عند حديثه عن موضوع (التسليم وعدم التدبير) فأورد بعض الآيات وبعض
الأحاديث الدالة على ذلك مرتبة كما يلي : « قال الله سبحانه وتعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا

¹ . بشير مهدي الكبيسي . مفاهيم الألفاظ ودلالاتها عند الأصوليين ، ص 7 . 8.

² . المرجع السابق .

³ . المرجع السابق .

⁴ . المرجع السابق .

يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا¹.

وقال تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَتَّى، فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾²

وقال صلى الله عليه وسلم: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً)³.

وقال صلى الله عليه وسلم: (أعبد الله بالرضا، فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير)⁴،⁵ ليقول بعدها: «إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على ترك التدبير ومنازعة المقادير، إما نصاً صريحاً، وإما إشارة وتلويحاً»⁶. وبهذا تبين لي أن ابن عطاء الله يعتبر المنطوق قسمين: صريح وغير صريح، وفي الصريح قسمين: المطابقة والتضمن، وفي غير الصريح قسمين: الإشارة والتلويح وأغلب الظن أنه يقصد بالتلويح الإيماء.

ومن ثم فقد سار ابن عطاء الله في تقسيم الدلالة على النهج الذي سار عليه المتكلمون، إلا أنه لم يشر إلى التقسيمات التي أشار إليها المتكلمون بشكلها الواضح، إنما يظهر من خلال الأمثلة المتناثرة في تفسيره إلى الميل الكبير إلى تقسم الجمهور من الأصوليين

¹. سورة النساء الآية 65.

². سورة النجم الآية 24 . 25.

³. الحديث أخرجه أبو عيسى الترمذي في سننه عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً)، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم 2547 ج 9 ص 209. وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

⁴. الحديث أخرجه البهقي في شعب الإيمان، باب فيما يقول العاطس، عن عبد الله بن عباس بلفظ قال: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا غلام، ألا أعلمك كلمات لعل الله أن ينفعك بهن؟» قلت: بلى، يا رسول الله، قال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو اجتمع الخلق على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله في أم الكتاب لم يستطيعوا، ولو اجتمع الخلق أن يضروك بشيء لم يكتبه الله في أم الكتاب لم يستطيعوا، فإن استطعت أن تعمل لله بالرضا واليقين فافعل، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً» رقم 9644 ج 20 ص 462.

⁵. ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 05.

⁶. ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 05.

مع التطرق إلى مصطلحات الأحناف في هذا التقسيم، فضلاً عن أنّ ابن عطاء الله لم يتناول جميع أنواع الدلالات المشار إليها سابقاً، إنّما اقتصر على بعضها متطرقاً إليها عند الوقوف على بعض النصوص القرآنية؛ لبيان أهمية المعنى في النص القرآني، وعلى هذا الأساس سوف أقف على أنواع الدلالات التي أشار إليها ابن عطاء الله ممثلاً لكل نوع ومرتباً لها كما مر معنا :

أولاً : دلالة المنطوق : وفيه قسمين : الصريح وغير الصريح .

1 . المنطوق الصريح :

لقد تبين سابقاً أنّ المنطوق الصريح ما أقرّه المتكلمون، ويقابله عند الأحناف عبارة النص، فالمنطوق الصريح: (ما دلّ عليه اللفظ بالمطابقة أو التضمن) ¹ وهذا المصطلح خاص بالمتكلمين، أما عن الأحناف فعبارة النص هي: ((دلالة الكلام على المعنى المتبادر منه سواء أكان هذا المعنى مقصوداً من السياق أصالة أم تبعاً) ²، أي أنّ الكلام إذا دلّ على معنى؛ وكان هذا هو المقصود منه أولاً وبالذات سُمّي ذلك معنى مقصوداً (أصالة)، فإذا دلّ الكلام على معنى غير مقصود سُمّي المعنى غير أصلي (تبعي) فالأول مطابقة، والثاني التضمنين. ³

¹ . الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250هـ) . إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول . دار المعارف بيروت . سنة 1979 . (د.ط) ، ج 2 ص 519.

- الزلي، إبراهيم مصطفى . أسباب اختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية . مطبعة دار الحرية . بغداد . الطبعة الثانية . سنة 1979م ، ص 175.

² . بدران أبو العينين بدران . أصول الفقه . دار المعارف . الطبعة الأولى . سنة 1969م ، ص 181 .
- النسفي أبي بركات عبد الله بن أحمد (ت 710هـ) . كشف الأسرار شرح المصنف على المنار . المطبعة الكبرى الأميرية بولاق مصر . الطبعة الأولى . سنة 1316هـ ، ج 1 ص 68.

³ . السمرقندي، علاء الدين شمس النظر (ت 540هـ) . ميزان الأصول . دراسة وتحقيق: عبد الملك عبد الرحمن السعيد . مطبعة الخلود . الطبعة الأولى . سنة 1987م ، ج 1 ص 567 .
- بدران أبو العينين بدران . أصول الفقه ، ص 181.

أما ابن عطاء الله فقد وجدت له تسمية المنطوق الصريح، وتسمية دلالة التضمنين أما تسمية المطابقة فيسميها ظاهر النص أو صريح العبارة، وفيما يلي نتعرف على الأمثلة الممكنة عنده لدلالي التضمنين والمطابقة .

أ: دلالة التضمنين :

مرّ سابقاً تعريف دلالة التضمن في حين لم أجد ابن عطاء الله يشير إلى تعريف هذا المصطلح، إنّما جاء على شكل أمثلة متناثرة في تفسيره لآيات القرآن ؛ لبيان المعنى المقصود من النص القرآني، والأمثلة في ذلك كثيرة منها :

● قوله تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾¹، نلتمس في هذا النص القرآني دلالة واضحة وهي دلالة التضمن على حد ما بسطه ابن عطاء الله، ومكمن هذه الدلالة في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، إذ يقول ابن عطاء الله: «الرابعة : إعلام الحق عز وجل في هذه الآية للمؤمنين بشارة عظيمة تتضمنها ولايته، لأنها تضمنت كل خير من خير الدنيا والآخرة من نور وعلم وفتح وشهود ومعرفة ويقين وتأيد ووجود ومزيد وحوار وقصور وأنهار وثمار ورؤية الله تعالى ورضاء عن الله تعالى وما بين ذلك من الحشر مع المتقين وأخذ الكتاب باليمين وثقل الميزان بالحسنات والثبات على الصراط، وما سوى ذلك من المنح والمواهب تتضمنه ولاية الله تعالى لعباده المؤمنين، فهي البشارة التي تضمنت كل بشارة»². فتراه يثبت بدلالة التضمن للمؤمنين بشارة بولاية الله لهم إذ حوت هذه الولاية مالا يحصى من الفضل في الدنيا والآخرة .

وفي نفس الآية نجد ابن عطاء الله يتحدث عن ولاية الإيقان فيقول : « ولاية الإيقان وهي تتضمن الإيمان والتوكل وقد قال الله عز وجل ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾³، ولا يكون التوكل إلا مع اليقين ولا يكون توكل ويقين إلا مع الإيمان ، لأن اليقين عبارة عن استقرار العلم بالله تعالى في القلب مأخوذ من يقن الماء في الجبل إذا استقر وسكن ، فكل يقين إيمان وليس كل إيمان يقينا، والفرق بينهما أن الإيمان قد يكون مع الغفلة واليقين لا

¹ . سورة البقرة الآية 257.

² . ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن ، تحقيق :عبد الحليم محمود ، ص 2526.

³ . سورة الطلاق الآية 3.

تجامعه الغفلة»¹، فتراه يثبت تضمن ولاية الإيقان لولاية الإيمان مستعينا بالمعنى المعجمي لكلمة (اليقين).

وفي نفس الآية نجد ابن عطاء الله يتحدث عن ولاية الله وأنها تتضمن النفع والدفع والنصرة والنجاة فيقول: «واعلم أن ولاية الله تتضمن النفع والدفع ، أما النفع فمن قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَّةٌ أَمَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا ﴾² ومن قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾³ وهذا في صفة الكافرين فمفهومه أن الإيمان ينفع المؤمنين ولو عند رؤية البأس ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾⁴ ، فمفهومه إذا كانت مؤمنة من قبل ينفعها إيمانها، وأما الدفع فمن قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾⁵ ، وتتضمن النصرة لقوله تعالى : ﴿ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾⁶ تتضمن النجاة لقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾⁷ . فتراه يثبت بدلالة التضمن عدة أمور في ولاية الله لعبده مستدلا لكل أمر بمفهوم الآية أو بمنطوقها.

وفي نفس الآية أيضا : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ذكر ابن عطاء الله أنها تضمنت نوعين من الولاية ولكل نوع أهله ودليله من القرآن فقال : « وإن شئت قلت هما ولايتان ولاية دليل وبرهان وولاية شهود وعيان ، الدليل والبرهان لأهل الاعتبار وولاية الشهود والعيان لأهل الاستبصار، فلأهل الولاية الأولى قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾⁹ ، ولأهل الولاية الثانية قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ

¹ . ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن ، تحقيق :عبد الحليم محمود ، ص 27.

² . سورة يونس الآية 98.

³ . سورة غافر الآية 85.

⁴ . سورة الأنعام الآية 158.

⁵ . سورة الحج الآية 38.

⁶ . سورة الروم الآية 47.

⁷ . سورة يونس الآية 103.

⁸ . ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن ، تحقيق :عبد الحليم محمود ، ص 2526.

⁹ . سورة فصلت الآية 53.

خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ»¹ ، فقد جعل الولاية الأولى ولاية دليل وبرهان والولاية الأولى ولاية شهود وعيان .

● قوله تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾³ ، فقد نقل ابن عطاء الله ما فهمه أبو العباس بدلالة التضمن من قوله تعالى : ﴿مَنْ رَسُولٍ﴾ أن في معناها : الصديق والولي فقال : «فإن قلت كيف يصنع بقوله تعالى فلم يستثن أحد إلا رسول . فاعلم أني سمعت من شيخنا أبي العباس يقول : وفي معناها (أو صديق أو ولي)»⁴ .

● قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾⁵ ، أفادت هذه الآية الآية بدلالة التضمن اقتران الخلق بالرزق احتجاجا على العباد من أجل التسليم له في الرزق كما سلموا له في الخلق وفي ذلك يقول ابن عطاء الله : « تضمنت هذه الآية الكريمة : أن الخلق والرزق مقترنان ، أي كما سلمتم لله بأنه الخالق من غير دعوى منكم للخالقية معه ، فكذلك سلموا له أنه الرزاق ولا تدعو ذلك معه ، أي كما انفرد فيكم بالخلق والإيجاد ، كذلك هو المنفرد بالرزق والإمداد ، فقرنهما للاحتجاج على العباد ونحيا لهم أن يشهدوا رزقا من غيره ، وإحسانه من خلقه ، وانه تعالى كما خلق من حيث لا وسائط ولا أسباب ، كذلك هو الرزاق من غير أن يتوقف رزقه على واسطة أو وجود سبب »⁶ .

● قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾⁷ ، وتلمس فيها بدلالة التضمن التوبيخ للإنسان الذي ينازع خالقه فيدبر معه ويناقشه في أحكامه وفي ذلك يقول ابن عطاء الله : « ففي هذه الآية توبيخ للإنسان لما غفل عن أصل نشأته ، وخاصم منشئه وغفل عن سر بدايته ، ونازع مبدأه وكيف يصلح لمن خلق من نطفة ،

¹ . سورة الأنعام الآية 91.

² . ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، تحقيق : عبد الحليم محمود ، ص 29.

³ . سورة الجن الآية 26 . 27.

⁴ . ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، تحقيق : عبد الحليم محمود ، ص 37.

⁵ . سورة الروم الآية 40.

⁶ . ابن عطاء الله السكندري التنوير في إسقاط التدبير ، ص 71.

⁷ . سورة يس الآية 77.

أن يناع الله في أحكامه، وأن يضادده في نقضه وإبرامه فاحذر رحمك الله التدبير مع الله»¹، فقد استفاد ابن عطاء الله من هذه الآية ما يدل على إسقاط التدبير.

● قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾² ونلتمس دلالة التضمن في هذه الآية واضحة بترك التدبير، وفي ذلك يقول ابن عطاء الله: «ويتضمن . هذا النص القرآني . الإلزام للعبد بترك التدبير مع الله، لأنه إذا كان يخلق ما يشاء فهو يدبر، ما يشاء، فمن لا خلق له لا تدبير لهقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾³»،⁴ فتراه يستدل بآية إثبات الخلق له تعالى ومن ثم فهو سبحانه يشاء ويختار ولاي لزم العبد إلا ترك التدبير .

● قوله تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَتَّى، فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾⁵ فيها دلالة على إسقاط التدبير مع الله وذلك بطريق التضمن في قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾، فالملك كله لله وليس للعبد أن يدبر في ملك غيره ، وفي ذلك يقول ابن عطاء الله: «أم للإنسان ما تمنى،(أي لا يكون ولا ينبغي له لأننا ما جعلناه له)، وأكد ذلك بقوله: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾، ففي ذلك أيضا إلزام العبد، ترك التدبير مع الله. أي إذا كان لله الآخرة والأولى فليس فيهما للإنسان شيء فلا ينبغي له التدبير في ملك غيره، وإنما ينبغي أن يدبر في الدارين من هو مالكهما وهو الله سبحانه وتعالى»⁶. فتراه يثبت تجريد العبد من الملك ومن لا ملك له لا تدبير له.

● قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾⁷، وقد استفاد ابن عطاء الله بدلالة التضمن، أن في الآية مدحا للمؤمنين، الذين لم يشغلهم بيعهم وشراءهم عن القيام بحقوق ربهم فقال: «فلم ينفع عنهم الأسباب ولا التجارة و لا البيع ولا

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 56.

² . سورة القصص الآية 68.

³ . سورة البقرة الآية 257.

⁴ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 11.

⁵ . سورة النجم الآية 24 . 25.

⁶ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 11.

⁷ . سورة النور الآية 36 . 37 .

الشراء فلا يخرجهم غناهم عن المدحة غناهم إذا قاموا بحقوق مولاهم، فتضمنت الآية التزكية
لظواهرهم وسرائرهم وإثبات محامدهم ومفاخرهم¹.

¹. ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 41 . 42.

ب: دلالة المطابقة :

مرّ سابقا تعريف دلالة المطابقة، إلاّ أنني لم أجد ابن عطاء الله يشير إلى تعريف هذه الدلالة، وإنما عثرت على إشارة إلى هذا النوع من الدلالة أثناء تناوله لبعض النصوص القرآنية ضمن قوله (يقتضيها اللسان) أو (صريح الآية أو منطوقها). وفيما يلي أمثلة لذلك :

● « قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ ¹ ، ونلتمس في هذا النص القرآني دلالة واضحة وهي دلالة المطابقة على حسب ما أشار إليه ابن عطاء الله ومكمنها في قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ ﴾ إذ يقول ابن عطاء الله: « فيه دلالة على أن الإيمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه، قولاً وفعلاً، وأخذاً وتركاً، وحبا وبغضا » ² ، ونلتمس أيضاً فيها دلالة التضمنين في قوله تعالى: ﴿ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ إذ يقول ابن عطاء الله: « ويشمل ذلك حكم التكليف، وحكم التصريف، والتسليم والانقياد واجب على كل مؤمن في كليهما. فأحكام التكليف: الأوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد. وأحكام التصريف: هو ما أورده عليك من قهر المراد، فتبين من هذا أنه لا يحصل لك حقيقة الإيمان إلا بأمرين: بالامتثال لأمره، والاستسلام لقهره » ³ فتراه يستنبط من الآية بدلالة التضمنين عموماً في تحكيم المؤمنين للرسول صلى الله عليه وسلم في القول والفعل والأخذ والترك والحب والبغض .

● قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ⁴ ، فالمعنى يقول ابن عطاء الله: « فأول المقامات التوبة ولا يقبل ما بعدها إلا بها ... فإن ظفرت بها فقد أحبك الله » ⁵

¹ . سورة النساء الآية 65.

² . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 5.

³ . المصدر نفسه .

⁴ . سورة البقرة الآية 222.

⁵ . ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 6.

وكذا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾¹ فيبين دلالة المطابقة فيها فيقول: «فانظر من أي الفريقين أنت فإن تبت فأنت من المحبوبين وإن لم تتب فأنت من الظالمين»²

• قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾³، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾⁴، يستفيد ابن عطاء الله بدلالة المطابقة من الآيتين فيقول: «وإن أردت أن تنصر فكن ذليلاً، وأن أردت أن تعطى فكن فقيراً»⁵.

• قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾⁶، يقول فيها ابن عطاء الله: «يفهم منه أنه لا يصلح مجيئك إلى الله ولا الوصول إليه إلا إذا كنت فرداً مما سواه»⁷ فدلالة المطابقة دلت على ، الوصول إلى الله تعالى وطريقها التفريد .

• قوله تعالى: ﴿لَيْسَ أَلِ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾⁸، فيقول ابن عطاء الله: «أترى إذا سأل الصادقين أترك المدعين من غير سؤال»⁹ فبدلالة المطابقة دلت على سؤال غير الصادقين وهم المدعون.

• قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾¹، فيقول ابن عطاء الله: «وصف

¹ . سورة الحجرات الآية 11 .

² . ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 6 .

³ . سورة آل عمران الآية 123 .

⁴ . سورة التوبة الآية 60 .

⁵ . ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 20 .

⁶ . سورة الأنعام الآية 95 .

⁷ . ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 33 .

⁸ . سورة الأحزاب الآية 8 .

⁹ . ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 36 .

القرآن أحوال الصحابة فدل ذلك على أنهم ما ابتغوا ما حملوه من الدنيا ولم يقصدوا بذلك إلا وجهه الكريم وفضله العظيم»² فبدلالة المطابقة دلت الآية على أنهم ابتغوا فضل الله ورضوانه ولم يبتغوا غير ذلك مما حملوه معهم من الدنيا.

- قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾³ ، فدلّت الآية بدلالة المطابقة أن تمني الموت شاهد للولي بولايته وعدم تمنيه شاهد للغوي بغوايته لقوله تعالى في تمام الآية ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾⁴ ، وفي ذلك يقول ابن عطاء الله : « فإن الولي على الحقيقة لا يكره الموت إن عرض عليه ولا يحب الموت من فيه البقايا ولا من هو مصر على الخطايا وجعل الله تمني الموت شاهد للولي بولايته وعدم تمنيه شاهدا للغوي بغوايته»⁵ . ثم يتابع ابن عطاء الله حديثه فيستدل ببعض الآيات على أن الموت ميزان الأفعال والأحوال ، وحق يهزم الباطل ويدمغه فيقول: « قال الله عز وجل: ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾⁶ ، والموت ميزان على الأفعال والأحوال فكل حال وعمل يثبت مع تقدير الموت حق والحق يهزم الباطل ويدمغه لقوله عز وجل: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾⁷ ، وقال عز وجل: ﴿ قُلْ إِن رَّبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَآمُ الْغُيُوبِ ﴾⁸ ، وقال عز وجل: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾⁹ ، وما كنت فيه قائما بحق لم يهزمه الموت إنما هو حق والموت حق والحق لا يهزم الحق»¹⁰ ، هكذا تجد ابن عطاء الله يوظف دلالة التضمنين في الآية ، ﴿ فالوزن ﴾ تضمن الموت باعتبارها ميزان الأعمال والأحوال ، و ﴿ الحق ﴾ في الآية تضمن الموت لأنه حق يدمغ

¹ . سورة الحشر الآية 8.

² . ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 40.

³ . سورة الجمعة الآية 6.

⁴ . سورة الجمعة الآية 7.

⁵ . ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، تحقيق: عبد الحليم محمود ، ص 3433.

⁶ . سورة الرحمن الآية 9.

⁷ . سورة الأنبياء الآية 18.

⁸ . سورة سبأ الآية 48.

⁹ . سورة الإسراء الآية 81.

¹⁰ . ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن ، تحقيق: عبد الحليم محمود ، ص 3433.

الباطل.

بيد أن الذي أحب الإشارة إليه، هو أن ابن عطاء الله في الأمثلة السابقة – المنطوق الصريح- يسير على النهج الذي سلكه المتكلمون، إلا أنه يأخذ اتجاهها آخر في بعض الأمثلة، إذ يتطرق إلى طريقة الأحناف في بعض النصوص القرآنية، والسبب في ذلك يعود إلى ظهور طريقة ثالثة في تقسيم الدلالة تسمى (طريقة المتأخرين)، وجمعت هذه الطريقة بين الطريقتين السابقتين، فعنيت بتحقيق القواعد الأصولية، وإقامة البراهين عليها، كما عنيت بتطبيق هذه القواعد على الفروع الفقهية، وربطها بها، وهذه الطريقة مزيج من علماء الحنفية وبعض علماء الشافعية¹.

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾²، ذكر ابن عطاء الله لواحد من طرق الدلالة عند الأحناف وهي (دلالة العبارة) وهو ما يقابل عند المتكلمين (المنطوق الصريح)، إذ يقول ابن عطاء الله في هذه الآية: «فأفادت هذه العبارة، أن طيف الهوى لا يتمكن من قلوبهم، بل يماسها مماسة، ولا يتمكن منها إمساكا ولا أخذا كما يصنع بالكافرين، لأن الشيطان يستحوذ على الكافرين، ويختلس اختلاسا من قلوب المؤمنين، حتى تنام العقول الحارسة للقلوب. فإذا استيقظوا انبعثت من قلوبهم جيوش الاستغفار والذلة والافتقار إلى الله تعالى، فاسترجعوا من الشيطان ما اختلسه، وأخذوا منه ما افترسه»³. فاستعماله لمصطلح (دلالة العبارة) وعدوله عن مصطلح (المنطوق الصريح) دليل على اعتماده لطريقة المتأخرين .

2 . المنطوق غير الصريح :

تبين سابقا أن المنطوق غير الصريح هو ما أقره المتكلمون ويقابله عند الأحناف دلالة (إشارة النص واقتضاء النص). فهو دلالة الالتزام عند المناطقة والأصوليين، لأن دلالة الالتزام تمثل (إشارة النص واقتضاءه) فضلا عن دلالة الإيماء عند المتكلمين.

أما ما وجدته عند ابن عطاء الله، فإنه يشير تارة إلى دلالة الالتزام وتارة أخرى يشير إلى

¹ . بدران أبو العينين بدران ، أصول الفقه ، ص 18.

² . سورة الأعراف الآية 201.

³ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 36.

دلالة (الإشارة والاقتضاء والإيماء)، أي أنه يجمع بين التقسيمات التي أشار إليها المنطقة والأصوليون (الأحناف والمتكلمون)، وفيما يلي نتعرف على الدلالات التي أشار إليها من خلال الأمثلة :

أ: دلالة الالتزام :

عرفها الآمدي بقوله: (هي التي يدل اللفظ فيها على أمر خارج عن الموضوع له من اللفظ)¹. ويشترط في هذه الدلالة أن يكون التلازم بين معنى اللفظ والمعنى الخارج اللازم تلازماً ذهنياً، فلا يكفي التلازم في الخارج فقط من دون رسوخه في الذهن وإلا لما حصل انتقال الذهن هذا من جهة إلى جهة أخرى، أن يكون التلازم واضحاً بيناً، بمعنى أن الذهن إذا تصور معنى اللفظ ينتقل إلى لازمه بدون حاجة إلى توسط شيء آخر². وسميت دلالة الالتزام، لأن اللفظ لا يدل على كل أمر خارج عن معناه الموضوع له، بل على الخارج اللازم له، بيد أن دلالة الالتزام قد تكون واضحة، وقد تكون خفية، وقد أشار الغزالي (505هـ) إلى هذا إذ يقول: (وإيّاك أن تستعمل في نظر العقل من الألفاظ ما يدل بطريق الالتزام، لكن اقتصر على ما يدل بطريق المطابقة والتضمن، لأن الدلالة بطريق الالتزام لا تنحصر في حدّ، إذ السقف يلزم الحائط)³.

أما عند ابن عطاء الله فقد وجدت له أمثلة أثبتتها فيما يلي، أشار فيها إلى هذا النوع من الدلالة :

- قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾⁴، ففي هذه الآية الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن نلتبس بدلالة الالتزام عدة معاني وقد عددها ابن عطاء الله واستدل لها بنصوص أخرى فقال: « وفي هذه الآية فوائد: الأولى أن تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان هو المخاطب بهذه الآية،

¹ . الآمدي: سيف الدين علي بن محمد. الأحكام في أصول الأحكام. دار الكتب العلمية بيروت. سنة 1405هـ.

1985م. (د،ط)، ج 1 ص 17.

² . محمد رضا مظفر. المنطق (مجموعة محاضرات التي ألقيت في كلية منتدى النشر في النجف الأشرف. مطبعة أمين

قم. دار الغدير. الطبعة الأولى. سنة 1320هـ، ص 34.

³ . الغزالي أبو حامد. المستصفى من علم الأصول. دار العلوم الحديثة لبنان. (د.ت.ط)، ج 1 ص 301.

⁴ . سورة طه الآية 132.

فحكمها ووعدها متعلق بأمته أيضاً. فكل عبد مقول له: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾¹ ، فتعدية الأمر للأمة مما يلزم فهمه من الآية لأنه أمر تشريعي والنبي فيه صلى الله عليه وسلم قدوة الأمة .

وأما في الثانية منها فإن الأمر بالاصطبار على الصلاة في الآية جاء تبعا وفي ذلك يقول ابن عطاء الله: «الثانية: أنظر إلى أنه تعالى أمره عليه الصلاة والسلام في الآية، أن يأمر أهله قبل أن يأمر هو نفسه بالاصطبار عليها، ليعلمك أن الآية سيقى للأمر بأمر الأهل بالصلاة، وأن غير هذا إنما جاء بطريق التبعية، وإن كان مقصودا في نفسه، لكنه لما علم العبد أنه مأمور في نفسه بالصلاة علماً لا شك فيه، فأراد الحق تعالى أن ينبه العباد على ما لعلهم أن يهملوه، فأمر رسوله ليسمعوا بذلك فيتبعوا فيكونوا لذلك مسارعين على القيام به مثابرين»²، فالأمر بالاصطبار تنبيه من الله للعباد حذرا أن يهملوه .

● قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾³ ، فهذا التقرير على انفراده تعالى بالاختيار استفاد منه ابن عطاء الله بدلالة التضمنين قوله: «ويتضمن قوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾ انفراده بالاختيار وأن أفعاله ليست على الإلجاء والاضطرار، بل هو على نعت الإرادة والاختيار»⁴ ، وبدلالة الالتزام وجوب إسقاط التدبير فيقول: «وفي ذلك إلزام للعبد بإسقاط التدبير والاختيار مع الله تعالى، إذ ما هو له لا ينبغي أن يكون لك»⁵.

● قوله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾⁶ ، فالمعنى الذي قرره ابن عطاء الله بدلالة الالتزام أن وجود الفحشاء والمنكر من المصلى يلزم منه نفي اسم الصلاة عن فعله

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 72.

² . المصدر نفسه .

³ . سورة القصص الآية 68.

⁴ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 11.

⁵ . المصدر السابق .

⁶ . سورة العنكبوت الآية 45.

- فيقول : « واعلم أن كل صلاة لا تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر لا تسمى صلاة »¹.
- قوله تعالى: ﴿ اَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾²، فالمعنى الذي قرره ابن عطاء الله بدلالة الالتزام أن الرضا عن الله في الدنيا يبلغ رضا الله عن العبد في الآخرة فيقول : « تدل: على أن من رضي عن الله في الدنيا، كان مرضيا عنه في الآخرة، وذلك بين لا إشكال فيه »³.

ب: دلالة الإشارة:

تعد دلالة الإشارة في ضمن دلالة الالتزام، هذا ما أقره كل من المناطقة والأصوليون ، واتفق المتكلمون والأحناف على دلالة الإشارة مصطلحا ومضمونا وتعني : (ما لم يكن السياق لأجله، لكنه يعلم بالتأمل في معنى اللفظ من غير زيادة فيه ولا نقصان)⁴، أو هي دلالة اللفظ على حكم غير مقصود بالسوق، ولكنه لازم للحكم الذي سيق الكلام لأجله، وليس بظاهر من كل وجه⁵.

وتعدّ دلالات إشارات النصوص في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هي من الدلالات الالتزامية المنطقية إذ هي متفاوتة في إدراكها وفهمها ظهورا وخفاء إذ يقول السرخسي: (الإشارات من العبارة بمنزلة الكناية والتعريض من التصريح، أو بمنزلة المشكل من الواضح)⁶، فمنها ما يكفي للمتكلم أدنى تأمل لإدراك مدلولها، ومنها ما يحتاج إلى جهد

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 22.

² . سورة الفجر الآية 28.

³ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 60.

⁴ . السرخسي أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل (ت 490 هـ) . أصول السرخسي . تحقيق: أبي الوفا الأفغاني . دار

المعرفة للطباعة والنشر . بيروت سنة 1973م . (د.ط) ، ج 1 ص 236.

⁵ . السمرقندي علاء الدين . ميزان الأصول . دراسة وتحقيق: عبد الملك عبد الرحمن السعيد ، ج 1 ص 567 .

- الغزالي أبو حامد . المستصفى . ج 2 ص 188 .

- وأسباب اختلاف الفقهاء ، ص 159.

- بدران أبو العينين بدران . أصول الفقه . ص 182.

⁶ . السرخسي: أبو بكر محمد . أصول السرخسي . ج 1 ص 236 .

- خالد عيود حمودي الشихلي . البحث الدلالي عند السمرقندي في كتابه ميزان الأصول . رسالة ماجستير . كلية

الآداب . الجامعة المستنصرية سنة 2001م . ص 37 .

أكثر من ذلك، لذلك يتطلب إدراكها وفهمها مزيدا من الفهم لألفاظ الشريعة الإسلامية، ومدلولات الألفاظ العربية .

أما ابن عطاء الله فقد توسع في هذه الدلالة فهو يرى أن الإشارة موجودة في كل كلام فيقول عن نصوص الآيات :«أتقف مع ظاهرها أم تتفقد إلى أسرارها؟»¹ ، وقد مر معنا في هذا البحث في الفصل السابق بسط لهذا النوع من الدلالة أثناء الحديث عن التفسير الإشاري، وعليه نقتصر هنا على أمثلة وجدت فيها دلالة الإشارة واضحة في تفسير ابن عطاء الله:

● قوله تعالى: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾²، إذ يبين الله سبحانه وتعالى في النص القرآني أنه يؤذن للنفس المطمئنة بالرجوع إلى ربها رجوع كرامة لقوله: ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾، وهذا واضح بطريق دلالة العبارة، أمّا ما يشير إليه بطريق دلالة الإشارة أن غير هذه النفس لا يؤذن لها أن ترجع رجوع كرامة ، وفي ذلك يقول ابن عطاء الله: «فيه إشارة إلى أنه لا يؤذن للنفس الأمارة، واللّوامة بالرجوع إلى الله تعالى رجوع الكرامة، بل إنما ذلك للنفس المطمئنة لأجل ما هي عليه من الطمأنينة قيل لها: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾، فقد أبحنا لك الدخول إلى حضرتنا، والخلود في جنتنا، فكان في ذلك تحريض للعبد على مقام الطمأنينة»³، فالرجوع إلى الله تعالى ثابت لكل ولكن رجوع الكرامة لا يثبت إلا إلى النفس المطمئنة .

● قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾⁴، يشير ابن عطاء الله إلى دلالة الإشارة في النص القرآني، ومكمن هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَاصْطَبِرْ﴾، فالتعبير بهذا اللفظ يدل على المشقة الحاصلة في هذا التكليف، وهذا ما صرح به ابن عطاء الله فقال : «فيه إشارة إلى أن الصلاة تكليف للنفوس شاق عليها، لأنها تأتي في أوقات ملاذ العباد، وأشغالهم، فطالبهم بالخروج عن ذلك كله، إلى القيام بين يدي الله تعالى والفرار عما سوى

¹ . ابن عطاء الله السكندري . التنوير في إسقاط التدبير . ص 55.

² . سورة الفجر الآية 28.

³ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 59.

⁴ . سورة طه الآية 132 .

الله»¹. ثم تتبع ابن عطاء الله أوقات الصلاة مبينا وجه المشقة فيها فقال: «ألا ترى أن صلاة الغداة تأتيهم في وقت منامهم، في وقت ألد ما يكون المنام فيه، فطلب الحق فيهم ترك حظوظهم لحقوقه، ومرادهم لمراده، ولذلك كان في نداء الصبح خاصا به: (الصلاة خير من النوم) مرتين.

وأما صلاة الظهر: فإنها تأتيهم في وقت قيلولتهم، ورجوعهم، من تعب أسبابهم. وأما صلاة العصر: فإنها تأتيهم وهم في متاجرهم وصنائعهم منهمكون وعلى أسباب دنياهم مقبلون. وأما صلاة المغرب: فإنها تأتي في وقت تناولهم لأغذيتهم وما يقيمون به وجود بنيتهم.

وأما صلاة العشاء: فإنها تأتي وقد كثرت عليهم متاعب الأسباب التي كانوا فيها في بياض نهارهم، فلذلك قال سبحانه: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، وقال: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾²، وقد قال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾³، وقد قال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾⁴ «⁵، ويظهر اختيار هذه الكلمة القرآنية في هذا الموضع من الإعجاز اللفظي وحتى الصوتي في القرآن الكريم لما في حرف الصاد من الاستعلاء، وحرف الطاء من الاستعلاء والإطباق ﴿وَاصْطَبِرْ﴾.

● قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁶، يكشف ابن عطاء الله عما تشير إليه كاف المخاطب من معاني الإضافة في الآية إذ أضاف الحق تعالى اسمه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وفي هذا بيان لمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم وتفخيم أمره وفي ذلك يقول ابن عطاء الله: «وفي الآية إشارة أخرى لعظيم قدره، وتفخيم أمره صلى الله عليه وسلم، وهي قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾، فأضاف نفسه تعالى إليه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿كهيعص،

¹ ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 73.

² سورة البقرة الآية 238.

³ سورة النساء الآية 103.

⁴ سورة البقرة الآية 43.

⁵ ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 73.

⁶ سورة النساء الآية 65.

ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَّرِيًّا¹ ، فأضاف الحق سبحانه اسمه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأضاف زكريا إليه ، ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين ، وتفاوت ما بين الرتبتين «² ، ففرق بين من يضيفه الحق إليه ومن يضيف الحق نفسه إليه .

● قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾³ ، يستفيد ابن عطاء الله من هذه الآية بدلالة الإشارة: أن الملائكة وهم أهل السماء ليس فيهم مدعين ولا منازعين لله فيما خولهم ، وفي ذلك يقول : « ففي هذا تزكية للملائكة ، وإشارة إلى أنهم لم يكونوا مع الله مدعين لما خولهم ولا منتسبين لما نسب إليهم ، إذ لو كان كذلك لقال : (إنا نحن نرث الأرض والسماء) »⁴ . ففي الآية ذكر أهل الأرض فقط لما فيهم من المدعين والمنازعين ولم يذكر أهل السماء .

ج: دلالة الاقتضاء :

الاقتضاء نوع من أنواع الدلالات التي أقرها كل من المتكلمين والأحناف ، فدلالة الاقتضاء هي : (عبارة عن زيادة على المنصوص عليه يشترط تقديمه ، ليصير المنظوم مفيداً أو موجباً للحكم ، وبدونه لا يمكن إعمال المنظوم)⁵ ، أو هي دلالة الكلام على المسكوت المسكوت عنه ، يتوقف صدق الكلام على تقديره أو لا يستقيم معناه إلاّ به ، أي أنّ صيغة النص لا تدلّ عليه ، وإنما صحة الكلام أو استقامته عقلاً أو شرعاً تقتضيه وتتوقف عليه ، فلاقتضاء معناه الاستدعاء والطلب⁶ .

أمّا فيما يخص تفسير ابن عطاء الله فيّ لم أجد تعريفاً يخصّ دلالة الاقتضاء ، إنما سار على نهج واحد في الدلالات . كما مرّ سابقاً . ففي دلالة الإشارة والاقتضاء وغيرها من الدلالات يكتفي بالأمثلة من دون الإشارة إلى تعريف ، ولذا سوف نسوق بعض

¹ . سورة مريم الآية 1 . 2 .

² . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 07 .

³ . سورة مريم الآية 40 .

⁴ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 18 .

⁵ . السرخسي ، أصول السرخسي ، ج 1 ص 348 .

⁶ . بدران أبو العينين بدارن . أصول الفقه . ص 187 .

- الزلمي إبراهيم مصطفى . أسباب اختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية . ص 176 .

الأمثلة من النصوص القرآنية التي تناولها ابن عطاء الله ، والتي يتوقف فيها الكلام على محذوف لكي يستقيم معناه :

● قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾¹ ، يبين ابن عطاء الله أن هذا النص القرآني يحتوي على نوع من الدلالة يقتضيها اللسان (أي اللغة) ، وتسمى دلالة اقتضاء في قوله تعالى : ﴿ومَنِ اتَّبَعَنِي﴾ إذ يقول: « ومن اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة على ما يقتضيه اللسان، لأنك إذا قلت زيد يدعو إلى السلطان على نصيحة هو وأتباعه، أي وأتباعه يدعوون إلى نصيحة، إذا ثبت هذا فالرسول يدعو على بصيرة الرسالة الكاملة والأولياء يدعوون على حسب بصائرهم قطبانية وصديقية وولائية»²، فنلاحظ أن قوله: ﴿ومَنِ اتَّبَعَنِي﴾ توقف معناه الصحيح على محذوف وهو قوله: (ومن اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة).

● قوله تعالى: ﴿راضية مرضية﴾، يبين ابن عطاء الله بدلالة الاقتضاء أن قوله تعالى : ﴿راضية﴾ اقتضى معنى محذوفاً دل النص عليه فقال : « قوله تعالى: ﴿راضية﴾ أي عن الله في الدنيا بأحكامه، وفي الآخرة بجوده وإنعامه، فكان في ذلك تنبيه للعبد أنه لا يحصل له الرجعى إلى الله إلا مع الطمأنينة بالله، والرضا عن الله، وإلا فلا»³.

● قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾⁴ ، يبين ابن عطاء الله أن متعلق ﴿ تَذَكَّرُوا ﴾ حذف، ومقتضاه معاني يحملها النص القرآني على حسب مرتبة التقوى عند كل أحد، فالأهل كل مرتبة نوع من التذكر يقوى ويضعف حسب المقام، وفي ذلك يقول ابن عطاء الله: « قوله تعالى : ﴿ تَذَكَّرُوا ﴾ حذف متعلقة ولم يقل تذكروا الجنة، أو النار أو العقوبة، أو غير ذلك، وإنما حذف متعلق تذكروا لفائدة جلية، ولذلك: أن التذكر الماحي لطيف الهوى من قلوب المتقين، على

¹ . سورة يوسف الآية 108.

² . ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن ، تحقيق : عبد الحليم محمود ، ص 14.

³ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 60.

⁴ . سورة الأعراف الآية 201.

حسب مراتب اليقين ومرتبة التقوى، يدخل فيها الأنبياء والرسل والأولياء والصديقون والصالحون والمسلمون.

فتقوى كل أحد على حسب حاله ومقامه، وكذلك تذكُّر كل أحد على حسب مقامه، فلو ذكر قسما من أقسام التذكر، لم يدخل فيه إلا أهل ذلك القسم. فلو قال تعالى: (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا العقوبة فإذا هم مبصرون)، خرج عنه الذين تذكروا التوبة. ولو قال: (تذكروا سابق الإحسان) لخرج منه الذين تذكروا لواحق الامتنان إلى غير ذلك، فأراد الحق سبحانه وتعالى، أن لا يذكر متعلق التذكير ليشمل المراتب كلها فافهم¹. وهذا من أساليب الإعجاز في القرآن الكريم .

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 33.

د . دلالة الإيماء :

وهي نوع من أنواع الدلالات التي أقرّها المتكلمون، أمّا الأحناف فلم يعدّوها من طرائق الدلالة، فدلالة الإيماء هي: (دلالة اللفظ على لازم مقصود للمتكلّم بسبب قرانه بشيء لو لم يكن علة له، لكان ذلك القران، بعيداً عن المتعارف في المخاطبات)¹.

أمّا ابن عطاء الله فلم يُشر إلى المصطلح الخاص بهذه الدلالة، وإنّما ذكرها بلفظ

(التلويح) وفيما يلي نعرض بعض الأمثلة التي وردت في تفسير ابن عطاء الله :

● قال الله تعالى حاكياً عن يونس عليه السلام: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾²، فالمعنى في هذه الآية أن يونس عليه السلام نادى ربه موحداً ومنزهاً ومستغفراً، لكن في هذا الشئ والاعتراف بتلويح بالدعاء ولذلك قال الله تعالى بعد ذلك: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾³، وهذا ما استفاده ابن عطاء الله بدلالة الإيماء فقال: «ويونس عليه السلام لم يطلب صريحاً ولكن لما أثنى على ربه عز وجل واعترف بين يديه فقد أظهر الفاقة إليه فجعل الحق تعالى ذلك طلباً»⁴، ففي العدول عن التصريح إلى الشئ إيماء إلى الدعاء .

● قوله تعالى: ﴿رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾⁵ فمعنى الآية أن وأومات إلى أن من ادعى الاختيار مع الله فقد أصابه نوع

¹ . بشير مهدي الكبيسي . مفاهيم الألفاظ ودلالاتها عند الأصوليين . ص 48 .

- الغزالي أبو حامد . المستصفى . ج 2 ص 189 .

- الغزالي أبو حامد . شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل . تحقيق: حمد الكبيسي . مطبعة الإرشاد

بغداد . سنة 1971 م . ص 27 .

- الزلمي إبراهيم مصطفى . أسباب اختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية . ص 176 .

² . سورة الأنبياء الآية 87 .

³ . سورة الأنبياء الآية 88 .

⁴ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 66 .

⁵ . سورة القصص الآية 68 .

من الإشراك فيقول ابن عطاء الله: «وبينت الآية: أن من ادعى الاختيار مع الله، فهو مشرك مدعي للربوبية بلسان حاله، وإن تبرأ من ذلك بما قاله.»¹ ودليل هذا تمام الآية في تنزيه الله تعالى عن الإشراك إذ قال: ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

ثانيا . دلالة المفهوم :

اختلف المتكلمون والأحناف في دلالة المفهوم، فقد قسم المتكلمون المفهوم على قسمين: مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة، أمّا الأحناف، فقد أقرّوا بمفهوم الموافقة فقط، وهو ما أطلق عليه دلالة النص، إذ أنّ مفهوم الموافقة هو دلالة النص، وهذا ما اتفق عليه كل من المتكلمين والأحناف.²

أما ابن عطاء الله فقد ساند أصحاب المفهوم، وأعمل دلالة المفهوم في الاستفادة من النصوص القرآنية مع أي لم أجده يصرح بهذه المصطلحات بل يكتفي بقوله (مفهومه) كما سيتضح لنا من الأمثلة التالية لكل قسم (مفهوم الموافقة ، ومفهوم المخالفة):

1- مفهوم الموافقة :

اتفق المتكلمون والأحناف على هذا النوع من طرائق الدلالة مضموناً لا مصطلحاً، فقد عرّفه الآمدي: (ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت موافقاً لمدلوله في محل النطق)³، أمّا الأحناف فيصطلحون على هذا النوع من طرائق الدلالة بـ (دلالة النص)، فدلالة النص: (هي دلالة اللفظ على ثبوت حكم المنطوق به للمسكوت عنه، لاشتراكها في علّة الحكم)

4

أما ابن عطاء الله فقد أعمل هذا المفهوم ، وكذا أعمل فحوى الخطاب التي هي دلالة النص على معنى يكون أولى من المنطوق به في النص، وفيما يلي أمثلة من تفسيره على الترتيب:

1 . المصدر السابق ، ص 11.

2 . بدران أبو العنين بدران ، أصول الفقه ، ص 185.

3 . سيف الدين الآمدي ، الإحكام في أصول الأحكام ، ج 3 ص 62.

4 . بدران أبو العنين بدران ، أصول الفقه ، ص 185.

● وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾¹، أي ليس لك ولا لغيرك عليهم سلطان (غيرك من الأكوان) مسكوت عنه موافق حكمه لحكم المنطوق وهذا هو مفهوم الموافقة وفي ذلك يقول: «أي ليس لك ولا لشيء من الأكوان على قلوبهم سلطان لأن سلطان عظمي في قلوبهم يمنعهم أن يكون على قلوبهم سلطان لشيء دوني»².

● وكذا في قوله تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾³، يستفيد ابن عطاء الله معنى جواز البيع والتجارة بدلالة فحوى الخطاب فيقول: «فأثبت الحق سبحانه وتعالى لهم في هذه الآية: أنهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ولم ينف عنهم أنهم لا يتجرون ولا يبيعون، بل في الآية ما يدل على جواز البيع والتجارة، من فحوى الخطاب إذا تدبرته، تدبر أولي الأبواب»⁴. فجواز البيع والتجارة سبب إلى الغنى والغنى سبب إلى وجوب الزكاة وقد أمر الله تعالى المؤمنين بإيتاء الزكاة فقال: ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾⁵.

2. مفهوم المخالفة :

ويسميه ابن عطاء الله (المفهوم) ومن خلال الأمثلة فهو يعني به المفهوم المخالف للمنطوق وفيما يلي نصوص قرآنية استفاد ابن عطاء الله من مفهومها المخالف:

● قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾⁶، ففي الآية ربط حقيقة العلم بخشية الله تعالى، فمفهومه المخالف أن من فاتته الخشية ليس بعالم وفي ذلك يقول ابن عطاء الله: «فلم يجعل علم من لم يخشه من العلماء علما»⁷، وقد دلت على هذا المعنى نصوص من السنة منها قوله: (العلم ما أورث الخشية).

¹. سورة الحجر الآية 42.

². ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 47.

³. سورة النور الآية 37.

⁴. ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 47.

⁵. سورة الأنبياء الآية 73.

⁶. سورة فاطر الآية 28.

⁷. ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، تحقيق: عبد الحليم محمود، ص 15.

- قوله تعالى ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا الْكَافِرِينَ ﴾¹ ، فالمعنى : لم يك ينفعهم إيمانهم هذا حين رأوا عذابنا؛ وذلك لأنه إيمان قد اضطروا إليه، لا إيمان اختيار ورغبة² ، فقد استفاد ابن عطاء الله بدلالة المفهوم أن حال المؤمنين يخالف حال الكافرين ومن ثم فهم ينفعهم الإيمان فقال: « قوله تعالى ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ ، وهذا في صفة الكافرين فمفهومه أن الإيمان ينفع المؤمنين ولو عند رؤية البأس »³ ، ويؤيد هذا المعنى المعنى ما ذكره بعض المفسرين فقال: « وهذا حكم الله في البأس بمعنى العقاب الخارق للعادة والذي هو آية بينة ، فأما البأس الذي هو معتاد والذي هو آية خفية مثل عذاب بأس السيف الذي نصر الله به رسوله يوم بدر ويوم فتح مكة ، فإن من يؤمن عند رؤيته مثل أبي سفيان بن حرب حين رأى جيش الفتح، أو بعد أن ينجو منه مثل إيمان قريش يوم الفتح بعد رفع السيف عنهم ، وإيمانه كامل مثل إيمان خالد بن الوليد ، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح بعد ارتداده »⁴ .
- قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾⁵ فقد دلت بمفهومها أن سبق الإيمان ينفع قال ابن عطاء الله: «مفهومه إذا كانت مؤمنة من قبل ينفعها إيمانها»⁶ .
- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾⁷ ، فمعنى الآية أن من تجنب الشح في نفسه كان من المفلحين وقد استفاد ابن عطاء الله من المفهوم المخالف لهذا فقال: « وقد ذم الله تعالى الشح والبخل كليهما في كتاب العزيز فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ، فمفهومه أن صاحب الشح لا فلاح له أي لا نور له

¹ . سورة غافر الآية 85 .

² . وجدي فريد ، التفسير الميسر ، ص 15 .

³ . ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن ، تحقيق: عبد الحليم محمود ، ص 25. 26 .

⁴ . الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 12 ص 494 .

⁵ . سورة الأنعام الآية 158 .

⁶ . ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن ، تحقيق: عبد الحليم محمود ، ص 25. 26 .

⁷ . سورة التغابن الآية 16 .

والفلاح هو النور»¹، أي أن الفلاح والنور لا يصيب صاحب الشح، لأن الشح هو البخل مع حرصٍ والبخل والحرص شك في الرزق.

● قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾²، فالمعنى ... وقد استفاد ابن عطاء الله من المفهوم المخالف لهذا فقال: «فمفهوم هذا أن من لم يتبعه ليس منه»³.

● قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾⁴، فالمعنى وقد كشف ابن عطاء الله عن المفهوم المخالف في هذه الآية فقال: «يفهم منه أنه لا يأويك الله إلا إذا صح يتمك مما سواه»⁵.

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 106.

² . سورة إبراهيم الآية 36 .

³ . ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 5.

⁴ . سورة الضحى الآية 6.

⁵ . المصدر السابق ، ص 33.

المطلب الثاني :

الحقيقة والمجاز في تفسير ابن عطاء الله.

تمهيد

أولا : الحقيقة.

1. الحقيقة اللغوية .
2. الحقيقة الشرعية .
3. الحقيقة المعرفية .

ثانيا : المجاز اللغوي .

1. الاستعارة .
2. المجاز المرسل .
3. تسمية الشيء بما يؤول إليه .
4. الجمع بين الحقيقة والمجاز .
5. التوسع في الحقيقة والمجاز .

تمهيد :

موضوع الحقيقة والمجاز موضوع له أهمية كبرى في اللغة العربية، ولا سيما في التطور الدلالي في ألفاظها، وقد اختلف العلماء في ظاهرة الحقيقة والمجاز، وتناولها اللغويون والبلاغيون والأصوليون كل من وجهة نظره من أجل الوقوف على المعنى، فما يهم اللغوي منه انتقال الألفاظ من الحقيقة إلى المجاز، وما ينتج عن هذا الانتقال من ظواهر دلالية. وقد درس البلاغي الحقيقة والمجاز، ليكشف العلاقة الرابطة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي البعيد، ليلمس منها الأديب عناصر الجمال الفني.

أما الأصوليون فقد (كان غرضهم الوصول إلى تأصيل الاستعمال الحقيقي والمجازي للألفاظ في تراكيبها المختلفة لاستنباط الأحكام الشرعية منها، والنظر في مدى ثبوت الحقائق الثلاث اللغوية والعرفية والشرعية)¹

ثم إن الأصوليين لم يتناولوا قضية الحقيقة والمجاز من ناحية الوضع الأول للغة، وإنما نظروا إليها من حيث الاستعمال واستقرار الدلالة²، لأن (ظاهر استعمال أهل اللغة للفظ في شيء دلالة على أنها حقيقة فيه إلا أن ينقلها ناقل عن هذا الظاهر)³.

وبنى الأصوليون أحكامهم الفقهية في حقيقة الكلمة ومجازها على استخدام الكلمة في السياق، وتحديد مدلولها من حيث حقيقة المعنى ومجازها. ومن هذه النظرة الخاصة التي نظر إليها العلماء سواء أكانوا من اللغويين أم من البلاغيين أم من الأصوليين فإن كلا من الحقيقة والمجاز كثيرا ما يتبادلان هذه الصفة، فما كان حقيقة قد يصبح مجازا وما كان مجازا قد يصبح حقيقة والسبب هو الاستعمال العرفي اللغوي⁴، ومن ثم ظهر الخلاف واضحا في بعض

¹ . علي زوين . منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث . مطابع الشؤون الثقافية العامة . بغداد . طبعة سنة 1986 م ، ص 130-131.

² . السيد أحمد عبد الغفار . التصور اللغوي عند الأصوليين . دار عكاظ جدة . الطبعة الأولى . سنة 1981 م . ص 103 - حامد كاظم عباس . الدلالة القرآنية في جهود الشريف المرتضى . أطروحة دكتوراه . كلية الآداب . الجامعة المستنصرية . سنة 2000 م . ص 33.

³ . الشريف المرتضى . الذريعة في أصول الشريعة . تحقيق: أبو القاسم كرجي، مطبعة دانشگاه طهران . سنة 1348 هـ . (د.ط.) ج 1 ص 13.

⁴ . الزيايدي حاكم مالك . الترادف في اللغة . دار الحرية للطباعة والنشر بغداد . سنة 1980 م . (د، ط) . ص 101.

الأحكام الشرعية عند الأصوليين، ومن أجل ذلك نطرق موضوع الحقيقة والمجاز كلا منهما على انفراد.

أولاً : الحقيقة :

أثبت علماء العربية ظاهرة الحقيقة والمجاز في اللغة العربية والقرآن الكريم وذلك بقولهم: (هذا الاسم حقيقة وهذا الاسم مجاز)¹ .

فالحقيقة: (من قولنا: حقّ الشيء إذا وجب، واشتقاقه من الشيء المحقق وهو المحكم، ويقال: ثوب محقق النسج أي محكمه)²، وقد عرفها ابن جني بقوله: (ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة)³، ويرى ابن الأثير أن الحقيقة: هي (اللفظ الدال على موضعه الأصلي)⁴، أما الزملكاني فيعرفها قائلاً: (هي اللفظ المستعمل في ما وضع له أولاً في ذلك الاصطلاح الذي وقع به التخاطب)⁵.

ويتبين من هذه التعريفات أن المقصود بالحقيقة الحقيقة اللغوية، أي في استخدام اللفظ فيما وضع له أولاً والذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم فيه ولا تأخير.

أما أبو الحسين البصري المعتزلي البصري (ت 436هـ)، فله رأي في تعريف الحقيقة: (ما أفيد بها ما وضعت له في أصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب به)⁶، وهذا التعريف الذي

¹ . البصري، أبو الحسين محمد بن علي (ت 436هـ). المعتمد في أصول الفقه . تحقيق: محمد حميد الله ومحمد بكر وحسن خفي . دمشق . سنة 1964م . (د، ط) . ج 1 ص 16.

² . السيوطي جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة ، ج 1 ص 355.

³ . المرجع السابق ، ج 1 ص 356.

- ابن جني أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، ج 2 ص 444 .

⁴ . ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت 630هـ) . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة مصطفى البابي وأولاده . مصر سنة 1939م . (د، ط) . ج 1 ص 58 .

- العلوي يحيى بن حمزة . الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز . ج 1 ص 29 .

⁵ . الزملكاني كمال الدين . البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . تحقيق: خديجة الحديثي وأحمد مطلوب . ص 99 .

⁶ . البصري أبو الحسين محمد بن علي (ت 436هـ) . المعتمد في أصول الفقه . تحقيق: محمد حميد الله ومحمد بكر وحسن خفي . ج 1 ص 16 .

- الشريف التلمساني أبو عبد الله محمد بن أحمد المالكي (ت 771 هـ) . مفتاح الوصول الى بناء الفروع على الأصول . حققه وخرج أحاديثه وقدم له : عبد الوهاب عبد اللطيف . دار الكتب العلمية بيروت لبنان . (د ت) . ج 1 ص 236.

وضعه أبو الحسين البصري جامع لكل أنواع الحقيقة (اللغوية والشرعية والعرفية). ومن ثم فإن الحقيقة تنقسم بحسب المواضع التي تكون فيها إلى ثلاثة أقسام هي: (حقيقة لغوية وحقيقة شرعية وحقيقة عرفية)، وقد وجدت ابن عطاء الله يسير على هذا التقسيم، من خلال مجموعة من الأمثلة، سوف أثبتها فيما يلي عند الحديث عن كل قسم.

1. الحقيقة اللغوية :

الحقيقة اللغوية: وهي الدلالة الأصلية أو كما تسمى أيضاً الدلالة المعجمية، وهي الدلالة الوضعية عند الأصوليين، وتعني دلالة اللفظ على معنى بنفسه. وقد عرّفها عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) قائلاً: (ما وقعت له في وضع أو مواضع)¹، فالحقيقة اللغوية: (هي استعمال اللفظ في ما وضع له أولاً في اللغة، كالأسد للدلالة على الحيوان المفترس)²، فالحقيقة اللغوية لا تقتضي كونها حقيقة فيما دلّت عليه إلا إذا كانت مستعملة في موضوعها الأصلي فهي: (استعمال اللفظ في معناه الأصلي)³.

¹ . الجرجاني الإمام عبد القاهر (ت 471هـ) . أسرار البلاغة في علم البيان . علق حواشيه: محمد رشيد رضا . اعتنى بهذه الطبعة: منى أحمد الشيخ . دار المعرفة بيروت . الطبعة الثانية . سنة 2002م ، ص 287.

² . الغزالي أبو حامد . المستصفى . ج 1 ص 325 .
الرازي أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت 606هـ) . المحصول في علم أصول الفقه . تحقيق: محمد جابر الفياض العلواني . مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الثالثة . سنة 1997م . ج 1 ص 126.

³ . الزلمي إبراهيم مصطفى . أسباب اختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية . ص 332.

والحقيقة اللغوية يدلّ على وضعها أمران¹ :

- إنها دلّت على مواضع مصطلح عليها في تلك المواضع وهذه فائدة الحقيقة ومعناها.

- أنها استعملت في الأوضاع اللغوية، أي أنها في معناها الأصلي .

فالحقيقة عندهم تعني استعمال اللفظة في وضعها الأول بحيث لا يتبادر إلى الذهن غير ذلك حيثما تطلق، ويسمى هذا النوع الحقيقة اللغوية.

لم يرد ابن عطاء الله تعريف مصطلح "الحقيقة اللغوية"، وإنما أورد لها أمثلة عند تفسيره للآيات، وذلك برجوعه باللفظ إلى معناه المعجمي، دلالة اللغوية :

● جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾²، علاقة التوكل مع اليقين والإيمان ثم بين المعنى اللغوي لليقين إذ يقول ابن عطاء الله: «ولا يكون التوكل إلا مع اليقين ولا يكون توكل ويقين إلا مع الإيمان، لأن اليقين: عبارة عن استقرار العلم بالله تعالى في القلب مأخوذ من يقن الماء في الجبل إذا استقر وسكن»³، فإن قوله (مأخوذ) تدل على أصل المعنى الأول الموضوع لها في لغة العرب. قال الجرجاني في التعريفات: (يقال: يقن الماء في الحوض، إذا استقر فيه)⁴.

ويمكن الإشارة إلى مسألة مهمة عند ابن عطاء الله في بيان الحقيقة اللغوية، إذ يستخدم كلمات للدلالة عليها، منها: (مأخوذ) كما مرّ في المثال السابق، وكذلك استخدامه كلمة (أصله في اللغة) أو (أصله) فقط.

وقد ذهب ابن عطاء الله في بيان دلالة كثير من الكلمات التي لها علاقة بالآية، فقد تذكر اللفظة من خلال تفسيره لآية قرآنية، ومن أمثلة ذلك :

● ومن الألفاظ التي استفاد ابن عطاء الله من حقيقتها اللغوية لفظة (مس) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾⁵، إذ يقول: «المس ملامسة من غير تمكن، فأفادت هذه العبارة: أن طيف الهوى لا يتمكن من قلوبهم

¹ . العلوي يحيى بن حمزة . الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز . ج1 ص51.

² . سورة الطلاق الآية 03.

³ . ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، تحقيق :عبد الحليم محمود ، ص 27.

⁴ . الجرجاني الشريف ، التعريفات ، ص 27.

⁵ . سورة الأعراف الآية 201.

بل يماسها مماسة، ولا يتمكن منها إمساكا ولا أخذاً كما يصنع بالكافرين ¹»، وقد جاء في لسان العرب : (اللَّمسُ قد يكون مَسُّ الشيء بالشيء، ويكون معرفة الشيء وإن لم يكن ثمَّ مَسَّ لجوهر على جوهر) ².

2. الحقيقة الشرعية :

تطلق كلمة (مصطلح) في أوساط الناس، ليراد بها المعنى الذي تعارفوا عليه، واتفقوا عليه في استعمالهم اللغوي الخاص، أو في أعرافهم الاجتماعية وعاداتهم السائدة، ولكن كثيراً من الظروف السياسية والاجتماعية والدينية جعلت الكلمات تحمل معنى جديداً غير الذي وضعت له في أصل اللغة، ويسير هذا المعنى الجديد بين الناس حتى يصبح في استعمالهم اليومي شيئاً مألوفاً ينسى معه المعنى اللغوي الأساسي، وهذا المعنى الجديد نسميه المعنى الشرعي ³.

وقد لاحظ المفسرون وعلماء اللغة ورود كلمات في القرآن الكريم تحمل معاني غير المعاني التي وردت في استعمالهم اللغوي، وأرادوا أن يميزوا بين المعنى اللغوي والمعنى الإسلامي الشرعي. وقد اختلف الأصوليون في وقوع الحقيقة الشرعية، فمنعه القاضي أبو بكر وأشار إلى أن الشارع لم يستعمل الألفاظ إلا في الحقائق اللغوية، فمراد الصلاة المأمور بها في النصوص هو الدعاء، ولكن أقام الشارع الكريم أدلة أخرى على أن الدعاء لا يقبل إلا بشرائط مضمومة إليه ⁴.

أما المعتزلة فقد ذهبوا إلى إثبات الحقائق الشرعية، فقال: أبو الحسين البصري: (جاءت الشريعة بعبارات لم تكن معروفة في اللغة... ولا فرق بين أن يصبح لتلك العبارات اسماً مبتدأ، وبين أن ينقل إليها من أسماء اللغة مستعملاً في معنى له شبه بالمعنى الشرعي) ⁵.

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 36.

² . ابن منظور ، لسان العرب ، ج 7 ص 233.

³ . عودة خليل أبو عودة . التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن . ص 9.

⁴ . السيوطي جلال الدين . المزهر في علوم اللغة . ج 1 ص 298 .

- الكبيسي أحمد عبيد . أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي . دار الحرية للطباعة بغداد . سنة

1975 م . (د.ط) . ص 316.

¹ . البصري أبو الحسين . المعتمد في أصول الفقه . تحقيق: محمد حميد الله ومحمد بكر وحسن خفي . ج 1 ص 24.

وذهب جمهور الأصوليين إلى إثبات الحقائق الشرعية؛ لأنّ الحقيقة الشرعية لم تستعمل في المعنى اللغوي ولم يقطع النظر عن حالة الاستعمال، بل استعملها الشارع الكريم في هذه المعاني لما بينها وبين المعاني اللغوية من العلاقة، فالألفاظ المستعملة في مصطلحات الشرع هي في الأصل مجازات لغوية اشتهرت فصارت حقائق شرعية¹.

ومن هذا المنطلق ظهر نوع جديد من الألفاظ التي تنتقل من مسمياتها وتبقى على جهة الحقيقة لا المجاز وهو ما اصطلح عليه بـ (الحقيقة الشرعية)، فالحقيقة الشرعية: (هي اللفظ الذي استفيد من الشرع وضعه للمعنى سواء أكان اللفظ والمعنى مجهولين عند أهل اللغة، أم كانا معلومين، لكنهم لم يضعوا ذلك الاسم لذلك المعنى إذا كان أحدهما مجهولاً والآخر معلوماً)²، أمّا البلاغيون والأصوليون، فقد عرّفوها بقولهم: (هي اللفظة التي يستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ما كانت تدلّ عليه في أصل وضعها اللغوي)³.

وقد ذهب ابن عطاء الله إلى ما ذهب إليه جمهور الأصوليين في إثبات الحقائق الشرعية، ولكن لم أجده يتطرق إلى تعريف لهذا المصطلح، إنّما أشار إليه في طريقه عند بيان دلالة بعض الألفاظ شرعاً، وأحياناً يتطرق إلى المعنى اللغوي والشرعي معاً.

● ومن الألفاظ التي أشار إليها ابن عطاء الله في تفسيره كلمة (الكنز) من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾⁴ فقال: «قال أهل العلم: الكنز هو المال الذي لا تؤدي زكاته، فإذا أدت زكاته لا يكون كنزاً، معناه لا يدخل تحت هذا الوعيد ولا يطلق عليه لسان الذم»⁵، فالكنز في معناه اللغوي: (الكنز

- الكبيسي أحمد عبيد. أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي. ص 316.

¹ . السيوطي جلال الدين. المزهر في علوم اللغة. ج 1 ص 298.

- محمد عبد الله علي سيف. البحث الدلالي عند الشوكاني في كتابه إرشاد الفحول. رسالة ماجستير. كلية الآداب. جامعة المستنصرية سنة 1999م. ص 51.

² . الشوكاني محمد بن علي. إرشاد الفحول. ج 1 ص 95.

- علي زوين. منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث. ص 134.

³ . العلوي يحيى بن حمزة. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج 1 ص 55.

⁴ . سورة التوبة الآية 34.

⁵ . ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 106.

هو المال الموضوع في الأرض¹، لكنه أخذ معنى شرعي نص عليه ابن عطاء الله: أنه المال الذي لا تؤدي زكاته.

● ﴿العلم﴾ يقرر ابن عطاء الله أن لهذه الكلمة حقيقة مقيدة بالنفع مرادة في القرآن الكريم فيقول: «المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المحافة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾² فتبين أن العلم تلازمه الخشية فالعلماء هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾³ وقوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾⁴ وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁵ إنما المراد بالعلم في هذه المواطن كلها العلم العلم النافع القاهر للهوى القامع للنفس وذلك متعين بالضرورة لأن كلام الله تعالى وكلام رسوله أجل من أن يحمل على غير هذا والعلم النافع هو الذي يستعان به على الطاعة ويلزم الخشية من الله تعالى والوقوف على حدود الله تعالى وهو علم المعرفة بالله تعالى «⁶ فتراه يخرج المعنى إلى "علم المعرفة" لأنه يوصل إلى الله تعالى .

● وكذلك تطرق ابن عطاء الله إلى لفظة (نافلة) من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾⁷ وأشار إلى تفسيرها الشرعي بقوله: «أي زيادة لك من فضلنا على ما اقتضته الفرائض لك»⁸ فإن معناها في اللغة الزيادة، لكنها في الشرع اختصت بالزيادة على الفرائض.

ونلاحظ مما تقدم من الأمثلة؛ أن ابن عطاء الله قد أقر إثبات الحقيقة الشرعية، فالحقيقة الشرعية عنده: هي الألفاظ التي انتقلت دلالتها من الوضع اللغوي إلى معنى آخر كثر الاستعمال فيه، ويعود ذلك لما جاء به القرآن الكريم من هذه الألفاظ.

¹ .الجرجاني الشريف ، التعريفات ، ج 1 ص 60.

² . سورة فاطر الآية 28.

³ . سورة الإسراء الآية 107.

⁴ . سورة آل عمران الآية 7.

⁵ . سورة طه الآية 114.

⁶ . ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 34.

⁷ . سورة الإسراء الآية 79 .

⁸ . ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن ، تحقيق :عبد الحليم محمود ، ص 22.

كما أنه يثبت الحقيقة المعرفية ويعني بها المعاني التي تعارف عليها أهل المعرفة بالله السالكين طريق الله ممن يسميهم أهل الخصوص أو أهل الحقيقة وفيما يلي نتعرف على هذا النوع .

3. الحقيقة المعرفية :

وتسمى اصطلاح أهل الطريق : ويقصد به ابن عطاء الله المعاني التي وصل إليها أهل المعرفة بالله حال سيرهم وسلوكهم لطريق الله، فتنسب هذه المعاني إليهم في الدلالة على معانيها باعتبار الوضع والاصطلاح، لا يمكن لغيرهم أن يدركها لعمقها. وفيما يلي أضرب مثالا للألفاظ التي يبين ابن عطاء الله حقيقتها عند أهل المعرفة بالله تعالى، وأقتصر على لفظ له علاقة بنصوص القرآن الكريم :

لفظة (الصالح) «إن الصلاح في قوله عز وجل ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾¹ ليس مراداً

به الصلاح الذي يقصده أهل الطريق عند تفصيل المراتب فيقولون صالح وشهيد وولي بل الصلاح هنا المراد به الذين صلحوا لحضرته بتحقيق الفناء عن خليقته، ألم تسمع قول الله عز وجل حاكياً عن يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾²، أراد بالصالحين بالصالحين هنا المرسلين من آبائه لأن الله تعالى أهلهم لنبوته ورسالته فكانوا لها أهلاً³، قال قال ابن كثير : (وأن يلحقه بالصالحين، وهم إخوانه من النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين)⁴ ، وقال الألوسي : _ (وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ) من آبائي على ما ما روى عن ابن عباس، أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة كما قيل ، واعترض بأن يوسف عليه السلام من كبار الأنبياء عليهم السلام والصلاح أول درجات المؤمنين فكيف يليق به أن يطلق اللحاق بمن هو في البداية؟ وأجيب بأنه عليه السلام طلبه هضماً لنفسه فسبيله سبيل استغفار الأنبياء عليهم السلام)⁵ .

¹ . سورة الأعراف الآية 196 .

² . سورة يوسف الآية 101 .

³ . ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن ، تحقيق :عبد الحليم محمود ، ص 25 .

⁴ . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 4 ص 414 .

⁵ . محمود الألوسي ، روح المعاني ، ج 9 ص 142 .

ثانياً . المجاز :

إنّ المعاني قائمة لا سبيل لنا إلى معرفتها إلّا بالتعبير عنها وما مطالعتنا لها إلّا بالتغاضي فيه عن قدر ما منها، إذ إنّ هناك كثيراً من المعاني لا يستطيع المتلفظ أن يضمّن عباراته، ويختلف هذا المدى تبعاً لعوامل شتى يحكمها ما ينسب للمجتمع والبيئة وغيرها¹.

². الزيايدي حاكم مالك . الترادف في اللغة . ص 50.

فالمجاز لغة: (مَفْعَلٌ من جازَ الشيء يحوزه: إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى إتهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز مكانه الذي وضع فيه أولاً)¹.

أما المجاز اصطلاحاً: (الكلمة المستعملة في ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته)².

وقد سمي المجاز مجازاً لجهة تناسب؛ لأنّ المجاز ((مَفْعَلٌ)) من جاز المكان، إذا تعدّاه والكلمة إذا استعملت في غير ما هي موضوعة له وهو ما تدلّ عليه بنفسها، فقد تعدّت موضوعها الأصلي في اللغة وهذا الانتقال من مكان إلى آخر أو من معنى إلى معنى آخر أطلق عليه المجاز³.

1. المجاز بين قائل به ومانع له :

لما ارتبطت الفكرة المجازية بمسائل حساسة وهي المسائل الاعتقادية كان من الطبيعي أن يظهر الخلاف بين علماء المسلمين والعربية، وخاصة ما ترتب على القول به وعدم القول، ولا سيما نتيجة لاختلاف وجهات النظر والأفكار، وقع الخلاف في إثبات المجاز في اللغة وإنكاره، فتعددت مواقف العلماء إزاء هذه القضية وراح كل منهم ينظر إليها من وجهة خاصة به، فانقسم العلماء إزاء هذا الاتجاه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول مثله أبو علي الفارسي (ت 395هـ) وأبو إسحاق الاسفرايني (ت415هـ) وآخرون، إذ يرى أن اللغة خالية من المجاز، وذريعتهم في ذلك، أنّ اللفظ إن

¹ . الرازي فخر الدين . نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز . تحقيق: إبراهيم السامرائي ومحمد بركات حمدي أبو علي . دار الفكر للنشر والتوزيع . عمان سنة 1985م . (د. ط) . ص 81 .

- الجرجاني عبد القاهر . أسرار البلاغة . ص 342 .

- السيوطي جلال الدين . المزهر في علوم اللغة . ص 325 .

- القزويني جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت 739 هـ) . الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبدیع) . شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي . ص 248 .

⁴ . القزويني جلال الدين . التلخيص في علوم البلاغة . تحقيق: عبد الرحمن البرقوني . ص 294

- ابن الأثير ضياء الدين . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد .

ج1 ص 63.

¹ . السكاكي أبو يعقوب . مفتاح العلوم . ص 360-361.

كان مجاز فهو أن يكون متمثلاً بقرينة وعليه فهو حقيقة في المعنى، وإما من دون قرينة وهنا يكون حقيقة أيضاً¹.

أما القسم الثاني فيمثله ابن جني الذي يرى أن اللغة مجاز في أكثرها إذ قال: (اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة)².

أما القسم الثالث فيرى إن اللغة مشتملة على الحقيقة والمجاز ومثله ابن الأثير (ت637هـ) إذ قال: ((محل النزاع هو أن اللغة حقيقة أو أنها كلها مجاز، فإن كلا الطرفين عندي سواء، لأن منكرهما غير مسلم لهما، وأنا بصدد أن أبين أن في اللغة حقيقة ومجاز)³. والذي يبدو أن القسم الثالث هو الأكثر حكمة من جهة العقل والمنطق؛ لأننا لا يمكننا أن نقول إن اللغة حقيقة كلها أو مجاز كلها، بل هي مشتملة على كل من الحقيقة والمجاز⁴.

وقد أثبت أكثر الأصوليين ظاهرة الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم لأن: (كل واحد من النوعين موجود في كلام الله تعالى وكلام النبي . صلى الله عليه وسلم . وكلام الناس في الخطب والأشعار وغير ذلك، حتى كاد المجاز يغلب الحقيقة لكثرة الاستعمال، وبه اتسع اللسان وحسن مخاطبات الناس بينهم)⁵؛ لأن استخدام القرآن الكريم الأساليب البلاغية المتنوعة هو إعجازه الذي تحدى الإنس والجن في نظمه؛ لأن صرف الكلمة عن معناها الاعتيادي يجعل الأسلوب آنق وأدب⁶؛ لأن المجاز عند العرب دليل الفصاحة ورأس البلاغة وبه بان لغتها. أما الذين أثبتوا المجاز سواء أكان في القرآن أم في اللغة، فقد نظروا نظرة عميقة

². سيف الدين الآمدي . الإحكام في أصول الأحكام . ج 1 ص 32.

³. ابن جني . الخصائص . ج 2 ص 449 وما بعدها.

⁴. ابن الأثير ضياء الدين . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد . ج 1 ص 59.

⁵. عزيز سليم علي القرشي . البحث الدلالي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للباقعي . ص 121.

¹. السرخسي أبو بكر محمد . أصول السرخسي . تحقيق: أبي الوفا الأفعاني . ج 10 ص 171.

². إبراهيم سلامة . بلاغة أرسطو بين العرب واليونان . القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية . الطبعة الثانية ، (د.ت) . ج 1 ص 171.

للمجاز، وقد تبين لهم أن المجاز ينقسم إلى قسمين من حيث وجود العلاقة وانعدامها¹:

أ: المجاز اللغوي. ب: المجاز العقلي.

أما المجاز اللغوي فينقسم إلى قسمين هما:

- المجاز المرسل. - الاستعارة.

أما ابن عطاء الله فلم أجده يتعرض إلى المجاز العقلي، في حين وجدته يثبت وقوع المجاز في اللغة والقرآن الكريم بأنواعه المختلفة، فكانت تقسيمات المجاز لديه على نهج سابقه، ولكنه لم يصرح بهذه التقسيمات بشكل صريح إنما قدّم لنا أمثلة بين فيها وجه الحقيقة ووجه المجاز نوردها فيما يأتي .

2. المجاز اللغوي :

أ- الاستعارة :

وهي: (الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب لملاحظة علاقة بين الثاني والأول مع قرينة تمنع إدارة المعنى الأصلي، كالأسد المستعمل في الشجاع، والغيث المستعمل في النبات)². فكل لفظ استعمل في غير المعنى الموضوع له لمناسبة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة تصرف عن إرادة المعنى الأصلي فهو استعارة³. وقد عرض لها ابن عطاء الله بأمثلة منها:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ اِرْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾. قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ⁴، فبين ابن عطاء الله معناها موظفا إياها في مسألة التدبير وعدمه فقال: «اعلم أن هلاك ابن نوح عليه السلام إنما كان لأجل رجوعه إلى تدبير نفسه، وعدم رضاه بتدبير الله، الذي اختاره لنوح عليه السلام، ومن كان معه في السفينة، فأوي في المعنى

³ . محمد حسين علي الصغير . مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية . دار الشؤون الثقافية بغداد . الطبعة الأولى .

سنة 1994م . ص 135.

¹ . المراغي أحمد مصطفى ، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبدیع ، ص 248.

³ . المرجع السابق ، ص 259.

³ . سورة هود الآية 42 . 43.

إلى جبل عقله، ثم كان الجبل الذي اعتصم به صورة ذلك في المعنى القائم به، فكان كما قال الله تعالى: ﴿وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾، في الظاهر بالطوفان، وفي الباطن بالحرمان، فاعتبر أيها العبد بذلك»¹.

فبسط ابن عطاء الله المعنى بأن ابن نوح لجأ إلى تدبير نفسه لينجو من الطوفان فأوى إلى عقله الذي هو موطن اعتصامه فدلّه على ما يقابله فمن الحس فاعتصم بالجبل، وبهذا الإعراض عن تدبير الله لأبيه، كان جزاؤه الحرمان والطوفان.

ثم يوجه لنا ابن عطاء الله انطلاقاً من هذا النموذج على وجه الاستعارة عظة ونصحا فيقول : « فإذا تلاطمت عليك أمواج الأقدار، فلا ترجع إلى جبل عقلك الباطل لئلا تكون من المغرقين في بحر القطيعة ولكن ارجع إلى سفينة الاعتصام بالله، والتوكل عليه، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. فإنك إذا فعلت ذلك استوت بك سفينة النجاة على جودي الأمن، ثم تهبط بسلامة القرية، وبركات الوصلة عليك، وعلى أمم ممن معك وهو عوالم وجودك، فافهم ذلك ولا تكن من الغافلين، واعبد ربك ولا تكن من الجاهلين»².

فابن عطاء الله بيّن استعارة اسم الأمواج وتلاطمها ليطلقها على الأقدار وشدتها، واستعار اسم البحر ليطلقه على القطيعة، واسم السفينة ليطلقه على الاعتصام بالله والتوكل عليه .

ب . المجاز المرسل:

إنّ حقيقة المجاز المرسل جاءت على أساس عدم ارتباطه بعنصر المشابهة في ملابسته للمعنى بغير التشبيه، وتسميته جاءت لخلوه من القيود، فإذا كانت العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هي المشابهة، فالجواز يسمى استعارة، وإذا كانت العلاقة هي غير المشابهة فهو مجاز مرسل³.

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 33.

¹ . المصدر نفسه .

³ . محمد حسين علي الصغير ، مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية ، ص 316.

فالمجاز المرسل عند الخطيب القزويني: (هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسه غير الشبيهه) ¹، فالمجاز إذن هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة ومناسبة غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النعمة، وعلاقات المجاز المرسل كثيرة منها على سبيل المثال: (السببية، والمسببة والكلية والجزئية...) ².
إنّ المجاز المرسل ووجوه علاقته في نقل الألفاظ عن الأصل اللغوي، قد تخطى حدود الدائرة اللغوية إلى الدائرة الفنية، وانتشار المجاز المرسل في القرآن الكريم، له دلائله وشواهد، إنّه وسيلة من وسائل العربية في إضافة المعاني الجديدة، ووسيلة اللغة في الإضاءة والتنوير؛ لأنّ انتشار هذا النوع من المجاز في القرآن فسحة لأهل اللغة من جهة، ودليل على الإعجاز البياني من جهة أخرى ³.

هناك كثير من العلاقات المجازية التي تنسب إلى المجاز المرسل ومنها تسمية الشيء باسم ما كان عليه، وإطلاق اسم الحال على المحل وبالعكس وتسمية الشيء باسم ضده، وإطلاق السبب على المسبب والعكس وإطلاق اسم الكل على الجزء والعكس وتسمية الشيء بما يؤول إليه . وفيما يلي أورد ما أمكن وجوده في تفسير ابن عطاء الله :

تسمية الشيء بما يؤول إليه:

وهو النظر إلى الشيء بما سيكون عليه في زمن المستقبل ⁴. وقد وجدت لابن عطاء الله يشير إلى هذه الظاهرة، عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِي الْحَمِيدُ﴾ إذ يقول: «ألا ترى أن الحاجة باب إلى الله، وسبب يوصلك إليه، ألم تسمع قوله

³ . القزويني جلال الدين أبو عبد الله . الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) . شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي . ج 2 ص 397.

- القزويني جلال الدين . التلخيص في علوم البلاغة . تحقيق: عبد الرحمن البرقوني . ص 295.

- محمد حسين علي الصغير . مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية . ص 139.

⁴ . المراغي أحمد مصطفى . علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) . دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الثانية . سنة 1986 م . ص 250.

³ . محمد حسين علي الصغير . مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية . ص 141.

⁴ . المراغي أحمد مصطفى . علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع . ص 252.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، فجعل الفقر إلى الله، سببا يؤدي إلى الوصول إليه، والدوام بين يديه¹.

وقد قصد البلاغيون بهذه العلاقة بالمستقبلية، أي ما سيكون عليه الشيء في المستقبل فيسمونه باسم ما سيكون عليه، والمجاز في هذه العلاقة أنهم يؤولون اللفظ، للدلالة على ما سيكون عليه الشيء في المستقبل متجاوزين ما هو عليه في الحاضر².

ثالثا : بين الحقيقة والمجاز :

1. الجمع بين الحقيقة والمجاز :

اختلف الأصوليون في جواز إطلاق اللفظ الواحد على مدلوله الحقيقي ومدلوله المجازي في وقت واحد واعتبار كل منهما متعلقاً بالحكم. فذهب الشافعي وأكثر أصحابه وأهل الحديث وبعض المتكلمين إلى جوازه، وذلك لعدم المانع منه، ولجواز استثناء أحد المعنيين بعد استعمال اللفظ فيهما¹. وذهب الحنفية وجماعة من أصحاب الشافعي وجمهور المتكلمين إلى امتناع ذلك، لعدم وروده في اللغة، إذ لم يرد مثلاً استعمال لفظ الإنسان في الآدمي والسبع، ولفظ الحمار في الحيوان المعروف والإنسان البليد؛ لأن استعمال اللفظ في حقيقته نص في عدم القرينة الصارفة له، واستعمال في مجازه يوجبها وهما متنافيان؛ لأن استعمال اللفظ في الحقيقة يكون مستقراً في موضوعه مستعملاً فيه، والمجاز ما يكون متجاوزاً عن موضوعه مستعملاً في غيره، والشيء الواحد في حالة واحدة لا يتصور أن يكون مستقراً في موضوعه ومتجاوزاً عنه².

أما ابن عطاء الله فقد ذهب مذهب الإمام الشافعي في جواز استخدام اللفظ في مدلوله الحقيقي والمجازي معاً، إلا أنني لم أجده له عبارة صريحة يُشير فيها إلى هذا الجانب، إنما اكتفى بإيراد أمثلة منثورة وقليلة في تفسيره فقد أورد استعمالاً للفظ (كتب)

¹ . ابن عطاء الله السكندري . التنوير في إسقاط التدبير . ص 62.

² . أسعد علي وفيكتور الكك . صناعة الكتابة . بيروت الطبعة الثالثة . سنة 1977م . ص 195.

- عقيد خالد حمودي محيي العزاوي . الأساليب البلاغية في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت 885هـ) . أطروحة دكتوراه . كلية التربية . جامعة بغداد . . سنة 2002م . ص 224.

في حقيقته ومجازه من قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾³، فيفصل ابن عطاء الله في هذا اللفظ ليبين أن له استعمالاً حقيقياً وماعداها استعمالات مجازية، فيقول: «اعلم أن "كتب" يقال بالاشتراك على معان:

منها بمعنى الفرض قال الله عز وجل : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾⁴.
ومنها كتب بمعنى خلق قال تعالى : ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾⁵.
ومنها كتب بمعنى قضى ومنه قوله سبحانه: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾⁶، أي قضى الله لأغلبن ، ومنه قوله سبحانه ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾.
ومنها كتب بمعنى الكتابة على بابها ﴿لَيَكْتُبَنَّكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾⁷، وقد تكون منه قوله سبحانه ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، لما جاء في الصحيح عنه صلوات الله عليه وسلامه : (إن الله لما قضى الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق عرشه : إن رحمتي سبقت غضبي، ولولا ذلك لهلكتم)⁸.
وقد تكون في كتب بمعنى الكتابة ومجازاً في الباقي لأنه المتبادر إلى الفهم ، والتبادر دليل الحقيقة»⁹.

2. التوسع في الحقيقة والمجاز :

يصرح ابن عطاء الله أن ... وفي القرآن الكريم ويمثل لذلك أمثلة عمومية في نصوص القرآن الكريم وذلك عند حديثه عن صفات الله تعالى أنها حقيقة في حق الله وما ينسب منها إلى العبد فإنما هو على وجه الاتساع في اللغة والمجاز وفي ذلك يقول : «فإن صفات

¹ علي حسب الله . أصول التشريع الإسلامي . دار المعارف مصر . الطبعة الثالثة . سنة 1964م . ص 223.

² المرجع السابق ص 224.

- الكبيسي أحمد عبيد . أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي . ص 230.

³ - سورة الأنعام الآية 54.

⁴ - سورة البقرة الآية 183.

⁵ - سورة المجادلة الآية 22.

⁶ - سورة المجادلة الآية 21.

⁷ - سورة البقرة الآية 282.

⁸ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده سبق تخريجه في ص 292.

⁹ - ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 24.

الحق تعالى قديمة أزلية منزهة. لا تصير للعبد حقيقة، لأن الإله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾¹، ولا يشبهه شيء، والمماثلة منفية عن الله تعالى.

وإنما يحصل له ما يناسب تلك الأوصاف ويشاركها من حيث الاسم في عموم الصفات، دون خواص المعاني، ولا انتقال لعين الصفات. ولا مماثلة مطلقة من كل وجه. ولا تامة على التحقيق، ولا مناسبة كمناسبة الجسم لمكانه وحيزه، والجوهر لجوهره ومحلّه، وإنما الإشارة إليه بالجواز، على وجه الاتساع في اللغة في المجاز والحقيقة وغير ذلك، فوقع المجاز في التشبيهات، وكمال حظه من جهة التنزيه على الشدة والغضب والشهوات، والترقي عن حظوظ هوى النفس وانسلاخه من عوائد الصفات المذمومة، إلى أوصاف التنزيهات كما تنسلخ من جلدها حتى لا تعود إليه. ولا يبقى في القلب متسع لغير الله تعالى كما تنسلخ من جلدها حتى لا تعود إليه. ولا يبقى في القلب متسع لغير الله تعالى «²، وقد ذكر علماء العقيدة أن آيات الصفات هي من المتشابهات ولذلك يلزم في حق الله تعالى كمال التنزيه.

¹ . سورة الشورى الآية 11.

² . ابن عطاء الله السكندري . القصد المجرد . ص 35

المبحث الثالث :

الظواهر اللغوية وأثرها في دلالة الآيات.

المطلب الأول : انفتاح الدلالة في الآيات على مستويات اللغة.

المطلب الثاني : وجوه الإعجاز وأساليب الخطاب في تفسير الآيات.

تمهيد :

تعددت نظرة دارسي الموضوعات القرآنية إلى كون اللفظ دالاً على أكثر من معنى، فنجد عبد العظيم الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان" يشير إلى أن من خصائص القرآن الكريم جمعه بين الإجمال و البيان، مع أنهما غايتان متقابلتان لا تجتمعان في كلام أحد، ثم يقول : (و لكن القرآن وحده هو الذي انخرقت له العادة، فتسمح الجملة منه و إذا هي بينة مجملة في آن واحد ، أمّا أنها بينة...فلأنها واضحة المغزى وضوحاً يريح النفس من عناء التنقيب والبحث لأول وهلة، فإذا أمعنت النظر فيها لاحت منها معان جديدة كلها صحيح أو محتمل لأن يكون صحيحاً، وكلما أمعنت فيها النظر زادت من المعارف و الأسرار، بقدر ما تصيب أنت من النظر وما تحمل من الاستعداد)¹.

أما الزركشي فقد استدلل على وجود هذه الظاهرة من السنة حيث يقول: (وذكر مقاتل في صدر كتابه حديثاً مرفوعاً، عنه صلى الله عليه وسلم: «لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة»)².

فمن الدارسين من عبر عن هذه الوجوه بقبول النص كثرة الاحتمالات وصحتها على مر العصور كلٌّ يفهمها على القدر الذي أوتي من العلم³. ونتيجة لذلك يتعدد المعنى وينفتح أي : أن اللفظ الواحد يؤدي معاني مختلفة، غير متناقضة). فهذه الظاهرة البديعة في القرآن الكريم تزيد للمعنى اتساعاً ، وللقارئ مجالاً للاستناد إلى معارفه العلمية، للكشف عن الأبعاد الأخرى المقصودة في الآية الواحدة. وفيما يلي مطلبين نتعرف على ظاهرة الانفتاح الدلالي وأمثلتها من تفسير ابن عطاء الله .

¹ - عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان ، ج 2 ص 204. 205.

² - الزركشي بدر الدين محمد عبد الله (ت 794هـ). البرهان في علوم القرآن . تحقيق: أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب عيسى البابي الحلبي وشركاؤه . الطبعة الأولى سنة 1975م . ج 1 ص 103.

³ - فضل حسن عباس وآخرون . علوم القرآن . ص 189.

المطلب الأول :

انفتاح الدلالة في الآيات على مستويات اللغة.

- 1 . الانفتاح على المستوى المعجمي السياقي .
- 2 . الانفتاح على المستوى التركيبي .
- 3 . ظاهرة العام والخاص .

تمهيد :

إن ظاهرة تعدد المعنى بالمعنى الإيجابي المفيد يسميه "مهدي أسعد عرار" (الانفتاح الدلالي) ويعدده من وجوه الإعجاز فيقول: (وفي هذه المباحثة محاولة للكشف عن ملحظ دلالي ارتضيت له اسم "انفتاح الدلالة" وليس المقصد المتعين من هذه التسمية التأويل، بل تعدد المعاني في السياق الواحد وتضافرها معا في دلالة السياق الشريف) ¹، و يقدم "مهدي عرار" احتراسا مضمونه: (أن انفتاح الدلالة في غير السياق القرآني الشريف قد يكون ذا صبغة سلبية، إذ إن المتكلم قد يأتي به للإيهام دون الإحكام، فلا يقف السامع على مراده إلا بالتوهم دون التحكم، ويقع هذا الانفتاح في مستويات متباينة : المستوى الصوتي، المستوى المعجمي، المستوى الصرفي، المستوى التركيبي) ²، وفي هذا المضممار سوف أعرض ما أمكن من هذه المستويات في هذا المطلب حسب توفر الأمثلة في تفسير ابن عطاء الله، فقد وجدت له أمثلة كثيرة على المستوى المعجمي والسياقي وبعضها على المستوى التركيبي، وتكاد هذه الميزة ينفرد بها القرآن الكريم عن سائر كلام العرب، إذ لا تأتي إلا بقوة الملاحظة و تعدد الاحتمالات الممكنة، ولا تتخصص بمستوى لغوي دون آخر.

¹ - مهدي أسعد عرار ، مباحثات لسانية في ظواهر قرآنية ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى سنة 2008 ،

ص15

² - المرجع السابق .

1. الانفتاح على المستوى المعجمي السياقي

نقصد بالمستوى المعجمي السياقي بالنسبة للألفاظ هو الجمع بين المعنى المعجمي للوضع الأول وتحول الألفاظ إلى معاني أخرى حسب السياق، كلها تتراحم ولا تدفع بعضها بعضاً، مما نسميه انفتاح الدلالة، وقد يكون ذلك من ظهور لغوية مختلفة مثل التضاد¹ والترادف² والمشارك اللفظي يقول "مهدي عرار": (ومن أجلى بواعثه في هذا المستوى "الاشتراك اللفظي" كأن تقع الكلمة الواحدة تحت معنيين أو أكثر، أو أن تكون الكلمة نفسها ذات دلالة عائمة تتسع لمداخل متنوعة، فتنتجح دلالتها لمقتضى إرادته الحق جل)³، ولما كان تفسير ابن عطاء الله آيات محدودة لم أجد تمثيلاً واسعاً لهذه الظواهر سوى ما يتعلق بالمشارك اللفظي ولذا سوف أقتصر عليه وحده في ما يلي:

.المشارك اللفظي :

المشارك اللفظي من الظواهر الدلالية المعروفة في العديد من اللغات الإنسانية في العالم، فهي لا تقتصر على اللغة العربية وحدها، إنما هي ظاهرة مألوفة في اللغات السامية وتتجلى هذه الظاهرة في حروف المعاني بأسرها في كل من هذه اللغات⁴. وقد اختلف الناس فيه فالأكثر على أنه ممكن الوقوع، إذ يرى أكثر علماء اللغة أنه واقع؛ لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ، ومنهم من قال: (إنَّ المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية فإذا وُزَّع لزم الإشارك)⁵. وأقدم النصوص التي وصلت إلينا والتي تعبر عن هذه

¹ - التضاد هو : الكلمات التي تؤدي إلى معنيين متضادين بلفظ واحد ككلمة (الجون) تطلق على الأسود والأبيض و(الجلل) تطلق على الحقيير والعظيم). ابن الأنباري محمد بن القاسم (ت 328 هـ). الأضداد. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة حكومة الكويت. سنة 1960م (د، ط). مقدمة المحقق ص 1.

² - الترادف: عرفه سيبويه بقوله: (اختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق). سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180 هـ). الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. مطبعة المدني. الطبعة الثالثة. سنة 1988م. ج1 ص24.

³ - مهدي أسعد عرار ، مباحثات لسانية في ظواهر قرآنية ، ص 29. 30.

⁴ - صبحي الصالح. دراسات في فقه اللغة. مطابع دار العلم للملايين. الطبعة الثانية. سنة 1978م. ص 299.

⁵ - السيوطي جلال الدين. المزهري في علوم اللغة. ج 1 ص 299.

الظاهرة قول سيبويه: (اتفاق اللفظين والمعنى مختلف) ¹. ويرى أهل اللغة أنّ المشترك اللفظي يقع نتيجة الاتفاق في الألفاظ للدلالة على معنيين أو معانٍ مختلفة، إذ قال ابن درستويه: (وإنما يجيء ذلك في لغتين متباينتين أو لحذف واختصار قد وقع في الكلام، حتى اشتبه اللفظان وخفي سبب ذلك على السامع) ²، والذي أشار إليه ابن درستويه أنّ المشترك اللفظي لا يقع في لغة واحدة، إنّما يكون في لغتين متباينتين حتى وضع هذا اللفظ لهذا المعنى في هذه اللغة، ووضع معنى آخر لنفس اللفظ في لغة ثانية.

أمّا الأصوليون فأكثر علمائهم متفقون مع أهل اللغة في جوازه وقوعه، واحتجوا له بحجج كثيرة منها: إنّه قد يكون غرض المتكلم تعريف غيره شيئاً على التفصيل، وقد يكون غرضه تعريف ذلك الشيء على الإجمال ³. ويعدّ تعريف الأصوليين للمشارك اللفظي أدقّ تعريف وهو عندهم: (اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة) ⁴.

¹ - سيبويه ، الكتاب ، ج 1 ص 24 .

- المبرد محمد بن يزيد (ت 285هـ) . ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد . بعناية عبد العزيز الميمني . القاهرة المطبعة السلفية ومكبتها . سنة 1350هـ (د.ط) . ص 22 .

² . ابن درستويه عبد الله بن جعفر (ت 347هـ) . تصحيح الفصيح . تحقيق: عبد الله الجبوري . مطبعة الإرشاد بغداد . سنة 1975م . (د، ط) . ج 1 ص 167 .

- ابن سيّده . المخصص . بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر . (د، ط) . (د، ت) . ج 13 ص 259 .

³ . البصري أبو الحسين محمد بن علي (ت 436هـ) . المعتمد في أصول الفقه . تحقيق: محمد حميد الله ومحمد بكر وحسن خفي . ج 1 ص 324 .

- الشوكاني محمد بن علي . إرشاد الفحول . ص 19 .

⁴ . السيوطي جلال الدين . المزهري في علوم اللغة . ج 1 ص 369 .

- محمد صديق حسين . البلغة في أصول الفقه . مطبعة الجوائب القسطنطينية 1296هـ . (د.ط) . ص 60 .

- صبحي الصالح . دراسات في فقه اللغة . ص 303 .

- ابن الأنباري محمد بن القاسم (ت 328هـ) . الأضداد في اللغة . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم . ص 39 .

أما السرخسي فيعرف المشترك اللفظي بأنه (كل لفظ يشترك فيه معانٍ أو أسامٍ لا على سبيل الانتظام، بل على احتمال أن يكون كل واحد هو المراد به على الانفرد، وإذا تعين الواحد به انتفى الآخر مثل: اسم العين فإنه للناظر، ولعين الماء وللشمس وللميزان...) ¹. ويتبين من تعريف السرخسي أنه يشير إلى مسألة مهمة في المشترك اللفظي، هي أن المعاني لا تتخذ في الألفاظ المفردة، إنما يتخذ معنى المشترك اللفظي في السياق، فدراسة العلاقات الدلالية بين الألفاظ في سياق معين عن طريق تحليل معانيها، يمكننا ترجيح بعض الاحتمالات الدلالية في المشترك، وهي المقصودة في الكلام. وقد أشار "صبحي صالح" إلى أن: (السياق هو الذي يعين أحد المعاني المشتركة للفظ الواحد، وهذا السياق لا يقوم على كلمة تنفرد وحدها في الذهن، وإنما يقوم على تركيب يوحد الارتباط بين أجزاء الكلمة فيخلع على اللفظ المعنى المناسب) ²، وقد أدى الاعتماد على السياق إلى أن تعيش كثير من كلمات المشترك اللفظي جنباً إلى جنب إلى عدة قرون في اللغة الواحدة دون أن يسبب ذلك غموضاً أو سوء فهم، أو حتى صعوبة من نوع ما ³.

أما ابن عطاء الله فقد كان أحد المؤيدين لظاهرة المشترك اللفظي في القرآن الكريم واللغة العربية، فقد وجدت له أمثلة تؤيد هذه الظاهرة من خلال تفسيره لآيات القرآن الكريم، إلا أنني لم أجد له تعريفاً يخص به المشترك اللفظي، ومن الأمثلة التي أوردها ما يأتي:

● ﴿كُتِبَ﴾ من قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ ⁴، يفصل ابن عطاء الله في هذا لفظ على أنه مشترك بين عدة معاني، حسب وضعه اللغوي ويمثل له باستعماله القرآني، ليرجح معنى دون آخر بدليل الحديث النبوي، أو ليبين أن له استعمالاً حقيقياً وما عداها استعمالات مجازية، فيقول: «اعلم أن "كتب" يقال بالاشتراك على معان: منها بمعنى الفرض قال الله عز وجل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ ⁵.

¹ . السرخسي أبو بكر محمد . أصول السرخسي . تحقيق: أبي الوفا الأفعاني . ج 1 ص 126.

² . صبحي صالح . دراسات في فقه اللغة . ص 358.

³ . أحمد مختار عمر . علم الدلالة . مكتبة دار العربية للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى . سنة 1982م . ص 178.

- مختار عمر . من قضايا اللغة والنحو . عالم الكتب القاهرة . سنة 1974 . (د.ط) ص 34.

⁴ - سورة الأنعام الآية 54.

⁵ - سورة البقرة الآية 183.

ومنها كتب بمعنى خلق قال تعالى : ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾¹ .
ومنها كتب بمعنى قضى ومنه قوله سبحانه : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾² ، أي
قضى الله لأغلبن ، ومنه قوله سبحانه ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾³ .
ومنها (كتب) بمعنى الكتابة على بابها ﴿ لِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾⁴ ، وقد
تكون منه قوله سبحانه ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾⁴ ، لما جاء في الصحيح عنه
صلوات الله عليه وسلامه : (إن الله لما قضى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق عرشه : إن
رحمتي سبقت غضبي ، ولولا ذلك لهلكتم)⁵ .

وقد تكون في كتب بمعنى الكتابة ومجازا في الباقي لأنه المتبادر إلى الفهم ، والتبادر
دليل الحقيقة⁶ . فقد جعل ابن عطاء الله لـ (كتب) أربعة معاني مشتركة وكلها مستعملة في
القرآن ، ويحتمل أن تكون بالمعنى الحقيقي في الكتابة وغيرها استعمالا مجازيا .
أما معنى الكتابة على بابها فقد قال الزمخشري : (كتب الكتاب يكتبه واكتبته لنفسه :
انتسخه)⁷ ، وفي معنى (قضى) على المجاز يقول الزمخشري : (ومن المجاز : كتب عليه كذا :
قضى عليه . وكتب الله الأجل والرزق ، وكتب على عباده الطاعة وعلى نفسه الرحمة ، وهذا
كتاب الله : قدره)⁸ .

وأما في معنى (الفرض) فيقول ابن منظور : (والكتاب يُوضَع موضع الفرض قال الله
تعالى كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ وقال عز وجل كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ معناه فُرضَ وقال
وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَي فَرَضْنَا)⁹ ، وله معان أخرى مجازية لم يذكرها ابن عطاء الله منها : (من

¹ - سورة المجادلة الآية 22 .

² - سورة المجادلة الآية 21 .

³ - سورة البقرة الآية 282 .

⁴ - سورة الأنعام الآية 54 .

⁵ - الحديث سبق تخريجه في ص 294 .

⁶ - ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، ص 24 .

⁷ - الزمخشري ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (ت 538 هـ) . أساس البلاغة . مطبعة دار الكتب المصرية

1923 م . (د . ط) ص 400 .

⁸ - المرجع السابق .

⁹ - ابن منظور جمال الدين ، لسان العرب ، ص 668 .

المجاز : اُكْتُتَبَ هو : أَسِرَ . وَاُكْتُتَبَ بَطْنُهُ : حُصِرَ وَأَمْسَكَ . ومن المجاز : كَتَبَ الْكُتَيْبَةَ جَمَعَهَا¹ .

● ﴿الظلمات والنور﴾ من قوله تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾² يبسط ابن عطاء الله القول في هذا اللفظ ويخرجه إلى معاني متعددة كلها ممكنة فيقول : «أي: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات البدعة إلى نور السنة ومن ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة، ومن ظلمات الحظوظ إلى نور الحقوق، ومن ظلمات طلب الدنيا إلى نور طلب الآخرة، ومن ظلمات المعصية إلى نور الطاعات ومن ظلمات الكثائف إلى نور اللطائف ومن ظلمات الهوى إلى نور التقوى ومن ظلمات الدعوى إلى إشراق نور التبري من الحول والقوة ومن ظلمات الكون إلى شهود المكون ومن ظلمات التدبير إلى إشراق نور التفويض، إلى غير ذلك مما لا يحصره العدد مما يخرجهم عنه ويخرجهم إليه»³، فنجد المعاني تعددت في معنى (الظلمات والنور) ولا يحصرها عدد وكلها ممكنة ولا تتدافع فنقول قد انفتحت الدلالة عند ذلك .

● ﴿المتابعة﴾ من قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾⁴ يفصل ابن عطاء الله في معنى المتابعة في الآية فيقول: «والمتابعة على قسمين جليلة وخفية فالجليلة كالصلاة والصيام والزكاة والحج و الجهاد وغير ذلك، والخفية أن تعتقد الجمع في صلاتك والتدبر في قراءتك»⁵، وقال أيضا : «وقد جمع الله الخير كله في بيت وجعل مفتاحه متابعة النبي صلى الله عليه وسلم، فتابعه بالقناعة بما رزقك الله تعالى والزهد والتقلل من الدنيا وترك ما لا يعني من قول أو فعل وإذا طلبت الخير كله فقل اللهم اجعلني في متابعة رسولك صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال»⁶.

¹ - الزبيدي محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ) . تاج العروس من جواهر القاموس .

المطبعة الخيرية مصر . سنة 1369هـ (د. ط) . ص 890.

² - سورة البقرة الآية 257.

³ . ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن ، تحقيق :عبد الحلیم محمود ، ص27.

⁴ - سورة آل عمران الآية 31.

⁵ . ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 5.

⁶ . المصدر السابق ، ص 5.

- ﴿العقود﴾ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾¹ ففي لفظ ﴿العقود﴾ تنفتح الدلالة ليلزم الوفاء من العبد لربه بما عاقده عليه، ويذكر ابن عطاء الله منها: «ومن العقود التي عاقده عليها ألا ترفع حوائجك إلا إليه ولا تتوكل إلا عليه»².
- ﴿الميزان﴾ من قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾³ ففي لفظ ﴿الميزان﴾ تنفتح الدلالة ليشمل معاني عديدة منها رفع الهمة عن الخلق كما قال ابن عطاء الله: «ورفع الهمة عن الخلق ميزان الفقراء، فيظهر الصادق بصدقه والمدعي بكذبه»⁴، وعدّ في موضع آخر تمحي الموت من الميزان.
- ﴿الجنة﴾ من قوله تعالى: ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾⁵ يذكر ابن عطاء الله أن الجنة التي دعيت إليها النفس المطمئنة تحتل معاني فيقول: «قوله تعالى: ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ فيه إشارة إلى أن هذه الأوصاف التي اتصفت بها النفس المطمئنة، هي التي أدتها إلى أن تدعى لتدخل في عبادته، وإلى أن تدخل في جنته، جنة الطاعة في الدنيا، والجنة المعلومة في الآخرة»⁶ وهذه المعاني كلها محتملة ولا تتدافع مما يسمى انفتاح الدلالة.
- ﴿ملة إبراهيم﴾، من قوله تعالى: ﴿مَلَّةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾⁷ يفسر ابن عطاء الله الآية فيقول: «أي اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم، فواجب على المؤمن أن يتبع ملة إبراهيم»⁸، ثم يبين عدة معاني تتضمنها ملة إبراهيم فيقول: «وملة إبراهيم رفع الهمة عن الخلق، فإنه يوم زج به في المنجنيق، تعرض له جبرائيل عليه السلام، فقال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فبلى. قال: سله؟ قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي. فانظر كيف رفع إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه همته عن الخلق، ووجهها إلى الملك الحق، فلم يستغث

¹ - سورة المائدة الآية 1.

² . ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 35.

³ - سورة الرحمان الآية 9.

⁴ . المصدر السابق .

⁵ - سورة الفجر الآية 30.

⁶ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 61.

⁷ - سورة الحج الآية 78.

⁸ . المصدر السابق ص 103.

بجبرائيل، ولا احتال على السؤال من الله تعالى، بل رأى الحق أقرب إليه من جبرائيل ومن سؤاله فلذلك سلمه من النمرود ونكاله، وأنعم إليه بنواله وأفضاله وخصه بوجود إقباله. ومن ملة إبراهيم، معاداة كل ما شغل عن الله، وصرف الهمّة بالرد إلى الله تعالى لقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾¹ ولقوله تعالى: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾²، وما سوى الله تعالى آفل إما وجودا وإما إمكانا³. فعدد من المعاني: رفع الهمّة عن الخلق ومعاداة كل ما شغل عن الله، وصرف الهمّة بالرد إلى الله تعالى وعد محبة الآفلين وما سوى الله تعالى آفل إما وجودا وإما إمكانا، فنقول قد انفتحت الدلالة إلى معاني لا تحصى.

● **(الهداية والاستقامة)** من قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁴ يبين ابن عطاء الله لمعنى (الهداية والاستقامة) معنى مطلقا يتغير حسب حال البشر فيقول: «أفضل ما يطلب العبد من الله أن يكون مستقيما معه قال الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فاطلب منه الهداية والاستقامة وهو أن تكون مع الله في كل حال بالذي يرضاه لك وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى»⁵، فهنا يفتح المعنى بإطلاق فيشمل كل ما جاء به الشرع من جهة النبي صلى الله عليه وسلم.

● **(السَّابِقُونَ)** «قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾⁶ أما ابن عطاء الله فنشعر من كلامه بانفتاح معنى السبق إلى الله فيظهر فيه صدق توجهه إلى الله تعالى من دون تحديد فيقول: «سبقوا إلى الله فخلصهم مما سواه فلم تعقهم العوائق ولم تشغلهم عن الله الخلائق فسبقوا إلى الله إذ لا مانع لهم وإنما منع العباد من السبق جواذب التعلق بغير الله»⁷، ولذا ينتج لدينا معنى مفتوح الدلالة لـ"السبق" وهو التخلص من جواذب التعلق بغير الله.

¹ - سورة الشعراء الآية 77.

² - سورة الأنعام الآية 76.

³ . ابن عطاء الله ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 103.

⁴ - سورة الفاتحة الآية 6.

⁵ . ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 16.

⁶ - سورة الواقعة الآية 11.10.

⁷ . ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 33.

ومن خلال النصوص المبينة سابقا نلاحظ أن ابن عطاء الله من المؤيدين المقرّين بوقوع المشترك اللفظي في القرآن الكريم ، إذ أن في القرآن الكريم ألفاظا وقع الاشتراك فيها، ومن خلال الأمثلة المتقدمة نستنتج المعاني التي تتعدد أو تنفتح عند المشترك اللفظي وردت كثيرة في تفسير ابن عطاء الله، ثم إنه يستند إلى السياق والفهم الإشاري ودرايته الواسعة بطريق التصوف والسلوك في تحديد هذه المعاني.

2. الانفتاح على المستوى التركيبي :

يمثل "مهدي عرار" لهذا المستوى فيقول: (أما انفتاح الدلالة الواقع في المستوى التركيبي فمواضعه متباينة ، ومن ذلك القول على مرجع الضمير نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَن نَّبْرَأَهَا﴾¹، فثم ضمير "الهاء" في قوله ﴿نَبْرَأَهَا﴾، وقد تقدمه ثلاثة مراجع وهي: ﴿المصيبة﴾ و ﴿الأرض﴾ و ﴿أنفسكم﴾... وتلكم المراجع لا تتدافع بل هي متقبلة في سياقها صالحة)² ، وقد يكون باعث الانفتاح في هذا المستوى راجع إلى التقديم والتأخير وتغير أماكن الكلمات المفضي إلى معان جديدة أو تعدد المعاني النحوية للألفاظ، أو تقدير المحذوف) ، وفيما يلي بعض المواضع التي ثبت فيها الانفتاح على المستوى التركيبي من تفسير ابن عطاء الله :

- قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾³ ، يبين ابن عطاء الله أن متعلق ﴿تَذَكَّرُوا﴾ حذف، ومقتضاه معاني يحملها النص القرآني على حسب مرتبة التقوى عند كل أحد، فلاهل كل مرتبة نوع من التذكر يقوى ويضعف حسب المقام، وفي ذلك يقول ابن عطاء الله: « قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ حذف متعلقة ولم يقل تذكروا الجنة، أو النار أو العقوبة، أو غير ذلك، وإنما حذف متعلق تذكروا لفائدة جلية، ولذلك: أن التذكر الماحي لطيف الهوى من قلوب المتقين، على حسب مراتب اليقين ومرتبة التقوى، يدخل فيها الأنبياء والرسل والأولياء والصديقون والصالحون والمسلمون.

¹ - سورة الحديد الآية 22.

² - مهدي أسعد عرار ، مباحثات لسانية في ظواهر قرآنية ، ص 23 . 25.

³ . سورة الأعراف الآية 201.

فتقوى كل أحد على حسب حاله ومقامه، وكذلك أيضا تذكر كل أحد على حسب مقامه، فلو ذكر قسما من أقسام التذكر، لم يدخل فيه إلا أهل ذلك القسم. فلو قال تعالى: (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا العقوبة فإذا هم مبصرون)، خرج عنه الذين تذكروا التوبة. ولو قال: (تذكروا سابق الإحسان) لخرج منه الذين تذكروا لواحق الامتنان إلى غير ذلك، فأراد الحق سبحانه وتعالى، أن لا يذكر متعلق التذكير ليشمل المراتب كلها فافهم. ¹ .

قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾²، بين ابن عطاء الله وجه استعمال حرف "الفاء" في هذه الآية ووجه ورودها بلفظ اسم الفاعل (مبصرون) ليستنتج معنى إشاريا انطلاقا من اللغة فيقول: «قال سبحانه: ﴿مبصرون﴾ ولم يقل: تذكروا فأبصروا، أو تذكروا ثم أبصروا، أو تذكروا وأبصروا فأما ترك التعبير بالواو: فلأنه كان لا يفيد أن البصرى كانت عن التذكر، والمراد أنها كانت مسببة عنه، ترغيبا للعباد فيها.

وأما عدوله عن (ثم) لأن فيها ما في الواو، من عدم الدلالة على السببية، وفيها أنها كانت تقتضي عكس الماضي لما فيها من المهلة.

ومراد الحق سبحانه: أن هؤلاء العباد لا تتأخر أبصارهم عن تذكرهم ولم يعبر بالفاء لاقتضاءها التعقيب، بل عبر الحق سبحانه بقوله: ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ كأَنهم لم يزالوا على ذلك البصرى، ثناء منه سبحانه عليهم وإظهارا لوفور المنة إليه لديهم، كما نقول: تذكر زيد المسألة، فإذا هي صحيحة، أي أنها لم تزل صحيحة، وإنها الآن صحيحة، كما رفع العلم بها.

كذلك المتقون ما زالوا مبصرين، ولكن حين ورد طيف الهوى عليهم، غطى على بصيرتهم الثابت نورها فيهم، فلما استيقظوا ذهبت سحابة الغفلة، فأشرقت شمس البصيرة»³.

قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾¹، وقوله تعالى: ﴿عَبْدَهُ زَكْرِيَّا﴾²: يبين ابن عطاء الله وجه الإضافة (ربك) في الآية ليشير بدلالاتها إلى عظيم قدر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 33.

² - سورة الأعراف الآية 201.

³ - ابن عطاء الله السكندري . التنوير في إسقاط التدبير . ص 33.

حتى بين إخوانه من الأنبياء إذ أنه سبحانه أضاف اسمه تعالى إلى اسم محمد بينما في قوله تعالى ﴿عَبْدُهُ زَكْرِيَّا﴾ أضاف زكريا إلى اسمه تعالى ، وفي ذلك يقول : « وفي الآية إشارة أخرى لعظيم قدره، وتفخيم أمره صلى الله عليه وسلم، وهي قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾. فأضاف نفسه تعالى إليه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿كَهَيْعَص، ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا﴾.

فأضاف الحق سبحانه اسمه إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وأضاف زكريا إليه، ليعلم العبادُ فرق ما بين المنزلتين، وتفاوت ما بين الرتبتين »³.

قوله تعالى: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾⁴.

يبين ابن عطاء الله وجه الإضافة (ربك) في الآية ليشير إلى اللطف الحاصل لهذه النفس فيقول : « السادس قوله: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ولم يقل إلى الرب، ولا إلى الله، فيه إشارة إلى رجوعها إليه من حيث لطف ربوبيته، لا إلى قهر ألهيته، فكان ذلك تأنيسا لها وملاطفة وتكريما ومواددة »⁵.

قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طِيفٌ﴾:

قال ابن عطاء الله في بيان الفائدة الرابعة من هذه الآية من هذه الآية من هذه الآية فقال: « قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طِيفٌ﴾ ولم يقل إذا مسهم وارد من الشيطان، أو نحوه، لأن الطيف لا ثبت له ولا وجود له، إنما هو صورة مثالية، ليس لها حقيقة وجودية، فأخبر سبحانه وتعالى بذلك، أن ذلك غير ضار بالمتقين، لأن ما يورده الشيطان على قلوبهم بمثابة الطيف الذي تراه في منامك، فإذا استيقظت فلا وجود له⁶ .

وخلاصة القول أن ابن عطاء الله يعد من المؤيدين لظاهرة الانفتاح الدلالي في القرآن الكريم، وعلى الرغم من أنه لم يتطرق إلى التفاصيل في هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر،

¹ - سورة النساء الآية 65.

² - سورة مريم الآية 2.

³ - المصدر السابق ص 06.

⁴ - سورة الفجر الآية 28.

⁵ - ابن عطاء الله السكندري . التنوير في إسقاط التدبير . ص 58.

⁶ - المصدر السابق ص 32.

لأنه لم يكن همّه هذه الظواهر بالنسبة لبيان النصوص، وإنما جاء كلامه عابرا على هذه الظواهر وبشكل موجز عند بيانه لمدلّول النص القرآني، فضلا عن أن ابن عطاء الله من المتأخرين (ق 7) وهذه الظواهر أصبحت واضحة، لأن كثيرا من الأصوليين، أبدوا اهتماما عميقا بمبحث الدلالات، وتكلموا بشكل أكثر تفصيلا على كثير من الظواهر اللغوية وغيرها، منها الترادف والأضداد والفروق اللغوية ، والعموم والخصوص والمطلق والمقيد في الألفاظ .. غير أن ابن عطاء الله لم يتطرق إليها كلها ، ومن ثم فقد اقتصر على الظواهر التي وجدت لها أمثلة في تفسيره فقط .

3. ظاهرة العام والخاص :

تعريف: العام والخاص من الظواهر المعروفة في اللغة العربية التي عني بهما الأصوليون بوجه خاص، وذلك لصلتهما الوثيقة بأحكام الشريعة الإسلامية ولكنهم لم يخرجوا عن نطاق ما ورد بشأتهما من الأساليب العربية مما يؤكد التماسك بين أصول الشريعة الإسلامية وأصول اللغة العربية¹.

فالعام هو الباقي على عمومته، أي ما وضع عاما واستعمل عاما، لأن الألفاظ يصح فيها العموم باعتبار شمولها لمعان متعددة بحسب الوضع، وكذلك المعاني يصح فيها العموم، لأن المعنى قد يشمل معاني متعددة، ويتحقق في كل منها، ومن ذلك: المطر والخصب، وهما معنيان وقد يشمل كلا منهما ويعم، ويقال: مطر عام وخصب عام، أي لجميع البلاد². ويعد موضوع العموم من أكثر الموضوعات التي شغلت علماء الأصول، وذلك لارتباط هذا الموضوع بالأحكام الشرعية التي تستنبط من القرآن الكريم، فأخذ العلماء يجولون في هذا الاتجاه من أجل بيان كل ما يتعلق بالقرآن الكريم، والوقوف على أحكامه، وقد تعددت آراء العلماء في هذا الجانب وتعددت التعريفات في هذا المضمار كل من وجهة نظره، إلا أنها في الأغلب كلها تصب في بحر واحد، ومن هذه التعريفات ما أشار إليه ابن حزم الأندلسي: (ت456هـ) بقوله: (العموم: هو حمل اللفظ على كل ما اقتضاه في اللغة، وكل عموم ظاهر، وليس كل ظاهر عموم، إذ قد يكون الظاهر خيرا عن شخص واحد، ولا يكون العموم إلا على أكثر من ذلك)³، أمّا الإمام الغزالي فيقول: (والعام: عبارة عن اللفظ الواحد الدال من جهة واحدة على شيئين فصاعدا)⁴.

¹ . السعدي عبد القادر عبد الرحمن. أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية. مطبعة الخلود. بغداد سنة 1986. (د.ط). ص 78.

² . جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج1 ص426.

- بشير مهدي الكبيسي. مفاهيم الألفاظ ودلالاتها عند الأصوليين. ص254.

² . ابن حزم الأندلسي علي بن أحمد بن سعيد أبو محمد (ت 456هـ). الإحكام في أصول الحكم. طبعة محققة ومقابلة على النسخة الخطية بدار الكتب المصرية. تحقيق محمود أحمد شاكر. (د.ط.ت). ج 1 ص39 و ج3 ص345.

³ . الغزالي أبو حامد. المستصفى. ج 2 ص32.

أما الخاص: فإنه صرف اللفظ عن عمومه، وإخراج ما كان داخلاً في العموم، وقصر العام على بعض أفراده بحيث لا يتعلق الحكم الذي تضمنه اللفظ العام إلا بما بقي من أفراده بعد تخصيصه¹

وقد عرّفه الشريف الجرجاني (ت 816هـ) بقوله: (كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفراد، والمراد بالمعنى ما وضع له اللفظ عينا كان أو عرضا، وبالانفراد واختصاص اللفظ بذلك المعنى، وإنما قيده بالانفراد، لتمييزه عن المشترك)²، وعرّفه آخرون بأنه: (اللفظ الدال على قصر الحكم على بعض أفراد العام أو على قصر العام على بعض أفراد من حيث الحكم)³. ولا يمكن الوقوف على الخطاب المخصص إلا بفهم السياق الذي يرد فيه ومعرفة أبعاده وقرائنه، وهو ما أدركه الأصوليون والمفسرون عامة⁴.

والعام عند الأصوليين يتقدم على الخاص، لأنه هو الأصل والخاص يمتاز عنه بأوصاف تخصيصية، وتكون الألفاظ العامة دالة على معانيها في استغراق جميع الأفراد أو كانت منفردة، أما إذا دخلت السياق فقد تتغير معانيها ويدخلها التخصيص⁵.

أما ابن عطاء الله فلم أجد له توسع في ظاهرة العموم والخصوص في تفسيره فم يعرف بهاتين الظاهرتين، وإنما جاء كلامه عرضا من خلال بيان معاني النصوص القرآنية، وقد وقفت على بعض الأمثلة له في ذلك أثبتها فيما يلي:

- احتمال النص المطلق للتخصيص والعموم :

جاءت هذه الإشارة للعام والخاص والمطلق في تفسير معنى (إحصاء أسماء الله الحسنى) فأثبت ابن عطاء الله النصوص الواردة فيها فقال: «قال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ

⁴. بدران أبو العينين بدران . أصول الفقه . ص 138.

⁵. الشريف الجرجاني ، التعريفات ، 51.

⁶. الملا محمد جلي زاده . المصقول في علم الأصول . تحقيق: عبد السلام بيمار . مؤسسة المطبوعات العربية بيروت . سنة 1981م . (د.ط.) ص 46.

¹. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن . الإتقان في علوم القرآن . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم . ج 2 ص 57

². الزملاكاني كمال الدين . البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . تحقيق: خديجة الحديثي وأحمد مطلوب . ص 290 .

- الزركشي بدر الدين . البرهان في علوم القرآن . ج 3 ص 449.

لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ¹ وفي رواية أخرى : (من حفظها دخل الجنة)² ، ثم يفصل ابن عطاء الله في تعدد الفهم في معنى الإحصاء فقال: « والناس في إحصائها على ثلاثة أصناف:

صنف أحصاها تصديقاً واعتقاداً وروايةً ومقالاً. وصنف أحصاها حفظاً وعداً ودراية وسلوكاً وحالاً.

وصنف أحصاها ذكراً وحفظاً وعلماً ومحافظةً ومعرفةً وتخلقاً وكشفاً وشهوداً وتعظيماً وإجلالاً⁴.

وإذا رجعنا إلى النووي في شرح هذا الحديث فإنه يقول : (وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) فَاخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِإِحْصَائِهَا، فَقَالَ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ: مَعْنَاهُ : حَفِظَهَا، وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ، لِأَنَّهُ جَاءَ مُفَسَّرًا فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى (مَنْ حَفِظَهَا) وَقِيلَ: أَحْصَاهَا: عَدَّهَا فِي الدُّعَاءِ بِهَا، وَقِيلَ : أَطَاقَهَا أَي : أَحْسَنَ الْمُرَاعَاةَ لَهَا، وَالْمَحَافَظَةَ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ، وَصَدَّقَ بِمَعَانِيهَا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: الْعَمَلُ بِهَا وَالطَّاعَةُ بِكُلِّ اسْمِهَا)⁵، وجاء في تحفة الأحوذى: (قِيلَ أَحْصَاهَا قَرَأَهَا كَلِمَةً كَلِمَةً كَأَنَّهُ يَعُدُّهَا، وَقِيلَ أَحْصَاهَا عِلْمَهَا وَتَدَبَّرَ مَعَانِيهَا وَاطَّلَعَ عَلَى حَقَائِقِهَا، وَقِيلَ أَطَاقَ الْقِيَامَ بِحَقِّهَا وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهَا . قَالَ الشُّوْكَانِيُّ التَّفْسِيرُ الْأَوَّلُ هُوَ الرَّاجِحُ الْمُطَابِقُ لِلْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ وَقَدْ فَسَّرَتْهُ الرَّوَايَةُ الْمُصَرِّحَةُ بِالْحِفْظِ)⁶.

¹ . الحديث رواه الترمذي في "باب ما جاء في عقد التسبيح باليد" بقوله : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي : لَيْسَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ذِكْرُ الْأَسْمَاءِ وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . صحيح الترمذي ، ج 11 ص 413 .

² . هذه الرواية وردت عند مسلم في باب أسماء الله تعالى بقوله : (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنَّ اللَّهَ وَثَّرَ يُجِبُّ الْوَثْرَ) ، صحيح مسلم ، ج 13 ص 171 .

³ . ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد ، ص 13 .

⁴ . ابن عطاء الله ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ص 13 .

⁵ . النووي شرف الدين ، شرح صحيح مسلم ، ج 9 ص 39 .

⁶ . المباركفوري . تحفة الأحوذى شرح صحيح الترمذي . ج 8 ص 405 .

أما ابن عطاء الله فإنه يشير إلى أن لفظ الإحصاء مطلق يحتمل أن يكون عاما في كل نوع من أنواع الإحصاء أو خاصا بصنف من الأصناف التي ذكرها، فقال: « فإن الإحصاء الذي ورد فيه الترغيب، هو مطلق يحتمل التخصيص والتعميم »¹.

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد ، ص 13 .

المطلب الثاني:

وجوه الإعجاز وأساليب الخطاب في تفسير الآيات.

تمهيد .

أولا : نظرة العلماء السابقين للسياق .

ثانيا : وجوه الإعجاز في تفسير ابن عطاء الله.

1 - الإعجاز من حيث الألفاظ .

2 - الإعجاز من حيث التركيب .

ثالثا : بعض أساليب الخطاب وعلاقتها بالسياق .

1 - التقديم والتأخير وعلاقته بالسياق .

2 - الذكر والحذف وعلاقته بالسياق.

أ - أمثلة للذكر .

ب - أمثلة للحذف .

تمهيد :

للسياق أهمية كبيرة في توجيه كثير من الألفاظ، وفي توجيه الدلالة عند علماء اللغة في العصر الحديث لأنّ: (اللغويين يصفون المعنى المعجمي للكلمة بأنّه متعددة ويحتمل أكثر من معنى واحد، في حين يصفون المعنى السياقي لها بأنّه واحد لا يحتمل غير معنى واحد)¹، لأنّ المعاني المعجمية ليست هي كلّ شيء يمكننا من خلاله إدراك معنى الكلام أو النص، لأنّ ثمة عناصر لغوية وغير لغوية تساهم بشكل كبير في تحديد المعنى، وهذه العناصر جزء من الكلام الذي لا يمكن الوصول إلى معناه من دونها²، إذ يمثّل كلّ عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة³. فإنّ تحديد معنى الكلام بشكل دقيق يتطلب الاستعانة بوسائل أخرى غير المعجم، منها معرفة نسق الكلام ونظمه، لكي يتبين المعنى المطلوب، لأنّ علاقة السياق بالدلالة علاقة وثيقة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر (لأنّ اختلاف الدلالات وإبرازها في قوالب الألفاظ الفائقة والمعاني الرائعة في النظم المعجزة على وجوه لا تكاد تدخل تحت الحصر)⁴ وهذا ما يقوم به السياق، لبيان كثير من الكلمات، لأنّ الكلمة تعطي معاني مختلفة إذا كانت مفردة، أمّا إذا وضعت في نظم الكلام فإنّها تميّز المعنى المقصود من النص؛ لأنّ: (النص والسياق يكمل أحدهما الآخر)⁵.

وعلي هذا فدراسة معاني الكلمات تحتاج إلى تحليل للسياقات والمواقف المختلفة التي ترد فيها الكلمة، وبهذا فإن السياق هو الذي يحدد معنى الكلمة، فالسياق هو: (النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم)⁶.

ومن ثمّ سوف أعرض في هذا المطلب إلى ما يسفر عنه السياق من نظم وتركيب

¹ علي زوين . منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث . ص 185.

² محمود السعران . علم اللغة (مقدمة القارئ العربي) . دار المعارف مصر. 1962م . (د.ط) . ص 288.

³ جون لاينز . اللغة والمعنى والسياق . ترجمة: عباس صادق الوهاب . دار الشؤون الثقافية . بغداد . طبعة 1987م . ص 83.

⁴ البقاعي . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . ج 7 ص 424.

⁵ فوزي إبراهيم عبد الرزاق . السياق ودلالته في توجيه المعنى . أطروحة دكتوراه . كلية الآداب . جامعة بغداد . سنة 1992م . ص 7.

⁶ ستيفن أولمان . دور الكلمة في اللغة . ترجمة: كمال محمد بشر . المطبعة العثمانية . الطبعة الثالثة . سنة 1972م . ص 55.

وأسلوب في موضوع الإعجاز مبرزاً موقف ابن عطاء الله من خلال الأمثلة الواردة في تفسيره.

أولاً : نظرة العلماء السابقين إلى السياق:

لقد كانت عناية الأصوليين بالسياق عناية كبيرة، إذ نجدهم يستندون إليه في تحديد الكثير من دلالات الألفاظ، ولا سيما في النصوص القرآنية، فهو الذي يزيل الإبهام عن الجمل ويوضح تخصيص العام، ويقىيد المطلق، وهو الذي يحدد الدلالة المقصودة عند تنوع دلالات الألفاظ وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم.¹

ولعل أول من نصّ على السياق وأهميته في تحديد المعنى هو الإمام الشافعي (رضي الله عنه) فقد أشار إلى السياق بقوله: (وعاماً ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدلّ على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعاماً ظاهراً يراد به الخاص، وظاهراً يعرف من سياقه إنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره)²، وإنّ اختلاف الألفاظ بحيث تغير تلك الأغراض وتغير النظم بالتقديم والتأخير والإيجاز والتطويل، مع أنّها لا تخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكون فيه القصة، وعلى قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها وانكشافها، والذي يقوم بكشف معاني تلك الألفاظ هو السياق³، فالسياق وحده يكشف لنا التبادل بين المعاني الموضوعية والمعاني العاطفية والانفعالية.

أمّا الإمام الغزالي فلم يتعد عن السياق، إنّما نظر إلى السياق نظرة خاصة في بيان النصوص القرآنية، وتحديد دلالة الكلام عند احتماله لأكثر من معنى، فهو يشير إلى عناصر السياق اللغوي من خلال ما يراه مناسباً لاستحضار جميع ملابسات النص وأسباب نزول النص إذ يقول: (طريق فهم المراد تقديم المعرفة بوضع اللغة التي بها المخاطبة... وإن تطرق إليه الاحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقة إلا بانضمام قرينة اللفظ، والقرينة إما لفظ مكشوف... وإما إحالة على دليل عقلي... وإما قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات، وسوابق

¹ - قحطان جاسم محمد. الظواهر الدلالية في تفسير أضواء البيان للشنقيطي. رسالة ماجستير. كلية الآداب. الجامعة المستنصرية. سنة 2002م. ص 85.

² - الشافعي محمد بن إدريس (ت 204هـ). الرسالة. تحقيق: أحمد محمد شاكر. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. الطبعة الأولى. سنة 1940م. ص 52.

³ - البقاعي. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ج 1 ص 14.

ولواحق لا تدخل تحت الحصر، والتخمين يختص بإدراكها المشاهد لها من الصحابة والتابعين بألفاظ صريحة أو مع قرائن من ذلك الجنس، أو من جنس آخر حتى توجب علماً ضرورياً بفهم المراد أو توجب ظناً¹.

ويقتضي علم الدلالة الحديث في الدرس السياقي ضرورة تناول النص ككل واحد ولا يتجزأ عند محاولته تحديد دلالاته، أو ينبغي أن تحمل القطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات²، وقد أدرك العلماء هذه الحقيقة، وكانوا على وعي تام بها، فهذا البقاعي نظر إلى نظم الكلمات في سياقات الكلام سواء أكانت في جملة أم مع أختها، فإن نظمها هو الذي يحدد معاني هذه الكلمات؛ وحدد طريقتين للإعجاز هما³:

1- نظم كل جملة على حيال بحسب التركيب.

2- نظمها مع أختها بالنظر إلى التراكيب.

وفي ذلك يقول: (كلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز، ثم إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تلتها وما تلاها خفي عليه وجه ذلك ورأى أن الجمل متباعدة الأغراض متنائية المقاصد فظن أنها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهز والبسط)⁴، فهو يشير إلى السياق بطريقة نظم الكلمات؛ لأن نظم كل كلمة مع أختها في سياق الكلام يظهر لنا المعنى المقصود؛ لأن مراعاة الترتيب (السياق) يعطي معنى محدد للكلمات ذات المعاني المتعددة، ونظم كل جملة في التركيب، هي علاقة إجمال وتفصيل، فهي ليست منقطعة الصلة الدلالية فيما بينها، وإنما تترابط بصلات دلالية، فالسياق يلعب دوراً مهماً في بيان النصوص القرآنية، وبيان المعنى المقصود من تلك النصوص الكريمة.

أما ابن عطاء الله فقد وجدته يقف عند هذه الوجوه من الإعجاز، من حيث موضع

¹ أبو حامد الغزالي . المستصفى . ج 1 ص 339.

² ستيفن أولمان . دور الكلمة في اللغة . ترجمة: كمال محمد بشر . ص 55.

- والبحث الدلالي عند السرخسي: 103.

³ البقاعي . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . ج 1 ص 11.

⁴ المرجع نفسه.

الكلمات في الترتيب، ومن حيث ترابط الآيات، ويبسط القول في معناها بعمق، ويقدر خلاف التركيب (من تقديم أو تأخير أو إبدالٍ بمرادف...) في الآية ليبين عظم موقع الإعجاز في النص القرآني، وفيما يلي أمثلة من تفسيره نوضح بها دقة نظره في سياق الآيات .

ثانيا : وجوه الإعجاز في تفسير ابن عطاء الله :

1. الإعجاز من حيث الألفاظ:

يتعرض ابن عطاء الله لوجه من وجوه الإعجاز، وذلك في اختيار القرآن للألفاظ التي تؤدي المعنى المقصود لعميق دلالتها ولا يمكن استبدالها بمرادفاتهما، ولا يتأتى المعنى المراد إلا بذلك اللفظ الذي استعمله القرآن وهذا غاية الإعجاز وفيما يلي أمثلة وردت في تفسير ابن عطاء الله :

- قوله: ﴿مَسَّهُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾¹، فلفظ (مسهم) يدل على عدم التمكن بخلاف لفظ (أمسكهم أو أخذهم) وفيه دلالة على أن الشيطان يختلس من القلوب على حين غفلة ولا يستحوذ عليها كحال الكافرين وفي ذلك يقول ابن عطاء الله: «لم يقل: إذا أمسكهم، أو أخذهم؟ لأن المس ملامسة من غير تمكن، فأفادت هذه العبارة، أن طيف الهوى لا يتمكن من قلوبهم، بل يماسها مماسة، ولا يتمكن منها إمساكا ولا أخذا كما يصنع بالكافرين، لأن الشيطان يستحوذ على الكافرين، ويختلس اختلاسا من قلوب المؤمنين، حين تنام العقول الحارسة للقلوب، فإذا استيقظوا انبعثت من قلوبهم جيوش الاستغفار والذلة والافتقار إلى الله تعالى، فاسترجعوا من الشيطان ما اختلسه، وأخذوا منه ما افترسه»².
- قوله: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ من قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾³، ففرق بين الذكر والتذكر ولما كان طيف الشيطان يحوم على القلب ناسب أن يطرده التذكر لأن ميدانه القلب كذلك وفي ذلك يقول ابن عطاء الله: «... ولم يقل ذكروا، إشارة إلى أن الغفلة لا يطردها الذكر مع غفلة القلب، إنما يطردها التذكر والاعتبار، وإن لم تكن الأذكار،

¹ . سورة الأعراف الآية 201.

² . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 36.

³ . سورة الأعراف الآية 201.

لأن الذكر ميدانه اللسان، والتذكر ميدانه القلب. وطيف الهوى لما ورد إنما ورد على القلوب لا على الألسنة، فالذي ينفيه، إنما هو التذكر الذي يحل محله، وبمحق فعله»¹.

● قوله : ﴿طِيفُ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾²، فلفظ (طيف) على القراءة الأخرى³ يدل على عدم الاستقرار وإنما هو يمر على القلب ولا يتمكن منها وفي ذلك يقول ابن عطاء الله: « فالإشارة ها هنا بالطيف إلى أن الشيطان لا يمكنه أن يأتي إلى القلوب الدائمة اليقظة، لأنه إنما يرد طيف الغفلة والهوى على القلوب في حين منامها بوجود غفلتها، ومن لا نوم له فلا طيف يرد عليه»⁴.

● قوله: ﴿رَبِّكُمْ﴾ من قوله تعالى من الآية 54 من سورة الأنعام: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ﴾ فيقول: فإن قلت فما وجه اختصاص هذا الاسم ولم يقل "إلهكم" ولا "خالقكم"، فاعلم أن الرب هو المربي بالإحسان والمتودد لك بالامتنان، فكأنه يقول: الذي رباكم بالإحسان أولاً، هو الذي كتب على نفسه الرحمة آخراً، ليضم الإحسان إلى شكله، وليشفع الامتنان بمثله»⁵. ومن ثم يقرر ابن عطاء الله أن التعبير بلفظ الرب أنسب في هذا الموضع لشمول الخطاب كل المخلوقين.

2. الإعجاز من حيث التركيب:

بين ابن عطاء الله وجه الإعجاز في ترتيب الكلمات القرآنية والجمل مقدراً تراكيب أخرى، ليدل على دقة الأسلوب القرآني في الدلالة على المقصود، وفيما يلي أمثلة من تفسيره توضح ذلك :

● قوله تعالى: ﴿إِنِّي لِمَا أُنزِلَتْ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾⁶، يسط ابن عطاء الله القول في ذلك فيقول : « ولم يقل: (أني إلى الخير فقير)، وفي ذلك من الفائدة: أنه لو قال: (إني إلى خيرك

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 36.

² . سورة الأعراف الآية 201.

³ . القراءة الأخرى هي قراءة سبقت معنا في الفصل الأول عند الحديث عن مصادره.

⁴ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 36.

⁵ - ابن عطاء الله السكندري ، تفسير آية الأنعام ، باعتناء عاصم الكيالي ، ص 102.

⁶ . سورة القصص الآية 24.

أو الخير فقير)، لم يتضمن أنه قد أنزل رزقه، ولم يهمل أمره. فأتى بقوله: ﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، ليدل على أنه واثق بالله، عالم بالله لا ينساه، فكأنه يقول: رب إني أعلم أنك لا تهمل أمري، ولا أمر شيء مما خلقت، وإنك قد أنزلت رزقي، فسق لي ما أنزلت لي، كيف تشاء على ما تشاء محفوفا بإحسانك مقرونا بامتنانك، فكان في ذلك فائدتان: فائدة الطلب، وفائدة الاعتراف بأن الحق سبحانه وتعالى قد أنزل رزقه ولكنه أبهم وقته، وسببه وواسطته، ليقع اضطرار العبد، ومع الاضطرار تكون الإجابة، لقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾¹.

ولو تعين السبب والوقت والوسائط، لم يقع للعباد الاضطرار الذي وجوده عند إبهامهما، فسبحان الإله الحكيم، والقادر العليم²، إذا فالمقصود من سيدنا موسى إظهار الطلب والاعتراف لله بوجود الرزق وإنا الطلب ليتحقق الاضطرار من العبد، ولا يجمع ذلك إلا السياق القرآني بقوله: ﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

● قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً... ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ يبين ابن عطاء الله أن هذه الآية: «تساق لمدح المؤمنين»³ وذلك لتركيب ألفاظها فلم يقل: (والذين فعلوا الفاحشة) إذ لو قال ذلك لم يدخل فيها إلا أهل الاعتناء الأكبر⁴.

● وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ يبين ابن عطاء الله أن سياق هذه الآية يفهم منه المدح للمؤمنين لأنه: «مدحهم بالمغفرة بعد الغضب ولم يقل (والذين لا يغضبون) فيصفهم بفقدان الغضب أصلاً إذ الصفة التي هم متصفون بها لا تقتضي ذلك»⁵.
ذلك»⁵.

¹ . سورة النمل الآية 62.

² . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 64.

³ . ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المتن ، تحقيق : عبد الحليم محمود ، ص 25 . 26.

⁴ . المصدر نفسه.

⁵ . المصدر نفسه.

● وكذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾¹، يبين ابن عطاء الله أن سياق هذه الآية يفهم منه البشارة للمؤمنين « على وسع رحمته وسبوغ نعمته»²، لأنه: «علم أنهم قد يدخلون في الظلمات ولكن الله تعالى لولايته إياهم يتولى إخراجهم»³.

● ففي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾⁴، يبين ابن عطاء الله أن الآية دلت على هذه الأوصاف من الخلق والرزق والإماتة والإحياء وهي مما انفرد الله تعالى به ولكنها لم تسق لهذا وإنما سياقها كما يقول: «وسر الآية التي سيقى من أجله، إثبات الإلهية لله تعالى، كأن يقول: يا من يعبد غير الله، الله الذي خلقكم، ثم رزقكم، ثم يميتكم ثم يحييكم؟ فهل تجدون هذه الأوصاف لغيره؟ أم يمكن أن تكون لأحد من خلقه؟ فمن انفرد بها ينبغي أن يعترف بإلهيته، ويوحّد في ربوبيته»⁵، ودليل ابن عطاء الله أن الله تعالى: «قال بعد ذلك: ﴿هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِثْلَ مَا تَعْبُدُونَ﴾»⁶.

ثالثاً : بعض الأساليب وعلاقتها بالسياق:

من المعلوم أن اللغة العربية لها خصائصها الفريدة وسماتها المميزة، والتعبير العربي يحمل في طياته من الدقة والبراعة بحيث يختلف المعنى إذا قدمت الكلمة على أختها في النظم أو أخرتها عنها، كما أنها تختلف عن غيرها من اللغات في تكوين الجملة نفسها، كتقديم الفعل على الفاعل، والموصوف على الصفة، وغير ذلك مما يعرفه كل من يلم بلغة العرب وغيرها من اللغات الأدبية⁷، فمعجزة القرآن الكريم هي التعبير وما فيه من بلاغة وفصاحة لم يجر بها

¹ . سورة البقرة الآية 257.

² . ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، تحقيق: عبد الحليم محمود، ص 2526.

³ . المصدر نفسه.

⁴ . سورة الروم الآية 40.

⁵ . ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 71.

⁶ . المصدر نفسه.

¹ . فضل حسن عباس . محاضرات في علوم القرآن . دار النفائس عمان . الطبعة الأولى سنة 2007م . ص 44.

لسان أبلغ الناس وأفصحهم (وألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزيدته، وما عداها وهو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالنسبة إلى لبوب الحنطة)¹. وأساليب الخطاب القرآني من تقديم والتأخير، والحذف والذكر وغيرها من الموضوعات ذات المساس بالمفاهيم اللغوية والبلاغية.

أما ابن عطاء الله فقد وجدته يدقق النظر في النصوص القرآنية، وفي معانيها، من مختلف الجوانب ويعتمد في ذلك على السياق بأنواعه في بيانها، وما ينطوي عليه من دلالات، وذلك من خلال أمثلة قليلة مبثوثة في تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم، وسوف نورد مثالا لكل نوع من أساليب الخطاب التي وجدتها :

1. التقديم والتأخير وعلاقته بالسياق

يعدّ التقديم والتأخير في أسلوب القرآن الكريم أداة فعّالة لأداء هذا الأسلوب المعجز، فكل كلمة قدمت لسبب وأخرت أخرى لسبب، والتقديم والتأخير يعتمد على وضع الكلمات في سياقات مختلفة لبيان سبب التقديم والتأخير، ليخرج النص إلى أغراض دلالية متنوعة.

وأسلوب التقديم والتأخير من الموضوعات ذات الأهمية البالغة في العربية، ويستدل به للوقوف على المعنى الدلالي للنصوص القرآنية وفيما يلي أمثلة تبين وجوه التقديم والتأخير:

- تقديم اسم الجلالة : ينبه ابن عطاء الله على أن تقديم اسم الجلالة ﴿الله﴾ في ابتداء هذه النصوص القرآنية إنما هو للدلالة على أن كل اسم من أسمائه إن أظهره فهو صفة هذا الاسم ونعته، وإن أظهره بالهاء فهو عائد عليه وهو منه وإليه فانه لا يتم ذكره إلا بإظهار الهاء ، ونصوص الآيات هي :

- قال الله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

- قال تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَْ اللهِ حَدِيثاً﴾.

- قال تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

². السيوطي جلال الدين . المزهر في علوم اللغة ج 1 ص 201.

- قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرُكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾¹. وقال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾.

وفي ذلك يقول ابن عطاء الله: «فتنبه أيديك الله تعالى في هذه الآيات وفي أمثالها كيف ابتدأ فيها بذكر اسم الله، ونفي ما سواه، وإثباته إياه، فكل اسم من أسمائه إن أظهره فهو صفة هذا الاسم ونعته، وإن أظهره بالهاء فهو عائد عليه وهو منه وإليه فانه لا يتم ذكره إلا بإظهار الهاء وسيأتي ذكر ذلك والكلام على حروفه مبينا إن شاء الله تعالى»¹.

2. الذكر والحذف وعلاقته بالسياق :

تعددت أساليب اللغة العربية من تقديم وتأخير وذكر وحذف وغيرها ، وهذه تعد ثروة واسعة للغة العربية في ثرائها، وأسلوب الذكر والحذف من الأساليب التي تناولها علماء اللغة العربية والأصوليون في القرآن الكريم والنصوص الأدبية؛ لبيان المعنى المطلوب من زيادة في اللفظ ونقصان فيه، فالذكر: هو وجود كلمة على جهة التذكير في المعنى الذي يدل عليه. إن أسلوب الذكر والحذف في القرآن الكريم من الأساليب التي تحتاج إلى دراية كبيرة بلغة العرب من نحوٍ وصرف وبلاغة ودلالة، وهذا ما جمعه ابن عطاء الله ، فقد كان علمه واسعاً في اللغة من مختلف جوانبها، وقد وقف على أسلوب الذكر بشكل متميز، وأظهر كثيراً من المواقع التي أظهر فيها اللفظ وكان حقه الإضمار، إلى جانب تطرقه إلى الكثير من الأغراض الدلالية التي يخرج إليها أسلوب الذكر معتمداً على السياق في بيان هذه الأغراض. وقد وقف ابن عطاء الله في تفسيره للآيات القرآن الكريم على مواضع حسب ما فسره من الآيات وفيما يلي نورد أمثلة لذلك :

أ. أمثلة للذكر :

- اختصاص ذكر اسم الجلالة ﴿الله﴾ في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾¹ ، يبين ابن عطاء الله وجه إظهار اسم الجلالة في هذه الآية فيقول: «اختصاص اسم الله تعالى بالذكر في هذا الموطن دون ما سواه من الأسماء فقال : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولم يقل الرحمان ولا القهار ولا غير ذلك من الأسماء التي تتضمن

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد ، ص 37.

الأوصاف، لأنه أراد أن يعرفك بشمول ولايته لسائر المؤمنين من الاسم الجامع لجميع الأسماء ، فلو ذكر اسما من أسماء الأوصاف لكانت الولاية من حيثية ذلك الاسم»².

● ﴿رَزَاقٌ﴾ من قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ يقف ابن عطاء الله عند صيغة فعال ليدل على أن السياق الحامل للمعنى المراد يقتضى ذكر هذه الصيغة بالمبالغة لتعدد الرزق وتعداد أعيان المرزوقين فيقول: « اعلم أن مجيء هذه الصيغة على بقاء فعال يقتضي المبالغة فيما سيقت له، فرزاق ابلغ من رازق، لان فعال في باب المبالغة ابلغ من فاعل فيمكن أن تكون هذه المبالغة، لتعداد أعيان المرزوقين، ويمكن أن تكون لتعداد الرزق، ويحتمل أن يكون المراد هما جميعا»³.

● تذكر النعمة وقت البلية: يذكر ابن عطاء الله أن السياق القرآني في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾⁴ ، ذكّرهم بما أصابوا من السوابق التي توجب الاستسلام لكل ما يرد من الله وذلك وقت المصيبة ليخفف وطأتها عنهم فقال : « فسلاهم الحق فيما أصيبوا بما أصابوا؛ وهذا من العطايا السابقة ، وقد يقترن بالبلايا في حين ورودها، ما يخففها على العباد المقربين، من ذلك أن يكشف لهم عن عظيم الأجر الذي ادخره لهم في تلك البلية، ومنها ما ينزل على قلوبهم من الثبوت والسكينة، ومنها ما يورده عليهم من دقائق اللطف وتنزلات المنن»⁵.

ب . أمثلة للحذف:

● قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾⁶.

¹ . سورة البقرة الآية 257 .

² . ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن ، تحقيق :عبد الحليم محمود ، ص 2526.

³ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ص 71

⁴ . سورة آل عمران الآية 165

⁵ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 8

⁶ . سورة الأعراف الآية 201

يبين ابن عطاء الله أن متعلق فعل ﴿تَذَكَّرُوا﴾ حذف لفائدة تعدد مراتب التذكر فيقول: « قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ حذف متعلقة ولم يقل تذكروا الجنة، أو النار أو العقوبة، أو غير ذلك. وإنما حذف متعلق تذكروا لفائدة جليلة، ولذلك: أن التذكر الماحي لطيف الهوى من قلوب المتقين، على حسب مراتب اليقين ومرتبة التقوى، يدخل فيها الأنبياء والرسل والأولياء والصديقون والصالحون والمسلمون، فتقوى كل أحد (على حسب حاله ومقامه، وكذلك أيضا تذكر كل أحد) على حسب مقامه»¹.

ثم يقرر ابن عطاء الله أن الحذف أبلغ وأوجز من الذكر الذي لا ينحصر لأنواع المتذكرين فيقول: « فلو ذكر قسما من أقسام التذكر، لم يدخل فيه إلا أهل ذلك القسم. فلو قال تعالى: (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا العقوبة فإذا هم مبصرون، خرج عنه الذين تذكروا التوبة). ولو قال: (تذكروا سابق الإحسان) لخرج منه الذين تذكروا لواحق الامتنان إلى غير ذلك، فأراد الحق سبحانه وتعالى، أن لا يذكر متعلق التذكير ليشمل المراتب كلها فافهم »²، وهذا من وجوه الإعجاز القرآني.

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 33.

² . المصدر نفسه .

الفصل الرابع :

لغة التصوف الإشارية وتوظيفها في تفسير ابن عطاء الله.

تمهيد .

المبحث الأول: طبيعة اللغة الصوفية وفهم الخطاب القرآني .

المبحث الثاني : لغة التصوف الإشارية وعلاقتها بالتفسير .

المبحث الثالث: توظيف ابن عطاء للشواهد القرآنية .

تمهيد:

إن علم التصوف قد استقل بلغة خاصة هي لغة الذوق والرمز¹، فكما أن للمتكلمين مصطلحهم الكلامي، وللفقهاء مصطلحهم الفقهي، ولالأصوليين مصطلحهم الأصولي، فقد كان للصوفية مصطلحهم الصوفي، ثم إن إن التصوف ليس بديلا عن الكتاب والسنة بل هو مشيد بالكتاب والسنة كما قال الإمام الجنيد وإنما كشف التصوف عن عمق في الفهم لا تحتمله العبارات ولا تصلح له عموم العقول، ثم إن هذا الفهم الصوفي ليس من التكليف في شيء بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء يختص به من يشاء.

ومن ثم سوف نتعرض في هذا الفصل إلى طبيعة هذه اللغة الإشارية عموما، وتفرعات ذلك، وقصور العبارة عنها، ثم إلى امتلاك ابن عطاء الله لهذه اللغة الإشارية، وقدرته على فك إشكالاتها في تفسير نصوص القرآن ونصوص الحديث وما أشكل من أقوال أهلها. ثم إلى توظيفها من خلال مبدأ إسقاط التدبير، ومصنف "الحكم العطائية" وذلك في ثلاثة مباحث:

¹ . محمد بن بركة . موسوعة الطرق الصوفية الإيضاح والبيان لمصطلح أهل العرفان . الطبعة الأولى . دار الحكمة الجزائر . سنة

2007م ، ج 1 ص 63.

المبحث الأول:

طبيعة اللغة الصوفية وفهم الخطاب القرآني .

المطلب الأول : مسائل في طبيعة اللغة الصوفية .

المطلب الثاني : مسائل في الفهم العميق لخطاب القرآني .

المطلب الثالث : الفهم الإشاري للنصوص وشرحه .

المطلب الأول :

مسائل في طبيعة اللغة الصوفية .

1. قصور اللغة عن حمل المعرفة الصوفية .
2. تفاوت الدلالة حسب الفهم .
3. المسموع واحد وتعدد أفهام السامعين .
4. قد يفهم من اللفظ عكس قصد المتكلم .
5. إنشاء معجم مصطلحات الصوفية .

1. قصور اللغة عن حمل المعرفة الصوفية:

تتضمن اللغة الصوفية المصطلح الصوفي والشطح والرمز والحرف والحكمة والتفسير ولكن التعقيد هو سميتها¹ لطبيعتها الذوقية .

يقول أبو العلا العفيفي : (إن لغة المنطق قاصرة عن أن تعبر على تلك المعاني الذوقية التي يدركها الصوفي في أحوال وجدده فليس لديه إلا لغة الإشارة والرمز ولغة الخيال والعاطفة يومي بها إيماء إلى تلك المعاني التي لا يدركها على حقيقتها إلا من ذاق مذاق القوم وجرب أحوالهم)² . فالمعرفة الصوفية موضوعها هو الذات الإلهية من حيث صفاتها وأسمائها وأفعالها، ومن ثم فإن معرفة وجود الله تعالى تقصر دونه مدارك البشر سواء حساً أم عقلاً أم قلباً، لأنها مدارك محدودة، ولذا قال ابن عطاء الله : « أن المعرفة بالله أعسر المعارف، و إدراك موضوعها على التحقيق من الأمور التي يقصر دونها البشر»³ .

وبهذا يقطع ابن عطاء الله أن المعرفة الصوفية من حيث الموضوع أشد ما تكون غموضاً، ولا يمكن الوصول إلى شيء من التفصيل في ذلك، ما لم يتأت بسلوك طريق التصوف وذلك لخصوصيات منها:

- الحقائق التي تنكشف للصوفي في خلواته حقائق فردية، لا يمكن بحال أن تتصف بالعموم والتكرار، مما يجعل لصاحبها سبق والفضل فيما لمع له من الدرر التعرف على الذات الإلهية.
- ما يتحدث عنه الصوفي من المعارف يكون بلغة الرمز والإشارة، لعدم وفاء الألفاظ للمعاني العادية فضلاً عن حقيقة معارف الصوفي، لما تسربت به من الحجب عن إدراك مدلولاتها.
- يغلب على عبارة الصوفي الإبهام والتعقيد، مما يتعذر على الإنسان العادي أن يشارك الصوفي في تذوق ما يعبر عنه من معارف ولو شيء من التفصيل.
- الكشفيات والذوقيات غير قابلة للعبارة والإشارة والسؤال والجواب، فمن عرف الله على سبيل المشاهدة والذوق كلّ لسانه عن العبارة والإشارة⁴ .

¹ . محمد بن بريكة ، موسوعة الطرق الصوفية الإيضاح والبيان لمصطلح أهل العرفان ، ج 1 ص 71.

² . أبو العلا عفيفي ، مقدمة فصوص الحكم لابن عربي ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1980 ، ج 1 ص 53.

³ - ابن عطاء الله ، القصد المجرّد في معرفة الاسم المفرد ، ص 38.

⁴ - سيد حيدر آملي ، جامع الأنوار ومنبع الأسرار ، تحقيق: عثمان إسماعيل علمي ، طبعة طهران سنة 1969م، ص 29.

— الألفاظ لا تحمل المعاني: ومن ثم فإن اللغة عاجزة بألفاظها أن تحمل المعاني التي يفهمها أهل التحقيق، وما أودع الكتب منها إنما هي قطرات من بحور ويؤكد ذلك ابن عطاء الله بما سمعه من شيخه فيقول: « ولقد سمعت شيخنا أبا العباس المرسي رضي الله تعالى عنه يقول: جميع ما في كتب القوم عبرات من سواحل بحر التحقيق »¹.

ويؤكد ابن عطاء الله أن الصوفية لا يحرصون على تأليف الكتب بل يشتغلون بتربية الرجال فقد سئل شيخه أبو الحسن الشاذلي: « فقليل له : لم لا تضع كتابا في الدلالة على الله تعالى وكتب القوم ؟ فقال رضي الله تعالى عنه : كتيي أصحابي »²، وكذلك أبو العباس المرسي لم يضع كتابا في ذلك، ويعلل ابن عطاء الله ذلك فيقول: « والسبب في ذلك أن علوم هذه الطائفة علوم التحقيق، وهي لا تحملها عقول عموم الخلق »³، وحقا ما يقول ابن عطاء الله فقد وجدنا من ألفوا كتباً في هذا الشأن كالحلاج ومحي الدين بن عربي وعبد الكريم الجيلي وغيرهم، لم تبلغ العقول عمق فهمها حتى من العلماء، فلجأ بعضهم إلى تأويل عباراتهم، وذهب بعضهم إلى رميهم بالزندقة، فهذا الشيخ "عبد العزيز الدباغ" صاحب كتاب "الإبريز" وهو مجموعة من المسائل التي طرحها عليه تلميذه العالم "أحمد بن المبارك" فأجابه بما كشف له وعلى قدر ما تحتمله العبارة وأحيانا يقول له: (هذا ما يمكن التعبير عنه ولا أدري كيف أخبر عنها)⁴. فهو يلوح بالإشارة ويكتنز العبارة صونا للمعارف خشية أن تبتذل، وقوفا عند قوله صلى الله عليه وسلم : (خاطبوا الناس على قدر عقولهم).

2. تفاوت الدلالة حسب الفهم:

أ. معنى الفهم :

يقرر ابن عطاء الله أن وجود العبارة من نعم الله على عباده، ويقصد بالعبارة اللغة التي يتخاطب بها الناس، غير أنه يقرر مع ذلك أن الفهم يتفاوت فيه المخاطبون على درجات كبيرة

1. ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص 67.

2 . المصدر نفسه ، ص 6

3 . المصدر نفسه .

4 . أحمد بن المبارك . الإبريز من كلام العارف بالله تعالى سيدي عبد العزيز الدباغ . ضبطه وصححه عاصم إبراهيم الكيالي .

الطبعة الأولى . دار الكتب العلمية بيروت . سنة 2006م ، ص 153 .

على حسب الاستعداد، فهناك فهم سطحي وفهم عميق يتفاوت فيه المخاطبون وخاصة كلام أولياء الله تعالى، لأنهم ورثة النبوة ومن مظاهرها جوامع الكلم، ثم إن الولي لا يتكلم إلا بإذن ولذلك ينفذ كلامه وتحلو في الأسماع عبارته و في ذلك قول ابن عطاء الله: «من أجل مواهب الله لأوليائه وجود العبارة، ويجب أن يفهم أن من أذن له في التعبير تهيأت في مسامع الخلق عبارته وحليت لديهم إشارته»¹، فعلى قدر التنوير يكون التعبير.

«فأهل الفهم أخذوا عن الله وتوكلوا عليه فكانوا بمعونته لهم فكفاهم ما أهمهم وصرف عنهم ما أغمهم، واشتغلوا بما أمرهم عما ضمن لهم، علما منهم بأنه لا يكلهم إلى غيره ولا يمنعهم من فضله، فدخلوا في الراحة، ووقفوا في جنة التسليم، ولذاذة التفويض، فرفع الله بذلك مقدارهم وكمل أنوارهم»²، يقينا منهم أن باب المنة لا يقف عليه أحد، فلا تراهم يستعجلون ما أجل ولا يستبطئون ما أخر لقوله صلى الله عليه وسلم : (لا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فإن الله لا يعجل بعجلة أحدكم).

ب. أثر الفهم :

للفهم السليم والعميق أثر في حمل الأعباء والتخفيف من أثقال التكاليف، وإنما يتعب الناس أو يرتاحون حسب فهمهم، وفي ذلك يقول ابن عطاء الله : «التاسع : وهو "إنما قواهم على حمل أثقال التكاليف، ورود أسرار التصريف" : وذلك : لأن التكاليف شاقة على العباد، ويدخل في ذلك امتثال الأوامر، والانكفاف عن الزواجر، والصبر على الأحكام، والشكر عند وجود الأنعام. فهي إذن أربعة: طاعة، ومعصية، ونعمة، وبلية. وهي أربع لا خامس لها: والله عليك في كل واحدة من هذه الأربع عبودية يقتضيها منك بحكم الربوبية.

فحقه عليك في الطاعة: شهود المنة منه عليك فيها.

وحقه عليك في المعصية: الاستغفار لما ضيعت فيها.

وحقه عليك في البلية: الصبر معه عليها.

وحقه عليك في النعمة: وجود الشكر منك فيها.

¹. ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن ، تحقيق :عبد الحليم محمود ، ص 37.

². ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، ص 33.

ويحمل عنك أعباء ذلك كله: الفهم. وإذا فهمت أن الطاعة راجعة إليك وعائدة بالجدوى عليك، صبرك ذلك على القيام بها. وإذا علمت أن الإصرار على المعصية والدخول فيها، يوجب العقوبة من الله آجلاً، وانكشف نور الإيمان عاجلاً، كان ذلك سبباً للترك منك لها. وإذا علمت أن الصبر تعود عليك ثمرته، وتنعطف عليه بركته، سارعت إليه، وعولت عليه. وإذا علمت أن الشكر يتضمن المزيد من الله لقوله تعالى: ﴿وَلئن شكرتم لأزيدنكم﴾، كان ذلك سبباً لمثابرتك عليه، ونهوضك إليه¹. فيؤكد ابن عطاء الله الركن الخامس من أركان الإيمان المتمثل في الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، سعيه منه إلى ترشيد العقول واستنارتها بما يعود عليها من النفع الدنيوي من راحة القلب وعدم منازعة القدر، ومن ثم عول أهل القرب على الإحاطة بمخادع ودسائس الشيطان، الكامنة في بواطن الناس على اختلاف مراتبهم وعلومهم خشية الاحتجاب عن الحق، رفعا لهمم السائرين إلى الله، راجين بذلك صرف القلوب إلى الله تعالى، ابتغاء الفهم عنه.

ج. لكل قوم ما فهموا:

يبين ابن عطاء الله أن الخاصة² إذا سمعوا لفظ ﴿هو﴾ لم يسبق إلى فهمهم غير ذكر الحق تعالى، لغلبة شهوده في قلوبهم فيقول: «فإن ذكر ﴿هو﴾ عندهم لم يسبق منه إلى فهمهم غير ذكر الحق فيكتفون به عن بيان كل ما يتلوه، وذلك لتمكن معرفتهم، وسعة علمهم، وقوة إدراك فهمهم، واستكمالهم في حقائق القرب، واختصاصهم بصفاء ضمائر القلب واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم، واستغراقهم بإفراد الاسم المفرد في أذكارهم»³. يستفيد ابن عطاء الله من المخارج الصوتية في لفظ ﴿هو﴾، ومن صفات حرف ﴿هاء﴾، فيقول: «فإن هجاء ﴿هـ﴾ إذا مكنت الضمة من الهاء حرفان: ﴿هاء﴾ و﴿واو﴾. فالهاء تخرج من أقصى الحلق، وهي من حروفه، والواو تخرج من الشفة، فهو مجموع بين ابتداء أول المخارج وانتهاء آخرها، وفي ذلك إشارة إلى إثبات وجود موجود معلوم، الذي هو ضد النفي المعدوم.

¹. ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 09.

². الخاصة هم علماء الطريقة (أي طريقة تركية النفس وتطهير القلب)، وخاصة الخاصة هم علماء الحقيقة (أي علماء الشهود والعيان). عاصم إبراهيم الكيالي، فهرس بشرح مصطلحات الصوفية عند ابن عطاء الله السكندري، مطبوع في آخر اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية للمؤلف نفسه، ص 159.

³. ابن عطاء الله السكندري، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد، ص 54.

وتنبية إلى ابتداء كل حادث منه، وانتهائه إليه، وليس له هو ابتداء، والهاء من حروف الحلق التي لا تنطبق عليها اللهوات ولا تنضم عليها الشفتان»¹.

فتراه يشير إلى أن لفظ ﴿هو﴾، الذي يفهم منه الخاصة أنه يدل على الله تعالى ولا يفهمون منه غير هذه الدلالة إنما ركب من حرفين أحدهما ابتداء المخارج ﴿الهاء﴾ وآخرهما انتهاء المخارج ﴿الواو﴾ وقد جمع ما بينهما من الحروف وما تتركب منه أي جمع دلالة اللغة المركبة من هذه الحروف، وفي صفة ﴿الهاء﴾ إشارة أخرى، هي أنها لا تنطبق عليها اللهاة ولا تضم عليها الشفتان، مما يدل على إطلاقها وعدم حدوديتها، ودليل ذلك قول ابن أبي زيد : (ليس لأوليته ابتداء ولا لأخريته انتهاء، فهو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية)²، قال تعالى : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾³. فعلمنا ﴿أنه إله إلا هو﴾ وتمت لهؤلاء الحيازة بهذا اللفظ فتعاطوه مع الأنفاس فساق لهم أنفس التجليات.

¹ . المصدر نفسه.

² . ابن أبي زيد القيرواني . الرسالة الفقهية . مؤسسة الرسالة . سنة 2005م ، ص 06.

³ . سورة الحديد الآية 3.

3 . المسموع واحد وتعدد أفهام السامعين :

يؤكد ابن عطاء الله أن تعدد الفهوم من مسموع واحد واقع تبعا لاستعداد السامع فيقول : « ويكفيك في هذا أن ثلاثة سمعوا مناديا يقول : (آ يا ساع تري بري) ، ففهم كل منهم عن آلة مخاطبة خوطب بها في سره، فسمع واحد : (اسع ترى بري)، وسمع الآخر : (الساعة ترى بري)، وسمع الآخر : (ما أوسع بري)، فالمسموع واحد واختلفت أفهام السامعين ، كما قال سبحانه: ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ كُلُّ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ﴾¹ ، وقال سبحانه: ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴾² »³.

ف نجد ابن عطاء الله يوظف ذلك المعنى الحسي المفهوم من الآية وهو سقي نفس نوع الشجر بنفس نوع الماء ومع ذلك تتفاضل في الطعم، والآية الثانية التي تدل أن المخاطب يستند في فهم الخطاب إلى مرجعية سابقة له في تكوينه، وإلا أبهم الخطاب في فهمه حتى يتوقف، ثم يفسر ابن عطاء الله في المثال السابق وجه تعدد الفهم لدى السامعين مع أن المسموع واحد فيقول: « فأما الذي سمع (اسع ترى بري) فمريد دل على النهوض إلى الله بالأعمال ليستقبل الطريق بالجد، وقيل له: (اسع إلينا بصدق المعاملة ترى برنا بوجود المواصله)، وأما من سمع (الساعة ترى بري) على قلبه لما أحرقت نار الشغف، وأما الآخر فعارف كشف له عن واسع الكرم، فخوطب من حيث يشهد فسمع (ما أوسع بري) »⁴. وهذا ما ساقه الاتساع وشمول الرحمة، مما أدى بهؤلاء إلى معاينة فضل الله، ومشاهدة ما تجلّى لهم من الفهم عنه.

4 . قد يفهم من اللفظ عكس قصد المتكلم :

يوصل ابن عطاء الله تلك الفكرة القاضية بأن الخطاب يفهم من سامعه على حسب استعداد ومرتبة السامع، وقد يخالف فهم السامع قصد المتكلم وفيما يلي مثالين لذلك :

¹ . سورة الرعد الآية 4.

² . سورة البقرة الآية 60.

³ . ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص 109.110

⁴ . المصدر نفسه.

المثال الأول : قوله « وربما فهموا من اللفظ ضد ما قصده واضعه، كما أخبرنا الشيخ الإمام مفتي الأنام تقي الدين محمد بن علي القشيري، قال : كان ببغداد فقيه يقال له ابن الجوزي يقرأ اثني عشر علما فخرج يوما قاصدا إلى المدرسة فسمع منشدا ينشد شعرا من البحر الوافر:

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الوقت عن الصغار

فخرج هائما على وجهه حتى أتى مكة، فلم يزل مجاورا بها حتى مات ¹.

المثال الثاني : قوله « قرئ على الشيخ مكين الدين الأسمر قول القائل من البحر البسيط:

لو كان لي مسعد بالراح يسعدني لما انتظرت بشرب الراح إفطارا

الراح شيء شريف أنت شاربه فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا

يا من يلوم على صهباء صافية كن في الجنان ودعني أسكن النار

فقال إنسان هناك : لا يجوز قراءة هذه الأبيات، فقال الشيخ مكين الدين ² للقارئ : اقرأ هذا رجل محجوب ³.

ففي المثال الأول صاحب الأبيات مدمن خمر عاجله قدوم رمضان، فأوصى نفسه

بمضاعفة الشراب في العشر الأخيرة من شعبان، لكن ابن الجوزي لما سمع الأبيات فهم أن العمر

كاد أن ينقضي فعليه بمضاعفة العبادة خشية حلول الأجل وهذا عكس قصد صاحب الأبيات،

وأما المثال الثاني فصاحب الأبيات شارب خمر يهزأ بمن أنكر عليه ويرد علي من يلومه في شربها

بأن الخمر صهباء صافية وإن لم تقبل فاسكن الجنان التي تدعيها ودع شارب الخمر يسكن النار،

لكن الشيخ مكين الدين فهم عكس هذا، ففهم أن شرب خمر المحبة الإلهية لا لوم فيها، ومن يلوم

فله ما يدعيه من الجنان وهي الراحة وليدع صاحب المحبة يصلّي نارها، ولهذا نهر من ابتدره

بالاعتراض على ظاهر الألفاظ لا على المعنى، جهلا منه بتعدد معاني الكلام حسب الفهوم،

فحجبه ظاهر اللفظ عن باطنه.

5. إنشاء معجم اصطلاحات الصوفية :

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص 109 .

² . مكين الدين الأسمر : هو من تلامذة أبي الحسن الشاذلي .

³ . ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص 109 .

وضع أئمة التصوف تعريفات لمصطلحاتهم، لتقريب معناها لمن جاء بعدهم، فهي وإن كانت محصلة تجربة ذوقية ذاتية فإنها ليست مستعصية على العقل بإطلاق¹، وهذا ما فعله جماعة من الصوفية في كتبهم كـ"القشيري" و"أبي حامد الغزالي" و"محيي الدين بن عربي"، فقد خصصوا فصولا لشرح الدلالة العلمية لمصطلحاتهم، وأمست تلك المصطلحات سمة علم التصوف فإذا وجدت ألفاظا مثل : (السلوك والجذب والحال والمقام والمحو والفناء والبقاء....) فإنك في محور علم التصوف²، وقد ذكر "القشيري" غايتين لهذا الاصطلاح الصوفي هما³ :

. الكشف عن المعاني الخاصة .

. وستر الحقيقة الصوفية عن غير أهل التصوف.

ولقد ظهرت معاجم متخصصة تعني بالمصطلح الصوفي، منها "المعجم الصوفي" لـ "سعاد الحكيم"، وقد قصرته على المصطلح الصوفي عند الشيخ "محيي الدين بن عربي" فلم يتعداه إلى غيره، ومنها "الموسوعة الصوفية" لـ "عبد المنعم الحفني"، (وفيها ما يفيد الباحث العلمي المتخصص)⁴، وآخرها صدورا الجزء الأول والثاني من "موسوعة الطرق الصوفية" بعنوان "الإيضاح والبيان لمصطلح أهل العرفان : المعجم الصغير" لـ "محمد بن بريكة" وقد قسمها إلى ثلاث أنواع فقال: (أجديني أمام ثلاثة ألوان من المصطلحات: البسيط والمتقابل والعرفاني الخاص، أشرحها فيما يستقبل من الصفحات)⁵ .

وأفرد "عاصم إبراهيم الكيالي" بعد شرحه لثلاثين حكمة مختارة من حكم "ابن عطاء الله السكندري" فهرسا لمصطلحات الصوفية عند ابن عطاء الله مرتبة حسب حروف المعجم تبعا

¹ . محمد بن بريكة ، موسوعة الطرق الصوفية الإيضاح والبيان لمصطلح أهل العرفان ، ج 1 ص 88.

² . محمد بن بريكة ، موسوعة الطرق الصوفية الإيضاح والبيان لمصطلح أهل العرفان، دار الحكمة الجزائر 2007 ، ج 1 ص 88.

³ . القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة (ت 465هـ) . الرسالة القشيرية في علم التصوف . دار السلام القاهرة . الطبعة الثانية 1423هـ - 2003م ، ص 31.

⁴ . محمد بن بريكة ، موسوعة الطرق الصوفية الإيضاح والبيان لمصطلح أهل العرفان ، ج 1 ص 89.

⁵ . المرجع نفسه ، ج 1 ص 92.

لورودها في الحكم¹، أخذها من مصادر ومعاجم التصوف المختلفة، منها "لطائف الإعلام" و"التعرف لمذهب التصوف" و"جامع الأصول في الأولياء" وغيرها.

¹ . عاصم إبراهيم الكيالي . اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري ، من ص 135 إلى ص 200 .

المطلب الثاني :

مسائل في الفهم العميق للخطاب القرآني .

- 1 . تفاوت الناس في فهم الخطاب .
- 2 . عمق الفهم في النص القرآني .
- 3 . أهل المعرفة يفهمون الخطاب القرآني بمجموعه .

1. تفاوت الناس في فهم الخطاب :

يؤكد ابن عطاء الله أن التفاوت في الفهم واقع في نصوص القرآن الكريم، فالنص واحد والفهم يتفاوت وربما يتعكس، ويضرب لذلك أمثلة في الجليل الأول الذي تلقى القرآن وهم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وفيما يلي تفصيل ذلك :

• المثال الأول : قوله تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ، فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾¹ ، وعن ابن عطاء الله : « فهذه الآية سرت أقواما، وأخجلت آخرين. أما الذين سرتهم: فهم في المقام الأول إذ يزيد بها إيمانهم، ويرسخ بها إيمانهم فينتصروا بها على وساوس الشيطان، وشكوك النفس .

وأما الذين أخجلتهم: فإنهم علموا أن الحق سبحانه وتعالى علم منهم عدم الثقة، ووجود الاضطراب فأقامهم مقام أهل الشك، فأقسم لهم فأخجلهم ذلك حياء منه، وذلك مما أفادهم الفهم عنه»²، ثم يقرر ابن عطاء الله مبدأ تفاضل الأفهام حسب واردات الإلهام فيقول: « ورب شيء واحد أوجب سرور أقوام وحزن آخرين، على حسب تفاضل الإفهام، وواردات الإلهام»³، ومعنى واردات الإلهام ما يفتح الله لعبده من فتوح الغيب .

• المثال الثاني : قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾⁴، يثبت ابن عطاء الله أن هذه الآية فرح بها الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وحزن بها أبو بكر رضي الله عنه، لأنه فهم منها نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكى وأخذ من ذلك أن الشيء إذا استتم خيف عليه من التراجع إلى وجود النقصان⁵.

ثم يعلل ابن عطاء الله سبب هذا الفهم النافذ عند أبي بكر لسر وقر في قلبه اختصه الله به فيقول: « واعلم أن الأمر لا يتناقض ما دام الرسول صلى الله عليه وسلم حياً، وفرح الصحابة رضي الله عنهم أجمعين لظاهر البشارة التي فيها، ولم ينفذوا إلى ما نفذ إليه أبو بكر رضي الله عنه،

¹ . سورة الذاريات الآية 22 . 23 .

² - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 82 .

³ - المصدر نفسه .

⁴ . سورة المائدة الآية 3

⁵ - المصدر نفسه .

فظهر لذلك سر قوله صلى الله عليه وسلم: (ما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره)¹، والذي كان سابقاً هو بعينه الذي أوجب أن يفهم ما لم يفهم غيره².

● المثال الثالث : قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾³، في هذه الآية يثبت ابن عطاء الله أن فهمها اسبشر به قوم، وخجل منه آخرون، من خلال ما سمعه من الشيخ المرجاني فيقول: «وسمعت الشيخ أبا محمد المرجاني رحمه الله يقول: (قوم سمعوا هذه الآية الكريمة، فاستبشروا بهذه المبايعة، فابيضت وجوههم سرورا بها، إذ أهلهم الحق أن يشتري منهم، وإذ أجل أقدارهم، إذ رضيهم للشراء، وسرورا بالثمن الجليل، والثواب الجزيل. وقوم اصفرت وجوههم خجلا من الله تعالى، إذ اشتري منهم ما هو مالكة، فلولا أنه علم منهم وجود الدعوى الكامنة في أنفسهم ودعوى المالكية منهم لها، لما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾. فكان للذين ابيضت وجوههم جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وكان للذين اصفرت وجوههم جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما)، ثم يتابع ابن عطاء الله تأييد كلام الشيخ المرجاني فيبين وجه استثناء الأنبياء والمرسلين من عقد الشراء قائلا: «فلو سلم المؤمنون من بقايا المنازعة، ما أوقع عليهم مبايعة ولذلك قال الله تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين....) ولم يقل: من الأنبياء والمرسلين»⁴.

ثم يستشهد بتقسيم الشيخ الشاذلي للنفوس من حيث وقوع عقد الشراء عليها فيقول: «ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: النفوس على ثلاثة أقسام نفس لا تشتري لحستها، ونفس تشتري لكرامتها، ونفس لا يقع عليها الشراء لثبوت حريتها. فالأولى: نفوس الكافرين، لا يقع عليها الشراء لحستها. والثاني: نفوس المؤمنين، وقع عليها الشراء لكرامتها.

¹ - هذا الحديث ذكره عبد الرؤوف المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير عند تعرضه للحديث رقم 4821: (السلطان

العادل المتواضع ظل الله ورحمه في الأرض يرفع له عمل سبعين صديقا) ج 4 ص 190.

² - ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 82.

³ . سورة التوبة الآية 111.

⁴ - المصدر نفسه.

والثالث: نفوس الأنبياء والمرسلين، لم يقع عليها الشراء لثبوت حريتها»¹. فظهر من هذه الأمثلة تأكيد ابن عطاء الله على خاصية الفهم عند كل واحد، حسب درجته.

2. عمق الفهم في النص القرآني:

لا يقصد بالفهم هنا سطحي المعنى وفك ألفاظ الخطاب، بل يراد بذلك عمق المعنى، ولا يستند فيه إلى العقل وحده بل إلى الإيمان وقوة نوره في القلب، وفيما يلي نتبين عمق النص القرآني:

يؤكد ابن عطاء الله أن الفهم عن الله تعالى، اختصاص من الله تعالى، فيقول مترجماً ذلك بلغة المناجاة من الحق تعالى لعبده: «أيها العبد: أمرتك بخدمتي، وضمنت لك قسمتي، فأهملت ما أمرت وشككت فيما ضمننت، ولم أكتف لك بالضمان حتى أقسمت ولم أكتف بالقسم حتى مثلت، وخاطبت عبدا يفهمون، فقلت: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ، فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَا أَنتُمْ تَنطِقُونَ﴾»².

ولقد اكتفى بوصفي العارفون، واحتال على كرمي الموقنون، فلو لم يكن وعدي لعلمو أنني لا أقطع عنهم واردات رفدي، ولو لم يكن ضماني لوثقوا بوجود إحساني، وقد رزقت من غفل عني وعصاني، فكيف لا أرزق من أطاعني ورعاني؟»³، فمحل الشاهد في كلام ابن عطاء الله قوله: «وخاطبت عبدا يفهمون فقلت»، مما يدل على أن الخطاب القرآني موجه لأهل الفهم عن الله وهذا ما دلت عليه نصوص أخرى منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾⁴، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾⁵، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُونَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾⁶، وقوله تعالى: ﴿ولو ردوه الله وإلى الرسول لعلمه الذين يسنبطونه منهم﴾ وغيرها.

3. أهل المعرفة يفهمون الخطاب القرآني بمجموعه:

¹ - ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 82.

² - سورة الذاريات الآية 22-23.

³ - المصدر نفسه، ص 122.

⁴ - سورة الرعد الآية 4.

⁵ - سورة العنكبوت الآية 43.

⁶ - سورة البقرة الآية 197.

يقرر ابن عطاء الله أن أهل الفهم يتعلمون من خلال فهمهم الصحيح للآيات الطريق الموصل إلى رضا الله في كل ما ينزل بهم، ويضرب مثلاً بقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾، فيقول: «اعلم أن الآية علمت أهل الفهم عن الله، كيف يتطلبون رزقه، فإذا توقفت عليهم أسباب المعيشة أكثروا من الخدمة والموافقة، لأن هذه الآية دلّتهم على ذلك، فجاء الوعد بالرزق بعد أمرين: أحدهما: أمر الأهل بالصلاة، والآخر: الاصطبار عليها، ثم بعد ذلك قال ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾، ففهم أهل المعرفة بالله، أنه إذا توقفت عليهم أسباب المعيشة، قرعوا باب الرزق بمعاملة الرزاق، لا كأهل الغفلة والعمى إذا توقفت عليهم أسباب الدنيا، ازدادوا كدحاً فيها، وتحافتا فيها، بقلوب غافلة، وعقول عن الله ذاهلة»¹.

ثم يتابع ابن عطاء الله الاستدلال لما فهمه أهل المعرفة بنصوص أخرى من القرآن تؤيد فهمهم فيقول: «وكيف لا يكون أهل الفهم عن الله تعالى كذلك، وقد سمعوا الله تعالى يقول: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، فعلموا أن باب الرزق طاعة الرزاق، فكيف يطلب منه رزقه بمعصيته، أم كيف يستمطر فضله بمخالفته؟ وقد قال عليه الصلاة والسلام: (إنه لا ينال ما عند الله بالسخط)²، أي لا يطلب رزقه إلا بالموافقة له، وقال سبحانه وتعالى مبيناً لذلك: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾³، وقال تعالى: ﴿وَأَلِّوْا اسْتِقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾⁴.

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن التقوى مفتاح الرزقين: رزق الدنيا ورزق الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾⁵، فبين فبين سبحانه وتعالى أنهم لو أقاموا التوراة والإنجيل، أي عملوا بما فيهما لأكلوا من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، أي لوسعنا عليهم أرزاقهم وأدمننا عليهم إنفاقنا، لكنهم لم يفعلوا ما نحب، فلأجل ذلك لم نفعل بهم ما يحبون⁶. ومن هنا اتضح أن فهم هذه الطائفة من الناس لكلام الله تعالى

¹ . المصدر نفسه ، ص 76.

² . الحديث لم أجده فيما توفر لدي من المتون والشرح والمسانيد والزوائد .

³ . سورة الطلاق الآية 32.

⁴ . سورة الجن الآية 16.

⁵ . سورة المائدة الآية 65. 66.

⁶ . المصدر نفسه ، ص 76.

الفصل الرابع : لغة التصوف الإشارية وتوظيفها في تفسير ابن عطاء الله

متمثلا في صلتهم بالصلاة، فكانت هي وسيلة العبور التي يجتازون بها كل العقبات من هم في الرزق وسقم في البدن وغيره.

المطلب الثالث :

الفهم الإشاري للنصوص .

1. الفهم الإشاري للنص القرآني يفتح لبعض الناس دون بعض .
2. ضرورة شرح ما أشكل من أقوال العارفين .
3. الفقه الحقيقي هو الفهم الصحيح العميق .
4. فهم النص القرآني بالنور .

1. الفهم الإشاري للنص القرآني يفتح لبعض الناس دون بعض

أورد ابن عطاء الله أن الفهم العميق قد يفتح لبعض الناس دون بعض، واستدل بما فهمه الأعرابي من قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ، فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلٍ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ﴾¹، فقال مترجماً لمعنى الآية: «أي يا هذا المتطلع للرزق من المخلوق الضعيف العاجز في الأرض ليس رزقك عنده وإنما رزقك عندي وأنا الملك القادر، ولأجل هذا إنه لما سمع بعض الأعراب هذه الآية، نحر ناقته، وخرج فاراً إلى الله تعالى وهو يقول: (سبحان الله، رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض).

فانظر رحمك الله كيف فهم عن الله أن مراده بهذه الآية، أن يدفع هم عباده إليه، وأن تكون رغبتهم فيما لديه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾²، فامتاز هذا الأعرابي بفهم عميق في الآية فتح له واحتص به، فأثمر هذا الفتح عنده مسارعة في البذل .

2. ضرورة شرح ما أشكل من أقوال العارفين :

لقد وجد من العارفين من كان مترجماً للغة الإشارة إلى لغة العبارة، تقريباً للأفهام ودفعاً لسوء الظن بأهل الإشارة، ودفاعاً عما يتوهم إنكاره مما يفهم من ظاهر الألفاظ، فقد عقد القشيري في رسالته فصلاً يبين فيه ما أشكل فهمه، وتصدى "عبد الوهاب الشعرائي" لبيان ما أشكل من تأليف "محي الدين بن عربي"، وهذا ما وجدت ابن عطاء الله يضمّنه كتابه "لطائف المنن" أثناء ترجمته لمناقب شيخه "أبي العباس المرسى"، إذ عقد فصلاً يبسط فيها ما أشكل فهمه من كلام "أبي العباس المرسى" في القرآن والحديث وكلام أهل الحقائق فقال: «فإني قصد أن أذكر فيه جملاً من فضائل سيدنا... أبي العباس المرسى... وما قاله في تفسير آية من كلام الله عز وجل، وإظهار لمعنى خبر نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلام على حقيقة نقلت عن أحد من أهل الطريق، وأشكل معناها ولم يفهم مغزاها»³.

¹ . سورة الذاريات الآية 2322.

² . المصدر نفسه ، ص 79.

³ . ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص 6.

وقد رتب ذلك في أبواب بعناوينها فقال:

«الباب الخامس : في آيات من كتاب الله تعالى تكلم على تبين معناها وإظهار فحواها .

الباب السادس: فيما فسر من الأحاديث النبوية وإبداء أسرار فيها على مذهب أهل الخصوصية.

الباب السابع : في تفسيره لما أشكل من كلام أهل الحقائق، وحمله لذلك على أجمل الطرائق»¹.

وهذا إنما يدل على عمق الخطاب وتعدد معانيه عند أهل التصوف، فاحتاج العامة إلى

مترجم عنهم ومستدل لهم بنصوص الشريعة، ذلك أن كلامهم مستمد من نور القرآن ونور النبوة،

من خزان الله التي لا تنفذ، وما اتخذ الله وليا إلا علمه.

3. الفقه الحقيقي هو الفهم العميق الصحيح:

ينطلق ابن عطاء الله من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ

مِنْهُمْ مِّن رَّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾²، ليؤسس للفهم

الصحيح الذي هو حق الله تعالى على العباد أن يعبدوه ويوحدوه، وهو سر الخلق والإيجاد،

ويضرب لذلك مثالا بحال إبراهيم بن أدهم فيقول: «وفي تبين سر الخلق والإيجاد، إعلام للعباد،

وتنبية: لماذا خلقوا؟ كي لا يجهلوا مراد الله تعالى فيهم، فيضلوا عن سبيل الهداية، ويهملوا وجود

الرعاية، فبين الحق تعالى: أنه ما خلق العباد لأنفسهم إنما خلقهم ليعبدون ويوحدوه، فإنك لا

تشتر عبدا ليخدم نفسه، إنما تشتريه ليكون لك خادما.

فهذه الآية: حجة على كل عبد اشتغل بحظ نفسه عن حق ربه، وبهواه عن طاعة مولاه.

ولذلك سمع إبراهيم بن أدهم . رحمه الله عليه، وكان هذا سبب توبته . لما خرج متصيذا، هاتفا

يهتف به من قربوس سرجه يا إبراهيم، ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت.

ثم سمع الثانية: يا إبراهيم، ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت، فالفقيه من فهم سر الإيجاد

فعمل له، وهذا هو الفقه الحقيقي الذي من أعطيه فقد أعطى المنة العظمى»³.

ثم يواصل ابن عطاء الله بسط هذا المعنى مستدلا بقول الإمام مالك وقول شيخه أبي

العباس المرسي: «وفيه قال مالك رحمه الله: ليس الفقه بكثرة الرواية، وإنما الفقه نور يضعه الله في

القلب. وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول: (الفقيه من انفقاً الحجاب عن عيني قلبه). فمن

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص 6.

² . سورة الذاريات الآية 5856.

³ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 68.

فقه عن سر الإيجاد بأنه ما أوجده إلا لطاعته، وما خلقه إلا لخدمته، كان هذا الفقه منه سببا لزهده في الدنيا، وإقباله على الأخرى، وإهماله لحظوظ نفسه، واشتغاله بحقوق سيده، مفكرا في المعاد، قائما بالاستعداد حتى قال بعضهم: (لو قيل لي غدا تموت لم أجد مستزادا). فهؤلاء قوم أذهل عقولهم عن هذه الدار ترقب هول المطلع، وأهوال القيامة، وملاقاة جبار السموات والأرض، فغيبهم ذلك عن الاستيقاظ لملاذ هذه الدار، والميل إلى مسراتها¹.

4. فهم النص القرآني بالنور:

كلام الله تعالى نور، ولذلك انفرد بعض الصوفية في اعتماد تفاسيرهم على دائرة الأنوار، وقد شرح ذلك ابن عطاء الله، حيث أكد أن فهم معاني الوحي يتفاوت على حسب دائرة الأنوار المحيطة وقوتها، وفي وقت دون وقت، لأنها تعتمد على منح ربانية من وراء الغيب تتكشف حسب ما يُنعم به رب الغيوب، والفهم على حسب المقام، فرب فهم ينقذ لك من النص فتعبر عنه حسب الزمن والمقام الذي أنت فيه، ثم يتغير مقامك فتفهم من نفس النص فهما آخر، ويشبه ذلك ابن عطاء الله بالثمر من الشجر فإنه يسقى بماء واحد، ولكن طعمه متفاوت، وما يقال عن القرآن يقال عن الحديث لأنهما وحي يوحى وفيما يلي مثال لذلك :

- شرح ابن عطاء الله قوله صلى الله عليه وسلم: (..فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَب ...) ²

فعدد من وجوه الإجمال للطلب عشرة، ثم أدرك عجزه عن الإحاطة بهذه الوجوه، فأقر أن الأمر أوسع ولا يحيط به أحد ولو ظل العلماء بالله أبد الآبدين يعبرون ما قدروا على ذلك، وإليك نصه إذ يقول: «فهذه عشرة أوجه في الإجمال في الطلب، وليس القصد بها الحصر، إذ الأمر أوسع من ذلك، ولكن بحسب ما ناول الغيب، وأنعم به المولى سبحانه وتعالى، وهو كلام صاحب الأنوار المحيطة، فما يأخذ الآخذ منه إلا على حسب نوره، ولا يأخذ من جواهر بحره إلا على قدر قوة غوصه، وكل يفهم على حسب المقام الذي أقيم فيه: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾³. وما لم يأخذوه أكثر مما أخذوا، واسمع قوله عليه الصلاة والسلام: (وأوتيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصارا). فلو عبر العلماء بالله أبد الآباد، عن أسرار الكلمة الواحدة من كلامه، لم يحيطوا بها علما، ولم يقدروا فهما، حتى قال بعضهم: عملت بهذا الحديث

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 68.

² - الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه باب الاقتصاد في المعيشة رقم 2135 ج 6 ص 362.

³ - سورة الرعد الآية 4 .

سبعين عاما وما فرغت منه، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه). وصدق رضي الله عنه، ولو مكث عمر الدنيا أجمع وأبد الآباد لم يفرغ من حقوق هذا الحديث، وما أودع فيه من غرائب العلوم وأسرار الفهوم»¹.

ووجدت ذلك أيضا للشيخ "أحمد بن مصطفى العلاوي المستغامي" (ت 1934م) من المعاصرين في تأليف سماه "التفسير بمحضر النور"، ولا مشاحة في الاصطلاح إذ قد يسميه آخرون نوعا من أنواع التفسير الإشاري، ولو تتبعنا أكثر الصوفية لوجدنا لهم هذا اللون من التفسير في كل عصر.

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 90 .

المبحث الثاني :

لغة التصوف الإشارية وعلاقتها بالتفسير.

المطلب الأول : مسائل في لغة التصوف الإشارية.

المطلب الثاني : أمثلة من بيان ابن عطاء الله للأسرار والإشارات.

المطلب الثالث : أساسيات في التفسير الصوفي.

المطلب الأول :

مسائل في لغة التصوف الإشارية.

- 1 . التعبير عن الأذواق بالألفاظ والعبارات .
- 2 . توسع الصوفية في الإشارة .
- 3 . قصور العبارات عن الوفاء بالمضمون .
- 4 . الوضوح والإبهام في تفسير الصوفية .
- 5 . نصوص الوحي لا تنتهي معانيها .
- 6 . النفوذ إلى باطن الآية مع الاعتراف بظاهرها .
- 7 . تميز تفسير الصوفية عن تفسير الباطنية .
- 8 . الانحراف عن التفسير الصحيح للآية تمسكا بالظاهر .

1. التعبير عن الأذواق بالألفاظ والعبارات :

لا مانع من تعدد الأذواق وكثرتها داخل مقام الإحسان ويعود ذلك إلى « كثرة التجليات الإلهية بحيث لا تكاد تدخل تحت جنس ولا نوع يعرف عند أصحاب الذوق والشهود»¹، ولذلك نجد الصوفية يعبرون بألفاظ تقريبية عن المعاني الذوقية البحتة، ومثال ذلك قول ابن عطاء الله في الحكمة 244: «لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين، إذ لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك، ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك»²، وهذا يعني أنه لولا محاربة النفوس ما تحقق سير السائرين، إذ لا مسافة حسية أو قطعة حقيقية بين السالكين وربهم، إنما السير في الطريق ليس إلا قطع عقبات النفس، فهذه الألفاظ التي يستخدمها ابن عطاء الله من السير والميادين، وما إليها من الرحلة والوصلة والقطعة، كلها - كما يقول ابن عباد - ألفاظ يستعملها كغيره من الصوفية³، في أمور معنوية بحتة فيتجاوزون بها عن أمور حسية، ومرجع ذلك كله إلى علوم ومعاملات يتصف بها العبد لا غير، ومن كلام ابن عباد يتبين أيضا أن كل ما يتعلق بالطريق الصوفي من أحوال وعلوم هو من قبيل الأذواق الخاصة التي يتحقق بها السالك وحده⁴.

2. توسع الصوفية في الإشارة :

إن إشارات الصوفية من بوارق الذكاء، والذكاء هو السر في الروعة الأدبية⁵، يضاف إليها مقام وحال المشير، لأن تفاوت المشيرين في الروحانية يضفي على الآية أو اللفظ القرآني خلعة تناسب درجته في السلوك أو الجذب، وجدير بالملاحظة أن الإشاريين توسعوا إلى غير النص القرآني، فلهم في الحديث مقال ذوقي ولهم أقوال وأشعار غزلية يكونون بها عن الحضرة الإلهية أو المصطفوية، بل تجدهم أحيانا يلتقطون كلام غيرهم فينقلونه إلى معان خاصة بهم فيخرج من ثوب العبارة إلى كسوة الإشارة⁶، فقد ذكر "زكي مبارك" أن صوفيا سمع هذا البيت من الشعر لأحد المتحللين من الأخلاق:

¹ . النابلسي ، أسرار الشريعة ، ص 289.

² - ابن عباد الرندي ، غيث المواهب العلية ، ص 303.

³ . التفكير الصوفي عند ابن عطاء الله ، بحثنا المقدم لنيل شهادة الماجستير ، ص 166

⁴ . المرجع نفسه .

⁵ . زكي مبارك ، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، المكتبة العصرية ، بيروت (د،ت) ج 2 ص 192.

⁶ . محمد بن بريكة ، موسوعة الطرق الصوفية الإيضاح والبيان لمصطلح أهل العرفان ، ج 1 ص 86 . 87.

وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج

فسقط ميتا لأنه أحاله إلى معنى إشاري يتعلق بالذات العلية»¹.

إن اللفظة أو العبارة سرعان ما تتحول عند الصوفي بعد إقرار وجهها الظاهر إلى إشارة، فيستخرج منها معني بعيد المرمى، على نسق يتميز بالمسحة الجمالية التي لا يستطيع متابعتها أن يتجرد من متابعة صورتها البيانية دون أن يعدم التعاطف معها².

3. قصور العبارات عن الوفاء بالمضمون:

إن الأحوال الذوقية والمشاهدات التي يتدرج فيها الصوفي تضيق عنها لغة الألفاظ والعبارات وفي هذا حرج كبير، يقول الغزالي: «إن الصوفية في ترقيمهم الروحي واقعون تحت حرج اللفظ الذي لا يفي بوصف ذرة من أحوالهم، فهم سائرون من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكن الاحتراز عنه»¹، وحفظ التاريخ رجالا من الصوفية عبروا عن أحوالهم بما لا تسعه الألفاظ والعبارات فثبتت عنهم شطحات بسببها نعتوا بالزندقة والكفر وحوكم بعضهم وقتل كالذي وقع للحلاج.

إن الصوفي الذائق وقع بين العبارة والإشارة، والعبارة في التصوف دون الإشارة قطعاً وينقل "مصطفى محمود" عن الإمام "أبي العزائم" قوله : (إن العبارة لا تف ببيان المضمون من كلام العارفين، إنما هي أنوار وإشارات تذوق النفس منها على قدر ما وهبها الله، إذ العبارة لا تكشف الحقيقة)².

لقد تفاوت الصوفية في ضبط أحوالهم وكتم أسرارهم، فمنهم من تفلت منه أمره فنطق بما لا يقبل ظاهره ولم يجد من ينصره، ومنهم من تملك أمره فلم ينطق بما ينكر عليه ولم يكشف له سر، ومنهم من برع في العبارة والإشارة ووفق في تطويع اللغة لحمل المعاني الذوقية والأسرار الربانية وورث من النبوة المحمدية شيئاً من جوامع الكلم واستطاع أن يفسر ما أشكل من كلام غيره، وأحسب أن ابن عطاء الله أحد هؤلاء من خلال ما ألفه من "الحكم" و"لطائف المنن" إذ ضمنه فصلاً لتفسير آيات من القرآن وفصلاً لتفسير بعض من الحديث النبوي وفصلاً لبيان ما أشكل

¹ . زكي مبارك ، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، المكتبة العصرية ، بيروت (د،ت) ج 2 ص 192.

² . محمد بن بركة ، موسوعة الطرق الصوفية الإيضاح والبيان لمصطلح أهل العرفان ، ج 1 ص 83.

فهمه من أقوال غيره.

4. الوضوح والإبهام في تفسير الصوفية :

قد يعتمد الصوفية أحيانا إلى الغموض للتستر على أحوالهم³ ، وقد: أورد الإمام القشيري في رسالته بابا بعنوان "تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها" فقال: إنهم يستعملون ألفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم والإبهام والتستر على من خالفهم في طريقته: (لتكون ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها، إذ ليست حقائقهم مجموعة نوع تكلف، أو مجلوبة بضرب تصرف، بل هي معاني أودعها الله قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرار قوم)⁴.

5. نصوص الوحي لا تنتهي معانيها :

يقرر ابن عطاء الله أن نصوص الوحي لا تنتهي معانيها ، ويمثل لذلك بنص الحديث النبوي: (فاتقوا الله وأكملوا في الطلب)⁵ - فأورد في معنى "الإجمال في الطلب" عشرة معاني حيث يقول: «فهذه عشرة أوجه في الإجمال في الطلب، وليس القصد بها الحصر»، فهو لم يقصد الحصر لهذه المعاني، بل إنه يؤكد بعدها أن الأمر أوسع من الحصر والحد، لأنه مرتبط بما يفتح من الغيب على حسب الأنوار المحيطة، فيقول: «إذ الأمر أوسع من

¹ . أبو حامد الغزالي ، المنقذ من الضلال، تحقيق : عبد الحليم محمود، الطبعة 3 دار المعارف بمصر 1988 ، ج 1 ص 53.

² . مصطفى محمود ، السر الأعظم ، دار المعارف بمصر، دون تاريخ ، ص 12.

³ . محمد بن بريكة ، موسوعة الطرق الصوفية الإيضاح والبيان لمصطلح أهل العرفان ، ج 1 ص 71.

⁴ . أبو القاسم القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص 31.

⁵ . الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه باب الاقتصاد في المعيشة رقم 2135 ج 6 ص 362.

ذلك، ولكن بحسب ما ناول الغيب، وأنعم به المولى سبحانه وتعالى، وهو كلام صاحب الأنوار المحيطة، فما يأخذ الآخذ منه إلا على حسب نوره، ولا يأخذ من جواهر بجره إلا على قدر قوة غوصه، وكل يفهم على حسب المقام الذي أقيم فيه: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَّضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾¹. ودليل عدم التناهي لهذه المعاني هو خصوصية كلام الوحي مما يسمى جوامع الكلم فيقول: «وما لم يأخذوه أكثر مما أخذوا، واسمع قوله عليه الصلاة والسلام: (أوتيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصاراً)³، فلو عبر العلماء بالله أبد الآباد، عن أسرار الكلمة الواحدة من كلامه، لم يحيطوا بها علماً، ولم يقدرها فهماً، حتى قال بعضهم: عملت بهذا الحديث سبعين عاماً وما فرغت منه، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: (مَنْ حُسِّنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَزَكَّاهُ مَا لَا يَغْنِيهِ)⁴، وصدق رضي الله عنه، ولو مكث عمر الدنيا أجمع وأبد الآباد لم يفرغ من حقوق هذا الحديث، وما أودع فيه من غرائب العلوم وأسرار الفهوم»⁵.

ونتيجة لذلك يمكن القول أن لألفاظ الوحي وتراكيبه أسراراً من الفهوم لا تتناهي، وهذا هو سر الإعجاز في خلود القرآن .

6. النفوذ إلى باطن الآية مع الاعتراف بظاهرها:

يثبت ابن عطاء الله أمثلة لتفسير شيخه "أبي العباس المرسى" لبعض آيات، ثم يؤكد أن تفسير الصوفية - أو أهل الخصوصية كما يسميهم أحياناً - لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة، فهوم باطنة يفهمها هؤلاء لمن فتح الله قلبه، فيقول: «فذاك ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن

¹ . سورة الرعد الآية 4.

² - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 89.

³ . هذا الحديث: « أوتيت جوامع الكلم ، واختصر لي الحديث اختصاراً » ذكره البيهقي في شعب الإيمان باب والله يا رسول لا أختار، رقم 1373 ج 3 ص 423..

⁴ . الحديث أخرجه أبو عيسى الترمذي في سننه عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَزَكُّهُ مَا لَا يَغْنِيهِ) ، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس ، رقم 2239 ج 8 ص 294 . وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

⁵ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 89.

الفصل الرابع : لغة التصوف الإشارية وتوظيفها في تفسير ابن عطاء الله

ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف

اللسان، وشم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه، وقد جاء أنه عليه الصلاة والسلام قال: (لكل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع)¹، فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة: هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله، فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا وهم لم يقولوا ذلك بل يقرون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله ما أفهمهم، وربما فهموا من اللفظ ضد ما قصده واضعه².
يرد ابن عطاء بهذا النص على أولئك الذين يظنون بالصوفية ظنهم بالباطنية، فيتهمونهم برد ظاهر النصوص وفتح الباطن من غير قيد ولا شرط.

¹ . الحديث سبق تخريجه ص 226.

² . ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص 109.

7. تميز تفسير الصوفية عن تفسير الباطنية: الصوفية ورثهم الله علم ما لم يعلموه: وهو علم

الإشارة وعلم مواريث الأعمال الذي يكشف الله تعالى لقلوب أصفياه من المعاني المذخورة والأسرار واللطائف المخزونة وغرائب العلوم وطرائف الحكم في معاني القرآن¹.

فهذه الإشارات هي إثراء روحي ولون من ألوان الكشف عن الإعجاز القرآني طالما يؤمن بالتفسير الظاهري للقرآن، ولا يرى إشاراته تقوم مقام التفسير الظاهري لكتاب الله العزيز، وذلك رد على من نسبوا الصوفية إلى الباطنية المغرقة المتحللة من قيود الشريعة، وراء فهم هو حرب على النص لا تفسير له كما هو شأن باطنية الشيعة مثلاً²، ثم إن الصوفية يستجيبون في إشاراتهم إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾³، فمن أراد الوقوف عند معنى واحد للنص القرآني فمعارض للنص ابتداء وانتهاء⁴.

8. الانحراف عن التفسير الصحيح للآية تمسكا بالظاهر:

يحذر ابن عطاء الله من الانحراف عن الفهم الصحيح للآية تمسكا بظاهر النص، كالذي جنح إليه بعض الفرق لنصر أفكارهم، فيرد عليهم ويبين بطلان ما ذهبوا إليه، وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رَّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾⁵. حيث يقول: « بين الله تعالى أنه إنما خلق هذين الجنسيتين لعبادته، أي ليامرهم بها، كما تقول لعبد: ما اشتريتك أيها العبد إلا لتخدمني أي لأمرك بالخدمة فتقوم بها.

وقد يكون العبد مخالفا متأبياً، ولم يكن شراؤك إياه لذلك، وإنما كان ليقوم بمهماتك ولقضاء حاجاتك. وأهل الاعتزال يحملون الآية على ظاهرها فيقولون: الحق خلقهم للطاعة،

¹ . السراج الطوسي ، اللمع في التصوف ، ص 147.

² . محمد بن بريكة ، موسوعة الطرق الصوفية الإيضاح والبيان لمصطلح أهل العرفان ، ج 1 ص 75.

³ . سورة الكهف الآية 109.

⁴ . محمد بن بريكة ، موسوعة الطرق الصوفية الإيضاح والبيان لمصطلح أهل العرفان ، ج 1 ص 75.

⁵ - سورة الذاريات الآية 56 . 58

والكفر والمعصية من قبل أنفسهم، وقد أبطلنا هذا المذهب قبل، وفي تبين سر الخلق والإيجاد، أعلام للعباد، وتنبه: لماذا خلقوا؟ كي لا يجهلوا مراد الله تعالى فيهم، فيضلوا عن سبيل الهداية، ويهملوا وجود الرعاية»¹.

ويطيل ابن عطاء الله في مسألة "خلق الطاعة والمعصية" ويؤيد قول أهل السنة أن إضافة المعصية إلى النفس والشيطان إضافة نسبة لا خلق، ويرد على المعتزلة القائلين أن الإنسان يخلق المعصية مستدلاً بنصوص الآيات القرآنية في ذلك فيقول: «كذلك لا يشك مؤمن، أن المعصية ليست من خلق الشيطان والنفس بل كانت عنهما لا منهما، فلظهرها عنهما نسبت إليهما. فنسبة المعصية إلى الشيطان والنفس نسبة إضافة وإسناد، ونسبتها إلى الله نسبة خلق وإيجاد، كما أنه خالق الطاعة بفضله، كذلك هو خالق المعصية بعدله، ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾².

وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾³. وقال سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾⁴. وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾⁵.

والآية القاصمة للمبتدعة المدعين، أن الله لا يخلق الطاعة، ولا يخلق المعصية قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾⁶. فإن قالوا: قد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾⁷. الجواب فالأمر غير القضاء .

فإن قالوا: قد قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾⁸، الجواب: فهو على هذا التفصيل، تعليم للعباد التأدب معه، فأمرنا أن نضيف المحاسن المحاسن إليه، لأنها اللاتقة بوجوده، والمساوئ إلينا لأنها اللاتقة بوجودنا، قياما بحسن الأدب، كما

¹ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 68.

² - سورة النساء الآية 78.

³ - سورة الزمر الآية 62.

⁴ - سورة فاطر الآية 3.

⁵ - سورة النحل الآية 17.

⁶ - سورة الصافات الآية 96.

⁷ - سورة الأعراف الآية 28.

⁸ - سورة النساء الآية 79.

قال الخضر عليه السلام: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْيِيَهَا﴾¹، وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾²، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾³، ولم يقل الخضر: (فأراد ربك أن يعبها، كما قال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما)، فأضاف العيب إلى نفسه، والمحاسن إلى سيده. وكذلك إبراهيم عليه السلام لم يقل: فإذا أمرضني فهو يشفيني، بل قال: إذا مرضت فهو يشفيني. فأضاف المرض إلى نفسه، والشفاء إلى ربه، مع إن الله تعالى هو فاعل ذلك حقيقة وخالقه.

فقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾⁴ أي خلقا وإيجادا. ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾⁵ أي إضافة وإسنادا، كما قال صلى الله عليه وسلم: (الخير بيدك، والشر ليس إليك)، فقد علم صلى الله عليه وسلم، أن الله خالق للخير والشر، والنفع والضرر ولكن التزم أدب التعبير فقال: (الخير بيدك والشر ليس إليك) على ما بيناه فافهم. فإن قالوا: إن الحق سبحانه وتعالى، منزّه عن أن يخلق المعصية؟

(الجواب) قلنا: تعالى الله أن يكون في ملكه ما لا يريد فافهم هداانا الله وإياك إلى الصراط المستقيم، وأقامنا على الدين القويم بفضله⁶.

لقد نظر أهل البدع إلى اللغة تبعا للمعتقد الذي يعتقدونه، ويبحثون في سعة لغة العرب عما يدعمها، يقول "الخطاط المعتزلي" (ت 300) "في رده على" ابن الراوندي (ت 298) "الملحد: (فهذه تأويلات المعتزلة لما تلا من آيات، وكلها واضح قريب خارج من اللغة ولا مستكره المعنى)⁷، وقال "القاضي عبد الجبار"⁸: (وهكذا طريقتنا في سائر المتشابه: أنه لا بد من أن يكون له تأويل صحيح يخرج على مذهب العرب، من غير تكلف وتعسف)⁹، ومن باب إظهار مساعدة اللغة لمذاهبهم أفرد "ابن جني" في كتابه "الخصائص" بابا يخدم ذلك وسماه: (باب ما

¹ - سورة الكهف الآية 79.

² - سورة الكهف الآية 82.

³ - سورة الشعراء الآية 80.

⁴ - سورة النساء الآية 79.

⁵ - سورة النساء الآية 7.

⁶ - ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 68.

⁷ - ابن تيمية ، تفسير سورة الإخلاص ، ص 201 .

⁸ - القاضي عبد الجبار بن أحمد الحمذاني المعتزلي الشافعي صاحب التصانيف المتوفى سنة 415. الذهبي ، سير أعلام النبلاء .

ج 17 ص 244

⁹ - القاضي عبد الجبار ، إعجاز القرآن ، من كتابه المغني ج 16 ص 380

يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية)، وأدخل فيه نفي الظاهر والحقيقة مما أثبتته الله لنفسه من الصفات، وعمد فيها إلى المجاز، وجعل ذلك من سعة العربية فقال: (وطرق ذلك أن هذه اللغة أكثرها جار على المجاز، وقلما يخرج الشيء منها على الحقيقة)¹.

أما ابن عطاء الله فقد أبطل مذهب المعتزلة في مسألة "خلق الطاعة والمعصية"، وتتبع كل انحراف يصححه في فهم الآيات التي استدلو بها، بآيات أخرى أو بمقاصد التوحيد العامة، مما يدلنا على أن ابن عطاء الله يؤكد أن الآيات لا تفهم بمفردها أو بألفاظها اللغوية فحسب، بل تفهم في ضوء الآيات الأخرى والمقاصد العامة من الشريعة وفي هذا يقول ابن تيمية (ت 728): (ثم يجتهدون . أي أهل البدع . في تأويل الآيات إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات التي يحتاجون فيها إلى إخراج اللغة عن طريقها المعروفة، وإلى الاستعانة بغرائب المجازات والاستعارات ... والأصل المعروف لأهل البدع أنهم يفسرون القرآن برأيهم العقلي، وتأويلهم اللغوي)².

¹ - ابن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، ج 2 ص 449.

² - ابن جني ، الخصائص ، ج 2 ص 449.

المطلب الثاني :

أمثلة من بيان ابن عطاء الله للأسرار والإشارات .

- 1 . أسرار الاسم المفرد .
- 2 . أسرار للحروف .
- 3 . أسرار في حرف الألف .
- 4 . أسرار في تسمية حرف الألف .
- 5 . أسرار إشارية في نقطة الألف .
- 6 . إشارات أخرى في نقطة الألف

1. أسرار الاسم المفرد:

أفرد ابن عطاء الله تأليفاً لـ "الاسم المفرد" يبين ما تضمنه من الأسرار، حسب ما نقله عن غيره فأسنده بلفظ "قليل"، أو حسب ما فتح له من الفهم والمعرفة، فقال: «وأما من طريق المعرفة: فقل أن الحق سبحانه اختار هذا الاسم أعني "الله" لثلاثة أشياء:

أحدها لذاته: فهو خاص به لا يشاركه فيه أحد غيره، لا بالمجاز ولا بالحقيقة لما فيه من الأسرار والحكم والمعاني ومن الاختصاص والتعظيم.

الثاني أنه جامع للمعاني اللطيفة والصفات الشريفة، فإن غيره من الأسماء فيه معنى واحداً أو معنيان يختص به، كالخالق والفاطر والمبديء وما ماثل ذلك كله بمعنى واحد، وإن كان لا يخلو كل اسم من خصوصية يمتاز بها، ومثل الرزاق والمنعم والمتفضل والمعطي والحواد والكريم، كل ذلك أيضاً الغالب عليه معنى واحداً، وسائر الأسماء والصفات قد يتعدد لفظها، ويتفق معناها، وقد لا يتعدد ويختص بمعنى واحد، واسم الله معناه لا يحصى ولا يعد، ولا يحصر ولا يحد، وكل الأسماء راجعة له، مضافة منسوبة إليه، ومشيرة بخواصها في الحقيقة عليه، وتعرّف به جميع الأسماء والصفات، ولا يضاف هو إلى شيء سوى الذات.

الثالث اختصاصه بأسرار ليست في غيره من الأسماء، فضله وعظمه وأسمائه وصفاته، كلها فاضلة عظيمة، إلا أن هذا الاسم له تخصيص زائد تام كامل على سائرهما، كما أن التوراة والإنجيل والزبور والفرقان الكل كلامه عز وجل، ولكنه اختص منها القرآن وفضله على سائرهما، فكَذلك هذا الاسم بين أسمائه من خصوصيته وفضله وشرفه.

فمن خواصه أنه في ذاته اسم كامل في حروفه تام في معناه خاص بأسراره مفرد بصفته، فكان أولاً "الله" فحذفت منه الألف فبقى "لله" ثم حذفت اللام الأولى فبقى "له" ثم حذفت اللام الثانية فبقى "هو" فكان كل حرف تام المعنى، كامل الخصوصية، لم يتغير منه المعنى، ولا اختلف بتفريق حروفه منه فائدة ولا نقصت منه حكمة، ولكل لفظة معانٍ عجيبة مستقلة بذاتها غريبة. وغيره من الأسماء كلها ليس كذلك أمرها، فإنك إذا حذفت شيئاً من حروفها أو فرقت بعضها من بعض، اختلفت معانيها واعتلت أساميها وذهبت أحكام حكمها ونقصت فائدتها. فلهذا كان هذا الاسم جامعاً شاملاً تاماً كاملاً، على الجملة والتفصيل، ولم يؤثر فيه تفصيل حروفه ولا تفريقها، ولا إفرادها في شيء من جملة معانيه ولا أخلت بشيء من أسرارها ولا

نقصت تجزئته شيئاً من كله»¹. فبين ابن عطاء الله وجه اختصاص اسم الجلالة بهذه الخواص التي لم تكن لغيره من الأسماء، حتى من حيث تفريق حروفه، وكل حرف يدل على معنى الاسم بذاته، كما أن لغيره من الأسماء الحسنى معانٍ إشارية أخرى.

.ابتداء سور القرآن باسم ﴿الله﴾:

أفرد ابن عطاء الله مصنفًا مستقلاً لبيان خصائص الاسم المفرد الذي هو علم الذات ﴿الله﴾، وسماه "القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد"، فأخبر أنه أول الأسماء الحسنى، وقد جعله سبحانه افتتاح كل سور القرآن ب﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، كما ذهب الإمام الشافعي إلى أن البسملة من أم القرآن ومن لم يسم فيها نقصت صلاته ولم تتم وفي إعادتها عنده قولان²، وقد بين وجه ذلك في موضع آخر فقال: «وهذا الاسم المفرد جل ذكره هو جامع لجميع الأشياء كلها، وهي كلها شارحة له ومشيرة إليه ومعبرة عنه، والعالم كله علويه وسفليه بما فيه من عجائبه وغرائبه صادر عنه، وهو على قسمين: عالم أمر، وعالم خلق، وعالم الأمر حاكم على عالم الخلق³.... ومن لطف الله تعالى أن أظهر من علمه وقدرته بهذا الاسم ما احتملته عقول خلقه ليصل حبله ببجلهم.... فأظهر لهم من أسمائه اسمه الأعظم ﴿الله﴾، وعرفهم به من أجله، وخفف ذكره على ألسنتهم، وأجراه دائماً وسهله عليهم، وأظهره لهم ظهوراً بيناً في ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فمن شدة ظهوره خفي حتى لم يوصف، ومن كثرة ذكره نسي حتى لم يعرف، فبه تستقيم الأمور، وبذكره يسهل العسير وتقضى الحوائج وسائر المآرب»⁴.

.ظهور معاني الأسماء الحسنى في آدم عليه الصلاة والسلام:

شرح ابن عطاء الله وجه أكل آدم من الشجرة، ثم بين وجه تحقيقه بأسماء الله الحسنى، فقال: «اعلم أن الله تعالى تعرف لآدم عليه السلام، بالإيجاد فناده يا قدير. ثم تعرف له بتخصيص الإرادة فناده يا مريد.

ثم تعرف له بحكمه في نهيهِ عن أكل الشجرة، فناده يا حاكم، ثم قضى بأكلها، فناده يا قاهر. ثم لم يعاجله بالعقوبة إذا أكلها، فناده يا حلیم. ثم لم يفضحه في ذلك فناده يا ستار.

¹. ابن عطاء الله السكندري، القصد المجرد، ص 15. 16.

2- المصدر نفسه، ص 18.

3- المصدر نفسه، ص 25.

4- المصدر نفسه، ص 25.

ثم تاب عليه بعد ذلك فناداه يا تواب.
ثم أشهده أن أكله من الشجرة لم يقطع عنه وده فيه، فناداه يا ودود.
ثم أنزله إلى الأرض، ويسر له أسباب المعيشة، فناداه يا لطيف.
ثم قواه على ما اقتضاه منه، فناداه يا معين.
ثم أشهده سر الأكل والنهي والنزول فناداه يا حكيم.
ثم نصره على العدو، والمكائد له فناداه يا نصير.
ثم ساعده على أعباء تكاليف العبودية، فناداه يا ظهير.
فما أنزله إلى الأرض إلا ليكمل له وجود التصريف وبقيمه بوظائف التكليف، فتكلمت في آدم عليه السلام العبوديتان. عبودية التصريف، وعبودية التكليف، فعظمت منة الله عليه، وتوفر إحسانه إليه، فافهم»¹.

2. أسرار الحروف:

تعرض ابن عطاء الله لحروف الهجاء العربي وأخبر أن لها أسراراً ومعارف غيبية، كشفت على الكمال والتحقيق لسيدنا آدم، وبعده لسيدنا محمد صلى الله عليهما وسلم، وقد يخص الله تعالى من شاء من عبادته بمعرفة أسرارها وفي ذلك يقول: «واعلم أن من كشف له عن معرفة سر الألف وتحقق به فقد خص بمعرفة سر توحيد الوجدانية. وترقى إلى مقام معرفة سر وحدة الأحدية. ومن كشف له عن معرفة سر اللام المنسوب إلى الألف وتحقق فيه. فقد خص بمعرفة سر الرسالة النبوية.

وما أحاط بمعرفة أسرار جملة الحروف على الحقيقة والكمال بعد آدم سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آدم وعلى ما بينهما من جميع النبيين والمرسلين. ولذلك خص بإعطاء جميع حروف المعجم. وما حوته جميع المعاني والعلوم والحكم فقال: (أُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ) وقد يتحف الله سبحانه وتعالى من شاء من عبادته ويخصه، ويكشف معنى سر حرف واحد أو حرفين أو أكثر، على قدر تخصيصه في الأزل فيتصرف بذلك في كل ما يريد من أمور دينه أو دنياه، وتفضل له الأشياء على حسب تمكنه، وإحاطة علمه، وسعة معرفته، وتكون له خاصية يمتاز بها، وفي حقه كرامة أكرمها الله بها، فإن لكل حرف من الحروف سر عجيب، وعلم غزير نافع مصيب،

1- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 24.

تكشف به مغلقات الخطوب، وتبلغ به جميع المراد والمطلوب، وتكشف به ملكات بديعة، وتصرف به أمور شريفة، يعرفها الحكماء العقلاء، ويعرفها العلماء النبلاء»¹.

يتابع ابن عطاء الله تفسيره الإشاري للحروف، ويركز على أن الألف هو أصل الحروف ابتداء واستفتاح فيقول: «والألف أيضاً هو استفتاح لحروف المعجم، التي هي دلالة على معرفة المعاني ومفهومها، وهي كسوة لها، وصور تدل عليها غير حالة ووضعت المعاني، ولم توضع المعاني للحروف، لأن معناها في غيرها، والمعاني معناها في مفهومها مقام الأرواح، والأحرف مقام الأشباح، فجعلها الله لها صوراً وأصدافاً، فالحروف لسان فعل الإنسان، لأنها فعل في مفعوله، ومعانيها علوم في علوم»²، وأصل الألف نقطة سالت من الأعلى إلى الأدنى، وهي المصطلح عليها بالجواهر الفرد، ولهذا كله إشارات فصلها كما يلي:

3. أسرار في حرف الألف

يفصل ابن عطاء الله في إشارات حرف الألف من حيث نسبته للحروف الأخرى، ويمثله بآدم الحروف فيقول: «واعلم أن الألف هو أشرف حروف المعجم خطراً، وأعظمها أمراً، وأرفعها قدراً، وهو آدم الحروف، والهمزة منه حواء، والمذكر من الكلام ولد، والمؤنث منه بنت، والثمانية والعشرون حرفاً متولدة من الألف، كجميع بني آدم من آدم والحروف كلها من الألف، والأصل الألف، قائم منتصب مستو معتدل، فكل تركيب وتولية هو من الألف، لتناول الحروف من فوائد أسرار المعاني، على حسب نفخة روح جوامع الكلم، وعجائب الحكم، وغرائب العلم، وصورة الألف هو السر الذي تميز به آدم عليه السلام، وتخصص بسببه من تعليم الحق له جميع الأسماء كلها»³.

ثم يواصل ابن عطاء الله في بيان أسرار حرف الألف من حيث: العدد والأولية والواحدية، ويقابل ذلك بصفات الله تعالى الواجب الوجود الواحد الأحد، فيقول: «والألف في العدد واحد، والواحد استفتاح لجميع العدد وأوله، وفيه إشارة إلى عمود التوحيد، الذي به قوام كل عالم في

¹. ابن عطاء الله السكندري، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد، ص 32

². المصدر نفسه، ص 33. 34.

³. ابن عطاء الله السكندري، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد، ص 35.

الوجود، فكما كان الله سبحانه وتعالى واجب الوجود، الأول الموجود، ولا شيء قبله في الوجود، وسبقت أحديته جميع ما سواه، كذلك الألف سبق واحد الأعداد وما بعده، وليس شيء قبله»¹. كما تكلم ابن عطاء الله عن سر الألف وسر اللام المنسوب للألف فقال: «وأعلم أنه من كشف له عن معرفة سر الألف وتحقق به فقد خص بمعرفة سر توحيد الوجدانية. وترقى إلى مقام معرفة سر وحدة الأحدية. ومن كشف له عن معرفة سر اللام المنسوب إلى الألف وتحقق فيه. فقد خص بمعرفة سر الرسالة النبوية»².

4. أسرار في تسمية حرف الألف:

يستفيد ابن عطاء الله من اشتقاق تسمية الألف إشارياً، ليدل على عدد من أنواع الألفة بين العباد وتوحيد ربهم ، وفيما بينهم، وبين فضائل الأخلاق، مستدلاً بنصوص من آيات القرآن الكريم، وفي تفصيل ذلك يقول: «فالألف: مشتق من الألفة والتأليف، ألف به جميع خلقه على توحيده ومعرفته، بأنه إلههم وموجدهم، وخالقهم ورازقهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾³، وقال تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾⁴، فانه تعالى كان ولا شيء معه كما هو الآن على ما عليه، كان ولا شيء قبله ولا شيء بعده، فكأنه كما قال: (كُنْتُ كَنْزاً لَمْ أُعْرِفْ فَأَرَدْتُ أَنْ أُعْرِفَ فَخَلَقْتُ خَلْقاً فَعَرَفْتُهُمْ بِي فِي عَرَفُونِي)⁵، وألف بين قلوب عباده، على محبته وعبادته وطاعته في الإيمان والتوحيد، قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁶، وألف كلمتهم على الاعتراف بعبوديته، والإقرار بوحدانيته وربوبيته، قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾⁷، وألف قلوب عباده بالفضل والإحسان والعطاء،

¹ . المصدر نفسه ، ص 30.

² . المصدر نفسه ، ص 31.

³ . سورة الزخرف الآية 87.

⁴ . سورة لقمان الآية 25.

⁵ . سبق ترجمته ص 271.

⁶ . سورة الأنفال الآية 63.

⁷ . سورة مريم الآية 93.

وجعله رزقاً مقسوماً لهم، تارة قبضاً وتارة بسطاً، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾¹ «².

5. أسرار إشارية في نقطة الألف:

تحدث ابن عطاء الله عن النقطة التي هي أصل الألف، والإشارة فيها إلى ما يسمى بالجوهر الفرد، ثم يقابل ذلك بخلق آدم، فهو افتتاح البشر، وقد أودع الله فيه أسرار الحروف، فجرت على لسان آدم فنون اللغات وأنواع الكلمات، بما لها من ظاهر وباطن وفي ذلك يقول: «ونقطة أصله إشارة لإثبات أولية الوجود، الذي هو ضد العدم، وهو المصطلح عليه عند أرباب أصول الدين بالجوهر الفرد، الذي هو عبارة عن إثبات موجود وهو ضد العدم، لا يجوز عليه الانقسام، ولا حصر العدد. فلما أرادت. أي النقطة. أن تسمى بالألف بعد تسميتها بصفة الوحدة، امتدت للتجلي والظهور، ونزلت نزول الأعلى إلى الأدنى، لتعرف وجود ذاتها بنفسها، فصارت ألفاً، وسميت بذلك لتوقف عوالم الحروف فعرف بالألف، فإنه روى أن: (أول ما خلق الله تعالى نقطة فنظر إليها بالهيبة فتضعضت وسالت فسيّلها ألفاً، وجعلها مبتدأ كتابه، واستفتح حروفه)³، فكان أولاً استفتاح الحروف به لصدورها عنه، وظهورها به، فكانت النقطة كنزاً لم تعرف، فتجلت ونزلت لتعرف بهم، ويعرفون بها، وينسبون إليها.

كما أن آدم عليه السلام خلق استفتاحاً لذريته وأولهم، وعرفوا به، ونسبوا إليه فكانت الحروف أسراراً أودعها الله تعالى وبثها في آدم حين خلقه، ولم يثبتها في أحد من الملائكة فجرت الأحرف على لسان آدم بفنون اللغات، وأنواع الكلمات، ولها ظاهر وباطن وحد ومطلع، فظاهرها أسماءها وصورها، وباطنها معانيها وأسرارها، وحدها تفصيلها وأحكامها، ومطلعها شهودها وكشفها»⁴.

¹. سورة الذاريات الآية 57.56.

². ابن عطاء الله السكندري، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد، ص 35.

³. هذا الأثر لم أجده لهذا اللفظ إلا ما ذكره الألويسي في تفسيره روح المعاني بمعنى يقاربه أثناء تفسيره للآية 45 من سورة

النور ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ بقوله: (لما روي أن أول ما خلق الله تعالى جوهره فنظر إليها

بعين الهيبة فصارت ماء ثم خلق من ذلك الماء النار والهواء والنور وخلق منها الخلق). ج 13 ص 476.

⁴. ابن عطاء الله السكندري، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد، ص 32.

6. إشارات أخرى في نقطة الألف

عدد ابن عطاء الله في النقطة التي هي مبدأ الألف عدة إشارات فقال: «فإن ابتداء الألف نقطة واحدة منفردة، وهي عبارة عن مركز قطب دائرة وجود عوالم الحروف، كذلك نقطة وجود وحدة الموجود، الذي صدر عنه وجود العالم بأسره، وبها تستقيم دائرة العدل على القوام، وهي محل قابلية للتهيؤ كالهوى لجميع حروف صور الأشكال المحسوسة، ووضع الدلالة على إدراك تصوير المعاني المعقولة.

وهي أيضاً إشارة لاسم وحدة التوحيد، الذي لا يجوز فيه اشتراك مع عقد التقليد، ولهذا كان الإنسان الآدمي ألف القوام قائماً معتدلاً منتصباً، حسن القد والقامة على الاستقامة، مخصوصاً بالتشريف والتكريم، ممدوحاً مثني عليه بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾¹، وقد شرف وفضل على أكثر المخلوقات حسبما ذكر الله تعالى في كتابه المبين قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾²، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ﴾³ فهو أشرف المخلوقات، وأفضل الموجودات وأكرم المحدثات فمن تشريفه وإكرامه، وتفضيله وإعظامه أن جعله الله تعالى مجمع البحرين، بحراً سفلياً ظلمة الشهوات الحيوانية، وبحراً علوياً نور العقل النوراني وركبه في عالمين، عالم الأمر الروحاني، وعالم الخلق الجثماني، وجمع له في الركعة الواحدة من عمل جميع عبادة الملائكة أهل السبع سموات، سبع أنواع من العبادات، وجعل ثوابهم عليها عائدة إلى الآدمي بتضعيف الزيادة، فمنهم قائمون أبداً، ومنهم راکعون أبداً، ومنهم ساجدون أبداً، ومنهم جلوس أبداً، ومنهم مهللون أبداً، ومنهم مسبحون أبداً، ومنهم حامدون أبداً، فهم لله عابدون دائماً أبداً لا يفترون، قد خلقوا مطهرين منزهين، علويين روحانيين، نور بلا ظلمة، وعقل بلا شهوة، ولطف بلا كثافة، ودوام بلا فترة، ونشاط بلا سآمة، وطاعة بلا مخالفة، وعبادة بلا حظ، وإخلاص بلا عوض، وخدمة بلا علاقة، وجمع بلا تفرقة، وجعل هذا البشر برزخاً قائماً، مستوي الخليفة، بين عالمي النور والظلمة، فأيهما كان الغالب عليه، نسب في الحقيقة إليه، فسبحان من ألف بين الضدين وجمع إليه صفات العالمين في هذا الآدمي الكريم، وجعل محل

¹ . سورة التين الآية 4.

² . سورة الإسراء الآية 70.

³ . سورة البينة الآية 7.

عقله ومعارفه وتوحيده ومحبته وأسراره قلبه السليم، فهو الصراط المستقيم، والبرزخ المعتدل القويم، بالألف ألفه ووصله وجمعه وفرقه وفصله وقطعه، ألف كتابه بنقطة، وخلق خلقه من نقطة، ويميتهم بقبضة، ويحييهم بنفخة ¹. وبهذا أشارت النقطة إلى قوام الإنسان وتركيبه من ضدين، ومنها تكونت الحروف وتركبت الألفاظ، فألف الكتاب من نقطة، وخلق الخلق من نقطة.

المطلب الثالث :

أساسيات في لغة التفسير الصوفي.

تمهيد .

1 . مبدأ الظاهر والباطن .

2 . مبدأ الحقيقة والشرعة .

¹ . ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ص 33.

تمهيد :

سوف أعرض بعض المنطلقات العامة للتفسير الإشاري وهي (الظاهر، الباطن) و(الحقيقة الشريعة) ، باعتبارها مفاهيم بسطها الصوفية واختصوا بها، واستدلوا لها بنصوص من القرآن، وفي ضوءها يفهمون الإشارات من الآيات، وأركز على موقف ابن عطاء الله من ذلك .

1. مبدأ الظاهر والباطن :

يعد الظاهر والباطن لفظان قرآنيان، ورد بهما الآي الكريم في مواضع متفرقة منها: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾¹، ومنها: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾²، ومنها: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾³ ومنها: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِنِّمِ وَبَاطِنَهُ﴾⁴ ومنها: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾⁵ ومنها: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾⁶ ومنها: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾⁷ .

— وفيما يلي أمثلة من تفسير ابن عطاء الله يتبين فيها إثبات لظاهر الآية ونفوذ إلى باطنها :

● قوله تعالى: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِثُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَرَأَيْتُمْ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾⁸ .

يقف ابن عطاء الله مع هذه الآية عند معانيها الإشارية فيقول: «فائدة: اعلم أن بني إسرائيل لما دخلوا التيه، ورزقوا المن والسلوى، واختار الله تعالى لهم ذلك رزقا رزقهم إياه، يبرز من

1 . سورة الأنعام الآية 151 .

2 . سورة الأعراف الآية 33 .

3 . سورة الحديد الآية 3 .

4 . سورة الأنعام الآية 120 .

5 . سورة الحديد الآية 13 .

6 . سورة لقمان الآية 20 .

7 . سورة الروم الآية 7 .

8 . سورة البقرة الآية 61 .

عين المنة من غير تعب منهم ولا نصب، فرجعت نفوسهم الكثيفة لوجود إلف العبادة والغيبة عن شهود تدبير الله تعالى إلى طلب ما كانوا يعتادونه، فقالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، وذلك لأنهم تركوا ما اختار الله لهم مما يليق لما اختاروه لأنفسهم فقبل لهم على طريق التوبيخ لهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ؟ اهْبُطُوا مِصْرًا﴾.

فظاهر التفسير: أtestبدلون الثوم والبصل والعدس بالمن والسلوى وليس النوعان سواء في اللذة ولا في سقوط المشقة؟

وسر الاعتبار: أtestبدلون مرادكم لأنفسكم بمراد الله لكم؟

أtestبدلون الذي هو أدنى، وهو ما أردتموه، بالذي هو خير، وهو ما أراد الله لكم؟
اهبطوا مصر فإن ما أنتم اشتهيتموه لا يليق أن يكون إلا في الأمصار.

وفي سر الاعتبار: اهبطوا عن سماء التفويض، وحسن الاختيار والتدبير منا لكم إلى أرض التدبير والاختيار منكم لأنفسكم موصوفين بالذلة والمسكنة لاختياركم مع الله وتديركم لأنفسكم مع تدبير الله¹.

فالملاحظ أن ابن عطاء الله بين الوجه الظاهر من الآية وهو (استبدال المن والسلوى بالثوم والبصل)، ونفذ إلى معنى باطن يدرك بالتأمل وسماه سر الاعتبار وهو: (أtestبدلون مرادكم لأنفسكم بمراد الله لكم)، وكذلك وجه ظاهر آخر وهو: (اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله)، وباطنه أو سر الاعتبار فيه هو: (انزلوا عن مرتبة التفويض وحسن الاختيار من الله لكم إلى درجة أدنى وأسفل، هي ركض في التدبير وتيه في الاختيار منكم لأنفسكم وعليكم الذلة والمسكنة لعدم رضاكم عن الله في تدييره واختياره). ونتيجة لهذا المثال يثبت ابن عطاء الله المعنى الظاهر من الآية، ويفهم عنده معنى بعيدا تشير إليه الآية قد يكون مقصودا.

● قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ ازْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾، قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ².

1. ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 27.

2. سورة هود الآية 42. 43.

يقف ابن عطاء الله مع هذه الآية عند معانيها الإشارية مبينا ظاهرها وباطنها فيقول : «اعلم إن هلاك ابن نوح عليه السلام إنما كان لأجل رجوعه إلى تدبير نفسه، وعدم رضاه بتدبيره الله، الذي اختاره لنوح عليه السلام، ومن كان معه في السفينة، فقال له نوح عليه السلام: ﴿يَا بُنَيَّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾ ، قَالَ سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴿﴾ ، فَأَوِي فِي الْمَعْنَى إِلَى جَبَلٍ عَقْلِهِ ، ثُمَّ كَانَ الْجَبَلُ الَّذِي اعْتَصِمَ بِهِ صُورَةُ ذَلِكَ فِي الْمَعْنَى الْقَائِمِ بِهِ ، فَكَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾. في الظاهر بالطوفان، وفي الباطن بالحرمان، فاعتبر أيها العبد بذلك»¹.

ثم يوظف ابن عطاء الله هذا المعنى الإشاري الذي استفاده من باطن الآية في توجيه العبد « فإذا تلاطمت عليك أمواج الأقدار، فلا ترجع إلى جبل عقلك الباطل لئلا تكون من المغرقين في بحر القطيعة ولكن ارجع إلى سفينة الاعتصام بالله، والتوكل عليه، ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾² ، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾³ ، فإنك إذا فعلت ذلك استوت بك سفينة النجاة على جودي الأمن، ثم تهبط بسلامة القرية، وبركات الوصلة عليك، (وعلى أمم ممن معك) وهو عوالم وجودك، فافهم ذلك ولا تكن من الغافلين، واعبد ربك ولا تكن من الجاهلين»⁴. فنلاحظ أن ابن عطاء الله في استفادته الإشارية من الآية يقابل الظاهر للباطن وفق هذا الجدول :

ظاهر الآية	باطن الآية
وحال بينهم الموج	تلاطمت عليك أمواج الأقدار
من المغرقين (في الطوفان)	من المغرقين في بحر القطيعة
جبل يعصمني من الماء	جبل عقلك
اركب معنا	سفينة الاعتصام بالله
واستوت على الجودي	استوت بك سفينة النجاة على جودي

1 . المصدر نفسه ، ص 31.

2 . سورة آل عمران الآية 101.

3 . سورة الطلاق الآية 3.

4 . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 31.

الأمين	
تهبط بسلام منا عليك	تهبط بسلامة القرية، وبركات الوصلة عليك
وعلى أمم ممن معك	أمم ممن معك وهم عوالم وجودك

فهذه أمثلة للظاهر والباطن تبين فيها أن ابن عطاء الله أحد المؤيدين لفكرة الظاهر والباطن في فهم الآيات القرآنية، وننتقل إلى معنى أوسع على نسق الظاهر والباطن، وهو الحقيقة والشرعية، إذ اختص الصوفية بهذه المصطلحات لنرى موقف ابن عطاء الله من ذلك .

2. مبدأ الحقيقة والشرعية :

فالشرعية خطابه لعباده، وكلامه الذي أوصله إلى خلقه بأمره ونهي، ليوضح لهم الحجة ويقوم به المحجة، والحقيقة تصريحه في خلقه وإرادته ومشئته¹، التي يخص بها من اختار من أحبائه، ويقضي بها على من أبعدته عن بابه، وقد جمع الله بين الحقيقة والشرعية في آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾² هذه شرعية، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾³، فهذه حقيقة .

. ومنها قوله: ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرْهُ﴾⁴ فهذه شرعية، ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾⁵ فهذه حقيقة .

فالحقيقة إذن باطن الشرعية فلا يغني ظاهر عن باطن ولا باطن عن ظاهر⁶.

وليس تقسيم الصوفية الدين إلى شرعية وحقيقة فصلا لحقائق الدين عن بعضها بل هو وفاء لروح الدين نفسه⁷، قال ابن عجيبة: (فالشرعية أن تعبد بالطريقة أن تقصده والحقيقة أن

1 . عاصم الكيالي ، فهرس بشرح مصطلحات الصوفية عند ابن عطاء الله السكندري ، ص 187.

2 . سورة التكويد الآية 28.

3 . سورة التكويد الآية 29.

4 . سورة المدثر الآية 55.

5 . سورة المدثر الآية 56.

6 . أحمد النقشبندى الخالدي ، جامع الأصول في الأولياء، مؤسسة الانتشار العربي بيروت ، الطبعة الأولى، 1997، ج 1 ص 194.

7 . محمد بن بريكة ، موسوعة الطرق الصوفية الإيضاح والبيان لمصطلح أهل العرفان ، ج 1 ص 53.

تشهده أو قل الشريعة لإصلاح الظواهر والطريقة لإصلاح الضمائر والحقيقة لإصلاح السرائر¹، وهي نفس المراتب المذكورة في حديث الإسلام والإيمان والإحسان، والجامع للشريعة والحقيقة هو الشرع أي الدين.

أما ابن عطاء الله فإنه يوافق من سبقه من الصوفية في أن هذا التقسيم هو روح الدين وقوامه وعلى المسلم أن يفهم ذلك ويمسك بالحقيقة والشريعة كليهما، وينطلق ابن عطاء الله من شرحه لحزب شيخه "أبي العباس المرسى" الذي رتبته على المريدين فيقول: «وقول الشيخ رحمه الله: (على بساط علم التوحيد والشرع): لأن من استرسل من إطلاق التوحيد، ورأى أن الملك لله وإن لا ملك لغيره معه، ولم يتقيد بظواهر الشريعة فقد قذف به في بحر الزندقة، وعاد حاله بالوبال عليه، ولكن الشأن أن يكون بالحقيقة مؤيدا وبالشريعة مقيدا.

وكذلك المحقق، فلا منطلقا مع الحقيقة، ولا واقفا مع ظاهر إسناد الشريعة: ﴿وَكَانَ بَيِّنٌ دَلِيلٌ قَوَامًا﴾². فالوقوف مع ظواهر الإسناد شرك، والانطلاق مع الحقيقة من غير تقييد بالشريعة تعطيل. ومقام أهل الهداية فيما بين ذلك: من بين فرث، ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين³. إن ابن عطاء الله يقرر أن التوازن هو الفهم الصحيح في الأخذ بالشريعة مع عدم إغفال الحقيقة وهذا هو التوسط والاعتدال، ونقل ابن عجيبة قول الشطبي: (أن ابن عطاء الله يدل المريدين على مقام الجمع بين الحقيقة والشريعة، لأن عزم العبد على الطاعة مطلوب منه شريعة، ونتيجة مسلوقة منه في الحقيقة، ولا يثبت بينهما إلا من ثبته الله)⁴، ولهذا قال في المناجاة: «إلهي كيف أعزم وأنت القاهر؟ أم كيف لا أعزم وأنت الأمر»⁵.

- لكل آية ما أثبتت :

1. ابن عجيبة أحمد الحسني ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ص 25.
2. سورة الفرقان الآية 67.
3. ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 100.
4. ابن عجيبة الحسني ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ص 499 . 500.
5. المصدر نفسه ، ص 499.

نجد ابن عطاء الله يفهم من الآيات صنفين صنف منها يدل على الحقيقة وصنف يدل على الشريعة وهذا التوازي جار في كثير آيات القرآن وبه يفك ظاهر التعارض ويمكن الجمع كما يقول ابن عطاء الله : « فاعلم أن لكل آية ما أثبتت، فلا خفاء في الجمع بين الآيتين »¹

وفيما يلي مواضع من تفسير ابن عطاء الله نستجلي فيها ذلك :

قوله تعالى: ﴿راضية﴾ أي عن الله في الدنيا بأحكامه، وفي الآخرة بجوده وإنعامه، فكان في ذلك تنبيه للعبد أنه لا يحصل له الرجعى إلى الله إلا مع الطمأنينة بالله، والرضا عن الله، وإلا فلا. وفي ذلك إشارة إلى أنه لا يحصل أن يكون مرضيا عند الله في الآخرة، حتى يكون راضيا عنه في الدنيا »².

فإن قلت هذه الآية تقتضي أن يكون الرضا من الله نتيجة الرضا من العبد، والآية الأخرى تدل على أن الرضا من العبد نتيجة الرضا من الله عنه؟ فاعلم أن لكل آية ما أثبتت، فلا خفاء في الجمع بين الآيتين، وذلك أن قوله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾.

يدل من وجود ترتيبه على أن الرضا من العبد نتيجة الرضا من الله والحقيقة تقتضي

بذلك، لأنه لو لم يرض عنهم أولا، لم يرضوا عنه آخرا.

والآية الآخرة تدل: على أن من رضي عن الله في الدنيا، كان مرضيا عنه في الآخرة، وذلك بين لا إشكال فيه.

1- المصدر نفسه ، ص 58.

2- المصدر نفسه ، ص 58.

المبحث الثالث:

توظيف ابن عطاء للشواهد القرآنية،

المطلب الأول: شواهد الآيات على مبدأ إسقاط التدبير

المطلب الثاني : توظيف شواهد الآيات في مصنف "الحكم" .

المطلب الأول:

شواهد الآيات على مبدأ إسقاط التديير.

يوظف ابن عطاء الله عدة آيات شاهدة على مبدأ إسقاط التدبير من العبد مع الله تعالى، ويفصل في الفهم المعين على تحقيق هذا المبدأ لأنه لب التوحيد، وفيما يلي نتبع هذه الشواهد :

● **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾¹، يستشهد

ابن عطاء الله بهذه الآية للمبايعة الحسنة الواقعة بين العبد وربّه وما يترتب عنها: «فلا ينبغي لعبد بعد المبايعة، تدبير ولا منازعة، لأن ما بعته وجب عليك تسليمه، وعدم المنازعة فيه، فالتدبير فيه نقض لعقد المبايعة»²، ويشرح ذلك فيقول: «علمك بأنك ملك لله، وليس لك تدبير ما هو لغيرك فما ليس لك ملكه، ليس لك تدبيره، وإذا كنت أيها العبد لا تنازع فيما تملك، ولا ملك لك إلا بتمليكك إياك، وليس لك ملك حقيقي، وإنما هي نسبة شرعية، أوجبت الملك لك من غير شيء قائم بوصفك تستوجب به أن تكون مالكا، فإن لا تنازع الله فيما يملكه أولى وأخرى»³.

● **قوله تعالى:** ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾⁴، يستنبط ابن عطاء الله

منها تزكية الملائكة وذلك لتسليمهم وعدم منازعتهم فيقول: «ففي هذا تزكية للملائكة، وإشارة إلى أنهم لم يكونوا مع الله مدعين لما خولهم ولا منتسبين لما نسب إليهم، إذ لو كان كذلك لقال: (إنا نحن نرث الأرض والسماء)، بل نسبتهم إليه، وهيتهم له، وولهم من عظمتهم، منعهم أن يركنوا لشيء دونه»⁵، ليرتب على ذلك دعوة للعبد أن يسلم لله في تدبيره واختياره كما سلم له في أرضه وسمائه فيقول: «فكما سلمت لله تدبيره في سمائه وأرضه، فسلم له تدبيره في وجودك: ﴿خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس﴾»⁶.

● **قوله تعالى:** ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾⁷ وقوله تعالى: ﴿ادْعُ

لَنَا رَبَّكَ﴾⁸، يبين ابن عطاء الله ما وقع لبني إسرائيل من التيه بسبب عدم امتثال الأمر ثم طلبهم من موسى الدعاء لعدم رضاهم بما اختار الله لهم فيقول: «ألا ترى أن بني إسرائيل في ابتداء الأمر

1- سورة التوبة الآية 111.

2- ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، ص 17.

3- المصدر نفسه.

4- سورة مريم الآية 40.

5. المصدر نفسه، ص 18.

6. المصدر نفسه، ص 18.

7- سورة المائدة الآية 24.

8- سورة البقرة الآية 61.

قالوا لموسى عليه السلام، وهو كان سبب التيه لهم: ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾، وقالوا في آخره: ﴿ اذْغُ لَنَا رَبِّكَ ﴾، فأبوا في الأول عن امتثال أمر الله، وفي الآخرة، اختاروا لأنفسهم غير ما اختار الله بهم، وكثيرا ما تكرر منهم ما يدل على بعدهم عن مصدر الحقيقة.

وسواء الطريقة في قولهم: ﴿ أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾¹، وفي قولهم لموسى عليه السلام بعد، ولم ينشف بلل البحر عن أقدامهم حين فرق لهم لما عبروا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾²، فكانوا كما قال موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾³ «⁴، وفي هذا تحذير للعبد إذا عدم الرضا عن الله في اختياره أو عدم الامتثال لأمره .

● **قوله تعالى:** ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾⁵، يقف ابن عطاء عطاء الله عند هذه الآية ويفصل طويلا، لأنها أصل في وجوب التوحيد وترك التدبير، ولأن الله تعالى تولى العبد يوم المقادير بالتدبير في جميع الأطوار فيقول: «: اعلم أن الحق سبحانه وتعالى تولاك بتدبيره على جميع أطوارك وقام لك في كل ذلك بوجود إبرازك، فقام لك بحسن التدبير يوم المقادير، يوم: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلَى ﴾.

ومن حسن تدبيره لك حينئذ، أن عرفك به فعرفته، وتجلي لك فشهدته، واستنطقك وألهمك الإقرار بربوبيته فوحدته، ثم إنه جعلك نطفة مستودعة في الأصلاص، وتولاك بتدبيره هنالك، حافظا لك، وحافظا لما أنت فيه، مواصلا لك المدد بواسطة من أنت فيه من الآباء إلى أبيك آدم، ثم قذفك في رحم الأم، فتولاك بحسن التدبير حينئذ وجعل الرحم قابلة أرضا يكون فيها نباتك ومستودعا يعطى فيها حياتك، ثم جمع بين النطفتين، وألف بينهما فكنت عنهما، لما بنيت عليه الحكمة الإلهية من أن الوجود كله مبني على سر الازدواج، ثم جعلك بعد النطفة علقة مهيأة لما يريد سبحانه وتعالى، أن ينقلها إليه، ثم بعد العلقة مضغعة، ثم فتق سبحانه وتعالى في المضغعة

1- سورة النساء الآية 153.

2- سورة الأعراف الآية 138.

3- سورة مريم الآية 40.

4. المصدر نفسه ، ص 27.

5- سورة الأعراف الآية 172.

صورتك، وأقام بنيتك، ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك، ثم غذاك بدم الحيض في رحم الأم حتى قويت أعضاؤك، واشتدت أركانك ليهيئك إلى البروز إلى ما قسم لك أو عليك، وليبرزك إلى دار يتعرف فيها بفضلته وعدله إليك.

ثم لما أنزلك إلى الأرض علم سبحانه وتعالى أنك لا تستطيع تناول خشونات المطاعم، وليس لك أسنان ولا أرحاء تستعين بها على ما أنت طاعم، فأجرى الشدين بغذاء لطيف، ووكل بهما مستحث الرحمة في قلب الأم كلما وقف اللبن عن البروز استحثته الرحمة التي جعلها لك في الأم مستحثا لا يفتر، ومستنهضا لا يقصر، ثم إنه شغل الأب والأم بتحصيل مصالحك، والرأفة عليك والنظر بعين المودة منهما إليك، وما هي إلا رأفة ساقها إليك، وإلى العباد في مظاهر الآباء والأمهات، تعريفا بالوداد، وفي حقيقة الأمر ما كفأك إلا ربوبيته، وما حضنك إلا ألوهيته.

ثم ألزم الأب القيام بك إلى حين البلوغ، وأوجب عليه ذلك رأفة منه بك، ثم رفع قلم التكليف عنك إلى أوان تكمل الأفهام، وذلك عند الاحتلام، ثم إلى إن صرت كهلا لم يقطع عنك نوالا ولا فضلا، ثم إذا انتهيت إلى الشيخوخة، ثم إذا قدمت عليه، ثم إذا حشرت إليه، ثم إذا أقامك بين يديه ثم إذا أسلمك من عقابه، ثم إذا أدخلك دار ثوابه، ثم إذا كشف عنك وجود حجابيه، وأجلسك مجلس أوليائه وأحبابه، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾¹ 2، فابن عطاء الله إنما سرد هذه الأطوار ليبين مظاهر التدبير في الأزل، حتى لا يبقى للعبد مجالا أن تدبيره وغفلته عن ربه منازعة.

• **قوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾³، يستنبط ابن عطاء الله من هذه الآية صفتين، كل منهما تدل على هدم التدبير، فيقول: «قد تضمنت الآية ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ صفتين كل واحدة منهما تدل على هدم التدبير، وذلك أنه سبحانه وتعالى وصف هذه النفس التي خصصها بهذه الخصائص التي ذكرناها بأوصاف منها: الطمأنينة والرضا، وهما لا يكونان إلا مع إسقاط التدبير، إذ لا تكون النفس مطمئنة حتى تترك التدبير مع الله تعالى ثقة منها بحسن تدبيره لها، لأنها إذا رضيت عن الله استسلمت له، وانقادت

1- سورة القمر الآية 54 . 55.

2- ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 15.

3- سورة الفجر الآية 27 . 28.

لحكمه، وأذعنت لأمره، فاطمأنت لربوبيته، وقرت بالاعتماد على ألوهيته، فلا اضطراب إذ ما أعطاها من نور العقل يثبتها، فلا حركة لها، خامدة لأحكامه، مفوضة له في نقضه وإبرامه»¹. فاستفادة ابن عطاء الله من الآية بدلالة الإلزام، فالطمأنينة والرضا لا يتحققان إلا مع التسليم وترك التدبير.

• **قوله تعالى :** ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾، **وقوله تعالى :** ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾، وقوله تعالى: ﴿كَهَيْعَص، ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرْيَا﴾، وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾.

يقف ابن عطاء الله عند هذه الآيات التي أثبتت أن أشرف مقام هو مقام العبد، وفيه أقيم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول: «اعلم أن أجل مقام أقيم العبد فيه: مقام، قول الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾²، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾³، وقوله تعالى: ﴿كَهَيْعَص، ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرْيَا﴾⁴، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾⁵.

ولما خير رسول صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا، اختار العبودية لله تعالى، ففي ذلك أدل دليل أنها من أفضل المقامات، وأعظم القربات. قال صلى الله عليه وسلم: (إنما أنا عبد لا آكل متكئا، إنما أنا عبد الله، آكل كما يأكل العبيد)⁶، وقال صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)⁷، وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول: (ولا فخر، أي لا أفتخر بالسيادة، إنما الفخر لي بالعبودية لله تعالى ولأجلها كان الإيجاد)، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁸ «⁹.

1. المصدر نفسه ، ص 61.

2. سورة الإسراء الآية 1.

3. سورة الأنفال الآية 41.

4. سورة مريم الآية 2.

5. سورة الجن الآية 19.

6. الحديث سبق ص 174.

7. الحديث سبق تخريجه ص 174.

8. سورة الذاريات الآية 56.

9. ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 26.

ثم يواصل ابن عطاء الله حديثه عن العبودية ويؤكد أن لها روحا وسرا، هو ترك الاختيار وعدم منازعة الأقدار، فيقول: «والعبادة ظاهر العبودية، والعبودية روحها: وإذا قد فهمت هذا فروح العبودية وسرها إنما هو ترك الاختيار وعدم منازعة الأقدار، فتبين من هذا إن العبودية ترك التدبير والاختيار مع الربوبية. فإذا كان لا يتم مقام العبودية الذي هو أشرف المقامات إلا بترك التدبير، فحقيق على العبد أن يكون له تاركا، وللتسليم لله تعالى وللتفويض له سالكا، ليصل إلى مقام الأكمل، والمنهج الأفضل»¹.

ويشرح في موضع آخر حقيقة العبودية بمعنى ترك مخاصمة الأقدار فيقول: «اعلم أن التدبير مع الله عز وجل عند أولي البصائر إنما هو مخاصمة للربوبية، وذلك لأنه إذا نزل بك أمر تريد رفعه، أو رفع عنك أمر تريد وضعه، أو تهمت بأمر أنت عالم أنه متكفل بذلك، وقائم به إليك، كان ذلك منازعة للربوبية، وخروجا عن حقيقة العبودية واذكر ها هنا قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾²»³.

1 . المصدر نفسه ، ص 27.

2 . سورة يس الآية 77 .

3 . ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، ص 56.

المطلب الثاني :

توظيف شواهد الآيات في مصنف "الحكم".

وظف ابن عطاء الله تسع عشرة آية في حكمه كلها شاهدة على المعنى توظيفا إشاريا، سأثبتها في هذا الموضع مرتبة على حسب ترقيم "الحكم"، ثم أتبعها بشرح الحكمة وما جاء في تفسير الآية ليتبين وجه توظيفها في الحكمة:

● **قوله تعالى:** ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾¹،
أورد ابن عطاء الله هذه الآية في الحكمة رقم 30 التي يقول فيها: (الواصلون إليه... السائرون إليه)، وفي المعنى الإشاري لهذه الآية يقول ابن عجيبة: (﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾، وهم الواصلون العارفون، يُنفقون من سعة علومهم وأسرارهم، على المريدين الذي استرضعوههم، ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ من المريدين السائرين، ﴿فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ على مَن تعلق به من المريدين، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾، سيجعل الله بعد عُسْرٍ وضيقٍ في العلوم والأسرار يُسرًا، فتتسع عليه العلوم والأسرار بعد التمكين)². فتوظيف هذه الآية من باب تضمنها الإشاري إلى حال العارفين وتفاوت درجاتهم في رصيد معرفتهم الربانية المفاضة عليهم، وحال تعاملهم مع المريدين، فكل ينفق مما آتاه الله حسب درجته، ولا يكلف الله نفسا إلا ما آتاه.

ونفس المعنى أشار إليه "إسماعيل حقي" بقوله: (ومن قدر عليه رزقه من الفيوض الإلهية، فلينفق مما آتاه الله بحسب استعداده لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاه، في استعدادها الأربلي وقابليتها الغيبية، سيجعل الله بعد عسر انقطاع الفيض يسر اتصال الفيض)³.

● **قوله تعالى:** ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾⁴، استشهد ابن عطاء الله بهذه الآية في الحكمة رقم 31 يقول فيها: (اهتدى الراحلون إليه بأنوار التوجه والواصلون لهم أنوار المواجهة فالأولون للأنوار وهؤلاء الأنوار لهم لأنهم لله لا شيء دونه ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾)⁵، ومعنى هذه الحكمة أن أنوار التوجه هي أنوار الإسلام والإيمان، وأنوار المواجهة هي أنوار الإحسان، فإذا أراد الحق سبحانه أن يوصل عبده إليه توجه إليه أولا بنور حلاوة العمل الظاهرة، وهو مقام الإسلام، فيتهدي إلى العمل ويفنى فيه ويدوق حلاوته، ثم يتوجه

1 . سورة الطلاق الآية 07 .

2 - ابن عجيبة ، إيقاظ المهمم ، ج6 ص 346.

3 - إسماعيل حقي . روح البيان . دار الفكر . (د.ط.ت) ، ج 15 ص 397.

4 - سورة الأنعام الآية 91 .

5 - ابن عطاء الله ، الحكم ، تحقيق أحمد عز الدين خلف الله ، ص 26.

إليه بنور حلاوة العمل الباطن، وهو مقام الإيمان من الإخلاص والصدق والطمأنينة والأنس بالله والتوحيش مما سواه، فيفنى فيه ويدوق حلاوته ويتمكن من المراقبة، وهذا النور أعظم من الأول وأكمل، ثم يتوجه إليه بنور حلاوة المشاهدة وهو عمل الروح، وهو أول نور المواجهة فتأخذه الدهشة والحيرة والسكرة، فإذا أفاق من سكرته وصحا من جذبته، وتمكن من الشهود وعرف الملك المعبود، ورجع إلى البقاء فكان لله وبالله، فصار مالكا للأنوار بعد أن كانت مالكة له، لافتقاره لها قبل وصوله إلى أصله¹.

وفي تخرج إشارة هذه الآية يقول ابن عجيبة : (وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ استشهد به الصوفيُّ من طريق الإشارة، على الانفراد والانقطاع إلى الله، وعدم الالتفات إلى ما عليه الناس من الخوض والاشتغال بالأغيار والأكدار، والخروج عنهم إلى مقام الصفا، وهو شهود الفردانية، والعكوف في أسرار الوجدانية)².

ومن ثم فقد استشهد ابن عطاء الله لهذا المعنى بهذه الآية على طريق الإشارة، ﴿قل الله﴾ بقلبك وروحك وغب عما سواه ﴿ثم ذرهم﴾ أي الناس وتركهم ﴿في خوضهم يلعبون﴾، أي يخوضون في السوى لاعبين في الهوى³.

● **قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾**⁴، استشهد ابن عطاء الله بهذه الآية في الحكمة رقم 33 فقال: (الحق ليس بمحجوب عنك، إنما المحجوب أنت عن النظر إليه، إذ لو حجبته شيء لستره ما حجبته ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾)⁵، ومعنى هذه الحكمة أن الحق محال في حقه الحجاب، لأنه ظهر بكل شيء شيء وقبل كل شيء، وبعد كل شيء، فلا ظاهر معه، ولا موجود سواه، وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه لاعتقاداتك الغيرية، وتعلق قلبك بالأمر الحسية، إذ لو حجبته شيء حسي لستره ذلك الحجاب، ولو كان له ساتر حسي لكان لوجوده حاصر، إذ محال أن يستره من جميع الوجوه ولا يحصره، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر⁶.

1 - ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ص 80.

2 - ابن عجيبة ، تفسير البحر المديد ، ج2 ص 173.

3 - ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ص 81.

4 - سورة الأنعام الآية 18.

5 - عاصم إبراهيم الكيالي ، النص الكامل للحكم الكبرى والصغرى ، ص 98.

6 - ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ص 82 . 83.

وفي تخرّيج إشارة هذه الآية يقول ابن عجيبة: (والله تعالى يقول في كتابه ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، أي لأنهم في قبضته، وتحت تصرف قدرته، وتخصيص إرادته ومشئته، والفوقية: عبارة عن رفعة الجلال والمكانة لا المكان، كما يقال: السلطان فوق الوزير، والسيد فوق عباده، وغير ذلك مما يثبت الكبرياء وينفي سمات الحدوث)¹. ومن ثم فتوظيف هذه الآية في سياق الحكمة لما تضمنته من اسم القهار، وإثبات صفة القهر لله تعالى بإطلاق، فلا يجوز عليه تعالى السائر ولا الحجاب، وبهذا أثبت ابن عطاء الله أن العبد هو المحجوب بأوصاف البشرية.

● **قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾²، استشهد**

ابن عطاء الله بهذه الآية في الحكمة رقم 40 فقال : (العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه، ويطلب ما لا بقاء له معه، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾)³، ومعنى هذه الحكمة أنه مما يتعجب منه حقاً أن يهرب العبد مما لا انفكاك له عن قدر الله وقضائه، ويطلب ما لا بقاء له من حظوظ تدبيره واختياره، إذ كل ما تدبره وتبرمه فسخه القضاء وهدمه، وهذا كله من عدم فتح البصيرة أو عماها ولذلك قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ عن إدراك الحس، لأنها أدركته وحجبت به ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾ عن إدراك المعنى، فلا ترى إلا الحس ولا تحب إلا إياه، ولا تطلب شيئاً سواه)⁴.

وفي تفسير هذه الآية وبيان إشاراتها يقول ابن عجيبة في تفسيره: (عمى القلوب هو انطماس البصيرة، وعلامة انطماسها أمور : إرسال الجوارح في معاصي الله، والانهماك في الغفلة عن الله، والوقوع في أولياء الله، والاجتهاد في طلب الدنيا مع التقصير فيما طلبه منه الله . وعلامة فتحها أمور: المسارعة إلى طاعة الله، واستعمال المجهود في معرفة الله، بصحبة أولياء الله، والإعراض عن الدنيا وأهلها، والأنس بالله، والغيبة عن كل ما سواه.

واعلم أن البصر والبصيرة متقابلان في أصل نشأتهما، فالبصر لا يُبصر إلا الأشياء الحسية الحادثة، والبصيرة لا تُبصر إلا المعاني القديمة الأزلية، فإذا انطمست البصيرة كان العبد مفروقاً عن الله، لا يرى إلا الأكوان الظلمانية الحادثة. وفي ذلك يقول المجذوب رضي الله عنه. وإذا انفتحت

1 - ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ص 83.

2 - سورة الحج الآية 46.

3 - عاصم إبراهيم الكيالي ، النص الكامل للحكم الكبرى والصغرى ، ص 98.

4 - ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ص 92.

البصيرة بالكلية استولى نورها على نور البصر، فانعكس نور البصر إلى البصيرة، فلا يرى العبد إلا أسرار المعاني الأزلية، المكنية للأواني الحادثة، فيغيب عن رؤية الأكوان بشهود المكون. وعلاجُ انفتاحها يكون على يد طبيب ماهر عارف بالله، يقدها له بمرود التوحيد، فلا يزال يعالجها بإثمد توحيد الأفعال، ثم توحيد الصفات، ثم توحيد الذات، حتى تنفتح. فتوحيد الأفعال والصفات يُشهد قُرب الحق من العبد، وتوحيد الذات يُشهد عدمه لوجود الحق، وهو الذي أشار إليه في الحكم بقوله : « شعاع البصيرة يشهدك قرب الحق منك، وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده، وحق البصيرة يشهدك وجود الحق، لا عدمك ولا وجودك. كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان ». فيرى حينئذ من أسرار الذات وأنوار الصفات ما لا يراه الناظرون، ويشاهد ما لا يشاهده الجاهلون¹.

وقال إسماعيل حقي : (الآية إشارة إلى أن العقل الحقيقي إنما يكون من نتائج صفاء القلب بعد تصفية حواسه عن العمى والصمم، فإذا صح وصف القلوب بالسمع والبصر، صح وصفها بسائر صفات الحي من وجوه الإدراكات، فكما تبصر القلوب بنور اليقين، تدرك نسيم الإقبال بمشام السر، قال تعالى في خبر عن يعقوب عليه السلام: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾، وما كان ذلك إلا بإدراك السرائر دون اشتمام ريح في الظاهر، فعلى العاقل أن يجتهد في تصفية الباطن وتحلية القلب وكشف الغطاء عنه بكثرة ذكر الله تعالى².

وبهذا ثبت لنا أن البصيرة التي هي عين القلب قد تصاب بالعمى، وعلامة ذلك هو الهروب من قضاء الله وقدره، وترك معرفته، والإقبال على بالتدبير والاختيار موافقة للهوى وطلب حظوظ الدنيا الفانية التي إن لم تزل عنها بالحياة زالت عنك بالممات، وهذا هو وجه استشهاد ابن عطاء الله بهذه الآية على المعنى الوارد في سياق الحكمة.

● **قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾³**، استشهد ابن عطاء الله بهذه الآية في

الحكمة رقم 42 فقال : (لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير، والمكان الذي ارتحل إليه هو المكان الذي ارتحل منه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ

1 - ابن عجيبة ، البحر المديد ، ج 4 ص 152.

2 - إسماعيل حقي ، روح البيان ، ج 8 ص 419 .

3 - سورة النجم الآية 24

الْمُنْتَهَى¹، ومعنى هذه الحكمة أن الرحيل من الكون إلى الكون هو أن تترك حظاً من حظوظ نفسك طلباً لحظ آخر، كمن زهد في الدنيا وانقطع إلى الله، يطلب بذلك راحة بدنه وإقبال الدنيا عليه، فحاله حال حمار الطاحونة الذي سار منه هو الذي عاد إليه، فينبغي للمريد أن يرفع همته إلى طلب شهود الملك الديان، وهو غاية القصد وبلوغ المنتهى².

وفي تخريج إشارة هذه الآية يقول ابن عجيبة: (انتهى سير السائرين إلى الوصول إلى الله، والعكوف في حضرته. ومعنى في حضرته، ومعنى الوصول إلى الله: العلم بأحدية وجوده، فيمتحي وجود العبد في وجود الرب، وتضمحل الكائنات في وجود المكوّن، فتسقط شفيعة الأثر، وتثبت وتربة المؤثر³).

ومن ثم فإن ابن عطاء الله استشهد بالمعنى الإشاري لهذه الآية للدلالة على أن رفع الهمة في طلب الوصول إلى معرفة الله تعالى بالشهود والعيان، ويكون بترك حظوظ النفس والهوى، ودوام اللجأ إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، والاستسلام لما يورده عليك.

● **قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾⁴**، استشهد ابن عطاء الله بهذه الآية في الحكمة رقم 47 فقال: (لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره. فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة، إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة، إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور، إلى ذكر مع وجود غيبة، عما سوى المذكور، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾⁵، ومعنى هذه الحكمة أن لا مدخل على الله، إلا من باب الذكر، فالواجب على العبد أن يستغرق فيه أوقاته، ويبذل فيه جهده، فيلتزم العبد الذكر على كل حال ولا يترك الذكر باللسان لعدم حضور القلب فيه، بل يذكره بلسانه ولو كان غافلاً بقلبه، لأن غفلتك عن ذكره إعراض عنه بالكلية، وفي وجود ذكره إقبال بوجه ما، وفي شغل اللسان بذكر الله تزيين جارحة بطاعة الله، وفي فقدته تعرض لاشتغالها بالمعصية، فليلزم ذكر اللسان حتى يفتح الله بذكر الجنان، وما ذلك على الله بممتنع فقد يرفع من في أسفل الدرجات إلى أعلى الدرجات⁶.

1 - عاصم إبراهيم الكيالي، النص الكامل للحكم العطائية الكبرى والصغرى، ص 98.

2 - ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص 93.

3 - ابن عجيبة، البحر المديد، ج 6 ص 185.

4 - سورة إبراهيم الآية 20.

5 - عاصم إبراهيم الكيالي، النص الكامل للحكم العطائية الكبرى والصغرى، ص 99.

6 - ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص 103.

وفي تفسير هذه الآية يقول ابن عجيبة : (﴿وَمَا ذَلِك عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أي : بمتعذر، أو ممتنع؛ لأن قدرته عامة التعلق، لا تختص بمقدور دون آخر، ومن كان هذا شأنه كان حقيقاً بأن يُفرد بالعبادة والقصد؛ رجاء ثوابه، وخوفاً من عقابه يوم الجزاء¹.

وقال "إسماعيل حقي" في تفسيرها : (﴿وَمَا ذَلِك﴾ أي إذهابكم والإتيان بخلق جديد مكانكم ﴿عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ بمعتذر أو متعسر، بل هو هين عليه يسير، فإنه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾². والآية تدل على كمال قدرته تعالى وصورته حيث لا يؤاخذ العصاة على العجلة³. ومن ثم فإن ابن اعطاء الله استشهد بالآية إشارياً، في شمول قدرة الله تعالى في رفع الذاكر من رتبة إلى رتبة أعلا.

● **قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾**⁴، استشهد ابن عطاء الله بهذه الآية في الحكمة رقم فقال : (لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله إليك، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾⁵، ومعنى هذه الحكمة : إن ظهرت منك أيها المرید طاعة أو إحسان فلا تفرح بها من حيث أنها برزت منك فتكون مشركاً بربك، فإن الله تعالى غني عنك وعن طاعتك، وافرح بها من حيث أنها هدية من الله إليك تدل على أنك من مظاهر كرمه، وفضله وإحسانه فالفرح إنما هو بفضل الله ورحمته، ففضل الله تعالى هو هدايته وتوفيقه، ورحمته هو اجتباؤه وتقريبه، وقيل غير هذا⁶.

وفي تخرج إشارات هذه الآية يقول ابن عجيبة : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾، ففضل الله : أنوار الإسلام والإيمان، ورحمته : أنوار الإحسان، أو فضل الله : أحكام الشريعة، ورحمته : الطريقة والحقيقة، أو فضل الله : حلاوة المعاملة، ورحمته : حلاوة المشاهدة، أو

1 - ابن عجيبة ، البحر المديد ، ج 3 ص 195.

2 - سورة يس الآية 82.

3 - إسماعيل حقي ، ج 6 ص 321.

4 - سورة يونس الآية 58.

5 - عاصم إبراهيم الكيالي ، النص الكامل للحكم العطائية الكبرى والصغرى ، ص 99.

6 - ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ص 116.

فضل الله : استقامة الظواهر، ورحمته : استقامة البواطن، أو فضل الله : محبته، ورحمته : معرفته، إلى غير ذلك مما لا ينحصر¹.

وقال إسماعيل حقي : ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس ﴿بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ عبارتان عن إنزال القرآن، والباء متعلقة بمحذوف، وأصل الكلام: ليفرحوا بفضل الله وبرحمته، وتكرير الباء في رحمته، للإيدان باستقلالها في استيعاب الفرح، ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لإفادة القصر، ثم أدخل عليه الفاء لإفادة معنى السببية، فصار بفضلله وبرحمته فليفرحوا، ثم قيل ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ للتأكيد والتقرير، ثم حذف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه، والفاء الأولى جزائية والثانية للدلالة على السببية، والأصل إن فرحوا بشيء فبذلك ليفرحوا لا بشيء آخر، ثم أدخل الفاء للدلالة على السببية، ثم حذف الشرط وأشير بذلك إلى اثنين، إما لاتحادهما بالذات أو بالتأويل المشهور في أسماء الإشارة ﴿هو﴾ أي ما ذكر من فضل الله ورحمته ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الأموال الفانية. فكأن الله تعالى يقول عبدي لا تعتمد على طاعتك وخدمتك واعتمد على فضلي ورحمتي فإن رأس المال ذلك².

ومن ثم فقد انفتحت معاني تفهم عند الآية لا تحصى، ولهذا استشهد بها ابن عطاء الله، في سياق المعنى الوارد في الحكمة المتضمن فرح العبد بالطاعة باعتبار أنها فضل ورحمة من الله تعالى للعبد، لا حول ولا قوة للعبد فيها.

● **قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾³**، استشهد ابن عطاء الله بهذه الآية

في الحكمة رقم 65 فقال : (خف من إحسانه إليك ودوام إساءتك معه، أن يكون ذلك استدراجا لك، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁴)، ومعنى هذه الحكمة: تخويف للمريد من دوام إحسان الحق إليه بالصحة و الفراغ وسعة الأرزاق، ودوام الأمداد الحسية والمعنوية، مع دوام إساءتك معه بالغفلة والتقصير، وعدم شكرك للملك الكبير، أن يكرن ذلك استدراجا منه

1 - ابن عجيبة ، البحر المديد ، ج2 ص 499.

2 - إسماعيل حقي ، روح البيان ، ج 5 ص 293.

3 - سورة الأعراف الآية 182.

4 - عاصم إبراهيم الكيالي ، النص الكامل للحكم العطائية الكبرى والصغرى ، ص 100.

تعالى، فالواجب على الإنسان إذا أحس بنعمة ظاهرة أو باطنة حسية أو معنوية، أن يعرف حقها ويبادر إلى شكرها نطقاً واعتقاداً وعملاً¹.

وفي تفسير هذه الآية يقول "الألوسي": (والاستدراج استفعال من الدرجة، بمعنى النقل درجة بعد درجة من سفلى إلى علو، فيكون استصعاداً أو بالعكس فيكون استنزالاً، ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي، سواء كان بطريق الصعود أو الهبوط أو الاستقامة، ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال إلى حال من الأحوال الملائمة للمتقل الموافقة لهواه، واستدراجه تعالى إياهم بإدراك النعم عليهم مع إنهماكهم في الغي، ولذا قيل : إذا رأيت الله تعالى أنعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج، وهذا يمكن حمله على الاستصعاد باعتبار نظرهم وزعمهم أن تواترة النعم أثرة من الله تعالى وهو الظاهر، وعلى الاستنزال باعتبار الحقيقة، ﴿مَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه كذلك بل يحسبون أنه أثرة من الله تعالى، وقيل: لا يعلمون ما يراد بهم، والجار والجرور متعلق بمضمر وقد صفة لمصدر الفعل المذكور أي سنستدرجهم استدراجاً كائناً من حيث لا يعلمون².

وفي استخراج إشارتها يقول "ابن عجيبة": (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون، أي: ندرجهم إلى مقام البعد درجة درجة، من حيث لا يشعرون، فهم يحسبون أنهم يصعدون، وهم يسقطون، يطنون أنهم يُرَقَّقون الحجاب بينهم وبين الله، وهم يغفلون. قيل: حقيقة الاستدراج هو السكون إلى اللذات، والتنعم بالنعمة، ونسيان ما تحت النعم من النقم³).

وقال إسماعيل حقي في تفسيرها واستخراج إشاراتها: (وكذلك مكر الله بالخاصة خفي مستور، في إبقاء الحال عليهم وتأبيد هم بالكرامات مع سوء الأدب الواقع منهم، فتراهم يتلذذون بأحوالهم، وما عرفوا ما ادخر لهم من المؤاخذات نسأل الله العافية. وقال بعض العارفين مكر الله في نعمه أخفى منه في بلائه فالعقل من لا يأمن مكر الله في شيء، وأدنى مكر يصاحب النعمة الظاهرة أو الباطنة أن يخطر في نفسه أنه مستحق لتلك النعمة، وأنها من أجل إكرامه خلقت، ويقول: إن الله ليس بمحتاج إليها فهي لي بحكم الاستحقاق، وهذا يقع فيه كثيراً من لا تحقيق عنده من العارفين، لأن الله إنما خلق الأشياء بالأصالة، لتسبح بحمده، وأما انتفاع عباده بها

1 - ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص 130.

2 - محمود الألوسي، روح المعاني، ج 6 ص 458.

3 - ابن عجيبة، البحر المديد، ج 6 ص 393.

فبحكم التبعية، وقال بعض المحققين كل علم ضروري وجده العبد في نفسه من غير تعمل فكر فيه ولا تدبر، فهو عطاء من الله لوليه الخاص بلا واسطة ولكن لا يعرف أن ذلك من الله إلا الكمل من الرجال، ويحتاج صاحب مقام الفتح إلى ميزان دقيق، لأنه قد يكون في الفتح مكر خفي واستدراج، ولذلك ذكره تعالى في القرآن على نوعين: بركات وعذاب، حتى لا يفرح العاقل بالفتح، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾¹، وقال تعالى: ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾²، وتأمل قول قوم عاد: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا﴾³، لما حجبته العادة، ف قيل لهم: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁴ ⁵. ولهذا استشهد ابن عطاء الله بالآية في سياق حديثه عن الغرور الذي يصيب المريد إذا أدام الإساءة مع مولاه، فقابله بدوام الإحسان، فيظن أن توافد النعم عليه علامة الرضى والقبول، وإنما هو تدرج في الإبعاد وشغل عن رب العباد، ﴿من حيث لا يعلمون﴾ أى من الجهة التي لا يشعر أنه استدراج، وهو الإنعام عليه، لأنه يحسبه إثارة له، وتفضيلاً على غيره وهو سبب لهلاكه، ففي الحديث: (كم من مستدرج بالإحسان إليه، وكم من مفتون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه)⁶، وعلاج ذلك هو ملازمة حدود الشريعة ولزوم الطاعة وتحديد التوبة.

ومحل الشاهد أن الآية سقت في بيان استدراج الله تعالى للكفار يزيدهم نعماً ويفتح عليهم زينة الدنيا، وهم يظنون أنهم على الحق، وفهم منها ابن عطاء الله بطريق الإشارة حال المريد تتواتر عليه النعم وهو مقيم على المعصية، فيظن ذلك تخصيصاً له من مولاه، وحقيقته استدراج.

● قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ

مَحْظُورًا﴾⁷، استشهد ابن عطاء الله بهذه الآية في الحكمة رقم 68 فقال: (قوم أقامهم الحق لخدمته، وقوم اختصهم بمحبته، ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ

1 - سورة الأعراف الآية 96.

2 - سورة المؤمنون الآية 77.

3 - سورة الأحقاف الآية 24.

4 - سورة الأحقاف الآية 24.

5 - إسماعيل حقي، روح المعاني، ج 16 ص 26.

6 - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده بقول: (حدثني إبراهيم بن الحسن الباهلي حدثنا إبراهيم بن حماد عن الحسن، كتاب الزهد، رقم الحديث 1531، ج 4 ص 80.

7 - سورة الإسراء الآية 20.

مَحْظُورًا¹، ومعنى هذه الحكمة أن العباد المخصوصون بالعناية على قسمين: قسم وجههم الحق لخدمته وأقامهم فيها، وهم أنواع: عبّاد وزهاد، علماء وصلحاء، مجاهدون وأمراء. وقسم أقامهم الحق لمحبتة واختصهم بمعرفته، وهم العارفون الكاملون. وهذا حكمة من الحكيم، فوجب تعظيم الجميع، ولا يجب الملك أن نخقر له عبدا من عباده، وإن كانوا متفاوتين عنده².

وفي تفسير هذه الآية يقول "ابن كثير": (﴿كُلًّا﴾ أي كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة، ندمهم فيما هم فيه ﴿مِنْ عَطَاءٍ رَبِّكَ﴾ أي: هو المتصرف الحاكم الذي لا يجور، فيعطي كلا ما يستحقه من الشقاوة والسعادة ولا راد لحكمه ولا مانع لما أعطى، ولا مغير لما أراد، ولهذا قال: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ أي: ممنوعا، أي: لا يمنعه أحد ولا يرده راد³.

وفي تخرّيج إشارة هذه الآية يقول "ابن عجيبة": (واعلم أن الناس على قسمين؛ قوم أقامهم الحق لخدمته، وهم العباد والزهاد، وقوم اختصهم بمحبته، وهم العارفون بالله، أهل الفناء والبقاء، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾، في الكرامات والأنوار، وفي المعارف والأسرار⁴.

ومن ثم فإن الآية سبقت لبيان إمداد الله تعالى بالأسباب للفريقين، فريق يريد الدنيا، وفريق يريد الآخرة، ولا راد لعطائه سبحانه، ومن باب الإشارة استفاد ابن عطاء الله أن مدد الله وعطائه لا يمنعه أحد، ولا يمنع عن أحد، ومن أولئك فريقان: فريق أقامه الله في الخدمة من نوافل الطاعات وأنواع المجاهدات، وفريق اختارهم الله لتلقي المعرفة بالشهود والعيان، ويقدر على ذلك كل أحد.

● **قوله تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾⁵**، استشهد ابن عطاء الله بهذه الآية في

الحكمة رقم 140 فقال: (أباح لك أن تنظر ما في المكونات، وما أذن لك أن تقف مع ذوات

1 - عاصم إبراهيم الكيالي، النص الكامل للحكم العطائية الكبرى والصغرى، ص 100.

2 - ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص 141.

3 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 5 ص 63.

4 - ابن عجيبة، البحر المديد، ج 3 ص 324.

5 - سورة يونس الآية 101.

المكونات، فتح لك باب الأفهام، ولم يقل: (انظروا السماوات)، لئلا يدل ذلك على وجود الأجرام¹، ومعنى هذه الحكمة : أن الله تعالى أباح للإنسان أن ينظر ماذا في السماوات والأرض من النور اللطيف الذي قامت به الأشياء، ولم ييح له أن يقف مع ذوات المكونات، حتى لا يقف مع القشر ويحجب عن اللب، لأن الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة، فمن وقف مع ظاهرها كان محجوباً، ومن نفذ إلى باطنها كان عارفاً محبوباً، وفي هذه الآية إباحة باب الفهم، ليفهم العبد ماذا في السماوات من عظمتها، ومعاني أسرار ذاته، وكمال قدرته، وإرادته وسائر صفاته، ليعرفه في كل شيء، ويفهم عنه في كل شيء، ولأنه سبحانه لا يدل ذلك على الأجرام ولا يسد لك باب الأفهام، فلم يقل: (انظروا السماوات والأرض). ثم إن الله تعالى ندب عباده إلى معرفة ذاته وتدرج بهم إليها شيئاً فشيئاً، فمنهم من قصر ومنهم من وصل².

وفي تفسير هذه الآية يقول "ابن كثير": (يرشدُ تعالى عباده إلى التفكير في آلائه وما خلق في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، من كواكب نيرات، ثوابت وسيارات، والشمس والقمر، والليل والنهار، واختلافهما، وإيلاج أحدهما في الآخر، حتى يطول هذا ويقصر هذا، ثم يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السماء واتساعها، وحسنها وزينتها، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزرع والأزهار، وصنوف النبات، وما ذراً فيها من دوابٍ مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب. وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا مسخر مذل للساكنين، يحمل سفنهم، ويجري بها برفق بتسخير القدير ، لا إله إلا هو، ولا رب سواه)³.

وفي تخريج إشارة هذه الآية يقول "ابن عجيبة": (أمر الحق جل جلاله أهل النظر والاستبصار بأن ينظروا ماذا في السماوات والأرض من الأسرار والأنوار، وأمرهم أن يشاهدوا أسرار الذات وأنوار الصفات، دون الوقوف مع الأجرام الحسيات، وأمرهم أن ينظروا المعاني خلف رقة الأواني، لا أن يقفوا مع الأواني، فالأكوان كلها أواني حاملة للطف المعاني، وأصل الأواني تحسست وتكتفت فمن لطف الأواني وذوَّبها بفكرته رجعت معاني، واتصلت المعاني بالمعاني، وغابت حينئذٍ الأواني، ولا يعرف هذا إلا من صحب أهل المعاني، وهم أهل الفناء والبقاء، ومن لم يصحبهم

1 - عاصم إبراهيم الكيالي ، النص الكامل للحكم العطائية الكبرى والصغرى ، ص 105 .

2 - ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ص 263.

3 - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 4 ص 299.

فحسبه الوقوف مع الأجرام الحسية، ويستعمل فكرة التصديق والإيمان وهي عبادة التفكير والاعتبار، والأولى فكرة أهل الشهود والعرفان، الذين أفضوا إلى فضاء الشهود والعيان وقليل ما هم¹.

ومن ثم فإن معنى الآية سيقّت لتوجيه للعباد وخاصة الكفار منهم للاعتبار والنظر في المصنوعات الدالة على الصانع والقادر على الكمال، من أجل أن يوحّدوه ويؤمنوا به، ﴿ذَلِكَ﴾ قام مقام اسم الموصول (الذي) فصار من صيغ العموم تشمل جميع الأجرام وأعراضها الدالة على وحدانية الله وحكمته²، ووقف ابن عطاء الله مع دلالتها في الآية من وجهين: وجه إثباتها كما في نص القرآن فأكد بطريق الإشارة أن الله تعالى أراد منا النظر إلى هذا الذي في السماوات والأرض، من الأسرار والأنوار التي قامت بها وبغيرها من المكونات، ليفتح لنا باب الفهم عنه. والوجه الثاني تقدير حذفها ومعناه الاشتغال بظاهر الكائنات فتحجبنا عن المكون، ويسد عنا باب الفهم.

● **قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾³**، استشهد ابن عطاء الله بهذه الآية في الحكمة رقم 150 فقال: (ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده في إشراق نهار البسط ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾⁴، ومعنى هذه الحكمة: أن القبض الذي هو ثمرة الخوف، والبسط الذي هو ثمرة الرجاء، حالتان يتعاقبان على الإنسان، كتعاقب الليل والنهار، فالقبض كالليل، وربما استفاد العبد في ليل القبض من الخناس النفس، وذهاب الحس، وموالاته الأنس، ما لا تستفيده في نهار البسط، من تحصيل العلوم، وتحقيق الفنون، ومجالسة الأخيار، ومخالطة الأبرار، فالقبض له فوائد والبسط له فوائد، والعبد لا يدري أيهما أقرب له نفعاً، ومن ثم تعين على العبد الوقوف مع ما يواجهه من جهة الحق، فيتلقاه بالقبول والأدب⁵.

وفي تفسير هذه الآية يقول "ابن عاشور": (المذكورون آباؤكم وأبناؤكم لا شك في ذلك، ثم قال: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ فهو إما مبتدأ وإما حال، بمعنى أنهم غير مستوين في

1 - ابن عجيبة ، البحر المديد ، ج3 ص22.

2 - ابن عاشور محمد الطاهر ، التحرير والتنوير ، ج7 ص75.

3 - سورة الحج الآية 46.

4 - عاصم إبراهيم الكيالي ، النص الكامل للحكم العطائية الكبرى والصغرى ، ص106 .

5 - ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ص277.

نفعمكم، متفاوتون تفاوتاً يتبع تفاوت الشفقة الجبلية في الناس، ويتبع البرور ومقدار تفاوت الحاجات. فربّ رجل لم تعرض له حاجة إلى أن ينفعه أبواه وأبنأؤه، وربما عرضت حاجات كثيرة في الحالين، وربما لم تعرض، فهم متفاوتون من هذا الاعتبار الذي كان يعتمد أهله الجاهلية في قسمة أموالهم، فاعتمدوا أحوالاً غير منضبطة، ولا موثقاً بها، ولذلك قال تعالى: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً﴾، فشرع الإسلام مناط الفرائض بما لا يقبل التفاوت وهي الأبوة والبنوة، ففرض الفريضة لهم، نظراً لصلتهم الموجبة كونهم أحقّ بمال الأبناء أو الآباء¹.

وفي تخريج إشارة هذه الآية يقول ابن عجيبة: (الإنسان لا تقوم روحانيته إلا ببشريته، إلا بروحانيته، فلا يدري أيهما أقرب له نفعاً، لأن البشرية محل للعبودية ، والروحانية محل لشهود عظمة الربوبية ، ولا بد للجمع بينهما ، وكذلك الحس ، لا يقوم إلا بالمعنى ، والمعنى لا يقوم إلا بالحس ، فلا يدري أيهما أقرب نفعاً لك أيها المريد ، فتؤثره ، وإن كانت المعاني هي المقصودة بالسير ، لكن لا تقوم إلا بوجود الحس ، فلا بد من ملاحظته)².

ومن ثم فقد استدل ابن عطاء الله بهذه الآية التي نزلت في ميراث الأب من الابن، في سياق حديثه عن لزوم الأدب حال القبض أو حال البسط، فلا يطلب العبد البسط إن واجهه القبض، ولا يطلب القبض إن واجهه البسط، فقد يستفيد من أحدهما ما لا يستفيدة من الآخر، فلا يدري أيهما أنفع ولا أيهما أضر، ومحل الشاهد في الآية أن البسط كالأب لأنه ناشئ عن شهود ما منه سبحانه إليك من نعم ومدد وعطايا، وهو فعل الحق الذي صدر منه كل موجود، والقبض كالابن لأنه ناشئ عن شهود ما منك إليه سبحانه من تقصير وغيره، وهو الفرع، إذ الفعل كله من القدرة³. وينتج عن هذا أن العبد جاهل منفعتهما كجهله بالأنفع من الآباء والأبناء، فتعين متابعة الحق باتباع مراده، من غير تحول ولا انتقال، ولا حتى تشوف إلى غيره من الأحوال، وبذلك يتنور قلبه، ويتطهر سره ولبه.

● **قوله تعالى:** ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾⁴، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾¹، استشهد ابن عطاء الله بهاتين الآيتين في الحكمة رقم 170 فقال : (علم أن

1 - ابن عاشور محمد الطاهر ، التحرير والتنوير ، ج3 ص 348.

2 - ابن عجيبة ، البحر المديد ، ج1 ص 400.

3 - ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ص 277.

4 - سورة البقرة الآية 105.

العباد يتشوفون إلى ظهور سر العناية، فقال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتماداً على الأزل فقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾²، ومعنى هذه الحكمة أن الله تعالى أخبر في كتبه على ألسنة رسله، أن المدار على السابقة من العناية، تشوف العباد كلهم لظهور سر هذه الخصوصية، فكل واحد يظن أنه من أهلها، فأخبرهم الحق تعالى أن ذلك السر إنما هو اختصاص للبعض دون البعض، وأسند ذلك إلى مشيئته. ومن ثم يطمع كل واحد أن يكون من ذلك البعض، فرمما يتركون العمل ويعتمدون على سابق الأزل، فأخبرهم تعالى أن العناية قريبة ممن أحسنوا عبادة ربهم وأحسنوا إلى عباده³.

وفي تفسير آية الاختصاص هذه يقول "ابن كثير": (يَنْبَغُ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الشَّرْعِ التَّامِّ الْكَامِلِ، الَّذِي شَرَعَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾)⁴، وفي موضع آخر يقول: (أي: اختصاصكم - أيها المؤمنون - من الفضل بما لا يُجَدُّ ولا يُوصَفُ، بما شرف به نبيكم محمداً صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء وهداكم به لأحمد الشرائع)⁵. ونقل الألويسي المراد فقال: (وقيل: المراد من الآية دفع الاعتراض الذي يشير إليه الحسد بأن من له أن يخص لا يعترض عليه إذا عم)⁶.

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، فقال في تفسيرها ابن كثير: (إن رحمته تعالى مُرْصَدَةٌ لِلْمُحْسِنِينَ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَوَامِرَهُ وَيَتْرَكُونَ زَوَاجِرَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾)⁷.

وعنها يقول الطاهر ابن عاشور: (والقرب حقيقته دُنُوُّ المكان وتجاوره، ويطلق على الرجاء مجازاً. ودلّ قوله: ﴿قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ على مقدّر في الكلام، أي وأحسنوا، لأنهم إذا دعوا

1 - سورة الأعراف الآية 56.

2 - عاصم إبراهيم الكيالي، النص الكامل للحكم العطائية الكبرى والصغرى، ص 107.

3 - ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص 306.

4 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1 ص 104.

5 - المرجع نفسه، ج 2 ص 71.

6 - محمود الألويسي، روح المعاني، ج 1 ص 105.

7 - المرجع نفسه، ج 1 ص 105.

خوفاً وطعماً فقد تهيأوا لنبد ما يوجب الخوف، واكتساب ما يوجب الطمع، لئلا يكون الخوف والطمع كاذبين، لأنّ من خاف لا يُقدم على المخوف، ومن طمع لا يترك طلب المطموع، ويتحقّق ذلك بالإحسان في العمل ويلزم من الإحسان ترك السيئات، فلا جرم تكون رحمة الله قريباً منهم، وسكت عن ضد المحسنين رفقاَ بالمؤمنين وتعريضاً بأنّهم لا يظن بهم أن يسيئوا فتبعد الرحمة عنهم¹.

ونتيجة هذه الأقوال: أن الرحمة شملت عدة معاني من الفضل بما لا يُحد ولا يُوصف، منها ما شرفنا الله تعالى به من الشرائع، وشرفنا بنبينا محمداً صلى الله عليه وسلم المفضل على سائر الأنبياء وهدانا به لأحمد الطرائق، فهذا اختصاص من عامة البشر، والله تعالى أن يختص من المؤمنين من شاء بما شاء من الفضل، وهذا الفهم عن رب العالمين، تسليم له بالمشيئة، ودفع لما يصيب النفس من الحسد، ولذلك استدل بها ابن عطاء الله في سياق الحديث عن العناية التي هي نوع من الرحمة، اختص الله تعالى به بعضاً من عباده، ثم بين ابن عطاء الله علامات هذا الاختصاص بالآية الثانية وهي الإحسان، فمن كان من المحسنين، دل على إشارة انتسابه الخاصة. ودليل ذلك قول "ابن عجيبة": (وقوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾، هو تقييد لقوله ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، فالمختص بالرحمة هم المحسنون².

● قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾³، استشهد ابن عطاء الله بهذه الآية في

الحكمة رقم 177 فقال: (إن أردت ورود المواهب عليك، صحح الفقر والفاقة لديك، ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾)⁴، ومعنى هذه الحكمة أن بسط المواهب الربانية من المعارف والكشوفات والطمأنينة والعلوم والأسرار على العبد، مشروط بتحقيق القلب بالفقر والحاجة، أي التحقق بأوصاف العبودية، وهي الذل والعجز والضعف⁵.

وفي تفسير هذه الآية يقول "الطاهر ابن عاشور": () والمقصود من أداة الحصر: أن ليس شيء من الصدقات بمستحق للذين لمزوا في الصدقات، وحصر الصدقات في كونها مستحقة

1 - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج3 ص 427.

2 - ابن عجيبة ، البحر المديد ، ج2 ص 258.

3 - سورة التوبة الآية 60.

4 - عاصم إبراهيم الكيالي ، النص الكامل للحكم العطائية الكبرى والصغرى ، ص 108 .

5 - ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم شرح الحكم ، ص 314.

للأصناف المذكورة في هذه الآية ، فهو قصر إضافي أي الصدقات لهؤلاء لا لغيرهم . وأما انحصارها في الأصناف الثمانية دون صنف آخر فيستفاد من الاقتصار عليها في مقام البيان إذ لا تكون صيغة القصر مستعملة للحقيقي والإضافي معاً إلا على طريقة استعمال المشترك في معنياه. والفقر صفة مشبهة أي المتّصف بالفقر وهو عدم امتلاك ما به كفاية لوازم الإنسان في عيشه، وضده الغني¹.

وفي تخريج إشارة هذه الآية يقول ابن عجيبة: (إنما النفحات والمواهب للفقراء والمساكين، الذين افتقروا من السّوى، وسكنوا في حضرة شهود المولى)².

ومن ثم فإن وجه استشهاد ابن عطاء الله بهذه الآية، الإشارة إلى أن ما يهبه الله تعالى من المواهب والمعارف إنما هي صدقة ومنة لا جزاء على الأعمال والأحوال، لأن الصدقة لا تكون في مقابلة عمل³. فكما أن الله تعالى شرع صدقة الأموال لمن لا يملك قوت يومه من الفقراء والمساكين، فكذلك جعل مواهبه ومننه من المعارف الدنية لمن لا يملك في قلبه ذرة من الغني عن مولاه.

● **قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾**⁴، استشهاد ابن عطاء الله بهذه الآية في الحكمة رقم 197 فقال: (من استغرب أن ينقذه الله من شهوته، وأن يخرج من وجود غفلته، فقد استعجز القدرة الإلهية: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾)⁵، ومعنى هذه الحكمة : أن الحق تعالى لا يعجزه شيء، هو الغالب على أمره، وقلوب عباده بيده، يصرفها كيف شاء، ويقلبها حيث شاء، فمن كل من همكا في الغفلة، مستغرقا في بحار الشهوة، فلا يستغرب أن ينقذه الله من غفلته، وأن يخرج من وجود شهوته، فإن ذلك قدح في إيمانه⁶، لتضمنه العجز في قدرة مولاه، وفي الآية نص على تعلق القدرة بكل شيء، والعبد من جملة الشيء.

وفي تفسير هذه الآية يقول ابن عاشور: (جملة : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ ، جملة معترضة في آخر الكلام، وموقعها التذكير بقدرة الله تعالى على خلق الأشياء وأضدادها،

1 - ابن عاشور محمد الطاهر ، التحرير والتنوير ، ص 314.

2 - ابن عجيبة ، البحر المديد ، ج2 ص 416.

3 - ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم شرح الحكم ، ص 314.

4 - سورة الكهف الآية 45.

5 - عاصم إبراهيم الكيالي ، النص الكامل للحكم العطائية الكبرى والصغرى ، ص 109 .

6 - ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم شرح الحكم ، ص 342.

وجعل أوائلها مفضية إلى أواخرها، وترتيبه أسباب الفناء على أسباب البقاء، وذلك اقتدار عجيب. وقد أفيد ذلك على أكمل وجه بالعموم الذي في قوله : ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهو بذلك العموم أشبه التذليل . والمقتدر : القوي القدرة¹.

ومن ثم فإن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ سبقت بعد حديث الله تعالى عن الدورة السنوية للحياة والفناء في النبات، لبيان جريان قدرة الله تعالى على كل شيء من الأشياء، يحويه ويفنيه ولا يعجز عن شيء²، واستشهد بها ابن عطاء الله لأن العبد من جملة الأشياء ولا تعجز قدرة الله تعالى أن تنقذ العبد من شهواته وغفلته، ودليل ذلك نصوص من القرآن والسنة، تبشر في جملتها بقبول الله تعالى التائب وفرحه به قال صلى الله عليه وسلم: (الله أفرح بتوبة عبد...) ³، وثبت واقعا أن كثيرا من أهل الغفلة والعصيان، ثم صار من أهل المشاهدة والعيان، كانوا لصوصا فصاروا خصوصا، كـ"إبراهيم بن أدهم"⁴ و"الفضيل بن عياض"⁵ و"أبي يعزى"⁶، وقد ابتدأ "القشيري"¹ في كتابه "رسالة القشيري" بالترجمة لعدد من الرجال الذين سبقت لهم الغفلة والشهوة، ثم أدركتهم العناية فرفعتهم إلى رتبة الصالحين والعارفين².

1 - محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 8 ص 308.

2 - الشوكاني محمد بن علي بن محمد (1250هـ) . فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . حققه وخرج أحاديثه عبد الرحمان عميرة . دار الوفاء مصر . سنة 1997م ، ج 4 ص 396.

3 - الحديث أخرجه أبو عيسى الترمذي في سننه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةٍ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا) بَاب فِي فَضْلِ الْإِسْغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ ، رَقْم 3461 ج 11 ص 446 . وَقَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

4 - إبراهيم بن أدهم: بن منصور التميمي البلخي أبو إسحاق، زاهد مشهور تفقه وأخذ العلم عن كثير من علماء العراق والشام والحجاز، مات سنة 161هـ ودفن في سوفن حصن من بلاد الروم. خير الدين الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة 16 سنة 2005م ، ج 1 ص 31 .

5 - الفضيل بن عياض: أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشير التميمي الزاهد الخاشع شيخ الإسلام ولد بسمرقند بكورة (أبيورد) سنة 105هـ، وقدم الكوفة وكان مجاورا بمكة، وبها توفي سنة 187هـ عن نحو ثمانين سنة. عبد الرؤوف المناوي ، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر ، الدار العربية للكتاب القاهرة ، الطبعة الأولى سنة 2009م ، ج 1 ص 549.

6 - أبو يعزى: يلنور بن ميمون المتوفى سنة 572هـ عاش في فاس وله زاوية يؤمها الناس في بلدة تخرج بصحبته جماعة من أعلام الصوفية منهم أبو مدين الغوث دفين تلمسان . عبد المنعم الحفني ، الموسوعة الصوفية ، رقم الترجمة 532 ص 618.

- **قوله تعالى:** ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾³، استشهد ابن عطاء الله بهذه الآية في الحكمة رقم 215 فقال : (الحقائق ترد في حال التجلي مجملة، وبعد الوعي يكون البيان، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾)⁴، ومعنى هذه الحكمة : أن الحقائق التي هي ما يرد على قلب العارف من تجليات العلوم والحكم والمعارف، تارة تكون علومًا، وتارة تكون حكمًا ومعارف، وتارة تكون كشفًا بغيث كان أو سيكون. فإن الروح إذا تخلّصت وصفت من غبش الحس كان غالب ما يتجلى فيها حقًا، فإذا وردت هذه الحقائق في حال التجلي مجملة وقيدتها الإنسان كما جلبت، ثم تفكر فيها فإنه يتبين معناها، فبعد الوعي الحفظ يكون البيان⁵.
- وفي تفسير هذه الآية يقول ابن عاشور : (ومعنى الجملتين : أن علينا جمع الوحي وأن تقرأه وفوق ذلك أن تبينه للناس بلسانك ، أي نتكفل لك بأن يكون جمعه وقرآنه بلسانك ، أي عن ظهر قلبك لا بكتابة تقرأها بل أن يكون محفوظاً في الصدور بيناً لكل سامع لا يتوقف على مراجعة ولا على إحضار مصحف من قُرب أو بُعد. فالبيان هنا بيان ألفاظه وليس بيان معانيه لأن بيان معانيه ملازم لورود ألفاظه)⁶.
- وفي تخرج إشارة هذه الآية يقول ابن عجيبة : (لا تُحَرِّكْ بالواردات الإلهية لسانك لِتَعْجَلَ به حين الإلقاء، بل تمهّل في إلقائه ليُفهم عنك، إِنَّ علينا جمعه وقرآنه، أي: حفظه وقراءته، فإذا قرأناه على لسانك في حال الفيض فاتبع قرآنه، ثم إِنَّ علينا بيانه. ولا شك أَنَّ الواردات في حال الفيض تبرز مجملّة، لا يقدر على حصرها ولا تَفْهَمُهَا، فإذا فَرَّغَ منها قولاً وكتابة فتدبرها وجدها صحيحة المعنى، واضحة المبني، لا نقص فيها ولا خلل، لأنها من وحي الإلهام)⁷.

1 - القشيري : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن ولد بخراسان سنة 376هـ وهو شيخها في عصره زهدا وعلمًا في الدين، ونسبه إلى قبيلة قشير العدنانية، وله تصنيف (الرسالة) المشهورة في التصوف، وله تفسير يسمى (لطائف الإشارات) يجمع بين الحقيقة والشرعة. توفي بنيسابور سنة 465هـ . عبد المنعم الحفني ، الموسوعة الصوفية ، رقم الترجمة 251 ص 477.

2 - استغرقت عدد صفحات هذه التراجم من صفحة سبعة عشر صفحة من 10 إلى 17.

3 - سورة القيامة الآية 18. 19.

4 - عاصم إبراهيم الكيالي ، النص الكامل للحكم العطائية الكبرى والصغرى ، ص 110 .

5 - ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم شرح الحكم ، ص 369 .

6 - محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 15 ص 443.

7 - ابن عجيبة ، البحر المديد ، ج 6 ص 462.

ومن ثم فقد استدلل ابن عطاء الله على معنى الحكمة بآية الوحي الواردة في توجيه النبي صلى الله عليه وسلم عند تلقيه للوحي، ففي البداية كان يعالج من التنزيل شدة، مخافة أن ينساه، وبعد نزول هذه الآية، صار يستمع لجبريل فإذا فرغ قرأه كما أنزل، وهكذا ينبغي أن يتعامل الولي مع ما يتجلى له من المواهب والمعارف الربانية، أن تلقى إليه مجملة في القلب، فإذا قرأها تبين معناها وفهمها وبينها للناس، كان بعض العارفين يقول لأصحابه: (إذا كنت أتكلم عليكم أكون أستفيد من نفسي ما يجريه الله على لساني كما تستفيدون أنتم مني) ¹، وكان الشيخ "أبو الحسن الشاذلي" رضي الله عنه، إذا استغرق في الكلام وفاضت عليه العلوم يقول: هلا رجل يقيد عنا هذه الأسرار، هلموا إلى رجل صيره الله بحر العلوم أو كلاماً نحوه، وكان يحضر مجلسه أكابر وقته كـ "عز الدين بن عبد السلام" ²، و "ابن الحاجب" ³، و "ابن عصفور" ⁴، و "ابن دقيق العيد" ⁵، العيد ⁵، و "عبد العظيم المنذري" ¹، وكان عز الدين بن عبد السلام إذا سمع كلامه يقول: هذا كلام قريب عهد بالله ².

1 - ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم شرح الحكم ، ص 370 .

2 - عز الدين ابن عبد السلام: عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، شيخ الإسلام وبقية الأعلام الشيخ عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي؛ ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسائة وتوفي سنة ستين وستمائة سمع من الخشوعي وعبد اللطيف بن إسماعيل الصوفي والقاسم ابن عساكر وابن طبرزد وحنبل وابن الحرساني وغيرهم الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد والدمياطي وأبو الحسين اليونيني وغيرهم. وتفقه على الإمام فخر الدين ابن عساكر، وقرأ الأصول والعربية، ودرس وأفتى وصنف، وبرع في المذهب، وبلغ رتبة الاجتهاد. ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ص1314.

3 - ابن الحاجب الفاضل عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس. الإمام. العلامة، المفتي، المحقق. جمال الدين أبو عمرو ابن الحاجب. الكردي، الدويني الأصل، الإسناي المولد، المقرئ، النحوي، الأصولي، الفقيه المالكي، صاحب التصانيف المنقحة ، ولد سنة سبعين أو 571 هـ ، اشتغل في صغره بالقاهرة وكان من أذكاء العالم. ثم قدم دمشق ودرس بجامعها في زاوية المالكية، وأخذ الفضلاء عنه، وكان الأغلب عليه النحو. وصنف في الفقه المالكي مختصراً وفي غير ذلك، وانتقل إلى الإسكندرية فلم تطل مدته هناك وتوفي بها في السادس والعشرين من شوال سنة 646هـ . صلاح الدين الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ص 1633.

4 - ابن عصفور ابن عُصفور علي بن مؤمن بن محمد بن علي، العلامة ابن عُصفور النحوي الحنبري الإشبيلي، حامل لواء العربية بالأندلس. أخذ عن الأستاذ أبي الحسن الدباج. ثم من الأستاذ أبي علي الشلوبين، وتصدر للأشغال مدة. لازم أبا علي نحواً من عشرة أعوام، إلى أن ختم عليه كتاب سيبويه في نحو السبعين طالباً. ولد سنة سبع وتسعين وخمس مائة بإشبيلية، ومات بتونس، في رابع عشرين ذي القعدة، سنة ثلاث وستين وست مائة، وقيل سنة تسع وستين وست مائة. ولم يكن بذاك الورع. ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ص1729.

5 - ابن دقيق العيد : تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع المنفلوطي المصري المالكي والشافعي قاضي القضاة ولد سنة 625هـ وتوفي بمصر سنة 702هـ وله تصانيف منها (شرح العمدة). الذهبي ، سير أعلام النبلاء،

● **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾³، استشهد ابن عطاء الله بهذه الآية

في الحكمة رقم 216 فقال : (متى وردت الواردات الإلهية إليك هدمت العوائد عليك، ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾)⁴، ومعنى هذه الحكمة أن الوارد الإلهي الذي هو قوة شوق أو اشتياق أو محبة يخلقها الله في قلب العبد، وقد تنشأ عن قوة خوف أو هيبة أو جلال، فتزعجه تلك القوة إلى النهوض إلى مولاه، فيخرج عن عوائده وشهواته وهواه، ويرحل إلى معرفة ربه ورضاه، وقد تترادف عليه حتى يغيب عن حسه بالكلية وهو مقام الجذب، فهذه الواردات تخدم عاداتك وتفسدها عليك، فتزد عزك ذلاً، وغناك فقر، وجاهك خمولا، ورياستك تواضعا وحنوا، وكلامك صمتا، وقرارك في وطنك سياحة وسفرا.

وفي تفسير هذه الآية يقول "الطاهر ابن عاشور": (وافتتاح جملة ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ﴾ ، بحرف التأكيد للاهتمام بالخبر وتحقيقه، فقولها ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ استدلال بشواهد التاريخ الماضي، وجملة: ﴿وكذلك يفعلون﴾، استدلال على المستقبل بحكم الماضي على طريقة الاستصحاب وهو كالنتيجة للدليل الذي في قوله: ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾. والإشارة إلى المذكور من الإفساد وجعل الأعرزة أذلة، أي فكيف نلقي بأيدينا إلى من لا يألو إفساداً في حالنا. فدبرت أن تتفادى من الحرب ومن الإلقاء باليد، بطريقة المصانعة والتزلف إلى سليمان بإرسال هدية إليه، وقد عازمت على ذلك ولم تستطع رأي أهل مشورتها لأنهم فوضوا الرأي إليها، ولأن سكوتهم على ما تحبرهم به يُعَدُّ موافقة ورضى)⁵.

وفي تخریج إشارة هذه الآية يقول ابن عجيبة: (﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ﴾، أي: الواردات الإلهية التي تأتي من حضرة القهار، ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾، أي: قلب نفس، أفسدوا ظاهرها بالتخريب

تحقيق: أبو عبد الله عبد السلام محمد عمر علوش ، دار الفكر بيروت ، الطبعة الأولى سنة 1997م ، رقم الترجمة

6098 ، ج 17 ص 130.

1 - عبد العظيم المنذري: زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سلامة بن سعيد المنذري الشامي

الأصل، المصري الشافعي ولد سنة 581هـ وتوفي سنة 656هـ. الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق: أبو عبد الله عبد

السلام محمد عمر علوش ، رقم الترجمة 5688 ، ج 16 ص 527.

2 - ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص 86.

3 - سورة النمل الآية 34.

5 - محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 10 ص 280.

والتعذيب، ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذَلَّةً﴾، أي: أبدلوا عزها ذُلًا، وجاهاها خمولًا، وغناها من الدنيا فقرًا، وكذلك يفعلون¹.

ومن ثم فقد استشهد ابن عطاء الله بهذه الآية . المتضمنة ما قالته "بلقيس" حين ورد عليها كتاب سيدنا "سليمان" . من طريق الإشارة، فَمَثَلُ الواردات الإلهية التي تخدم العوائد الإنسان وتغيبه عن حسه أحياناً قهراً لا اختياراً، كملك جبار ذي جيش قاهر دخل قرية أو مدينة، فأفسد بناءها وغير عوائدها، إن الملوك إذا دخلوا قرية خربوها وغيروا معالمها، وجعلوا أعزة أهلها أي رؤساءها، أتباعاً أذلة. وفي هذا (الاستشهاد بالآية غاية الحسن والمناسبة)²، وبتفصيل أوضح : أن العبد قبل وصول الواردات إلهية يكون مقهوراً مملوكاً لنفسه وشهواته وهواه، فإذا أصابته نفحات الواردات الإلهية وترادفت عليه، قهرت فيه النفس والهوى، وسجنتهما وغيّرت عوائدهما وصيرتهما أذلة.

● **قوله تعالى:** ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾³، استشهد ابن عطاء الله بهذه الآية في الحكمة رقم 217 فقال: (الوارد يأتي من حضرة القهار لأجل ذلك لا يصادمه شيء إلا دمهغه ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾)⁴، ومعنى هذه الحكمة: أن الوارد الذي يرد على قلوب السائرين يكون قويا شديداً، لأنه يستمد من اسمه تعالى "القهار" فيدمغ بقهريته كل ما وجدته في قلب العبد من الأغيار⁵. وذلك باعتبار أن الله تعالى حضرات بعدد بعدد أسمائه، فاسمه تعالى "جميل" يتجلى من حضرة جماله، واسمه جليل يتجلى من حضرة جلاله، وهكذا كل اسم يخرج يخرج تجليه على وفق حضرته⁶.

وفي تفسير هذه الآية جاء في تفسير "التحرير والتنوير": (أي بل نحن نعلم إلى باطلكم فنقذف بالحق عليه كراهيةً للباطل بله أن نعمل عملاً هو باطل ولعب . والقذف، حقيقته : رمي جسم على جسم . واستعير هنا لإيراد ما يزيل ويبطل الشيء من دليل أو زجر أو إعدام ، فالله

1 - ابن عجيبة ، البحر المديد ، ج4 ص 378 .

2 - ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم ، ص 373 .

3 - سورة الأنبياء الآية 18.

4 - عاصم إبراهيم الكيالي ، النص الكامل للحكم العطائية الكبرى والصغرى ، ص 108 .

5 - الأغيار: ويعني لها غير الله تعالى وما سواه. عاصم الكيالي ، اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية ، ص

142.

6 - ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم شرح الحكم ، ص 374.

يطل الباطل بالحق بأن يبين للناس بطلان الباطل على لسان رسله، وبأن أوجد في عقولهم إدراكاً للتمييز بين الصلاح والفساد، وبأن يسلط بعض عباده على المبطلين لاستئصالهم، وبأن يخلق مخلوقات يسخرها لإبطال الباطل. والدمغ : كسر الجسم الصلب الأجوف، وهو استعارة أيضاً حيث استعير الدمغ لمحق الباطل وإزالته كما يزيل القذف الجسم المقذوف، فالاستعارتان من استعارة المحسوسين للمعقولين . ودل حرف المفاجأة على سرعة محق الحق الباطل عند وروده، لأن للحق صولة فهو سريع المفعول إذا ورد ووضح. والزاهق : المنفلت من موضعه والهالك، وفعله كسمع وضرب، والمصدر الزهوق)¹.

وفي تخرج إشارة هذه الآية يقول ابن عجيبة: (ما نصبت لك الكائنات لتراها كائنات، بل لتراها أنواراً وتجليات، الأكوان ثابتة بإثباته، محوّة بأحدية ذاته، فالغير والسوى عند أهل الحق باطل، والباطل لا يثبت مع الحق. قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾. قال القشيري : نُذِخِلْ نَهَارَ التحقيق على ليالي الأوهام ، أي : فتمحى، وتبقى شمس الأحدية ساطعة)².

ومن ثم فقد استشهد ابن عطاء الله لمعني الحكمة بنص الآية التي نزلت في شأن القرآن مع الكفر، فإن الكفر تشتت واضمحل حين نزل القرآن، فمن طريق الإشارة في الآية أن الوارد الإلهي بقهره وقوة نوره، يدك وجود النفس وجبال العقول، فيكشف عن أسرار خارج مدارك العقول، تعجز عنها عبارات النقول، فيصير هذا الحق دماغاً لكل ما يصادمه³. وقد شبه ابن عطاء الله الباطل (وهو كل ما سوى الله تعالى)، بحيوان له دماغ فإذا ضرب دماغه تشتت ومات، فالوارد الإلهي محض حق فإذا صادم الباطل دماغه وقتله، وهو تشبيه سبق به القرآن في نص الآية. ويؤيد اعتماد "الباطل" بهذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَّا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ)⁴.

1 - محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج9 ص 137.

2 - ابن عجيبة ، البحر المديد ، ج4 ص 67.

3 - ابن عجيبة ، البحر إيقاظ الهمم شرح الحكم ، ص 374.

4 - الحديث أخرجه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، باب ما يجوز من الشعر والرجز، برقم 5681 ، ج 19 ص 118 .

وخلاصة القول في هذا المبحث : أن مصنف الحكم لابن عطاء الله المشتمل على 264

حكمة، قد استشهد بن عطاء الله في 19 منها بنصوص آيات من القرآن الكريم، وظفها بلغة أهل الإشارة، لأن غالبها قررت قواعد في التوحيد . وهذا يدل على ارتباط فكر ابن عطاء الله الصوفي بالكتاب المبين، وهو يتبع في ذلك ما نقله عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي : (إن طريقنا هذا مرتبط بالكتاب والسنة)، ويقول كذلك في موضع آخر: (إذا عارض كشفك القرآن والسنة فلا تأخذ به وقل إن الله ضمن لك العصمة في الكتاب والسنة وما ضمنها لك في الكشف). وبهذا أنهت هذا الفصل الذي ركزت فيه على الآيات التي استدل بها ابن عطاء الله أو اتخذها شاهدا له في الموضوع ، سواء في مبدأ إسقاط التدبير الذي جاءت مؤلفات ابن عطاء الله لترسيخه، أو ثنایا الحكم العطائية.

الخاتمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

بعد هذا السير الطويل والحديث الممتع مع ابن عطاء الله في مؤلفاته وهو يتعامل مع آيات القرآن الكريم، والنظر في المصادر والمراجع المرتبطة به، على فصول ومباحث هذه الرسالة، نأتي على ختام هذا البحث بتسجيل أهم النتائج والإشارات التي وقفت عليها فمن ذلك:

1. جدارة ابن عطاء الله التامة بالانتماء إلى مدرسة التفسير الصوفي السني،

الذي يجمع بين التفسير بالظاهر والتفسير بالإشارة مع الالتزام الكامل بالأول والاعتدال التام في الثاني .

2. لابن عطاء الله إلمام واسع باللغة العربية من مختلف جوانبها، ظهر ذلك في رسالته في التفسير التي فسر فيها آية 54 من سورة الأنعام، ثم توظيفه لمباحث اللغة كلما سنحت الفرصة.

3. ارتسمت معالم منهج ابن عطاء الله في التفسير من خلال رسالته في تفسير آية سورة الأنعام، فظهر نسقه العام تفسيرا يشبه تفسير "البحر المديد" لابن عجيبة، وهو المتأثر به تأثرا بالغا.

4. استقلال شخصية ابن عطاء الله العلمية وتميزها في مجال التفسير، وبخاصة

الإشاري منه، حيث ظهرت قدرته على الاستدلال لأقوال الصوفية

كالشيخين "أبي الحسن الشاذلي" و"أبي العباس المرسى" وغيرهم بآيات

القرآن، إضافة إلى شرح ما استغلق من كلام الصوفية، وظهر ذلك في فصول من كتابه "لطائف المنن".

5. محافظة ابن عطاء الله في تفسيره الإشاري على شروط قبوله، وتمييزه عن

الفسير الباطني المنحرف.

6. تصدي ابن عطاء الله للفرق المنحرفة في توظيفها لنصوص القرآن، بما يخدم بدعتها كرده على المعتزلة .

7. الاستدلال لمبدأ إسقاط التدبير الذي تقوم عليه المدرسة الشاذلية بالكتاب والسنة، والتمثيل له بمسألة ضمان الرزق بآيات تعد أساسية في هذه القضية.

8. اعتراف ابن عطاء الله بالحقيقة مع الالتزام بالشرعية واستدلاله بآيات تدل على الحقيقة التي تؤيد الشرعية فقال: «فالحقيقة أن تشهده، والشرعية أن تبعده»، وقال في موضع آخر: «فمن تحلل من ربة الشرعية فقد قذف به في بحر الزندقة»، ومثل لنصوص الآيات فقال: فقله: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ شريعة، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ حقيقة .

9. سجل البحث على ابن عطاء الله الإقلال من ذكر جوانب اللغة والنحو والبلاغة إلا ما يخدم به التفسير الإشاري، وذلك لعدم إفراده تفسيراً مستقلاً. 10. ظهر في الفصل الرابع لغة التصوف الإشارية ومدى توظيف ابن عطاء الله لها في مؤلفاته عامة وفي التفسير خاصة، ودفاعه عنها وأنها لا تخلو من كل كلام والضابط فيها فهم المخاطب والمتلقي.

11. محدودية دوافع التأليف عند ابن عطاء الله في أمرين : الترجمة للشيخين:

(أبي العباس المرسي، وأبي الحسن الشاذلي)، والأمر الثاني هو ترسيخ مبدأ

إسقاط التدبير ، وغير ذلك إنما هو رسائل وعظية وحكم وقضايا متفرقة.

12. إمكانية أن يتبع هذا البحث بجمع تفسير لابن عطاء الله من مؤلفاته،

وبحوث أخرى في تعامله مع الحديث النبوي بطريق الإشارة وغيرها.
وختاماً فقد شاءت قدرة المولى تبارك وتعالى أن أدرس تفسير ابن عطاء الله
لآيات القرآن دراسة تهتم بالجانب الدلالي والجانب الإشاري، فوقفت على بعض
ما سبق من النتائج، ولا أزعم لنفسي الإحاطة بجميع مباحث الدراسة، أو الإلمام
بكل ما يقتضيه البحث، لكنني لم أدخر وسعا في حدود الوقت المحدد لي، أن
أحيط بما استطعت، فإن وفقت فله الفضل من قبل ومن بعد، وإن قصرت
فحسبي أن بذلت جهداً، وقدمت ابن عطاء الله في صورة المفسر الذي يجمع
بين الظاهر والباطن ويلتزم بالكتاب والسنة، ويستعين بدلالات اللغة في التفسير.
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه الأكرم محمد الأمين وآله وصحبه
الطيبين الطاهرين.

الباحث

ثبت المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

المصادر:

1. ابن عباد الرندي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت 792هـ)، غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، وضع حواشيه خليل عمران المنصور ، بيروت ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1419هـ-1998م .
2. ابن عجيبة أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس (ت1224هـ)، إيقاظ الهمم في شرح الحكم - بيروت: المكتبة الثقافية . الطبعة الأولى . (د،ت).
3. ابن عطاء السكندري : تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم . كتاب ترتيب السلوك ويليه رسالة في أدب العلم، تحقيق : الأزهرى، منشورات علي محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2004 م – 1424هـ.
4. ابن عطاء الله ، الحكم العطائية ، ضبط وتقديم : إبراهيم اليعقوبي ، طبع بموافقة وزارة الإعلام، الجمهورية العربية السورية ، الطبعة الثانية 1405هـ-1985م .
5. ابن عطاء الله ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ضبط وتصحيح : مرسي محمد علي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة 2005م
6. ابن عطاء الله السكندري . رسالة في تفسير آية الأنعام 54 . تحقيق: محمد عبد الرحمن الشاغول مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمي . الناشر المكتبة الأزهرية للتراث ، دار السعادة لطباعة . (د،ط) . (د، ت).
7. ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، خرج آياته وأحاديثه خليل منصور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى 1419هـ-1998م .
8. ابن عطاء الله السكندري ، الحكم ، تقديم وتحقيق أحمد عز الدين عبد الله خلف الله ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، 1996م.

9. ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1425هـ - 2005م .
10. ابن عطاء الله السكندري ، عنوان التوفيق في آداب الطريق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1425هـ - 2004م .
11. ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن ، تحقيق عبد الحليم محمود ، القاهرة : دار المعارف 1992م .
12. ابن عطاء الله السكندري ، مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م .
13. ابن عطاء الله السكندري ، هتك الأستار في علم الأسرار ص 208

المراجع:

14. إبراهيم أنيس . دلالة الألفاظ . مكتبة الأنجلو المصرية . الطبعة الخامسة . سنة 1984م .
15. إبراهيم بسيوني . تحقيق لطائف الإشارات للقشيري . القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة الثالثة ، سنة 1981م .
16. إبراهيم سلامة . بلاغة أرسطو بين العرب واليونان . القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية . الطبعة الثانية ، (د.ت).
17. ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت 630هـ) . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة مصطفى البابي وأولاده . مصر سنة 1939م . (د، ط).
18. أحمد النقشبندى الخالدي . جامع الأصول في الأولياء . مؤسسة الانتشار العربي بيروت . الطبعة الأولى سنة 1997 .
19. أحمد بن المبارك . الإبريز من كلام العارف بالله تعالى سيدي عبد العزيز الدباغ . ضبطه وصححه عاصم إبراهيم الكيالي . الطبعة الأولى . دار الكتب العلمية بيروت . سنة 2006م .

20. أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (164-241هـ). مسند أحمد. مؤسسة قرطبة مصر . (د.ط.ت).
21. أحمد رحمانى . التفسير الموضوعي : نظرية وتطبيقا . منشورات جامعة باتنة الجزائر . الطبعة الأولى . سنة 1996م.
22. أحمد مختار عمر . علم الدلالة . مكتبة دار العربية للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى . سنة 1982م.
23. الأزهرى أبو منصور محمد بن محمد . تهذيب اللغة . تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين . القاهرة سنة 1967م . (د.ط.).
24. الأسترابادي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت 568هـ) . شرح شافية ابن الحاجب: ضبط وشرح محمد نواف الحسن ومحمد الزقراف ومحمد محيي الدين عبد الحميد . دار الكتب العلمية بيروت . سنة 1975م . (د،ط).
25. أسعد علي وفيكتور الكك . صناعة الكتابة . بيروت الطبعة الثالثة . سنة 1977م.
26. إسماعيل حقي . روح البيان . دار الفكر . (د.ط.ت).
27. الألوسي: أبو الثناء شهاب الدين بن محمود البغدادي (ت 1270هـ) . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . دار الفكر بيروت . سنة 1977م.
28. الآمدي: سيف الدين علي بن محمد . الأحكام في أصول الأحكام . دار الكتب العلمية بيروت . سنة 1405هـ . 1985م . (د،ط).
29. ابن الأنباري محمد بن القاسم (ت 328 هـ) . الأضداد في اللغة . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم . مطبعة حكومة الكويت . سنة 1960م (د، ط).
30. البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد . الأدب المفرد . مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي . طبعة دار البشائر الإسلامية بيروت . سنة 1989م . 1409هـ .

31. البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله (ت 256هـ) . الجامع الصحيح . دار ابن كثير اليمامة بيروت . الطبعة الثالثة . سنة 1407هـ.
32. بدران أبو العينين بدران . أصول الفقه . دار المعارف . الطبعة الأولى . سنة 1969م.
33. البصري أبو الحسين محمد بن علي (ت 436هـ) . المعتمد في أصول الفقه . تحقيق: محمد حميد الله ومحمد بكر وحسن خفي . دمشق . سنة 1964م . (د،ط).
34. البغدادي إسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني (ت 1339هـ-1920م)، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، طبعة استنبول الثانية 1955م.
35. البقاعي . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . تحقيق: محمد عبد المعين . طبعة مجلس المعارف الإسلامية حيدر آباد الركن الهند . الطبعة الأولى . سنة 1969م.
36. بكري عبد الكريم . الزمن في القرآن الكريم(دراسة دلالية في الأفعال الواردة فيه) . دار الفجر للنشر والتوزيع . الطبعة الثانية سنة 1999م.
37. البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت 685هـ) . تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل . تحقيق: محمد عبد الرحمان المرعشلي . دار إحياء التراث العربي بيروت . الطبعة الأولى سنة 1418هـ.
38. الترمذي أبو عيسى (ت 279هـ) . سنن الترمذي . تحقيق أحمد محمد شاكر . بيروت دار إحياء التراث العربي . (د،ط،ت).
39. التستري سهل بن عبد الله . تفسير القرآن العظيم . طبعة دار الكتب العربية الكبرى القاهرة . سنة 1329هـ . (د.ط).
40. التستري سهل بن عبد الله . من التراث الصوفي . خدمة محمد كمال إبراهيم جعفر . طبعة دار المعارف القاهرة . سنة 1974م.

41. ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ)، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة دار الثقافة ودار الإرشاد القومي القاهرة .
42. التفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله (ت 793هـ) . شرح العقائد النسفية . طبعة المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة . سنة 1421هـ .
43. تمام حسان . اللغة العربية معناها ومبناها . الهيئة المصرية العامة للكتاب . سنة 1973م . (د،ط).
44. ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم أبو العباس . رسالة الحقيقة والمجاز ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، تحقيق: محمد رشيد رضا ، مكة المكرمة : دار البار للنشر والتوزيع .
45. ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم أبو العباس . الرسالة التدمرية ، القاهرة المطبعة السلفية . الطبعة الثانية . سنة 1397هـ . 1977م .
46. ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم أبو العباس . الفتاوى الكبرى . جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد . طبعة دار الإفتاء . الرياض . سنة 1381 هـ .
47. ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم أبو العباس . تفسير سورة الإخلاص . تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد . الدار السلفية الهند . الطبعة الأولى . (د، ت).
48. ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم أبو العباس . رسالة الإكليل في التشابه والتأويل لشيخ الإسلام . ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، تحقيق: محمد رشيد رضا ، مكة المكرمة : دار البار للنشر والتوزيع
49. ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم أبو العباس . مقدمة في أصول التفسير . تحقيق: محمود محمد محمد نصار . نشر دار التربية بغداد . (د.ت).
50. الثعالبي عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف أبو زيد (875هـ) . الجواهر الحسان في تفسير القرآن . تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود . دار إحياء التراث العربي بيروت . الطبعة الأولى 1418هـ .

51. الجرجاني الإمام عبد القاهر (ت 471هـ). أسرار البلاغة في علم البيان . علق حواشيه: محمد رشيد رضا . اعتنى بهذه الطبعة: منى أحمد الشيخ . دار المعرفة بيروت . الطبعة الثانية . سنة 2002م .. ص 285
52. الجرجاني عبد القاهر . دلائل الإعجاز في علم المعاني . حققه وقدم له رضوان الداية وفاير الداية . مكتبة سعد الدين دمشق . الطبعة الثانية . سنة 1987م.
53. الجرجاني: السيد الشريف علي بن محمد بن علي الحسيني (ت 816هـ) . التعريفات . مكتبة لبنان بيروت . سنة 1978م.
54. ابن جرير الطبري أبو جعفر محمد . جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري . تحقيق محمود محمد شاكر ، ومراجعة أحمد محمد شاكر . طبعة دار المعارف القاهرة . (د.ت).
55. جمال الدين الشيال . أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ، دار المعارف بمصر . (د.ط.ت).
56. ابن جني :أبو الفتح عثمان (ت 392هـ) . الخصائص . تحقيق: محمد علي النجار . بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة . الطبعة الرابعة . سنة 1990م.
57. ابن الجوزي عبد الرحمان . زاد المسير . تحقيق محمد عبد الرحمان عبد الله . دار الفكر . الطبعة الأولى سنة 1408هـ.
58. جون لاينز . اللغة والمعنى والسياق . ترجمة: عباس صادق الوهاب . دار الشؤون الثقافية . بغداد . طبعة 1987م.
59. ابن الحاجب: أبو عمرو عثمان بن عمر (ت 646 هـ) . الإيضاح في شرح المفصل . تحقيق: موسى بناي العليلي . مطبعة العاني . بغداد 1983م . (د، ط).
60. حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي (ت 1067هـ) . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . نشرة المستشرق جوستاف فلويجل . بغداد . طبعة مكتبة المثنى (د.ت).

61. ابن حبان محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت 354هـ)، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، 1414هـ - 1993م.
62. ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . دار الجليل بيروت . (د،ط) . (د،ت).
63. ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي . لسان الميزان . مراجعة دائرة المعارف النظامية الهند بيروت . سنة 1986م . 1406هـ . (د.ط).
64. ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت 852هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: سيد جاد الحق ، الطبعة الثانية 1966م ، القاهرة دار الكتب الحديثة.
65. ابن حزم الأندلسي علي بن أحمد بن سعيد أبو محمد (ت 456هـ) . الإحكام في أصول الأحكام . طبعة محققة ومقابلة على النسخة الخطية بدار الكتب المصرية . تحقيق محمود أحمد شاكر . (د.ط.ت) .
66. حسن عزوزي ، الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير ، طبعة وزارة الأوقاف المغربية سنة 2001م
67. حسين حامد الصالح . التأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية . بيروت دار ابن حزم . الطبعة الأولى . سنة 2005م .
68. الحمالوي الشيخ أحمد . شذا العرف في فن الصرف . مطبعة الداية . بغداد 1988م . (د.ط).
69. أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان . تفسير البحر المحيط . دار الفكر بيروت . الطبعة الثانية . سنة 1983م.
70. ابن خزيمة النيسابوري أبوبكر محمد بن إسحاق . صحيح ابن خزيمة . مراجعة محمد مصطفى الأعظمي . المكتب الإسلامي بيروت . سنة 1970م 1390هـ . (د.ط).
71. الخياط عبد الرحيم بن محمد . الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد . تحقيق: محمد حجازي . القاهرة دار الثقافة

72. الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان (181-255هـ) . سنن الدارمي . تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي . دار الكتاب العربي بيروت . الطبعة الأولى 1408هـ .
73. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (202-275هـ) . سنن أبي داود . تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد . دار الفكر . (د.ط.ت).
74. داود بن باخلا ، اللطيفة المرضية بشرح حزب الشاذلية ، مصر 1354هـ -1935م.
75. الداودي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد . طبقات المفسرين . تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة وهبة . طبعة الأولى . سنة 1392هـ-1972م .
76. ابن درستويه عبد الله بن جعفر (ت 347هـ) . تصحيح الفصيح . تحقيق: عبد الله الجبوري . مطبعة الإرشاد بغداد . سنة 1975م . (د، ط).
77. ابن دريد محمد بن الحسين الأزدي . جمهرة اللغة . تحقيق: كرنكو حيدر آباد الدكن بالهند . سنة 1351هـ . (د.ط).
78. الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) . سير أعلام النبلاء . تحقيق : أبو عبد الله عبد السلام محمد عمر علوش . دار الفكر بيروت . الطبعة الأولى سنة 1405هـ .
79. الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت 745هـ) ، الإعلام بوقيات الأعلام ، تحقيق مصطفى بن علي عوض، ورييع أبو بكر الباقي ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، الطبعة الأولى 1413هـ-1993م.
80. الذهبي محمد حسين . التفسير والمفسرون للدكتور . مكتبة وهبة القاهرة . الطبعة السابعة سنة 1421هـ .

81. الرازي أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت 606هـ). المحصول في علم أصول الفقه. تحقيق: محمد جابر الفيض العلواني. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثالثة. سنة 1997م.
82. الرازي فخر الدين. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز. تحقيق: إبراهيم السامرائي ومحمد بركات حمدي أبو علي. دار الفكر للنشر والتوزيع. عمان سنة 1985م. (د. ط.).
83. الرازي فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت 606هـ). التفسير الكبير. دار إحياء التراث العربي بيروت. الطبعة الثانية. سنة 1417 هـ. 1997م.
84. رسائل في النحو واللغة (وهي ثلاث رسائل)/كتاب تمام لفصيح الكلام، لابن فارس/ وكتاب الحدود في النحو للرماني/ وكتاب منازل الحروف للرماني/ تحقيق: مصطفى جواد ويوسف يعقوب مشكوني/ دار الجمهورية. بغداد. 1969م / د. ط.
85. رمضان عبد التواب. فصول في فقه اللغة العربية. مطبعة المدني. بغداد. الطبعة الثالثة. سنة 1987م.
86. الزبيدي محب الدين أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الشهير بمرتضى (ت 1205هـ). إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين. دار الكتب العلمية بيروت. سنة 1998م.
87. الزبيدي محب الدين أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الشهير بمرتضى (ت 1205هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. المطبعة الخيرية مصر. سنة 1369هـ (د. ط.).
88. الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري. معاني القرآن وإعرابه. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. خرج أحاديثه: علي كمال الدين محمد. دار الحديث القاهرة. سنة 2004. (د. ط.).

89. الزركشي بدر الدين محمد عبد الله (ت 794هـ) . البرهان في علوم القرآن . تحقيق: أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب عيسى البابي الحلبي وشركاؤه . الطبعة الأولى سنة 1975م.
90. الزركلي خير الدين . الأعلام . دار العلم للملايين بيروت . الطبعة الحادية عشر 1995م .
91. زروق أحمد ، الشرح السابع عشر للحكم ، تحقيق: عبد الحليم محمود و محمود شريف ، دار الشعب 1405هـ .
92. زروق أحمد الفاسي (ت899هـ) ، الشرح السابع عشر للحكم المسمى (مفتاح الإفادة لذوي العقول والهمم على معاني ألفاظ الحكم) ، تحقيق: مصطفى مرزوقي ، الجزائر دار الهدى .
93. زكي مبارك . التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق . المكتبة العصرية . بيروت (د،ت) . (د، ط) .
94. الزلي إبراهيم مصطفى . أسباب اختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية . مطبعة دار الحرية . بغداد . الطبعة الثانية . سنة 1979م .
95. الزلي إبراهيم مصطفى . أصول الفقه الإسلامي في نسيجه الجديد . دار الحكمة للطباعة والنشر . سنة 1991م . (د.ط) .
96. الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (ت 538هـ) . أساس البلاغة . مطبعة دار الكتب المصرية 1923م . (د.ط) .
97. الزملكاني: كمال الدين عبد الواحد عبد الكريم (ت 651هـ) . البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . تحقيق: خديجة الحديثي وأحمد مطلوب . مطبعة العاني بغداد . الطبعة الأولى . سنة 1974م .
98. الزيايدي حاكم مالك . الترادف في اللغة . دار الحرية للطباعة والنشر بغداد . سنة 1980 م . (د، ط) .
99. السامرائي عباس محمد . دراسة في حروف المعاني الزائدة . مطبعة الجامعة بغداد . الطبعة الأولى . سنة 1987م .

100. السامرائي: فاضل صالح . معاني الأبنية في العربية . جامعة الكويت . الطبعة الأولى . سنة 1981م.
101. السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي . طبقات الشافعية الكبرى . تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي . طبعة المطبعة الحسينية القاهرة . سنة 1324هـ .
102. ستيفن أولمان . دور الكلمة في اللغة . ترجمة: كمال محمد بشر . المطبعة العثمانية . الطبعة الثالثة . سنة 1972م.
103. السراج الطوسي أبو نصر عبد الله بن علي السراج (ت 378هـ) . اللمع في التصوف . تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور . القاهرة دار الكتب الحديثة سنة 1969م.
104. السرخسي: أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل (ت 490 هـ) . أصول السرخسي . تحقيق: أبي الوفا الأفعاني . دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت سنة 1973م . (د.ط).
105. السعدي عبد القادر عبد الرحمن . أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية . مطبعة الخلود . بغداد سنة 1986 . (د.ط).
106. سعيد محمد رمضان البوطي . الحكم العطائية شرح وتحليل . دار الفكر دمشق . الطبعة الأولى . سنة 2000م .
107. السكاكي أبو يعقوب محمد بن علي (ت 626هـ) . مفتاح العلوم . مطبعة المكتبة العلمية الجديدة . بيروت (د.ت.ط).
108. السمرقندي: علاء الدين شمس النظر (ت 540هـ) . ميزان الأصول . دراسة وتحقيق: عبد الملك عبد الرحمن السعيد . مطبعة الخلود . الطبعة الأولى . سنة 1987م.
109. سيويه: عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ) . الكتاب . تحقيق: عبد السلام محمد هارون . مطبعة المدني . الطبعة الثالثة . سنة 1988م.

110. السيد أحمد عبد الغفار . التصور اللغوي عند الأصوليين . دار عكاظ جدة . الطبعة الأولى . سنة 1981م .
111. السيد الجميلي ، مناظرات ابن تيمية مع فقهاء عصره ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الأولى 1405هـ-1985م .
112. سيد حيدر آملي ، جامع الأنوار ومنبع الأسرار ، تحقيق: عثمان إسماعيل علمي ، طبعة طهران سنة 1969م
113. ابن سيّده . المخصص . بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر . (د،ط) . (د،ت) .
114. السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمان (ت911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة ، مطبعة السعادة 1326هـ .
115. السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمان (ت911هـ)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، مصر 1321هـ .
116. السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمان ، تأييد الحقيقة العلية وتشديد الطريقة الشاذلية ، الطبعة الأولى 1934م ، القاهرة : المكتبة الإسلامية .
117. السيوطي جلال الدين عبد الرحمان . الحاوي للفتاوي . بيروت . الطبعة الثانية . سنة 1975م .
118. السيوطي جلال الدين عبد الرحمان . الدر المنثور في التفسير بالمأثور . طبعة دار الفكر القاهرة . (د.ت) .
119. السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر(ت911هـ) . المزهر في علوم اللغة وأنواعها . تحقيق: محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البيجاوي . دار إحياء الكتب العربية . مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده . (د.ت.ط) .
120. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن . الإتيقان في علوم القرآن . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم . دار التراث القاهرة . الطبعة الثالثة . سنة 1405هـ .

121. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن . الأشباه والنظائر في النحو . تحقيق: عبد العال سالم مكرم . مؤسسة الرسالة بيروت . الطبعة الأولى . سنة 1985.
122. الشاطبي أبو إسحاق . الموافقات في أصول الشريعة للإمام ، المطبعة التجارية بمصر (د.ت) .
123. الشافعي محمد بن إدريس (ت 204هـ) . الرسالة . تحقيق: أحمد محمد شاكر . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . مصر . الطبعة الأولى . سنة 1940م.
124. ابن شاكر الكتبي محمد بن أحمد (ت 764هـ) ، فوات الوفيات ، تحقيق: محي الدين عبد الحميد ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية 1951م .
125. الشريف التلمساني أبو عبد الله محمد بن أحمد المالكي (ت 771 هـ) . مفتاح الوصول الى بناء الفروع على الأصول . حققه وخرج أحاديثه وقدم له : عبد الوهاب عبد اللطيف . دار الكتب العلمية بيروت لبنان . (د ت) .
126. الشريف المرتضى . الذريعة في أصول الشريعة . تحقيق: أبو القاسم كرجي ، مطبعة دانشگاه طهران . سنة 1348هـ . (د.ط).
127. الشنقيطي محمد الأمين المختار . منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز . تحقيق أبو حفص سامي بن العربي . مكتبة السنة . (د.ت) ، (د.ط).
128. شوقي أبو خليل ، أطلس الحديث النبوي ، دار الفكر دمشق ، الطبعة الأولى سبتمبر 2003م
129. الشوكاني محمد بن علي بن محمد (1250هـ) . فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . حققه وخرج أحاديثه عبد الرحمان عميرة . دار الوفاء مصر . سنة 1997م .
130. الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250هـ) . إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول . دار المعارف بيروت . سنة 1979 . (د.ط).
131. صبحي الصالح . دراسات في فقه اللغة . مطابع دار العلم للملايين . الطبعة الثانية . سنة 1978م .

132. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي . الوافي بالوفيات . اعتناء محمد يوسف نجم . دار صادر بيروت . سنة 1391هـ الموافق لـ 1971م.
133. الصومعي أحمد التادلي . المُعزّي في مناقب الشيخ أبي يعزى . تحقيق : علي الجاوي . منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير . سنة 1996م .
134. الطباطبائي السيد محمد حسين (ت 1402هـ) . الميزان في تفسير القرآن . مؤسسة الأعلمي للطبوعات . الطبعة الأولى . سنة 1997م.
135. الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت 360هـ) . المعجم الكبير . مكتبة العلوم والحكم . الطبعة الثانية . سنة 1404هـ .
136. الطيار مساعد بن سليما بن ناصر . التفسير اللغوي للقرآن . دار ابن الجوزي الرياض . الطبعة الأولى . سنة 1422هـ.
137. عاصم إبراهيم الكيالي . اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى . سنة 2003 م
138. ابن عبد البر . جامع بيان العلم وفضله . نشر دار الفكر . (د . ت . ط) .
139. ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ) . التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد . تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري . نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية (24 جزءا) . المغرب 1387هـ . (د . ط) .
140. عبد الحق الكتاني . شرح تائية ابن الفارض . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى سنة 2006م.
141. عبد الرؤوف المناوي زين الدين محمد (ت 1031هـ) , الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية , الدار العربية للكتاب القاهرة , الطبعة الأولى سنة 2009م.
142. عبد الرحمان بن محمد بن زنجلة أبو زرة (ت 403هـ) . حجة القراءات . تحقيق : سعيد الأفغاني . مؤسسة الرسالة بيروت . الطبعة الخامسة . سنة 1997م .

143. عبد الرزاق بن همام الصنعاني . المصنف . المكتب الإسلامي بيروت . الطبعة الثانية . سنة 1403هـ .
144. عبد الستار فتح الله سعيد . المدخل إلى التفسير الموضوعي . بور سعيد: دار التوزيع والنشر الإسلامية . الطبعة الثانية . سنة 1991م . ص 20 .
145. عبد العظيم الزرقاني . مناهل العرفان في علوم القرآن . دار الفكر بيروت . الطبعة الأولى . سنة 1996م .
146. عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي وداود غطاشة . علم الدلالة والمعجم العربي . دار الحرية للطبع والنشر . الطبعة الأولى سنة 1989م .
147. عبد القادر حسين . من علوم القرآن وتحليل نصوصه . دار قطري بن الفجاء للنشر والتوزيع . سنة 1987م . (د.ط).
148. عبد المعطى أمين قلعجي . تحقيق فتاوى ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه . الطبعة الأولى . دار الوعي سوريا . سنة 1403هـ .
149. عبد المنعم الحفني . الموسوعة الصوفية . القاهرة : مكتبة مدبولي . الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م .
150. عبد الهادي الفصيلي . اللامات دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية . مطابع دار العلم بيروت . الطبعة الأولى . سنة 1980م .
151. عبد الوهاب الشعراني ب أحمد بن علي (ت 973هـ) , الطبقات الكبرى , القاهرة : دار الفكر العربي 1952م .
152. عبد الوهاب فرحات , سيدي أبو الحسن الشاذلي حياته ومدرسته في التصوف , مكتبة مدبولي الطبعة الأولى 2003م .
153. العجلوني إسماعيل بن محمد الجراحي (ت 1162هـ) . كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس . تحقيق أحمد القلاش . بيروت : مؤسسة الرسالة . الطبعة الرابعة 1405هـ .
154. ابن عجيبة أحمد بن محمد بن المهدي بن عجية الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس . البحر المديد في تفسير القرآن المجيد . تحقيق أحمد عبد الله قرشى رسلان . القاهرة سنة 1419هـ .

155. ابن عربي . تفسير ابن عربي . تحقيق: عبد الوارث محمد علي . دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى سنة 2001م.
156. ابن عربي محي الدين . الفتوحات المكية . طبعة دار صادر بيروت . (د.ت).
157. العسكري: أبو هلال(ت395هـ) . الفروق في اللغة . تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي . دار الآفاق الجديدة بيروت . الطبعة الرابعة . سنة 1980م.
158. عفيف الدين الياضي اليميني ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان بيروت ، الطبعة الأولى ، مصورة عن طبعة حيدرآباد الدكن 1339هـ.
159. أبو العلا عفيفي . مقدمة فصوص الحكم لابن عربي . دار الكتاب العربي بيروت . سنة 1980 م . (د، ط).
160. العلوي: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم (ت749هـ) . الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز . مطبعة المقتطف مصر . سنة 1914م . (د.ط).
161. علي حسب الله . أصول التشريع الإسلامي . دار المعارف مصر . الطبعة الثالثة . سنة 1964م.
162. علي زوين . منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث . مطابع الشؤون الثقافية العامة بغداد . طبعة سنة 1986م.
163. علي عبد الواحد وافي . فقه اللغة . لجنة البيان العربي . الطبعة الرابعة . سنة 1956م.
164. ابن عماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد العسكري (ت 1089هـ) . شذرات الذهب في أخبار من ذهب . دار إحياء التراث العربي بيروت . (د. ت . ط) .
165. عودة خليل أبو عودة . التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن . مكتبة المنار . الأردن . الطبعة الأولى . سنة 1985 م.
166. ابن عياد محمد بن إبراهيم النفري الرندي الشاذلي (ت 792هـ)، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية ، تحقيق: أحمد المزيدي الحسيني ، سوريا حلب : دار القلم العربي، الطبعة الأولى 1422هـ-2002م.
167. العياشي أبي سالم عبد الله بن محمد . الرحلة العياشية . تحقيق وتقديم: سعيد الفاضلي و

- سليمان القرشي . أبو ظبي دار السويدي . الطبعة الأولى . سنة 2006م.
168. الغزالي أبو حامد . المستصفى من علم الأصول . دار العلوم الحديثة لبنان . (د.ت.ط).
169. الغزالي أبو حامد . شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل . تحقيق: حمد الكبيسي . مطبعة الإرشاد بغداد . سنة 1971م.
170. الغزالي أبو حامد . مشكاة الأنوار . تحقيق أبي العلا عفيفي . الدار القومية القاهرة . سنة 1964م . (د،ط).
171. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ) . المنقذ من الضلال . تحقيق : عبد الحليم محمود . دار المعارف بمصر . الطبعة الثالثة . سنة 1988 م .
172. ابن فارس أحمد . معجم مقاييس اللغة . تحقيق عبد السلام محمد هارون . مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة . سنة 1970م.
173. ابن الفارض . ديوان ابن الفارض . تقديم وشرح عبد القادر محمد مايو . دار القلم العربي سوريا . الطبعة الأولى سنة 2001م.
174. ابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري برهان الدين (ت799هـ) . الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب , تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان دار الكتب العربية بيروت . الطبعة الأولى . سنة 1996م.
175. فضل حسن عباس . محاضرات في علوم القرآن . دار النفائس عمان . الطبعة الأولى سنة 2007 م .
176. الفيروز آبادي: الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب . القاموس المحيط . دار الفكر بيروت . سنة 1983م.
177. القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسد آبادي أبو الحسين المعتزلي (ت 415هـ) . المغني في أبواب العدل والتوحيد . قوم نصوصه أمين الخولي . مطبعة دار الكتب . الطبعة الأولى سنة 1960م.
178. القرطبي أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري (ت671هـ) . الجامع لأحكام القرآن . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . الطبعة الثالثة . سنة 1987م.
179. القزويني جلال الدين . التلخيص في علوم البلاغة . تحقيق: عبد الرحمن البرقوني . دار إحياء الكتب العربية بيروت . الطبعة الأولى . سنة 1932م.

180. القزويني جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت 739 هـ). الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع). شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتاب اللبناني بيروت. الطبعة الخامسة. سنة 1980م.
181. القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة (ت 465 هـ). تفسير القشيري لطائف الإشارات. تحقيق: إبراهيم بسيوني، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الثالثة. (د. ت.).
182. القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة (ت 465 هـ). الرسالة القشيرية في علم التصوف. دار السلام القاهرة. الطبعة الثانية 1423 هـ - 2003 م.
183. القمي النيسابوري. غرائب القرآن ورغائب الفرقان حاشية على تفسير الطبري. بيروت. دار الفكر. سنة 1978 - 1398 هـ (د. ط.).
184. القيرواني ابن أبي زيد. الرسالة الفقهية. مؤسسة الرسالة. سنة 2005.
185. الكبيسي أحمد عبيد. أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي. دار الحرية للطباعة بغداد. سنة 1975 م. (د. ط.).
186. ابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت 774 هـ). تفسير القرآن العظيم. طبعة دار الفكر بيروت. سنة 1401 هـ.
187. الكفوي أبو البقاء بن موسى الحسيني (ت 1094 هـ). الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية). قابله على نسخة خطية وأعدده للطبع ووضع فهرسه: عدنان درويش ومحمد المصري. مؤسسة الرسالة. الطبعة الرابعة. سنة 1998 م.
188. الكوهن الحسن بن محمد بن قاسم التازي المغربي (ت بعد 1348)، طبقات الشاذلية (جامع مع الكرامات العلية في طبقات الشاذلية، طبعة سنة 1347 هـ).
189. مالك الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي. الموطأ. مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، مصر. (د. ت.).
190. المباركفوري أبو العلا محمد عبد الكريم عبد الرحيم (ت 1353 هـ). تحفة الأحوذى شرح صحيح الترمذي. دار الكتب العلمية بيروت (10 أجزاء). (د. ط. ت.).
191. المبرد محمد بن يزيد (ت 285 هـ). ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد. بعناية عبد العزيز الميمني. القاهرة المطبعة السلفية ومكبتها. سنة 1350 هـ (د. ط.).

192. المتقي الهندي . كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . مؤسسة الرسالة بيروت . سنة 1979م .
193. محمد الطاهر ابن عاشور . التحرير والتنوير من التفسير . الدار التونسية للنشر . (د.ط.ت).
194. محمد بن بريكة . موسوعة الطرق الصوفية الإيضاح والبيان لمصطلح أهل العرفان . الطبعة الأولى . دار الحكمة الجزائر . سنة 2007م .
195. محمد حسين علي الصغير . مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية . دار الشؤون الثقافية بغداد . الطبعة الأولى . سنة 1994م .
196. محمد رضا مظفر . المنطق (مجموعة محاضرات التي ألقيت في كلية منتدى النشر في النجف الأشرف . مطبعة أمين قم . دار الغدير . الطبعة الأولى . سنة 1320هـ .
197. محمد صديق حسين . البلغة في أصول الفقه . مطبعة الجوائب القسطنطينية 1296هـ . د.ط
198. محمد كمال إبراهيم جعفر . التصوف طريقا وتجربة ومذهبا . طبعة دار الكتب الجامعية . القاهرة . سنة 1390 هـ . 1970م .

199. محمد مصطفى حلمي . ابن الفارض والحب الإلهي . القاهرة : دار المعارف . الطبعة الثانية 1985م.
200. محمود السعران . علم اللغة (مقدمة القارئ العربي) . دار المعارف مصر. 1962م .(د.ط).
201. محمود عبد الرزاق . المعجم الصوفي أول دراسة علمية في الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي . دار ماجد عسيري جدة . الطبعة الأولى . سنة 1425هـ . 2004م.
202. مختار عمر . من قضايا اللغة والنحو . عالم الكتب القاهرة . سنة 1974 . (د.ط).
203. المرادي: حسن بن قاسم(ت 749هـ) . الجنى الداني في حروف المعاني . تحقيق: طه محسن . مطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، 1976م . (د.ط).
204. المراغي أحمد مصطفى . علوم البلاغة (البيان والمعاني والبدیع) . دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الثانية . سنة 1986م.
205. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (206-261هـ) . صحيح مسلم . تحقيق: فؤاد عبد الباقي . بيروت . دار إحياء التراث العربي .
206. مصطفى محمود . السر الأعظم . دار المعارف بمصر. (د.ت) .
207. مطلوب أحمد . أساليب بلاغية (الفصاحة ، البلاغة ، المعاني) . وكالة المطبوعات الكويت . الطبعة الأولى . سنة 1980م.
208. مطلوب أحمد . معجم المصطلحات البلاغية وتطورها . المجمع العلمي العراقي . سنة 1987م . (د.ط).
209. الملا محمد جلي زاده . المصقول في علم الأصول . تحقيق: عبد السلام بيمار . مؤسسة المطبوعات العربية بيروت . سنة 1981م . (د.ط).

210. ابن ماجه محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (207-275هـ) . سنن ابن ماجه . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، دار الفكر . (د.ط.ت).
211. المنذري أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت656) . الترغيب والترهيب . تحقيق إبراهيم شمس الدين . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى . سنة 1417هـ .
212. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت711هـ) . لسان العرب . دار إحياء التراث العربي لبنان . الطبعة الثالثة . سنة 1999م .
213. مهدي أسعد عرار . مباحث لسانية في ظواهر قرآنية . دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى . سنة 2008م .
214. النابلسي عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن أحمد الحنفي الدمشقي النقشبندي . أسرار الشريعة . تحقيق : عبد القادر محمد عطا . دار الكتب العلمية بيروت . (د ، ط ، ت).
215. النسفي أبي بركات عبد الله بن أحمد (ت710هـ) . كشف الأسرار شرح المصنف على المنار . المطبعة الكبرى الأميرية بولاق مصر . الطبعة الأولى . سنة 1316هـ.
216. النووي أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف الدين (ت676هـ) . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج . دار إحياء التراث العربي بيروت . الطبعة الثانية (18 جزءا) سنة 1392 هـ .
217. هجب وج كالمرز . الموسوعة الإسلامية الميسرة . ترجمة راشد البراوي . القاهرة مكتبة الأنجلو . سنة 1985م .
218. الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت807هـ) . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . دار الريان للتراث القاهرة ودار الكتاب العربي بيروت . سنة 1408هـ - (د. ط) .

219. وجدي محمد فريد سالم إبراهيم علي (ت 1954م). التفسير الميسر. دار الشعب القاهرة سنة 1977م. (د . ط).

الرسائل والبحوث الجامعية :

220. ابتهاج كاصد ياسر الزبيدي. البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر بن الحسن الطوسي. أطروحة دكتوراه. كلية التربية للبنات بغداد. سنة 2003م.
221. إبراهيم عبد الرحمن خليفة. المحكم والمتشابه في القرآن الكريم. رسالة دكتوراه مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة. سنة 1973م.
222. أحمد عرفات أبو الحسن القاضي. الفكر السياسي عند الباطنية وموقف الغزالي منه. رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة. سنة 1988م.
223. بشير مهدي الكبيسي. مفاهيم الألفاظ ودلالاتها عند الأصوليين. أطروحة دكتوراه. كلية العلوم الإسلامية جامعة بغداد. سنة 1991م.
224. حامد كاظم عباس. الدلالة القرآنية في جهود الشريف المرتضى. أطروحة دكتوراه. كلية الآداب. الجامعة المستنصرية. سنة 2000م.
225. حامد محمود الزفري. محي الدين بن عربي مفسرا. رسالة دكتوراه. بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر القاهرة. سنة 1972م.
226. حسن عبد التواب. في التفسير الصوفي للقرآن. رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف القاهرة. سنة 1972م.
227. خالد عبود حمودي الشихلي. البحث الدلالي عند السمرقندي في كتابه ميزان الأصول. رسالة ماجستير. كلية الآداب. الجامعة المستنصرية. سنة 2001م.
228. ربيعي ميلود. التفكير الصوفي عند ابن عطاء الله السكندري ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير. كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران الجزائر سنة 2006م.

229. سلمان نصيف جاسم التكريتي . تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية . دراسة وتحقيق حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي . رسالة ماجستير . مكتبة كلية دار العلوم . جامعة القاهرة . سنة 1975م .
230. عبد الرسول سلمان الزيدي . البحث اللغوي عند فخر الدين الرازي . أطروحة دكتوراه . كلية الآداب جامعة بغداد . سنة 1990م .
231. عبد السلام محمد وفا . المجاز في القرآن بين مثبتيه ونافيه . رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة . سنة 1986م .
232. عزيز سليم علي القرشي . البحث الدلالي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت 885هـ) . أطروحة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها . كلية التربية . الجامعة المستنصرية سنة 2004م .
233. عقيد خالد حمودي محيي العزاوي . الأساليب البلاغية في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت 885هـ) . أطروحة دكتوراه . كلية التربية . جامعة بغداد . سنة 2002م .
234. فوزي إبراهيم عبد الرزاق . السياق ودلالته في توجيه المعنى . أطروحة دكتوراه . كلية الآداب . جامعة بغداد . سنة 1992م .
235. قحطان جاسم محمد . الظواهر الدلالية في تفسير أضواء البيان للشنقيطي . رسالة ماجستير . كلية الآداب . الجامعة المستنصرية . سنة 2002م .
236. الكبيسي بشير مهدي . مفاهيم الألفاظ ودلالاتها عند الأصوليين . أطروحة دكتوراه . كلية العلوم الإسلامية . جامعة بغداد . سنة 1991م .
237. محمد محمد إبراهيم العسال . الشيعة الإمامية الإثنا عشرية ومنهجهم في التفسير . رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين . جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1981م .
238. محمد محمود عبد الحميد . مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية . دراسة تحليلية نقدية . رسالة ماجستير . سنة 1983م .

239. محمد السيد الجليلند - قضية التأويل عند الإمام ابن تيمية . رسالة ماجستير . دار العلوم جامعة القاهرة رقم 113 . سنة 1970 م .
240. محمد عبد الله علي سيف . البحث الدلالي عند الشوكاني في كتابه إرشاد الفحول . رسالة ماجستير . كلية الآداب . جامعة المستنصرية سنة 1999م .
241. محي الدين بن عربي مفسرا . إعداد حامد محمود الزفري . رسالة دكتوراه . بمكتبة كلية أصول الدين . جامعة الأزهر القاهرة . سنة 1972 م .
242. منصور محمد منصور الحفناوي . تحقيق ودراسة البرهان في متشابه القرآن للكرمانى . رسالة ماجستير بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة رقم 200 . سنة 1975م .
243. نواس محمد علي عبد عون الخفاجي . البحث الدلالي في كتاب أصول السرخسي . كلية الآداب الجامعة المستنصرية . سنة 2001م .

البحوث المطبوعة :

244. كريم حسين ناصح الخالدي . الدلالة في النحو العربي . مجلة كلية التربية للبنات . جامعة بغداد . العدد الثامن . سنة 1997م .
245. سليمان عبد القادر . منهجية التفسير الموضوعي في فهم النص القرآني . بحث منشور في مجلة الواحات للبحوث والدراسات المركز الجامعة غرداية . العدد التاسع جوان 2010 م . المطبعة العربية غرداية الجزائر .

فهرس الآيات الواردة في البحث حسب ترتيب المصحف

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	الفاتحة	06	342
﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ، الَّذِينَ يَنْفُسُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	البقرة	26-27	89
﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	البقرة	30	94 151 154
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾	البقرة	43	305
﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾	البقرة	45	58 114 120
﴿:قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَهُمْ﴾	البقرة	60	128 371
﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾	البقرة	61	407 415
﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾	البقرة	105	434
﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾	البقرة	109	87
﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	البقرة	111	169

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	البقرة	130.131	70 85 168
﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	البقرة	131	169
﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾	البقرة	132	61
﴿فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾	اقش ج	152	65
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾	البقرة	164	78 243
	البقرة	172	128
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	البقرة	183	117 330 339
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾	البقرة	185	144 155
﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾	البقرة	197	127 379
﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾	البقرة	200	63 67
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾	البقرة	210	190
﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	البقرة	216	63 96 126 135 201
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	البقرة	222	298
﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾	اقش ج	238	59 305

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾	البقرة	257	100 164 175 293 296 340 357 360
﴿وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ.....﴾	البقرة	282	60 118 176 222 330 339
﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾	آل عمران	07	172 181 182 187 194 195 321
﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	آل عمران	19	61 169
﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾	آل عمران	20	169
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	آل عمران	31	340
﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾	آل عمران	79	55 58
﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	آل عمران	85	61 169
﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	آل عمران	101	93 156 409

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	آل عمران	123	201 298
﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾	آل عمران	152	209
﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾	آل عمران	165	83 92 360
﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾	آل عمران	191	57 66
﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾	النساء	28	90 144 155
﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	النساء	34	114 191
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾	النساء	65	72 166 167 214 217 251 280 291 297 305 345
﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾	النساء	76	100 175
﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾	النساء	78	149 226 394
﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾	النساء	79	78 151 243 394 395

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾	النساء	103	59 305
﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾	النساء	153	416
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾	المائدة	01	341
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾	المائدة	03	376
﴿اذهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾	المائدة	24	415
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾	المائدة	66 . 65	380
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾	المائدة	105	181
﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾	الأنعام	18	422
﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	الأنعام	54	45 54 60 91 94 115 117 152 153 206 216 250 329 338 339
﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾	الأنعام	76	187 342
﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ دَرُّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾	الأنعام	91	295

421			
الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَآ خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَآ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾	الأنعام	95.94	98 298
﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾	الأنعام	120	407
﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾	الأنعام	151	407
﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾	الأنعام	158	187 294 311
﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾	الأنعام	163	169
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾	الأعراف	28	149 394
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾	الأعراف	33	407
﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾	الأعراف	53	179
﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	الأعراف	56	53 162 207 219 434
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	الأعراف	96	429
﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾	الأعراف	138	416
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	الأعراف	156	52 162 219
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾	الأعراف	172	416

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ﴾	الأعراف	179	127
﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾	الأعراف	182	427
﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾	الأعراف	196	322
﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾	الأعراف	201	54 112 119 203 282 300 308 318 344 354 355 361
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	الأنفال	02	148
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾	الأنفال	24	64
﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾	الأنفال	41	174 418
﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِينَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	الأنفال	63	271 403
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾	التوبة	33	220
﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	التوبة	34	91 115 121 320

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	التوبة	60	298 436
﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾	التوبة	62	121
﴿ وَرِضْوَانُ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾	التوبة	72	51 213
﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنِ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَ مِنَ الصَّٰلِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْاْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾	التوبة	75 76 77	141
﴿ خُذْ مِمَّنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾	التوبة	103	145
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ اشْتَرَى مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ ٱلْجَنَّةُ ﴾	التوبة	111	92 101 108 377 415
﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ ٱلْكُفَّٰرِ ﴾	التوبة	123	229
﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾	يونس	39	180
﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾	يونس	58	426
﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	يونس	89	97
﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	يونس	101	78 243 431

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	يونس	103	294
﴿يَا بُنَيَّ اِزْكِبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾	هود	4342	156 326 409
﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾	يوسف	40	100 175
﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾	يوسف	53	119 211
﴿تَوْفَنِي مُسْلِمًا وَاَلْحِفْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾	يوسف	101	169 322
﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾	يوسف	108	307
﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ﴾	الرعد	04	177 371 378 385 391
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	الرعد	29 - 28	267
﴿أَبَى اللَّهُ شَكَّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	إبراهيم	10	78 243
﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَاهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾	إبراهيم	18	129
﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾	إبراهيم	20	425
﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾	إبراهيم	36	313
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾	الحجر	21	101

آية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾	الحجر	40	51 213
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾	الحجر	42	61 175 311
﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾	الحجر	99	107
﴿أَمَّنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	النحل	17	149 394
﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	النحل	99	95 100 175
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾	الإسراء	01	173 418
﴿كُلًّا تُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾	الإسراء	20	430
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾	الإسراء	25	107
﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾	الإسراء	33	239
﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾	الإسراء	44	283
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾	الإسراء	65	51 100 125 213
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾	الإسراء	70	53 404
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾	الإسراء	79	321

الصفحة	رقمها	السورة	آية
300	81	الإسراء	﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾
321	107	الإسراء	﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾
135	07	الكهف	﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾
129 437	45	الكهف	﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾
91	63	الكهف	﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾
394	79	الكهف	﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾
152 395	82	الكهف	﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾
393	109	الكهف	﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾
167 174 281 306 345 418	21	مريم	﴿كَهَيْعِصَ ، ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾
306 415 416	40	مريم	﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾
262 263	65	مريم	﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾	مریم	93	51 61 213 271 403
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	طه	5	52 162 190 219
﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾	طه	12	231
﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾	طه	52	195
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾	طه	110	83
﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾	طه	114	172 194 321
﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾	طه	115	89
﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾	طه	117	114 190
﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾	طه	122	67
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾	طه	132	52 115 140 171 208 278 302 305
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾	الأنبياء	18	103 300 442
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾	الأنبياء	30	82 164

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾	الأنبياء	40	215
﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾	الأنبياء	69	90
﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾	الأنبياء	73	311
﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾	الأنبياء	8887	309
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾	الحج	11	103 104
﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾	الحج	34	169
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	الحج	38	294
﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾	الحج	46	423 432
﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾	الحج	47	106
﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾	الحج	78	70 84 96 128 169 341
﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾	المؤمنون	77	429
﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	النور	31	41

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾	النور	36-37	85 142 193 296 311
﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾	النور	40	217
﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾	النور	43	125
﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾	الفرقان	67	411
﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾	الشعراء	77	97 342
﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾	الشعراء	81-80	152 237 395
﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾	الشعراء	88-89	98 238
﴿ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾	الشعراء	111	217
﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾	الشعراء	214	52
﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾	النمل	34	440
﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾	النمل	52	237
﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾	النمل	62	356
﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾	النمل	88	239
﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾	القصص	15	91
﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾	القصص	24	73 84 96 202 356

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾	القصص	68	104 296 302
﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾	القصص	70	76
﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ﴾	العنكبوت	26	217
﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾	العنكبوت	43	130 378
﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾	العنكبوت	45	59 162 303
﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾	الروم	7	407
﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾	الروم	27	171
﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾	الروم	33	267
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾	الروم	40	171 295 357
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	الروم	47	100 103 176 294
﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾	لقمان	20	407
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾	لقمان	21	83
﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾	لقمان	22	169

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿وَلَيْسَ سَأَلَتْهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾	لقمان	25	270 402
﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾	السجدة	12	179
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	السجدة	17	181
﴿لَيْسَ أَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾	الأحزاب	08	299
﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾	الأحزاب	35	67
﴿ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾	الأحزاب	41	66
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	الأحزاب	42/41	57 66
﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾	الأحزاب	43	62 95
﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ﴾	الأحزاب	48	105
﴿كُلُوا مِنْ رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾	سبأ	15	128 144 155
﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَآمَ الْغُيُوبِ﴾	سبأ	48	300
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾	فاطر	02 03	128 149 394
﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾	فاطر	06	99 175
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾	فاطر	15	208

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	فاطر	28	172 194 311 321
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾	فاطر	32	98
﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾	يس	77	295 419
﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾	يس	79.78	170
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	يس	82	426
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	الصفات	96	149 394
﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا﴾	ص	17	62
﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي﴾	ص	75	186
﴿إِنَّمَا يُؤَقِّ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	الزمر	10	62 95
﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾	الزمر	18	226
﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	الزمر	62	149 394
﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	الزمر	63	269
﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾	غافر	07	52 162 207 219
﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾	غافر	65	75 270

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿لَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾	غافر	85	294 312
﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾	فصلت	39	171
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	فصلت	42	231
﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	فصلت	53	78 211 243 294
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	الشورى	11	330
﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾	الشورى	29	239
﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾	الشورى	47	64
﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ، وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾	الزخرف	23-22	83
﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾	الزخرف	27/26	90
﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	الزخرف	28	90
﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾	الزخرف	84	105
﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾	الزخرف	87	270 402
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾	الجاثية	13	53 101
﴿هَذَا عَارِضٌ مُّطَرُنًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	الأحقاف	24	429
﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾	الأحقاف	31	64

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾	محمد	24	226
﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾	الفتح	04	269
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾	الفتح	10	167
﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾	الحجرات	09	237
﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	الحجرات	11	298
﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	الذاريات	20-21	78 243
﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلٍ مَا أَنْتُمْ تَنْطِفُونَ ﴾	الذاريات	22/ 23	71 82 118 129 163 165 170 204 215 243 254 376 378 382
﴿ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلٍ مَا أَنْتُمْ تَنْطِفُونَ ﴾	الذاريات	23	89 123 204

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿بَنِينَاهَا بِأَيْدٍ﴾	الذاريات	47	189
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	الذاريات	56	62 174 419
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾	الذاريات	56-58	132 139 150 271 383 393 403 392
﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾	الذاريات	58	113 116 171 274 275 276
﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾	الطور	48	73 130 189 280
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾	النجم	4.3	166
﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ، فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾	النجم	25.24	291 296 425
﴿وِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾	النجم	37	100 157 170
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ، فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾	القمر	55.54	417

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ، فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ، وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ، وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾	الرحمان	10 · 22	101 155
﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾	الرحمان	9	299 341
﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾	الرحمان	10	53 101
﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾	الواقعة	10-11	343
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾	الحديد	03	370 407
﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾	الحديد	07	86 87 145
﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾	الحديد	13	407
﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾	الحديد	22	343
﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتُ﴾	المجادلة	11	172 194
﴿كَتَبَ اللَّهُ لَا غَلِبَ أَناَ وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	المجادلة	21	117 330 339

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴿	المجادلة	22	117 330 339
﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضواناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾	الحشر	08	299
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	الحشر	24/23/22	76 263
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَّرْضُوصٌ﴾	الصف	4	192
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	الجمعة	6	299
﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾	الجمعة	7	299
﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	الجمعة	10	67
﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَوْاً انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾	الجمعة	11	115 121
﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	المنافقون	7	269
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾	المنافقون	8	101
﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾	التغابن	1	269

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
-------	--------	-------	--------

311	16	التغابن	﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
93 100 102 156 175 293 318 379 409	3.2	الطلاق	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾
421	07	الطلاق	﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُئْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾
53	12	الطلاق	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾
171	21	الملك	﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾
379	16	الجن	﴿وَالْوَلِيُّ اسْتَغَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾
62 174 418	19	الجن	﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾
295	26.27	الجن	﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾
97	04	المدثر	﴿وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ﴾
411	56.55	المدثر	﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ، وَمَا يَدْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾
119 211	02	القيامة	﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾
438	19-18	القيامة	﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾
218	20	النازعات	﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾	التكوير	2928	410
﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	الغاشية	17	78 243
﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾	الفجر	30-27	51 115 119 143 210 213 280 303 304 341 345 417
﴿وَلَا خِرَّةَ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾	الضحى	04	88
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾	الضحى	06	98 313
﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾	الشرح	04	90
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	التين	04	404
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾	البينة	07	405
﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾	البينة	08	212
﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾	النصر	2.1	227
﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾	النصر	3	180 227
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	الإخلاص	01	186 269

فهرس الأحاديث و الآثار مرتبة حسب الحروف

الصفحة	نص الحديث
57	أَشَدُّ الْأَعْمَالِ ثَلَاثَةٌ : إِنْصَافُ الرَّجُلِ مِنْ نَفْسِهِ، وَمُوَاسَاةُ الْأَخِ فِي الْمَالِ، وَذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
83	أَشَدُّ حَقِّكَ .
209	أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .
443	أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةٌ لَبِيدٍ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ .
291	أَعْبُدِ اللَّهَ بِالرِّضَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فِيهِ الصَّبْرَ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ .
59	أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ فِي السُّجُودِ .
207 216	أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ .
118	إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي وَلَوْلَا ذَلِكَ لَهَلَكْتُمْ .
118	إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَهَلَكْتُمْ .
330	إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَهَلَكْتُمْ .
172	إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ .
228	إِنَّ عِبَادَ خَيْرِهِ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ .
348 349	إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ .
58	إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ خُلُقٍ فَمَنْ تَخَلَّقَ بِوَاحِدٍ مِنْهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ .

الصفحة	نص الحديث
228	إِنَّ مِنْ أَمَنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ إِلَّا خَلَةَ الْإِسْلَامَ ، لَا يَبْقَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةٌ أَبِي بَكْرٍ.
65	أَنَا جَلِيسٌ مَنْ ذَكَرَنِي.
174 418 62	أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ.
65	أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي وَحْدَهُ ذَكَرْتُهُ وَحْدِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ.
174 418	إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ لَا آكُلُ مَتَكُمَا ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبِيدُ.
379	إِنَّهُ لَا يَنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ بِالسَّخَطِ.
41	إِنِّي لَيُعَانُ عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً.
391	أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَاخْتَصِرَ لِي الْكَلَامُ اخْتِصَارًا.
403	أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى نَقْطَةً فَنَظَرَ إِلَيْهَا بِأَلْهِيَّةٍ فَتَضَعُضَعَتْ وَسَالَتْ فَسَيَّلَهَا أَلْفَاءً ، وَجَعَلَهَا مَبْتَدَأَ كِتَابِهِ ، وَاسْتَفْتَحَ حُرُوفَهُ.
59	أُيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ، قَالَ : الصَّلَاةُ لِمَوَاقِيتِهَا.
148	الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَعْلَاهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.
163	بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ، أَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ.
163	تَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ.
58	تَخَلَّفُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ.
192	تَفْضُلُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ عَلَى صَلَاةِ الْفَدِّ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً.
201	حُقِّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُقِّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ.

الصفحة	نص الحديث
124	الدُّنْيَا حَيْفَةٌ قَذِرَةٌ.
291	ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا.
63	الذَّاكِرُونَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ هُمُ السَّابِقُونَ وَالْفَائِزُونَ.
218	رَأَيْتُ الْجَنَّةَ.
57	سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمُفْرَدُونَ؟ قَالَ: الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ.
59	الصَّلَاةُ لَوْفَتِهَا.
172	طَالِبُ الْعِلْمِ تَكْفَلَ اللَّهُ بِرِزْقِهِ..
218	عبد نور الله قلبه بنور الإيمان.
172 194	الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ..
177 384 390	فاتقوا الله وأكملوا في الطلب.
182	فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سَمَّى اللَّهُ فاحذروهم.
180	كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ.
64	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في بيته يخصف النعل ويعين الخادم، فإذا نودي للصلاة قام كأنه لا يعرفنا.
52	كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .

الصفحة	نص الحديث
429	كم من مستدرج بالإحسان إليه، وكم من مفتون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه.
241	كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ.
66	كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويذا ومؤيدا
271 403	كُنْتُ كَنْزاً لَمْ أُعْرِفْ فَأَرَدْتُ أَنْ أُعْرِفَ فَخَلَقْتُ خَلْقاً فَعَرَفْتُهُمْ بِي فِي عَرَفُونِي.
163	لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ.
226 392	لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع.
218	لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك.
62	لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدِهَا .
438	لله أفرح بتوبة عبده...
182	اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ.
210	لو كان رسول الله عليه الصلاة والسلام، كاتما شيئا من الوحي لكنتم هذه السورة.
124	لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَرْنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ.
227	ما أعلم منها إلا ما تعلم
377	ما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره.
124	مَا طَعَامُكَ؟ قَالَ: اللَّحْمُ وَاللَّبَنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مَاذَا؟ قَالَ: إِلَى مَا عَلِمْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا.

الصفحة	نص الحديث
57	مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أُنْجِيَ لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ .
209	مَا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنَّا يُرِيدُ الدُّنْيَا.
59	المُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ.
211	من تواضع لله رفعه الله.
391	من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.
57	مَنْ شَعَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَةٍ أُعْطِيَهِ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ .
241	من عرف نفسه عرف ربه
145	لَحْنُ مَعَاشِرِ الْأَنْبِيَاءِ لَا تُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ.
194	وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ.
61	وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا.
196	وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ
53	يَا ابْنَ آدَمَ ، خَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَجْلِكَ ، وَخَلَقْتُكَ مِنْ أَجْلِي ، فَلَا تَشْتَغِلْ بِمَا خُلِقَ لِأَجْلِكَ عَمَّا خُلِقْتَ لِأَجْلِهِ .
148	يُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ.
193	يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ.

فهرس الأشعار مرتبة حسب الحروف

الصفحة	البحر	القائل	نص الأبيات
372	بحر الوافر	لم أعرف لها قائل	إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الوقت عن الصغار
75	بحر الطويل	ابن عطاء الله السكندري	أيا صاح هذا الركب قد سار مسرعا ونحن قعود ما الذي أنت صانع وغيرها من الأبيات
72	بحر الكامل	ابن عطاء الله السكندري	بكرت تلوم على زمان أجحفا فصذفت عنها عليها أن تصدفا وغيرها من الأبيات
76	بحر البسيط	لم أعرف لها قائل	صح الوجود له شرعا ومعرفة إن التحير في دعوى تَطَلُّ بِهِ وغيرها من الأبيات
79	مجزوء الوافر	أبو العباس المرسي	فلولاه ولولانا لما كان الذي كانا
76	بحر الكامل	لم أعرف لها قائل	كَرَّرَ عَلَيَّ الذِّكْرَ مِنْ أَسْمَائِهِ وَاجْلُو الْقُلُوبَ بِنُورِهِ وَسَنَائِهِ وغيرها من الأبيات
74	بحر الكامل	ابن عطاء الله السكندري	لا تشتغل بالعتب يومك للورى فيضيع وقتك والزمان قصير
372	بحر البسيط	أبو نواس الحسن بن هانئ بن عبد الأول (146هـ) 198 هـ)	لو كان لي مسعد بالراح يسعدني لما انتظرت بشرب الراح إفطارا الراح شيء شريف أنت شاربه فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا يا من يلوم على صهباء صافية كن في الجنان ودعني أسكن النار

الصفحة	البحر	القائل	نص الأبيات
26	مجزوء الكامل	أبو العباس المرسى	لي سادة من عزهم إن لم أكن منهم فلي أقدامهم فوق الجباه في حبهم عز وجاه
12	مجزوء الكامل	ابن عطاء الله السكندري	ليلي بوجهك مقمر والناس في سدف الظلا وظلامه في الناس سار م ونحن في ضوء النهار
77 129	بحر الطويل	صالح بن عبد القدوس (.... هـ) 160 هـ)	متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
70	بحر الوافر	ابن عطاء الله السكندري	مرادي منك نسيان المراد وغيرها من الأبيات
389	بحر المديد	عبد الصمد بن المعدل (....) 240 هـ)	وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج
130	بحر الكامل	ابن عطاء الله السكندري	وخفف عني ما ألقى من العنا وما لأمرى عما قضى الله معدل *** علمي بأنك أنت المبطل والمقدر *** وليس له منه الذي يتخير
264	بحر الطويل	لم أعرف لها قائل	وَكَلْتُ إِلَيْكُمْ فِي بَلَايَا تَتَوْبِي *** فَأَلْفَيْتُكُمْ عَوْنًا كَرِيمًا مُنْجِدًا
135		أبو الحسين النوري	وكم رمت أمرا خرت لي في انصرامه *** فلا زلت بي مني أبر وأرحما عزمت على أن أحس بخاطر *** على القلب إلا كنت أنت المقدمة وأن لا تراني عند ما قد نهيتني *** لكونك في قلبي كبيرا معظما

الصفحة	البحر	القائل	نص الأبيات
79	بحر الطويل	ابن الفارض	وكيف وباسم الحق ظل تحققي تكون أراجيف الضلال مخيفتي وغيرها من الأبيات
77	بحر المتقارب	لم أعرف لها قائل	ولما رأيت القضا جاريا بلا شك فيه ولا مربة توكلت حقا على خالقي وألقيت نفسي مع الجرية
78	بحر الطويل	لم أعرف لها قائل	ويبدو بأوصاف الجمال فلا يرى برؤيته شيئا قبيحا ولا ردي وغيرها من الأبيات

فهرس تفصيلي للموضوعات

الصفحة

العنوان

الإهداء

شكر خاص

أ	مقدمة.....
1	مدخل تمهيدي : نشأة ابن عطاء الله العلمية والصوفية وجهوده في التأليف.....
2	المطلب الأول : ابن عطاء الله ونشأته العلمية والتعليمية.....
3	1- التعريف بابن عطاء الله.....
8	2- نشأته العلمية وبدايته الصوفية ومسيرته التعليمية :.....
8	أ- المرحلة الأولى : حياته بالإسكندرية قبل 674 هـ.....
11	ب - المرحلة الثانية: حياته بالإسكندرية بعد سنة 674
17	ج - المرحلة الثالثة : حياته في القاهرة.....
22	المطلب الثاني : نشأة ابن عطاء الله الصوفية وجهوده.....
24	1- تعرّفه على أبي العباس المرسى.....
26	2- دخوله زمرة المريدين
28	3- خدمته للطريقة الشاذلية.....
30	4- تصوف الشاذلية بين ابن عربي والغزالي.....
33	5- ابن عطاء الله الشاذلي والطرق الصوفية في عصره.....
36	المطلب الثالث : جهود ابن عطاء الله في التأليف.....
37	1. تعداد مصنفات ابن عطاء الله.....
39	2. التعريف بخمسة مؤلفات تهمنا في البحث.....
45	3. تأليف ابن عطاء الله في التفسير.....
47	الفصل الأول : تفسير ابن عطاء الله (مصادره ، وسائله ، العلوم التي استعان بها).....
48	تمهيد.....
49	المبحث الأول : مصادر ابن عطاء الله في التفسير.....
50	المطلب الأول : القرآن وقراءاته.....
51	1. تفسير القرآن بالقرآن
54	2. بعض القراءات
56	المطلب الثاني : السنة القولية والفعلية والحديث القدسي والآثار.....

57.....	1. السنة القولية .
58..	أ -الاستدلال بالحديث .
61...	ب تأييد معنى الحديث بالآيات.
61.....	ج .توظيف نص الحديث في بيان معنى الآية
64.	2. السنة الفعلية .
65.....	3. الحديث القدسي .
66.....	4. الكتب السابقة .
69..	المطلب الثالث :الشعر الصوفي في تفسير ابن عطاء الله
70.....	1. نظمه الشعر لبسط معاني الآيات.....
75... ..	2. توظيفه الشعر الصوفي من غير نسبة.....
79.....	3. توظيفه الشعر الصوفي المنسوب لقائله
81... ..	المطلب الرابع : الأقوال المأثورة .
82.....	1. أقوال الصحابة .
88.....	2. أقوال السابقين .
88.....	أ . أقوال المفسرين .
90..	ب . أقوال أهل العلم .
91.....	ج . أقوال العارفين والزهاد .
93.....	3. أقوال الشيخين .
94.....	أ . الشيخ أبو الحسن الشاذلي.
99.....	ب . الشيخ أبو العباس المرسى.
104.....	4. أقوال الصوفية .
110.....	المبحث الثاني : اللغة ومستوياتها ووسائل البيان في التفسير .
111.....	المطلب الأول : اللغة ومستوياتها في تفسير ابن عطاء الله .
112.....	1. المستوى المعجمي .
113..	2. المستوى الصرفي .
115.....	3. المستوى النحوي .
116.....	4. المستوى البلاغي
119.....	5. معاني الحروف.....
122.	المطلب الثاني : ضرب الأمثال في معرض التفسير .

124.....	1. التمثيل بالمحسوس .
126.....	2. توظيف الآيات في التمثيل.
129.....	3. شرح الآيات بالمثل .
131.....	المطلب الثالث : الاستئناس بالحكاية .
137.....	المبحث الثالث : مسائل من العلوم التي استعان بها في تفسيره .
138.....	المطلب الأول : مسائل من علوم القرآن و علم الفقه والأصول .
139.....	1. مسائل من علوم القرآن .
139.....	أ. تناسب معاني الآيات .
141.....	ب. أسباب النزول.
142.....	ج. أحكام التجويد .
142.....	2. مسائل من علم الفقه والأصول .
142.....	أ. أصول الفقه .
143.....	ب. مقاصد الشريعة .
144.....	ج. مسائل في الفقه .
147.....	المطلب الثاني : مسائل من العقيدة و علوم أخرى
148.....	1. مسائل من العقيدة.
154.....	2. مسائل من علوم أخرى .
154.....	أ. علم المنطق .
154.....	ب. سير الصحابة .
156.....	ج. القصص القرآني .
158.....	الفصل الثاني : التفسير والتأويل عند ابن عطاء الله وبيان أسلوبه في التأليف.
159.....	تمهيد
160.....	المبحث الأول :أنواع التفسير عند ابن عطاء الله وموقفه من التأويل.
161.....	المطلب الأول: أنواع التفسير عند ابن عطاء الله :
162.....	1. التفسير بالمأثور .
164.....	2. التفسير اللغوي .
167.....	3. التفسير الموضوعي .
176.....	4. التفسير الإشاري
178.....	المطلب الثاني :التأويل وموقف ابن عطاء الله منه:

179.....	1. التأويل في القرآن والسنة
183.....	2. التأويل في اصطلاح المتأخرين
185.....	3. أنواع التأويلات الباطلة
187.....	4. تأويل المتشابه
190.....	5. موقف ابن عطاء الله من التأويل
198.....	المبحث الثاني : منهج ابن عطاء الله في التفسير وموقفه من التفسير الإشاري
199.....	المطلب الأول : منهج ابن عطاء الله في التفسير
201. ...	1. شرح الفكرة بطريقة لطيفة مع الاستشهاد بالآيات
201.....	2. تسمية معاني الآية فوائد
206.....	طرح الاعتراض المتوهم في ظاهر الآية ثم الإجابة عليه
210.....	3. الكشف عن خصائص الآية
213.....	4. توظيف معاني الآيات لترسيخ مبدأ "إسقاط التدوير"
215.....	5. تفسير الآية بمعاني متعددة
216.....	6. منهجه العام في التفسير من خلال الآية 54 من سورة الأنعام
221.....	المطلب الثاني : التفسير الإشاري وموقف ابن عطاء الله منه
223.....	1. أساس التفسير الإشاري وسمته
225.....	2. الاستدلال للتفسير الإشاري
228.....	3. أقوال العلماء في التفسير الإشاري
235.....	4. شروط قبول التفسير الإشاري وأمثله
240.....	5. موقف ابن عطاء الله من التفسير الإشاري
241.....	6. أمثلة للتفسير الإشاري عند ابن عطاء الله
244.....	المبحث الثالث : أسلوب ابن عطاء الله في التأليف والتفسير
245.....	1. أسلوب ابن عطاء الله من خلال مؤلفاته
250.....	2. استخلاصه لمعني الآية ثم صياغته بأسلوبه
251.....	3. تفصيله في معنى الآية على أسلوب المنطقة
252.....	4. توظيفه لأسلوب الوعظ
253.....	5. توظيفه لأسلوب المناجاة
255.....	الفصل الثالث : البحث الدلالي في تفسير ابن عطاء الله
256.....	تمهيد

المبحث الأول : الاشتقاق ودلالة الصيغ في تفسير ابن عطاء الله.....	257
المطلب الأول : الاشتقاق وأنواعه.....	258
1. تعريفه.....	259
2. أنواعه.....	260
أ. الاشتقاق الصغير.....	260
أ.1 - الاسم المفرد "الله".....	260
أ.2 - حرف الألف.....	270
ب. الاشتقاق الكبير.....	271
المطلب الثاني : دلالة الصيغ الصرفية والتركيبية.....	272
1. الصيغ الصرفية.....	273
2. أبنية الأسماء وأبنية الأفعال.....	273
3. دلالة الاسم ودلالة الفعل.....	275
4. معاني الإضافة.....	280
5. دلالة الحروف.....	281
المبحث الثاني : الدلالة اللغوية وتطبيقاتها في تفسير ابن عطاء الله.....	285
المطلب الأول: تقسيم الألفاظ باعتبار الدلالة.....	287
1. تقسيم المناطق والأصوليين.....	288
2. طرق تحديد الدلالة عند الأصوليين.....	289
أولا : دلالة المنطوق.....	292
1. المنطوق الصريح.....	292
أ: دلالة التضمنين.....	293
ب: دلالة المطابقة.....	297
2. المنطوق غير الصريح.....	301
أ: دلالة الالتزام.....	301
ب: دلالة الإشارة.....	303
ج: دلالة الاقتضاء.....	306
د: دلالة الإيماء.....	309
ثانيا : دلالة المفهوم.....	310

1.	مفهوم الموافقة	310
2.	مفهوم المخالفة	311
المطلب الثاني :	الحقيقة والمجاز في تفسير ابن عطاء الله	314
أولا :	الحقيقة	316
1.	الحقيقة اللغوية	317
2.	الحقيقة الشرعية	319
3.	الحقيقة المعرفية	322
ثانيا :	المجاز	323
1.	المجاز بين قائل به ومانع له	324
2.	المجاز اللغوي	325
أ -	الابهتة	325
ب -	المجاز المرسل	327
ثالثا :	بين الحقيقة والمجاز	329
1.	الجمع بين الحقيقة والمجاز	329
2.	التوسع في الحقيقة والمجاز	330
المبحث الثالث :	الظواهر اللغوية وأثرها في دلالة الآيات	332
المطلب الأول :	انفتاح الدلالة في الآيات على مستويات اللغة	334
1.	الانفتاح على المستوى المعجمي السياقي	336
2.	الانفتاح على المستوى التركيبي	343
3.	ظاهرة العام والخاص	346
المطلب الثاني :	وجوه الإعجاز وأساليب الخطاب في تفسير الآيات	350
أولا :	نظرة العلماء السابقين إلى السياق	352
ثانيا :	وجوه الإعجاز في تفسير ابن عطاء الله	354
1.	الإعجاز من حيث الألفاظ	354
2.	الإعجاز من حيث التركيب	355
ثالثا :	بعض الأساليب وعلاقتها بالسياق	357
1.	التقديم والتأخير وعلاقته بالسياق	358
2.	الذكر والحذف وعلاقته بالسياق	359
أ .	أمثلة للذكر	360

361.....	ب . أمثلة للحذف .
362.....	الفصل الرابع : لغة التصوف الإشارية وتوظيفها في تفسير ابن عطاء الله.
363.....	تمهيد .
364.....	المبحث الأول: طبيعة اللغة الصوفية وفهم الخطاب القرآني
365.....	المطلب الأول : مسائل في طبيعة اللغة الصوفية .
366.....	1. قصور اللغة عن حمل المعرفة الصوفية.
368.....	2. تفاوت الدلالة حسب الفهم
371.....	3. المسموع واحد وتتعدد أفهام السامعين .
371.....	4. قد يفهم من اللفظ عكس قصد المتكلم .
373.....	5. إنشاء معجم مصطلحات الصوفية .
375.....	المطلب الثاني : مسائل في الفهم العميق لخطاب القرآني .
376.....	1. تفاوت الناس في فهم الخطاب .
378.....	2. عمق الفهم في النص القرآني.
379.....	3. أهل المعرفة يفهمون الخطاب القرآني بمجموعه..
381.....	المطلب الثالث : الفهم الإشاري للنصوص.
382.....	1. الفهم الإشاري للنص القرآني يفتح لبعض الناس دون بعض
382.....	2. ضرورة شرح ما أشكل من أقوال العارفين.....
383.....	3. الفقه الحقيقي هو الفهم العميق الصحيح .
384.....	4. فهم النص القرآني بالنور .
386.....	المبحث الثاني : لغة التصوف الإشارية والتفسير
387.....	المطلب الأول : مسائل في لغة التصوف الإشارية.
388.....	1 . التعبير عن الأذواق بالألفاظ والعبارات .
388.....	2 . توسع الصوفية في الإشارة .
389.....	3 . قصور العبارات عن الوفاء بالمضمون .
390.....	4 . الوضوح والإبهام في تفسير الصوفية.....
390.....	5 . نصوص الوحي لا تتناهي معانيها .
391.....	6 . النفوذ إلى باطن الآية مع الاعتراف بظاهرها.
393.....	7 . تميز تفسير الصوفية عن تفسير الباطنية .
393.....	8 . الانحراف عن التفسير الصحيح للآية تمسكا بالظاهر .

المطلب الثاني: أمثلة من بيان ابن عطاء الله للأسرار والإشارات	397
1. أسرار الاسم المفرد	397
2. أسرار للحروف	400
3. أسرار في حرف الألف	401
4. أسرار في تسمية حرف الألف	402
5. أسرار إشارية في نقطة الألف	403
6. إشارات أخرى في نقطة الألف	404
المطلب الثالث : أساسيات في لغة التفسير الصوفي	406
1. مبدأ الظاهر والباطن	407
2. مبدأ الحقيقة والشرعية	410
المبحث الثالث: توظيف الشواهد القرآنية عند ابن عطاء الله	413
المطلب الأول : شواهد الآيات على مبدأ إسقاط التدبير	414
المطلب الثاني : توظيف شواهد الآيات في مصنف "الحكم"	420
خاتمة	445
ثبت المصادر والمراجع	448
فهرس الآيات	472
فهرس الأحاديث النبوية	496
فهرس الأشعار	501
فهرس الموضوعات	504

Résumé :

Cette thèse mentionné par «interprétation d'Ibn Ataa Allah des versets coraniques » (étude sémantique) et qui se spécialise à une étude écrite des versets que j'ai rassemblé à partir des œuvres d'Ibn Ata Allah, où j'ai suivi ses traces dans le but d'identifier sa méthodologie d'interprétation, et cela d'après ses sources, sa langue et ses moyens d'interprétation ; en se basant sur l'interprétation mystique des versets, et son emploi pour justifier les questions générales, ou détaillés dans le mysticisme et ses fruits ainsi que ses résultats , ou son témoignage sur le principe de la planification bien mesurée ,ou le sens des jugements chez Ibn Ata Allah.

Tout cela est présenté en quatre chapitres : un chapitre sur les sources et les sciences utilisées dans ses interprétations, un autre sur l'interprétation et la reformulation chez Ibn Ata Allah, un autre sur la recherche sémantique d'interprétation , et le dernier sur le langage mystique et son emploi dans l'interprétation d'Ibn Ata Allah.

Les mots clés : versets coraniques, langage mystique, le sens linguistique, interprétation mystique, planification mesurée, la reformulation, la vérité et la sharia, Ibn ataa Allah

Summary

This thesis which is entitled "Ibn ataa Allah interpretation for the holly Quran verses (semantic study)" specialized in the study of assembled verses gathered from publications which I traced their positions in order to identify the approach used In the interpretation, through their sources, language and the means of interpretation, focusing on the indicative interpretation of the verses and their usage, then applied them to show the general issues and the specific ones, related to asceticism, its benefits and its results or used as a proof for applied principal thoughts or the attaii wisdom meanings in four chapters; a chapter for references and the knowledge referred to for his interpretations and a chapter for a semantic research in his interpretation and a chapter for interpretation and exegesis of ibn ataa Allah

Key Words : Quran verses, language of mysticism, semantic language, indicative interpretation, mistrust planification, exegesis, truth and jurisdiction, Ibn ataa Allah

ملخص :

هذه الرسالة الموسومة بـ « تفسير ابن عطاء الله لآيات القرآن الكريم (دراسة دلالية) » تختص بدراسة مدونة من الآيات جمعتها من مؤلفات ابن عطاء الله، تتبعت مواضعها قصد التعرف على منهج ابن عطاء الله في التفسير، من خلال مصادره ولغته ووسائله في التفسير، مركزا على التفسير الإشاري للآيات، وتوظيفها للاستدلال على المسائل العامة أو التفصيلية في التصوف وثمراته ونتائجه، أو الاستشهاد بها على مبدأ إسقاط التدبير، أو معاني الحكم العطائية، في أربعة فصول : فصل في المصادر والعلوم التي استعان بها في تفسيره ، وفصل في التفسير

والتأويل عند ابن عطاء الله، وفصل في البحث الدلالي في تفسيره، وفصل في لغة التصوف الإشارية وتوظيفها في تفسير ابن عطاء الله.

الكلمات المفتاحية : آيات القرآن . لغة التصوف . الدلالة اللغوية . التفسير الإشاري . إسقاط التدبير . التأويل . الحقيقة والشرعية . ابن عطاء الله .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات

جامعة أبي بكر بلقايد

قسم اللغة العربية وآدابها

. تلمسان .

ملخص رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في
اللغة والدراسات القرآنية
بعنوان :

تفسير ابن عطاء الله لآيات القرآن الكريم
. دراسة دلالية .

إشراف الأستاذ الدكتور:

خير الدين سيب

إعداد الطالب:

ميلود ربيعي

السنة الجامعية: 1431-1432 هـ الموافق لـ 2011 م - 2012 م

هذه الرسالة الموسومة بـ « تفسير ابن عطاء الله لآيات القرآن الكريم (دراسة دلالية) » تختص بدراسة مدونة من الآيات جمعتها من مؤلفات ابن عطاء الله، تتبعت مواضعها قصد التعرف على منهج ابن عطاء الله في التفسير، من خلال مصادره ولغته ووسائله في التفسير، مركزا على التفسير الإشاري للآيات، وتوظيفها للاستدلال على المسائل العامة أو التفصيلية في التصوف وثمراته ونتائجه، أو الاستشهاد بها على مبدأ إسقاط التدبير، أو معاني الحكم العطائية

لم يقصد ابن عطاء الله تأليف تفسير كامل للقرآن الكريم، كما فعل كثير ممن قبله أو بعده من الصوفية، والسبب في ذلك يعود في تقديري إلى انشغاله بتربية المريدين، غير أن ارتباط مذهبه الصوفي بالكتاب والسنة، جعله يتعرض لآيات كثيرة من القرآن الكريم بالتفسير ظاهرا وباطنا، استدلالا واستشهادا في مؤلفاته، كلما ناسبه الموضوع، ولم يفردا بتفسير مستقل. وكل ما قصده بالتفسير آية واحدة في رسالة خاصة، وهي الآية 54 من سورة الأنعام تكلم فيها ابن عطاء الله عن قوله تعالى : «وبتبعي لهذه الآيات ومواقعها في مؤلفاته، تجمعت لدي مدونة سميتها "آيات القرآن الكريم في مؤلفات ابن عطاء الله"، فقد جمعت عدد 306 آية موزعة على 73 سورة، فسرهما تفسيرا إشاريا، ووظفها للاستدلال على مسائل عامة وأخرى تفصيلية في التصوف وثمراته ونتائجه، أو استشهاد بها على مبدأ إسقاط التدبير، أو معاني حكمه. فابن عطاء الله أحد المنظرين لعلم التصوف في ربط مفاهيمه بالكتاب والسنة، وهذا هو منهج الشاذلية عموما، إذ نقل ابن عطاء الله عن شيخها "أبي الحسن الشاذلي" قوله : «إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فاضرب به عرض الحائط، وقل :

إن الله ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها لي في الكشف» ولذا سمي تصوف الشاذلية بتصوف العلماء، إضافة إلى أن ابن عطاء الله قد **صدره** شيخه "ناصر الدين ابن المنير المالكي" في علم الظاهر (أي علم الشريعة) وكان له كرسي بالأزهر يمزج فيه كلام العلماء بكلام القوم، وبهذه المكانة فقد توفرت في ابن عطاء الله شروط المفسر من علم باللغة العربية وعلوم الكتاب والسنة، ومؤلفاته تعد مصادر إلى عصرنا الحاضر، مثل: "الحكم العطائية"، "لطائف المنن"، "القصد المجرد"، "التنوير في إسقاط التدبير". كما **صدره** شيخه أبو العباس المرسى في علم الباطن (أي علم الحقيقة أو علم التصوف أو علم السلوك...)، وقال: «هم يصدرونه في الفقه وأنا أصدّره في التصوف»¹⁷⁵⁶

وقال له مرة أخرى: «إذا عوفي الفقيه ناصر الدين -ابن المنير - يجلسك في موضع جدك، ويجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية، وتتكلم بإنشاء الله في العلمين»¹⁷⁵⁷، ويقر عطاء الله محققا ما بلغ من المراتب فيقول: «فكان ما أخبره»، وقال في موضع آخر: «فكان من فضل الله ما لا ننكره»¹⁷⁵⁸. وهكذا حصل الموعود، وأصبحت لابن عطاء الله الصدارة في العلمين وآلت إليه رئاسة الطريقة بعد وفاة شيخه أبي العباس المرسى، وأصبح له كرسي في الجامع الأزهر يملئ منه دروسه في الفقه والشريعة والتفسير وفي التصوف، وكانت حلقاته تعجّ دائما بالمستمعين المعجبين، ذلك أن لدروسه وأسلوبه في الشرح حلاوة وتأثير على السامعين¹⁷⁵⁹، فقد شهد له بالصدارة أعلام الشريعة وأعلام الحقيقة.

1756 - ابن عطاء الله ، لطائف المنن ، ص 53.

1757 - المصدر نفسه ، ص 126.

1758 - المصدر نفسه ، ص 125.

1759 - جمال الدين الشيال . أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ، دار المعارف بمصر . (د.ط.ت)، ص 221.

لقد كشف هذا البحث نوع تفسير ابن عطاء الله لآيات القرآن، فقد ظهر استعماله لأدوات ووسائل المفسر من اللغة ووسائلها، وكلام السلف، والتركيز على التفسير الإشاري الذي يعتمد على دلالة الظاهر وينفذ منها إلى دلالة الباطن من باب القياس، كما نبين توظيفه للغة التصوف بمصطلحاتها في تفسير الآيات أو الاستدلال بها على المعاني والمفاهيم التي سيقى لأجلها.

اقتضت منهجية هذا البحث أن أقسمه إلى **فصول أربعة** يسبقها مدخل تمهيدي، وتسبقها خاتمة أدرجت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها، أو ظهرت في ثناياها، إضافة إلى ذكر مسائل جديدة بالدراسة ولم يتسع مجال البحث لها. أما المدخل التمهيدي فقد جاء في **ثلاثة مطالب** : تضمنت **نشأة** ابن عطاء الله العلمية والصوفية والتعليمية وجهوده في التأليف والتفسير.

أما **الفصل الأول** فاختص بثلاثة مباحث تناول فيها مصادر ووسائل ابن عطاء الله في التفسير والعلوم التي استعان بها.

وتناول **الفصل الثاني** ثلاثة مباحث هي قضية التفسير والتأويل ومنهج ابن عطاء الله في التفسير ثم موقفه من التفسير الإشاري.

وتضمن **الفصل الثالث** ثلاثة مباحث كشف فيها عن البحث الدلالي في تفسير ابن عطاء الله.

أما **الفصل الرابع** فقد انحصر في ثلاثة مباحث كذلك تمثلت في الحديث عن لغة التصوف الإشارية ومجال توظيفها في الاستشهاد بآيات القرآن الكريم من خلال شواهد "الحكم" وشواهد كتابه "التنوير في إسقاط التدبير".

وطبيعي أن تواجه البحث صعوبات، منها عدم وجود دراسات سابقة تدرس منهج ابن عطاء الله، وكل ما هو متوفر دراسات في تصوف ابن عطاء الله مثل كتاب "ابن عطاء الله وتصوفه" لـ"أبي الوفا التفتازاني"، وهي رسالة نال بها صاحبها درجة الماجستير في خمسينيات القرن الماضي وتوجد منها نسخة بالمكتبة الوطنية طبعت في 1969م، وما عدا هذا فما وجدت غير إشارات من خلال شراح مصنفه "الحكم" خاصة شرح "ابن عجيبة" المسمى "إيقاظ الهمم" فقد كان يقف عند الآيات التي استدل بها ابن عطاء الله ويبين وجه دلالتها، ولذا فقد اعتمدته كثيرا إضافة إلى تفسيره المسمى "البحر المديد".

كما اعتمد البحث على مصادر ومراجع كثيرة ومتنوعة في اللغة والتفسير والنحو والصرف والتصوف وأصول الفقه وكتب معاني القرآن والتفاسير منها: روح المعاني للألوسي وروح البيان لبرسوي والقرطبي والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور وغيرها، وكتب علوم القرآن وكثير من الرسائل الجامعية خاصة في البحث الدلالي مثل: "البحث دلالي في نظم الدرر" وأهم كتب التصوف مثل: رسالة القشيري والموسوعة الصوفية . وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن أتبع المنهج الاستقرائي التحليلي أحيانا، والمنهج المقارن في أحيان أخرى.

أما عن نتائج هذا البحث وثمراته التي وقفت عليها فهي كالتالي:

13. جدارة ابن عطاء الله التامة بالانتماء إلى مدرسة التفسير الصوفي السني، الذي يجمع بين التفسير بالظاهر والتفسير بالإشارة مع الالتزام الكامل بالأول والاعتدال التام في الثاني .

14. إلمام ابن عطاء الله الواسع باللغة العربية من مختلف جوانبها، ظهر ذلك في رسالته في التفسير التي فسر فيها آية 54 من سورة الأنعام، ثم توظيفه لمباحث اللغة كلما

سنتحت الفرصة.

15. وختاماً فقد شاءت قدرة المولى تبارك وتعالى أن أدرس تفسير ابن عطاء الله لآيات القرآن دراسة تهتم بالجانب الدلالي والجانب الإشاري، فوقفت على هذه النتائج، ولا أزعم لنفسي الإحاطة بجميع مباحث الدراسة، أو الإمام بكل ما يقتضيه البحث، لكنني لم أدخر وسعا في حدود الوقت المحدد لي، أن أحيط بما استطعت، فإن وفقت فله الفضل من قبل ومن بعد، وإن قصرت فحسبي أن بذلت جهداً، وقدمت ابن عطاء الله في صورة المفسر الذي يجمع بين الظاهر والباطن ويلتزم بالكتاب والسنة، ويستعين بدلالات اللغة في التفسير. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه الأكرم محمد الأمين وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

16. ارتسمت معالم منهج ابن عطاء الله في التفسير من خلال رسالته في تفسير آية سورة الأنعام، فظهر نسقه العام تفسيراً يشبه تفسير "البحر المديد" لابن عجيبة، وهو المتأثر به تأثراً بالغاً.

17. تصدى ابن عطاء الله للفرق المنحرفة في توظيفها لنصوص القرآن، بما يخدم بدعتها كرده على المعتزلة .

18. الاستدلال لمبدأ إسقاط التدبير الذي تقوم عليه المدرسة الشاذلية بالكتاب والسنة، والتمثيل له بمسألة ضمان الرزق بآيات تعد أساسية في هذه القضية.

19. استقلال شخصية ابن عطاء الله العلمية وتميزها في مجال التفسير، وبخاصة الإشاري منه، حيث ظهرت قدرته على الاستدلال لأقوال الصوفية كالشيخين "أبي الحسن الشاذلي" و"أبي العباس المرسى" وغيرهم بآيات القرآن، إضافة إلى شرح ما استغلق من كلام الصوفية، وظهر ذلك في فصول من كتابه "لطائف المنن".

20.محافظة ابن عطاء الله في تفسيره الإشاري على شروط قبوله، وتمييزه عن التفسير الباطني المنحرف.

21.محدودية دوافع التأليف عند ابن عطاء الله في أمرين : الترجمة للشيخين: (أبي العباس المرسي، وأبي الحسن الشاذلي)، والأمر الثاني هو ترسيخ مبدأ إسقاط التدبير ، وغير ذلك إنما هو رسائل وعظية وحكم وقضايا متفرقة.

22.اعتراف ابن عطاء الله بالحقيقة مع الالتزام بالشرعية واستدلاله بآيات تدل على الحقيقة التي تؤيد الشريعة فقال :«فالحقيقة أن تشهده، والشرعية أن تعبد»، وقال في موضع آخر :«فمن تحلل من ربة الشريعة فقد قذف به في بحر الزندقة»، ومثل لنصوص الآيات فقال: فقله : ﴿لِمَن شَاء مِنكُم أَن يُسْتَقِيمَ﴾ شرعية، وقوله تعالى:﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ حقيقة .

23.سجل البحث على ابن عطاء الله الإقلال من ذكر جوانب اللغة والنحو والبلاغة إلا ما يخدم به التفسير الإشاري، وذلك لعدم إفراده تفسيراً مستقلاً.

24.ظهر في الفصل الرابع لغة التصوف الإشارية ومدى توظيف ابن عطاء الله لها في مؤلفاته عامة وفي التفسير خاصة، ودفاعه عنها وأنها لا تخلو من كل كلام والضابط فيها فهم المخاطب والمتلقي.

People's Democratic Popular of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific
Research
University of Abou Bakr Belkaid
Tlemcen

Faculty of Letters and Languages
Department of Arabic Language

Interdiction and conclusion of a Doctoral
Dessertation in language and Coranic Reading

Title :
Ibnu Ataa Allah Interpretation of Holy Coran
Verses.
A Semantic Study

Presented by :Miloud Rabiai

Supervised by :Dr Kheireddine Sib

Academic year :1431-1432 corresponding to 2012-2113

Interdiction

The thesis entitled « *Ibnu Ataa allah Interpretation of Holy Coran Verses* » studies a corpus of coranic verses selected from Ibn Ataa Allah works in order to explore his method with regard to coranic interpretation throughout his sources, language and tools in focusing on indicative interpretation of verses to use it to argue general and specific issues in soufism and its results. Or perhaps to use it as examples to strengthen the devise principle or the Ibn Atta Allah wisdom meanings.

There is no doubt that the spurs behind this work go back to period of magister research which dealt with soufi thinking in Ibn Atta Allah Al Iskandri where I noticed that the Soufi thinking was thought to deviate language from its meanings and relies to explain its cocepts upon coranic verses and Sunnah texts hinging upon Arabic language style and common predecessors' speech in both expression and meaning which were considered as a specific language by soufism used to communicate between each other. and understand texts from Sunnah and coran, the thing which was ambiguous to others.

I was very eager to interpret the holy coran in the sense to disregard explaining words and sentences and to focus on deep understanding starting from the surface to the profundity using a semantic study, where the signal goes in accordance with the expression, so as to fulfil this work and get a

doctorate in the field of language and coranic readings within the department of letters and Arabic language in the university of Tlemcen.

Unlike his precedecessors or followers from Soufi trend, Ibn Ataa Allah did not intend to publish a complete interpretation of the holy coran, The reason to my knowledge is that he was interested in educating people, however his soufi trend which was related to Coran and sunnah pushed him to use both superficial and deep interpretation to some coranic verses shown in his works .This was done according to the kind of the subject, thus interpretation was not independent. He used interpretation in a unique verse in a specific treaties. It was the verse number 54 from surrah Alanaam, where he spoke about Allah saying : « *if those who believe in our verses come out to you then say peace upon you your God made an outh.....and he is forgivable and merciful.* »

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى

نَفْسِهِ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

Being intereseted in these verses and their places in his works, a corpus of selected verses called holy coranic verses in Ibnatta Allh work was gahered. It contains 306 verses distributed on 73 surrah which were interpreted indicatively and were used to argue general issues and specific ones withregard to soufism and its advantages and results as well.

Ibn Atta Allah is one of soufism theorist in terms of relating his concepts to coran and sunnah which is the Shadiliah method in general. He quoted a passage belonging to the head of Shadlia trend (Abi alhacen Shadli

who says : « If your opinion contradicts coran and sunnah ,then it will be rejected , and says that Allah guaranteed to me perfection in Coran and sunnah and did not guarantee it in the surface». This is why Shadiliah soufism was called scholars' soufism, more simply put IbnAtta Allah was graduated by Nasser eddine Ibn Almnir almalaki in the field of Sharia Law and had a chair in Azhar where he mixed scholars' speech with peoples' speech ,accordingly had all the characteristics of an interpreter _ language skills, coran and sunnah science_ .He had many works which are considered as sources in the present day such as (**Alhikam alataiya, lataif alminan, alkasd almujarad ,atanouir fi iskati atadbir**) which were considered as sources in our present time.He was also graduated by Abou Alabass Almorssi in soufism who said : « They graduated him in jurisdiction but I graduated him in Soufism. »¹⁷⁶⁰

He told him once more : « When The scholar Nasser Eddine Ibn Almounair is recovered ,he sits you in your grand father place,then the scholar sits in one place and I in another place and ,then we talk about both sciences. »¹⁷⁶¹

Ibn Ataa Allah does confess that he reached an eminent position in both sciences ,so he became the head of soufism after the death of his teacher Abi Alabass Almorssi and he had a chair in Alazhar mosque, where he gave courses in jurisdiction , Sharia, interpretation and soufism.His courses were very attractive in terms of style and techniques in

1760 Ibn Ataa allah ,Lataif alminan.p :53

1761 Ibid p : .126

Djamal Eddine Ashayal .Aalam aliskandariya fi alasn Aislami.p :221

interpretation ,so that many people attended them ¹⁷⁶².In short many outstanding figures confess that he is a leader in Sharia law and Soufism.

In view of the broad,this work tries to shed light upon the type of interpretation used by Ibn Ataa Allah of the holy coran .One can deduce this from tools and means of interpreter from his language, his predecessors speech and the focus on the indicative interpretation which relies on superficial meaning and penetrate to the deep meaning from the side of analogy, thus the use of terminology of Soufi language is used in verses interpretation to consolidate its meanings and concepts.

This work can be divided into four chapters , a perface and a conclusion. The preface contains three parts speaking about the life of Ibn Atta Allah in terms of Science ,soufism and education, thus his efforts in publishing and interpretation.Chapter one embraces three sections dealing with sources,sciences and means used by Ibn Attaa Allah in interpretation.Chapter two contains three sections as well tackling kinds of interpretation ,the method used by IbnAttaa Allah in interpretation and his attitude with regard to indicative interpretation. Chapter three entails three sections and deals with the semantic investigation in Ibn Atta allah interpretation.As for chapter four, it encompasses three sections as well revolving around indicative soufi language and its use in interpreting coranic verses throughout his books « **Wisdom** » « **الحكم** » and

« **التنوير في إسقاط التدبير** » « **enlightenment throughout devising** »

It is so natural that one can face some hardship once dealing with such a subject, in the sense that there is no prior study showing the way Ibn Atta Allah used in his interpretation. All what is available is some studies which concern soufism viewed by Ibn Atta Allah for instance the book « Ibn Atta Allah and his soufism » studied by Abi Alwafa Atiftazani as a dissertation for the fulfillment of magister degree in the fifties of the previous century. Apart from one copy published in 1969 which is available in the national library, there are only hints from explanation of his book « **Alhikam** » « **Wisdoms** » mainly the explanation of Ibn Ajiba called « **Ikad Alhimam** » « **awakening of elegance** » who stopped at some verses which were used by Ibn Atta Allah as examples to show its meaning, so I relied on it as a source in addition to his book of interpretation called « **Albahr Almadid** » « **The Long Sea** »

The sources used in this work are from different books of interpretation, grammar, morphology, soufism, jurisdiction, books in coranic meaning and interpretation. We list some of them : « **Rouh Almaani** » « **Soul of Meanings** » written by Alaloussi, « **Rouh Albayan** » « **Soul of Clarity** » written by Labrassawi and Alkortobi, « **Attahrir and Tanour** » « **Writing and Enlightenment** » written by Tahar Ibn Achour and books in science of coran and many academic dissertations particularly in semantic research such as « **Albahth Adalali fi Nodomi Durar** » « **Semantic Research in Pearls' System** » and most interested books in Soufism such as « **Rissalat Alkashiri** »

« **Alkashiri Treaties** » and « **Almawsouaa Assoufia** » « **The soufi Encyclopedia** ». As far as the method used in this research, some times it

deals with the deductive and analytic method and some times with comparative one.

Conclusion:

The results led to are as follows :

1. Ibn Atta Allah is worth to belong to the Soufi and Sunni school of interpretation, because he linked between the surface and deep interpretation.
2. The deep knowledge of Ibn Atta Allah in language skills ,this is noticed in his work concerning the interpretation of the verse n54 of Surrah Alanaam ,this interpretation is then used in language research when necessary.
3. The prominence of Ibn Atta Allah interpretation method throughout his treaties in interpreting a verse from surrah Alanaam ,where it tends to be similar to the interpretation of IbnAjiba in his book « **Albahr Almadid** » « **the Long Sea** » and proved to be influenced by him.
4. The unique style used by Ibn Ataa Allah in the field of interpretation ,mainly the indicative interpretation and his competence to use Soufism leaders saying such as Abi Alhacen Shadli and Abi Alabass Almorssi and others, in addition to what has been interpreted according to soufi Speech,this can be shown in some chapters of his book entitled « **Lataif Alminan** »
5. The contradiction of Ibn Attaa Allah to the deviated groups in using coranic texts.
6. The prove of devising principleWhich is the main pillar of Shadli school taken from Coran and sunnah ,and its clarification by some

examples related to wealth acquisition from coranic verses considered as fundamental with regard to the issue.

7. Acknowledgement of Ibn Attaa Allah to the truth and his obligation towards Sharia law and his use to Coranic verses of truth to emphasise Sharia he said then:” The truth is that you witness him and the Sharia is that you worship him.”he said in another context:” Who is stripped from Sharia is thrown in the space of blasphemy.” He used also some coranic verses” ***For those among you who want who to be right.***” This verse is about Sharia

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ and another verse for truth “***And what***

you want is only what is wanted from Allah.”

8. The research shows the the lack of usage of some language aspects apart from what strengthens indicative interpretation because it is not an independent interpretation.
9. Chapter four shows the indicative Soufi language which is used in Ibn Ataa Allah works in general, and in interpretation in particular which is constrained by the comprehension of speaker by listener.
10. The lack of motives in publishing due to two reasons :The use of translation of Abi Alabass Almorssi and Abi alhacen Shadli and advisable treaties ,wisdoms,and different issues.

As a conclusion this work studies Ibn Atta Allah

interpretation of coranic verses from the semantic and indicative sides, where I was led to some of the results ,thus presented Ibn Atta Allah in clear image linking between superficial and deep side governed by Coran and Sunnah and using meaning from language to consolidate his interpretation.

نسخ مقالين بالماسح الضوئي
المقال الأول : بعنوان : الانفتاح الدلالي في النص القرآني
منشور في العدد 139-140 لمجلة الحداثة

المقال الثاني : بعنوان : التربية الصوفية للنفس في فكر
ابن عطاء الله
منشور في العدد السادس لمجلة البحوث
والدراسات بغرداية

الافتتاح الدلالي في النص القرآني

ربيحي ميلود*

إن الدلالات "ليقابل علم الصوتيات الذي يعني بدراسة الأصوات اللغوية".⁴

الفرق بين المعنى والدلالة:

لقد تناول القدماء موضوع المعنى بمصطلحه هذا في أغلب مجالات علم الدلالة منذ نشأة الدراسات اللغوية المتعلقة بالنص القرآني في أوائل القرون الهجرية، إذ لم يظهر من العلماء آنذاك من يرى فارقاً واضحاً بين مصطلح المعنى ومصطلح الدلالة.

ومن الدارسين من يرى ضرورة التفريق بين مصطلحين ينتميان إلى حقل علمي واحد هو علم الدلالة، بينما يعتمد أغلب الدارسين التبادل بين المصطلحين على أساس الترادف، يذهب الدكتور "محمد علي بونس" إلى

ضرورة التفريق بينهما، فكل مصطلح دلالاته الخاصة به حيث يقول: «فبينما يكون المعنى هو ما يرمز إليه في المثلث الدلالي

بالرمز (ب) فإنني أطلق مصطلح الدلالة على العلاقة بين ما يرمز إليه بالرمز (أ) وما يرمز إليه بالرمز (ب)»، ثم يوضح السبب الذي

من أجله يفرق بينهما فيقول: «والغرض من محاولة التفريق بين المعنى والدلالة هو إفراد كل مصطلح من هذين المصطلحين لفكرة

واحدة من فكرتين مختلفتين». إن الصورة الذهنية التي تمثل المعنى لا يمكن لها أن

تتعدد، أما العلاقة بين الصورة للفظية والصورة الذهنية التي تمثل الدلالة فيمكن لها أن تتعدد، فالتعدد حاصل في العلاقة بينهما.⁷



والآخر بعيد فيه نوع خفاء وهو المعنى المراد»²⁰.

ومن أمثله التورية قول الشاعر: [من الطويل]

وأظهرت فينا من ميثاك سنة فأظهرت

ذلك القرض من ذلك التنب

ففي هذا البيت معنيان أحدهما قريب

مقارن إلى ذهن غير مراد، فالقرض

والندب هما الحكمان الشرعيان، أما الثاني

فيقصد بالقرض العطاء، ويقصد بالنسب

الرجل السريع في قضاء الحاجة، ولولا ذكر

السنة لما تبيحت التورية، فيذكره لكلمة السنة

بصرف ذهن القارئ نحو المعنى القريب.²¹

4- مفهوم الانفتاح:

الانفتاح: لغة: «كل ما اكتشف عن شيء

فقد انفتح عنه وفتح»²²، يقول ابن منظور:

«(باب البيت): ينفتح الانفتاح، صار غير

مغلق، بعدما كان مغلقاً...»²³.

وأما اصطلاحاً: فتقف عند تعريفين:

- عرف مهدي أسعد عرار هذه

الظاهرة بأنها: «تعدد المعاني في

السياق الواحد وتضافرها معاً في

دلالة السياق»²⁴.

- عرفها قاضل صالح

السامري بمصطلح آخر مرادفاً

للافتتاح هو: «التوسم في المعنى»²⁵.

فيقول: «التوسم في المعنى، هو أن

يؤتى بتعبير يحتمل أكثر من معنى

وتكون كل هذه المعاني مرادفة»²⁶.

- وتكاد هذه الميزة ينفرد بها

القرآن الكريم عن سائر كلام

العرب، إذ لا تأتي إلا بقوة

الملاحظة وتعدد الاحتمالات

في تفسير الجالسين (هو

مولاي) أي: ناصركم ومتولي

أمورك»¹⁵.

- وترد بمعنى العبد والخادم.

ومن الأمثلة للتضاد كلمة: (زوج).

إن تدل على الذكر والمؤنث:

- فمن دلالاتها على الذكر

قوله تعالى: «فَدَسَّعَ اللَّهُ قَوْلَ

التي تجادلن في زوجها»¹⁶.

- ومما دلل على المؤنث

قوله تعالى: «وَأِنْ أَرَدْتُمْ

استئذاناً زَوْجَ مَكَّانَ زَوْجٍ

وَأَنْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِطْطَانٌ»¹⁷،

والذي يدل على كونها المؤنث

نون التانيث في إحداهن.

- ويمكن اختصار هاتين

الظاهرتين في أن المشترك

لللفظ هو تعدد في العنصر

الدلالي، والتضاد هو تعدد في

العنصر الصوتي.¹⁸

ج- التورية:

لغة: يقول ابن منظور: «ورئت

الخير جعلته ورثي واستركته... وفي

التزويل العزيز ما ووري عنهما أي

ستر على قولي، وقرئ ووري عنهما

بمعناه، وورئت الخير أورثية تورية إذا

سترته وأظهرت غيره»¹⁹.

اصطلاحاً: هي من الظواهر العربية

التي تتعدد فيها الدلالة دائماً ومفهومها:

«أن يُذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان،

على سبيل الحقيقة، أو على سبيل

الحقيقة والمجاز أحدهما ظاهر قريب

يُشار إلى الذهن وهو غير مراد،

3- مظاهر تعدد الدلالة في الكلام العربي:

قبل الخوض في موضوع انفتاح الدلالة،

يحسن بنا الوقوف على بعض الظواهر

اللغوية التي تؤيد بوجود تعدد الدلالة للظاهرة

الواحدة في الكلام العربي عامة، على

المستوى المعجمي، ثم المستوى التركيبي:

فعلى المستوى المعجمي نجد ما يلي:

أ- المشترك اللفظي: ويسمى كذلك

بالامتزاج، عرفه جلال الدين السيوطي في

كتابه: «الزهر في علوم اللغة بأنه هو:

«اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين

فاكثر»¹⁰.

ونمثل لهذه الظاهرة لفظة: (أمة)

حيث ترد على معنيين مختلفين:

- بمعنى القوم أو الجماعة من

الناس، وعليها ورد قوله تعالى: «كُنْتُمْ

خَيْر أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ»¹¹.

- بمعنى مدة من الزمن، نحو قوله

تعالى: «وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَلَكُنْ يَدُ

أُمِّهِ أَيْ أَنْتُمْ بِأَوَّلِهِ»¹²، أي بعد فترة

من الزمن. قال الثعالبي: «هي المدة

من الدهر»¹³.

ب- التضاد:

يوجد من عددها فرعاً من المشترك

لاحتماها أكثر من معنى، والفرق بين

المشترك والتضاد أن التضاد يحمل معنيين

متقابلين، يفهم مضمونه، يفهم مضمونه من

السياق، وذلك في نحو كلمة (المولى) التي

تدل على معنيين:

- بمعنى السيد وورد ذلك في قوله

تعالى: «وَأَنْتُمْ عَلِيُّكُمْ بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ

فِيمَنْ مَوْلَاكُمْ وَبِمَنْ النَّصِيرِ»¹⁴، وجاء

ويفضل "تايز الدابة" مصطلح

"الدلالة" على "المعنى" ويوضح السبب

في هذا الاختيار فيقول: «أثرنا كذلك

ترك مصطلح "المعنى"، لأن فيه عموماً

من جهة، ومن جهة أخرى لا يُعَيَّن على

اشتقاق فرعية مرة نجدتها في مادة:

(الدلالة، دل، الدال، المدلول،

المدلولات، الدلالات، الدلالي...»⁸.

ومن ثم سوف تعتمد في ظاهرة التعدد

على مصطلح الدلالة، بدلا من المعنى

نظرا لدقته واعتماد الباحثين عليه.

2- مراتب دلالة الألفاظ على

حلولها:

لقد حاول القدماء فسي نظريهم

إسري طبيعة اللفظ مع معناه، أن

يُصنّفوه تصنيفاتٍ عديدة، منها تلك التي

قام بها فخر الدين الرازي فقال:

«اللفظ الذي جُلَّ موضوعاً لمعنى،

فليما أن يكون محتجلاً لغير ذلك

المعنى، وإما أن لا يكون، فليما كان

اللفظ موضوعاً لمعنى ولا يكون محتجلاً

لغيره فليما هو -النص-، وإما أن يكون

محتجلاً لغيره، فلا يخلو إما أن يكون

احتماله لأحدهما راجحاً على الآخر،

وإما أن لا يكون كذلك، بل يكون

احتماله لهما على السواء، فإن كان

احتماله لأحدهما راجحاً على الآخر

سمي ذلك اللفظ بالنسبة إلى الراجح:

«ظاهراً وبالنسبة إلى المرجوح:

«مؤلاً»، وإما أن كان احتماله لهما على

التسوية كان اللفظ لهما معاً مشتركاً،

وبالنسبة إلى كل واحد منهما على

التعيين «مجتلاً»⁹.

القرآن تميزه عن غيره من الكلام البليغ يعي كل زمن من أزمنة الدهر من معانيه بكثرة الاحتمالات، فإن كلام البشر كلما كان أبغ كان أدل على المطلوب وأبعد وتطورات العلم ومن ثم تجد الإنسان في كل عصر يشعر إذا تلا القرآن أن حقائقه تتجلى صوت الغيب الموجه إلى مسامع الدهر أكثر مما تتجلى في العصر الذي هو فيه»³⁰.

وملخص المصطلحات المرادفة لمصطلح الانفتاح هي:

المصطلح	من أشار إليه
الوجه	رسول الله عليه الصلاة والسلام
كثرة الاحتمالات	أحمد بن حمد الخالفي
الانفتاح، تعدد المعاني	مهدي أسعد عرار
التوسع في المعنى	فاضل السامرائي

ومن خلال هذا يمكن القول أن هذه الظاهرة البديعة في القرآن الكريم تزيد للمعنى اتساعاً، ولتقارئ مجالا للاستناد إلى معارفه العلمية، من أجل الكشف عن الأبعاد المقصودة في الآية الواحدة. وفيما يلي سوف نكشف عن الانفتاح الدلالة ههنا، والمعنى هو: الإغراء، والعامل الدلالي حسب المستويات اللغوية (الصوتي، المعجمي، التركيبي، الصرفي).

المستوى الصوتي: ومراد الانفتاح إلى سنيين، هما:

أ- الوقف والابتداء: حيث يؤثر موضع الوقف في المعنى تأثيراً تتسع فيه أو تضيق الدلالة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيُحْلِلُوا آتِلًا مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾³¹، يحتمل معنيين على حسب موضع الوقف: المعنى الأول: يكون فيه الوقف الكافي بعد قوله: ﴿عليكم والتقدير: ﴿فحلّ آتلاً ما حرم ربكم عليكم، ألا

الحدائفة

245

المكشاة، ولا تتخصص مصص بمستوى لغوي دون آخر.

ملول الانفتاح بين "أسعد عرار" و"أونيس"

من أبرز من وظف هذا المصطلح في الدراسات الأدبية و النقدية رائد الحديث العربي "علي أحمد سعيد المعروف بـ: "أونيس" فهو في منبع نشأته يؤذي مفهوما غير المفهوم الذي ارتسمه "مهدي أسعد عرار" إبه يختلف معه في أمور منها:

1. الانفتاح عند أونيس مرتبط بالنص الشعري الحديث أي بالإبداع الأبي خلافا لمهدي الذي يرتبط الانفتاح عند بالنص القرآني العزيز.

2. الانفتاح عند عرار تعدد في المعاني للفظ الواحد دون تناقض أو اضطراب، بينما عند أونيس هي نتيجة لإملاق جميع القنود المحاطة بالتصديفة العربية، ولكل ما قد يفسرها لينتج مسا يسمى بتأمل المعنى، وبهذا تصبح القصيدة العربية مأوى لمعان لا حصر لها، يقول أحد الدارسين: «يضاف إلى ذلك أن النقد الجديد هو كتابة لنص ثان على النص الأصلي الأول، وهنا تسمى صورة النص الأول الذي هو في الواقع عبارة عن مجرة من الملوالات ولديها شبكة من العلاقات الجديدة بين الكلمات»²⁷.

ومن خلال هذا يتبين أن مصطلح "الانفتاح" فسي الحقل الأدبي نو طبيعة معقدة سلبية، بينما فسي النص القرآني فهو نو طبيعة معقدة لكها

الحدائفة

244

إيجابية، بل هو شكل من أشكال الإعجاز.

5- مستويات وقوع الانفتاح الدلالة:

قبل التطرق إلى مستويات وقوع الانفتاح الدلالي فقد تعددت نظرية دارسي الموضوعات القرآنية إلى كون اللغة أو الجملة دالين على أكثر من دلالتين مقصودتين في الآن نفسه، وفيما يلي إشارات المختصين في علوم القرآن إلى هذه الظاهرة:

- فهد عبد العظيم الزرقاني في كتابه: "مناهل العرفان" يشير إلى أن من خصائص القرآن الكريم جمعه بين الإجمال والبيان، مع أنهما غايتان متقابلتان لا تجتمعان في كلام أحد، ثم يقول: «لكن القرآن وحده هو الذي انخرقت له العادة، فتسمح الجملة منه، وإذا هي بيئة مجملة في أن واحد، أما أنها

بيئة فلالها واضحة المعزى وضوحا بريم النفس من عناء التفتيق والبحث لأول وهلة، فإذا أمنت النظر فيها لاحت منها معان جديدة كلها صحيحة، أو محتمل أن يكون صحيحاء، وكلما أمنت فيها النظر زادك من المعارف والأسرار، بقدر ما تصيب أنت من النظر وما تحمل من الاستعداد»²⁸.

- أما الزركشي فقد استدل على وجود هذه الظاهرة من السنة حيث يقول: «ذكر مقال في صدر كتابه حديثا مرفوعا، عنه صلى الله عليه وسلم: (لا يكون الرجل فقيرا كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوا كثيرا)»²⁹.

- ومنهم من عبر عن الانفتاح بقوله كثرة الاحتمالات وصحتها على مر العصور كل يفهمها على قدر الذي أوتي من العلم، فهد "أحمد الخالفي" في مقدمة تفسيره يعتبر عنه بما يلي: «ومن دلائل الإعجاز في عبارة

ومما كسب هو بنفسه أو ماشيته... ويجوز أن تكون "ما" استعملها في موضع نصب، أي: أي شيء يعني عنه ماله على وجه التوير والإكثار؟ والمعنى: أين الغنى الذي لأماله واكتنيه؟³⁵

المستوى الصرفي: يعود الانفتاح فيه إلى تلابو الصنيع الصرفية، فيكون للصيغة الصرفية الواحدة أكثر من دلالة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا نَبِينًا مُوْعِدًا لَا نَخْلَعُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوًى﴾ (طه: 58)، فصيغة "مُعَلِّق" تدل على الزمان أو المكان أو تكون مصدرًا ميميًا، إلا أنها في هذا الموضع احتملت الدلالات الثلاثة في الآن نفسه:

— بمعنى المصدر: أي "العدد"، ويؤيد هذا قوله بعدها: "لا نخلفه نحن ولا أنت"، أي لا نخلف الوعد.

— بمعنى اسم الزمان، ويؤيده قوله تعالى: "قال موعدكم يوم الزينة"، كما دلت على الزمان أيضا في غير هذا الموضع كقوله تعالى: ﴿إِنْ مَوْعِدُكُمْ الصَّبْحُ﴾³⁶.

— بمعنى اسم المكان، ويؤيده كذلك: "مكانا سوي"، كما تدل على المعنى نفسه في الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾³⁸.

المستوى المعجمي: ويظهر ذلك في المشترك اللغوي، ومثاله قوله تعالى: ﴿لَا يَرْفُقُونَ فِي مَنْ أَلَّا وَلَا زَمَةً﴾³⁹. سبب استدلال قراءة بأخرى، والكلمات الدالة على ذلك عند ورش هي: "عد" و"الشهود"،

أما عند غيره فهي: "عيد" و"أشهر يذوق"، إذ إن تعدد القراءة يستوجب اختلافًا في الدلالة، وهذا التعدد ليس هو المقصود في بحثنا هذا، ومن ثم فلا علاقة بين تعدد الدلالة لاختلاف القراءة والتعدد الناشئ لإحدى أسباب الانفتاح داخل في القراءة الواحدة.

7 - تطبيقات الانفتاح الدلالي في آيات من القرآن الكريم:

أ - على المستوى النصوي التركيبي:

• قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَيَهُونَ فِيهَا الْأَرْضَ فَلَا تَأْكُلْ عَلَى الْقَرْيَوتِ الْقَابِلِينَ﴾⁴⁴، حيث ذهب بعض المفسرين إلى أنها أربعة تحتمل معنيين نبيا لاختلاف الإعراب ومكان

الظرف	الظرف
أربعين: منصوب.	أربعين: منصوب.
محرمة فلا يكون التحريم مؤبدا	شبهون فيكون التحريم مؤبدا.

ومن ثم فقد ظهر في هذا المثال انفتاح الدلالة على مستويين في آن واحد: الصوتي والتركيب، فالصوتي مرتبط بموضع الوقف على التكمين: "عطينهم" وثمة كل منهما أثر في المعنى، أما التركيب فهو مرتبط بنصب كلمة: "أربعين" إما بـ: "محرمة" أو "يتيرون".

• على المستوى المعجمي:

يقول أبو حيان: "بمعنى ﴿الله﴾ تعالى، الأصح أن يعود على ﴿الله﴾ تعالى، أي: إن الله ربي أحسن مثواي إذ نجاني من الجب، وأقاضي في أحسن مقام".⁴⁷

— القول الثاني: بمعنى (زوج) امرأة مثواي، إذ لا يُلحظ الظالمون).⁴⁶ هذا

ويؤيد ما ذهب إليه تمام حسان" نقل
 "الشوكاني" قول من تقدمه فيقول: «وقال
 الرازي في تبيين مثنائي " أن أكثر الأبناء
 المذكورة في القرآن منكورة زوجين، مثل
 المقصورة من "المثنائي"، إلى سبعة كسا
 يلي:
 - مثنوية في لفظ الجلالة "الله":
 فرغم أنها لفظ مفرد إلا أنها تضم
 مثنويتين في الآن نفسه وهما:
 كونه تعالى إلهها معبودا،
 وكونه ربا مستعانا.
 - مثنوية بين: الرحمن/الرحيم.
 - مثنوية بين: رب العالمين/مالك
 يوم الدين: باعتباره عز وجل ربا
 في الدنيا وملاكاً ليوم الدين.
 - مثنوية بين: إياك نعبد /إياك
 نستعين.
 وقد فرّدت هذه المثنويات في الجدول التالي:

المثنويات	الله تعالى (إله ورب)
الرحمن	الرحيم
رب العالمين	ملك يوم الدين
إياك نعبد	إياك نستعين

❖ المثال الثاني: من سورة الروم
 قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكِ فِي
 الْأَرْضِ وَخَلْقَ الْبُيُوتِ وَالزَّيْتُونِ﴾⁵⁸
 في ذلك آيات للعالمين)⁵⁹
 فمن آيات الله تعالى وودانيته في ملكه
 هذا الاختلاف الملحوظ بين ألسنة البشر
 ولألسنهم، لتكون كلمة "السنتكم" بتجانسها
 معنيان هما:
 - اللغات البشرية والألسنة
 المختلفة: فالمعنى الأولي في كلمة
 السنتكم

والعزير، إذ إن لفظة "رسي" تعود على
 زوجها، قال أبو حيان: «إسما أن يكون
 ضمير الشأن وعشي برية سيده العزيز فلا
 يصلح لي أن أخونه، وقد أكرم مشواي
 واتمنى»⁴⁸. وكذلك قال الثعالبي في
 تفسيره: «ويحتمل أن يريد العزيز سيده،
 أي: فلا يصلح لي أن أخونه وقد أكرم
 مشواي واتمنى»⁴⁹. وتبعا لذلك يقول
 الشوكاني: «الضمير للشأن، أي إن الشأن
 ربي، يعني العزيز أي: سيدي الذي رباني
 وأحسن مشواي حيث أمرت بقوله: «أكرمي
 مشوا»⁵⁰.
 ومن ثم فإن افتتاح الدلالة هنا حاصلا
 في لفظة "رسي" التي تدل على الله تعالى،
 كما تدل في الآن ذاته على زوج امرأة
 العزيز، وما يدعم هذا المعنى المعجسي
 لكلمة "رسي" مجيئها في القاموس المحيط:
 «الرب: باللام لا يطلق لغير الله عز
 وجل... وزب كل شيء ماله ومستحقه،
 أو صاحبه. ج: أرباب وروپ»⁵¹. ومعنى
 ذلك أن بغير اللام يطلق على غير الله عز
 وجل.

ج - على المستوى المعجسي
 والتكسبي:
 ❖ المثال الأول: من سورة الحجر
 قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ
 الْمَتَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾⁵²، فقد
 تواترت آراء كثيرة في معنى كلمة
 "المتاني" ولعرض مختصر أقوال
 المفسرين فيها، كل وحجته فيما ذهب
 إليه ثم نبين موطن الافتتاح بالتحديد:
 ورد القول عن ابن عباس أنها "السبع
 الطوال" فقال: «هي السبع الطوال: البقرة،
 النحر والأنتى، الإيمان والكفر»⁵⁷.

الرابع	المعمل الصالح	صاحب العمل
--------	---------------	------------

غير أن عبد الرحمان الشعالبي في المعنى الثاني: يرى أن الضمير في الفعل "أنساه" عائد إلى يوسف، وكلمة: "زنى" دالة على الله تعالى لا على الملك. وكانت هذه المقالة منه عليه الصلاة والسلام صادرة عن دهنون ونسيان عن ذكر الله بسبب الشيطان، فيكون المفعول في "أنساه" عائداً إلى يوسف⁷⁴. ويذكر الشعالبي ذلك بقوله: «وكذلك الضمير في "أنساه" قيل هو عائد على يوسف، أي نسي في ذلك الوقت أن يشترك إلى الله»⁷⁵.

ونتيجة هذه الآية تجلّس فيها عود الضمير إلى أكثر من مذكور، فكان سبباً في افتتاح الدلالة فتعددت بين نسيان يوسف عليه السلام الاستمالة بربه، وبين نسيان الفتى أن يذكر شأن يوسف الملك.

• قوله تعالى: «فَإِنَّهَا الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبَّهُ» فالاختلاف هنا حاصل في عود الضمير من الفعل "أنساه" والكلمة "زنى"، هل هو عائد إلى يوسف، أو إلى الذي نجا منهما؟ وبالاختلاف عوده تنفتح الدلالة.

المعنى الأول: يرى أن الشيطان أنسى الناجي من السجن أن يذكر للملك شأن يوسف عليه السلام: «... وإنساه الشيطان له بما يوسوس إليه من اشتغاله حتى يدخل عما قال له يوسف»⁷⁶. وأشار الشوكاني إلى هذا فقال: «وذهب كثير من المفسرين إلى أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه هو الذي نجا من العلامين، وهو الشرابي، والمعنى: إنساه الشيطان الشرابي ذكر سيده، أي ذكره لسيده، فلم يبلغ إليه ما أوصاه به يوسف من ذكره عند سيده»⁷⁷.

المعنى الثاني: يرى أن الضمير في الفعل "أنساه" عائد إلى يوسف، وكلمة: "زنى" دالة على الله تعالى لا على الملك. وكانت هذه المقالة منه عليه الصلاة والسلام صادرة عن دهنون ونسيان عن ذكر الله بسبب الشيطان، فيكون المفعول في "أنساه" عائداً إلى يوسف⁷⁴. ويذكر الشعالبي ذلك بقوله: «وكذلك الضمير في "أنساه" قيل هو عائد على يوسف، أي نسي في ذلك الوقت أن يشترك إلى الله»⁷⁵.

والاستقلال كل فرد منهم يتميزت لا تضاهي فرداً آخر، يقول أبو حيان: «وقيل المراد بالصفات الأصوات والنغم... خالف عز وجل بين هذه الأشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متقنين في هس واحد ولا جهره ولا أكتة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا أكتة ولا نظم ولا أسلوب، ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله»⁶³.

ويقول الشيخ "الطقيش" كذلك: «لا يوجد صوت أحد مساوياً لصوت الآخر مع كثرة الناس، ولو اتفقت الصور أو الأصوات لتعطلت مصالحي، ولو تكلمت جماعة من وراء الستر لميزت كل واحد بصوته»⁶⁴. ومن ثم فإن كلمة "السننكم" القرآنية احتملت معنيين كلاهما ممكن ومحتمل، وموسع لمعنى الآية.

• قوله تعالى: «فَإِنَّهَا يَصْنَعُ الْكَلِمَ الطَّبِيبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»⁶⁵. نقل القرطبي في تفسير هذه الآية أربعة أقوال للسالكين كما يلي: - القول الأول: (والعمل الصالح يرفعه)، - المعنى: والعمل الصالح يرفع الكلم

القول	الفاعل هو ضمير مستتر في الفعل يرفعه (تقديره هو)
الأول	العمل الصالح
الثاني	الكلم الطيب
الثالث	الله تعالى

- لائحة في المركز الجامعي عردينة، الجزائر.
- القرآن الكريم م بروايتي ورش وخمن.
1. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، دار التونسية، (ط ١)، (ت)، 1984.
2. أبو حيان الأنلسي، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، لبنان، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
3. أحمد بن حمد الخليلي، جواهر التفسير، نور من بيان التنزيل، مكتبة الاستقامة، ط١، 1404، 1984.
4. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط١، 1998.
5. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في علم المعاني والبيان والدين، (بدن)، (١٤١٠هـ)، (ت)، لبنان.
6. بدر الدين الزركشي، الزمان في علوم القرآن، تلخيص لبحث أحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، لبنان.
7. بشر تارويوت، آليات الشعرية الدلالية عند لؤيس ترسان في المطالعات والأشعار والقافي، عالم الكتب، القاهرة، ط١، 2009.
8. تلم جلال الدين حسام، خواطر من تأمل لذة القرآن الكريم، عالم الكتب، القاهرة، ط١، 2006.
9. البيوطي، إيمان في علوم القرآن، دار الجيل، بيروت، تلح ونح عصام فارس الحرساني، ط١، 1419-1998م.
10. جلال الدين البيوطي، المهر في علوم اللغة وأرواحها، مطبعة السعادة، مصر، تلح، 1325 هـ.
11. عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تلح/صالح طهاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، (بدن)، (بدن).
12. عبد الرحمن حسن حنيفة الميداني، البلاغة العربية، دار التلم دمشق، ط١، 1416هـ/1996.
13. عبد العظيم الزرقاني، مثالب العرفان في علوم القرآن، دار المعرفة، لبنان، ط١، 1420هـ/1999م.

1. محمد ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، 1992/1992م، ج٩، ص١٤٤٦، مادة (ن ح ي).
2. بنظر: المصدر نفسه، جلد 4، ص١٣٩٤، مادة (ل ن ل).
3. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص١٧.

الدلالة إن كانت عامة في إحدى المواضع ثم خصصت لدى مفسر آخر، فالانفصال بين الأوجه المحتملة مشروط في ذلك.

لا يتقصّد بالانفتاح تحميل الآية دلالات لا تتحملها، والتكلف في إيجاد المنفذ لاحتمال وجه يبعد مرادها.

معظم النماذج المدروسة في الجانب التطبيقي تندرج في المستوى التركيبي.

تندخل المستويات اللغوية، في بعض المواضع، كالصوتي مع التركيبي، والمعجمي مع

التركيبي.

وفي الأخير بقي التنبيه إلى عدم قبول الانفتاح الدلالي في النص القرآني بإطلاق، بل قد يؤول النص إلى الانغلاق الدلالي، وذلك إذا لم يقبل النص القرآني إلا وجهاً واحداً ولا مجال فيه لاحتمال الأوجه الأخرى، وهذا يدعو إلى مقال تابع يكشف عن مفهوم الانغلاق في القرآن الكريم، وعن أسبابه ومستوياته ومواطنه.

وفي ختام هذا المقال نرجو أن يتوج هذا العمل بالتوفيق والسداد، والقائفة لكل مطلع عليه والحمد لله.

هذا من كلام امرأة العزيز، والمعنى: ذلك القول الذي قلته في تنزيهه، والإقرار على نفسي بالمرادفة ليعلم يوسف أي لم أخذه، فأنتب إليه ما لم يكن منه، وهو غائب عني⁷⁸.

وبهذا التعدد المحتمل غير المتدافع تتفتح الدلالة على المستوى التركيبي للاختلاف في عود الضمير: إلى يوسف أو إلى امرأة العزيز.

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة اللغوية القرآنية

لظاهرة الانفتاح الدلالي في القرآن الكريم عامة، وتطبيقاتها على مواضع متفرقة من سور القرآن الكريم، باعتبار المستويات

اللغوية الثلاثة: الصوتي، والمعجمي، والتركيبي، فقد توجت بنتائج هامة، نلخصها فيما يلي:

ظاهرة الانفتاح موزعة في جميع القرآن الكريم، بأجزائه وسوره وأجزائه.

تكتشف هذه الظاهرة عن مدى الجهد المبذول لبيان معاني كتاب الله العزيز، واستفاد الوسع في استرجاع الاختصالات الممكنة للآية الواحدة.

الانفتاح مشروط بالدلائل العلمي، ونسبة الأقوال إلى أهلها، دون اجتهد غفري أو غير معمل.

تعدد الدلالة لا يتقصّد به تأويل النصوص المتشابهة، مما لا يُعدُّ انفتاحاً، ولا يتقصّد به تخصيص

- 4 - ينظر: غايزر الدالية، علم الدلالة العربي التطوري و التطبيق، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1405هـ/1985م، ص:6.
- 5 - محمد محمد علي يونس، المسمى وظلال المسمى-أنشطة الدلالة في العربية-، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص:378.
- 6 - المرجع نفسه.
- 7 - المرجع نفسه.
- 8 - غايزر الدالية، علم الدلالة العربي التطوري و التطبيق، ص:9.
- 9 - محيي الدين شحوب، علم الدلالة عند العرب فخر الدين الرازي نموذجاً، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2008، ص:163.
- 10 - جلال الدين السيوطي، المظهر في علوم اللغة وأنواعها، مطبعة المسعدة، مصر، ط1، 1325 هـ، ص:1، 217.
- 11 - سورة آل عمران الآية 110.
- 12 - سورة يوسف الآية 45.
- 13 - عبد الرحمن الشافعي، الجواهر الحسان، ج 2 ص 262.
- 14 - سورة الحج الآية 78.
- 15 - ينظر تفسير الجلالين.
- 16 - سورة المجادلة الآية 1.
- 17 - سورة النساء الآية 20.
- 18 - محمد محمد علي يونس، المسمى وظلال المسمى، ص:379.
- 19 - ابن منظور، لسان العرب، ج 15 ص 273.
- 20 - عبد الرحمن حنين جيلة المياني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، ط1، 1416هـ، 1996، ج2، ص:373.
- 21 - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في علم المعاني والبيان والبيوع، (د.ب.د)، (ب.ط)، (ب.ث.ن)، ص:223.
- 22 - ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص:171، (إمالة ت ج).
- 23 - عصام نور الدين، معجم نور الدين الوسيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005، ص:239، 240.
- 24 - مهدي لحد عزار، مباحث لسانية في ظواهر قرآنية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- 25 - فاضل صالح السامرائي، لسان بدينية في تصوص من التنزيل (سنة التنزيل).
- 26 - مفهوم الدلالة: «مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خاصة على الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأخذ من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السوفالية... والرمزية... وغيرها» - كتاب اصطلاحات الفنون - ص 55.
- 27 - بشير تاروريوت، آليات الشعرية الدلالية عند لادونيس دراسة في المنطق والأصول والمفاهيم، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2009، ص:29.
- 28 - عبد العظيم الزركلي، مثاهل المرفان في علوم القرآن، دار السبعة، لبنان، ط1، 1420هـ/1999، ج2، ص:204، 205.
- 29 - بدر الدين الزركلي، المرفان في علوم القرآن، نجدهد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المعصرية، لبنان، ج1، ص:103.
- 30 - أحمد بن حمد الخليلي، جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، مكتبة الإحسان، ط1، 1404-1984، ج1، ص:77.
- 31 - سورة الأنعام الآية 151.
- 32 - مهدي لحد عزار، مباحث لسانية في ظواهر قرآنية، ص 17.
- 33 - المرجع نفسه.
- 34 - سورة لقمان الآية 2.
- 35 - أبو جابر الأنصاري، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1، 1412هـ، 1997، ج12، ص:216.

- 36 - سورة هود الآية 81.
- 37 - مهدي لحد، مباحث لسانية في ظواهر قرآنية، ص:21، 22.
- 38 - سورة الحجر الآية 43.
- 39 - سورة التوبة الآية 10.
- 40 - المرجع السابق، ص:30.
- 41 - سورة الحديد الآية 22.
- 42 - أبو جابر، البحر المحيط، ج10، ص:111.
- 43 - سورة الزمر الآية 19.
- 44 - سورة السجدة الآية 26.
- 45 - المرجع السابق، ج 4 ص 222 - 223.
- 46 - سورة يوسف الآية 23.
- 47 - أبو جابر، البحر المحيط، ج6، ص:257.
- 48 - المصدر نفسه.
- 49 - الشافعي، الجواهر الحسان، ج2، ص:314.
- 50 - الشافعي، فتح القدير، ج3، ص:20.
- 51 - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص:93.
- 52 - سورة الحجر الآية 87.
- 53 - محمد بن علي الشوكلي، فتح القدير الجامع بين في لونية وشرية من علوم التفسير، دار الخيزر - بيروت، لبنان، 1413هـ/1992، ج3 ص 160.
- 54 - المصدر نفسه.
- 55 - ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص:138.
- 56 - الشوكلي، فتح القدير، ج3، ص:160.
- 57 - تاج الدين، جواهر من ظلال لغة القرآن الكريم، عالم الكتب، القاهرة، ط1، سنة 2006، ص:69.
- 58 - الشوكلي، فتح القدير، ج3، ص:161.
- 59 - سورة النساء الآية 3.
- 60 - سورة سبأ الآية 46.
- 61 - سورة الزمر الآية 22.
- 62 - أبو جابر، البحر المحيط، ج8، ص:382.
- 63 - المرجع نفسه، ج8، ص:382.
- 64 - محمد بن يوسف الخليلي، تفسير التفسير، تحقيق: إبراهيم طاطي، الطبعة العربية غردية الجزائر، (د.ط)، 1422هـ - لموافق 2001، ط1، ص:109.
- 65 - سورة قلم الآية 10.
- 66 - أبو عبد الله محمد الترمذي، الجامع لأحكام القرآن، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، سنة 1425هـ - 2004، ج2، ص:2545.
- 67 - المصدر نفسه.
- 68 - المصدر نفسه.
- 69 - المصدر نفسه.
- 70 - عبد الرحمن الشافعي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وزارة الثقافة للجزائر، سنة 2007، ج3، ص:392/391.
- 71 - سورة يوسف الآية 42.
- 72 - أبو جابر، البحر المحيط، ج6، ص:280.
- 73 - المصدر نفسه، ج3، ص:34.
- 74 - المصدر نفسه.
- 75 - الشافعي، الجواهر الحسان، ج2، ص:324.
- 76 - سورة يوسف الآية 52.
- 77 - الشوكلي، فتح القدير، ج3، ص:40.
- 78 - المصدر نفسه.

نحن في طريقنا إلى تحول السنة
التامة عشر اصدور الدائشة، أي أننا
ننشر اليوم بصور العدد 139 - 140
من هذه العلاء العرفة المتوعدة بتاريخ
مجد من العلاء الفكرية، ولا أن نأخذ
بعين الاعتبار، في هذا المسار أن
البروات لا تقام لا تقيم فقط بعدد
النسب، بل بالجزات لها وقدرتها على
التحدي والصمود والاستمرار في ثابته
دورها الطليعة، والاضام بالقضايا التي
ترد يد مرقتا وتطوّرهما، وتدفننا إلى
التغير الإيجابي والتقدم.

فهذه المسألة الثقافية التي ظهرت في
بدايات التسعينيات من القرن الماضي،
نتيجة الحاجة إلى مساحة فكرية تعالج
بقضايا الحاجة إلى الدائشة، كانت لا تزال
تمثل منارة زائفة ورائدة في مجالاتها،
فهي تحضن كل إبداع، وتصدر في
مايزيدها، وتتشارك موضوعاتها في أوانها،
وتقدم، في كل عدد، من الإحداث
والسراج والتجارب الفكرية والعلمية
والأدبية والفنية والشعرية بوصفها شهادا
حيّة في مجتمع حي.

وأثرها وفاليتها ومساحة انتشارها
الكبرى، هي أكبر من دورية، وقد نصل
إلى مقالها على مقال الضرورة الثقافية،
والدالة للعلماء والمسؤولين الدائشة، لأنها
تقدم - من الألف الخاصة، والثقافة،
فما إلى -

والاعبارات الذاتية، والشخصانية الفردية،
وتجاوز الموقع الاحتفالي السوري
الاستراضي الإعلاني، وتوجه إلى كل
الأنانيين والمناطق باللغة العربية، وتنتشر
مأثر أفعى كتابهم وأبائهم، ولا يحيط لها
إلا معنى واحد هو معنى الحياة الزاهرة
بالعلماء، ولا يشغلها شأغل أو قصور
المعرفة، ودفع دينامية البحث العلمي
لأقرب من الحقيقة بطريقة مبتكرة.

وكان قهرها من تكون ملتزم بالتصاوير
التي تقع في دعم مفاهيم التغيير، وتجاوز
التنصير والتفكير نحو عالم أفضل، واستندت
أصالتها عندما اختارت، بفضل توجهات
موسسها وجوده وشجاعته وعزمه، أن لا
تكون دورية مضادة، وجزءا من مشروعه
مبتدئ على فكرة ثقافة عربية أصيلة
عندية، فوامها الديمقراطية والوطنية
والدولة المدنية، وجعلت من تجربتها
الخاصة تجربة ذات معنى، وتتوافق تماما
مع الشعور بأهمية الكلمة ورسالتها وفكرها
وقاليتها.

وكان
وعملها على، لتبقى أمانة لرسالتها
أقبل المجتمع على منعطف من منعطفاته.
أو كل ما تبلورت وخصيات جديدة تؤسسها
فصايا أو أحداث ثقافية طارئة، لأن هيكلا
الحقيقة لا بد أن يتغير مع الزمن، ويضيئ
فما إلى -

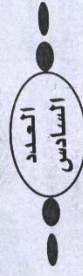
الفهرس

3	زاهي ناصر	الحداثة وزمن التغيير	أدبنا:
7	أسمي الحاج	النهر العالدي	
11	عيسى بوضوح	الديكتاتور في عريه	
14	حيدر عبد الصخر	قصائد عراقيه	
17	فرحان صالح	أليم جزائريه	
21	فؤاد خليل	الداخل والخارج في الحراك العربي	
29	عبد الرؤوف سنو	الوجود السيمي في المشرق العربي	
45	عبد الحكيم صليح	العوار والوره في فلسفه المتوسط	
55	سميده زويح	سباقات "أين" في التراث اللغوي	
65	بن أزوار السعدي	مفهوم الممانيه عند محمد أركون	
77	منى علام	المقاومة بين محشني الآداب وشعر	
93	محمد سيرير	صورة الآخر في رحلة ملك العرب	
95	محمد الهادي عطوي	الاختيارات الاسلوبية وجذاليات النقي	
101	ملف التصوف:	
111	منير بهادي	الفلسفة والمران - التصوف من منظور مختلف	
117	مختار زعر	الخطاب الصوفي من الوجهة التداولية	
123	سوزيتا اين عمر	التصوف السيمي	
127	منوسي فضيلة	مفهوم التأويل في التصوف البيهودي	
137	حميد حمادي	التصوف: التجربة في مقابل الخطاب	
141	محمد حمداني	التجربة الروحية وتجليات الوعي الصوفي	
151	جوزيف سبيه	البراغماتية بين العقل والتصوف	
159	رشيدة محمدني ريلحي	حيثول والتصوف الاسلامي	
181	ابراهيم أحمد	مقاربة فلسفيه لمفهوم وحده الوجود عند ابن عربي	
191	سيف الدين هيبه	الجماعه الصوفيه ذات الطريقه الشيخيه	
215	جلال خضاب	فكرين: سيميائيه الطائر الجريدي الجزائري	
229	بليه لكّال خورجه	لوراسات في القرآن:	
241	ربيعي ميلود	إشكاليه ترجمه القرآن الكريم	
257	صالح جدي	في التراث الشعبي:	
273	خوراجه عبد العزيز	أشكال التعبير في السيرة الشيعيه العربيه	
289	محمد السعيد بن سعد	البو التوارق: جدلية الإنسان والطبيعة	
303	علي خفيف	موضوع القاعمة في القريض	
311	فرحان صالح	موضوع المرأة في الخطابة العربيه في صدر الاسلام	
317	رسائل إلى لسنافه	

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي غرداية

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

مجلة أكاديمية فكرية محكمة
تصدر عن المركز الجامعي
غرداية - الجزائر



ذو الحجة 1430 هـ / ديسمبر 2009 م

الوحدات للبحوث والدراسات

مجلة أكاديمية فكرية محكمة

تصدر عن المركز الجامعي - غرداية - الجزائر

مدير المجلة

أ.د. محمد الطاهر حليلات

رئيس التحرير

د/ عبد العزيز خواجه

نائب رئيس التحرير

أ/ محمد احمد جهلان

هيئة التحرير

د. عبد اللطيف مصيطفي

أ. أحلام بوعبلي

أ. إبراهيم سعيود

أ. قتار محمد

أ. عقيلة مصيطفي

أ. يوسف زرقون

أ. بشير خن

أمانة المجلة

قتار باحمد

الهيئة الاستشارية

أ.د/ عبد المجيد قدي	(جامعة الجزائر)
أ.د/ عمر بن خروفا	(المركز الجامعي غرداية)
أ.د/ فرج فرج	(جامعة القاهرة/ مصر)
أ.د/ مصطفى الصدي	(جامعة المحمدية/ المغرب)
أ.د/ مختار محي الدين	(جامعة ورقلة)
Dr. Wolfgang Kaiser	(جامعة السربون/ فرنسا)
د/ إبراهيم بجاز	(جامعة قسنطينة)
د/ التواتي بن التواتي	(جامعة الأغواط/ الجزائر)
د/ مصطفى الصلاري	(المركز الجامعي غرداية)
د/ هوارى معراج	(المركز الجامعي غرداية)
د/ يحي بوتردين	(المركز الجامعي غرداية)
د/ يحي زغودي	(المركز الجامعي غرداية)
د/ عبد الباقي بدوي	(المركز الجامعي غرداية)
د/ قنور قريشي	(المركز الجامعي غرداية)
د/ محمد حاج عيسى	(المركز الجامعي غرداية)

كل الحقوق محفوظة



جميع المراسلات توجه باسم:

السيد رئيس تحرير مجلة الواحات للبحوث والدراسات

المركز الجامعي غرداية

الهاتف: +213.29.87.05.97

الفاكس: +213.29.87.05.89

البريد الإلكتروني: (univ_ghardaia@yahoo.fr)



طبع: الطبعة العربية 11 طبع عالمي أحمد غرداية.

مطبع: لاكس: 029 88 36 53

الطبعة: 34 87 029

Email: huprimerie-Aurbaia@gmail.com

ردمك 1112-7163 I.S.S.N

المحتويات

07	المحتويات.....
09	كلمة مدير المجلة: أ.د. محمد الطاهر حليلات «المركز الجامعي بغيراية: الإرادة والتحدى».....
13	محور الدراسات الأدبية
31	نظرية العامل وتطبيقاتها عند "أبي القاسم السهيلي" / فاطمة زقاق.....
53	النشر الإلكتروني على شبكة الانترنت وأثره على مستقبل اللغة العربية / نسيم كريع.....
66	أسطورة الأمير في الرسم وفي الشعر الشعبي / محمد بلعربي.....
88	محور الدراسات الاقتصادية
113	دور التغيير التكنولوجي في تنمية وتدعيم القدرة التنافسية للدولة / عبد اللطيف مصيطفى.....
130	الأساليب الكمية في صناعة القرار / زينب بن التركي.....
	محور الدراسات التاريخية
	التأريخ والموسوعة عند علماء الإباضية... / يحيى حاج أحمد.....
	المدرسة التاريخية في المغرب الإسلامي... / الطبيب بوسعد.....

المركز الجامعي بقرطاج الإرادة والتحدى

(كلمة الأستاذ الدكتور محمد الطاهر خليلات، مدير المركز الجامعي غرداية، بمناسبة الافتتاح الرسمي للبرسم الجامعي 2009-2010م، أقيمت يوم الإثنين 26 أكتوبر 2009)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام عليكم جميعا ورحمة الله تعالى وبركاته

إنه لشرف عظيم أن نلتقي بكم في رحاب الحرم الجامعي بمناسبة الافتتاح الرسمي للجامعة 2009-2010م، من أجل أن نحفل بالعمل والنشاط والأمل في التقدم والنجاح وتحصيل العلم والمعرفة، وكيف لا وقد انطلقت السنة الجامعية بقوة والحمد لله. وشرع السادة الأستاذة بكل عزم في إلقاء الدروس والمحاضرات وكلنا الأعمال التطبيقية، مما أحدث حركة دالة في رحاب الجامعة منذ الإعلان عن انطلاق الدروس.

ولأنه ليسعدني هذه المناسبة المباركة أن أرحب بكم جميعا باسمي الخاص وباسم الأسرة الجامعية بالمركز الجامعي غرداية أستاذة وطلبة وعاملا، ولساني بلمح بالقول:

"طيم وطاب مشاكم وتوالت من الجنة منزلا".

أيها السادة

منذ ظهور بولتر إنشاء المركز الجامعي بقرطاج عام 2004، والساعي لا تنقطع من أجل تحقيق الأهداف والقاصد النبيلة التي سطرت في سبيل تطوير هذا الصرح وتنميته، ولما كبر في أن تناس في هذه المنطقة الطيبة من ربوع الجزائر حركة علمية أكاديمية رفيعة المستوى، ومتنوعة الفروع والاختصاصات، تتضاعف بفضلها فرص الصلح

محور الدراسات الاجتماعية والنفسية

- ♦ التعليم الإلكتروني الجامعي في الوطن العربي - التحديات والأفاق -
/ حليم سياب 154
- ♦ السماع الصوفي العيسوي بين الدنيوي والقدس
/ محمد حمادي 171
- ♦ الأطفال العائدون إلى الانحراف في الجزائر
/ سمير بونفس 187
- ♦ التدريب على القراءة الرياضية...
/ سعاد عباسي 208

محور الدراسات القانونية

- ♦ الدفتر العقاري كسند لإثبات الملكية العقارية
/ أحمد ضيف 222
- ♦ الرهن الرسمي كضمان من ضمانات القروض- إيجابياته وعيوبه-
د/ عبد الحليم بوشكيوة 235

محور الدراسات الإسلامية

- ♦ التربية الصوفية للنفس عند ابن عطاء الله السكندري
/ ميلود ربيعي 251
- ♦ الإعجاز التأثيري النفسي للقرآن الكريم
/ عباس بن الشيخ 273

محور الدراسات باللغات الأجنبية

- ♦ ESP in the Light of the Globalisation Process
Ens\ Radia BENMANSOUR 288
- ♦ L'Algérie entre féerie et mépris...
Ens\ Safa Ouled Haddar 296

ويسمى ابن عطاء الله مجاهدة النفس بالجهاد الأكبر وذلك القضاء بالنبي صلى الله عليه وسلم -، ويحث السالك للطريق على مجيئها قائلا له: «أريد أن مجاهد نفسك وأنت تقربها بالشهوات حتى تغلبك، ألا فقد جهلت، فالقلب شجرة تسقى بماء الطاعة، وثمراته موابجه...، فإذا جف القلب سقطت ثمراته، فإن أجذب فأكثر من الأذكار، ولا تكن كالليل يقول: لا أتلاوى حتى أجد الشفاء، فيقال له: لا تجد الشفاء حتى تتداوى، فالجihad كامليل يقول: لا أتلاوى حتى أجد الشفاء، فيقال له: لا تجد الشفاء حتى تتداوى، فالجihad ليس معه حلالة، وما معه إلا رؤوس الأسماء، فيجاهد نفسك هذا هو الجهاد الأكبر»⁵.

ويبين ابن عطاء الله أيضا أن مجاهدة السالك لنفسه بألوانها الطاعة أمر شاق للغاية لا في النفس الأمارة من ملل قري ظاهر إلى المعصية، وفي هذا يقول في الحكمة 159: «حظ النفس في المعصية ظاهر جلي، وحظها في الطاعة باطن خفي، ومداواة ما يخفى صعب علاجه»⁶.

ويبين لنا ابن عطاء الله كذلك أن مجاهدة النفس تكون في بدايتها تعصلا وتكلفا، ولكنها بعد هذا تصير طيعا، وتصير عن السالك بمقتضى ما هو عليه من استعلاء للطاعة وتفرد من المعصية، وإلى ذلك الإشارة بقوله للسالك: «إنما تحتاج إلى معالجة نفسك في الإصغاء فإذا ذاقك (النفس) المنة جاءت (معالجة النفس) اختيارا، فالحلالة التي كانت تجدها في المعصية ترجع تجددها في الطاعة»⁷.

1- ضرورة الشيخ للسالك:

يبين ابن عطاء الله أنه لا بد لسالك طريق الصوفية في مجاهدة نفسه، أن يسترشد بشيخ عارف بالطريق إلى الله فيخضع له خضوعا تاما، وفي هذا يقول: «...وينبغي أن عزم على الاسترشاد، وسلوك طريق الرشد، أن يبحث عن شيخ من أهل التحقيق سالك للطريق، تارك لغواه، راسخ القدم في خدمة مولاه... فإذا وجدته فليبتل ما أمر، وليتبعه عما نهي عنه وزجر...»⁸.

ويقول أيضا عن ضرورة انتساب كل سالك لطريق الصوفية إلى أستاذ مرشد: «لكل من لم يكن له أستاذ يهتدي به سلسلة الأجيال ويكشف عن قلبه القناع، فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له، دعي لا نسب له، فإن لم يكن له نور، فالغالب غلبة الحال عليه، لم تؤخذ سياسة التأديب والتهذيب، ولم يقده زمام التربية والتدريب»⁹.

وقد سبق الصوفي ابن عطاء الله في ضرورة لزوم المرشد للشيخ كالتقديري الذي

المرجعية الصوفية للنفس عند ابن عطاء الله السكندري

/ ميلود ربيعي
قسم العلوم الإسلامية
المركز الجامعي - غرداية

تهد

تعني مجاهدة النفس عند ابن عطاء الله السكندري¹ - كما هي عند غيره من الصوفية - محاربة النفس الأمارة بالسوء وتحليلها ما شق عليها مما هو مطلوب شرعا². وبالمجاهدة تصف بواعث السالك بالخير، وتخرج النفس في المراتب المختلفة، كما تترقى في مقاماتها وأحوالها، وتحقق في النهاية بمرقة الله ذوقا.

ولنا يعتبر ابن عطاء الله مجاهدة النفس بداية الطريق إلى الله، ويظهرنا على أنه بدونها لا يتحقق سر الساترين فيه، وفي هذا يقول في الحكمة 244: «لولا مبادئ النفوس ما تحقق سر الساترين، إذ لا مسافة بينك وبينه حتى تطورها رحلتك، ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك»³، وهذا يعني أنه لولا محاربة النفوس ما تحقق سر الساترين، إذ لا مسافة حسية أو قطعة حقيقية بين السالكين ورحمهم، إنما السر في الطريق ليس إلا قطع عقبات النفس، وهذه الألقاظ التي يستخدمها ابن عطاء الله من السر والمبادئ، وما إليها من الرحلة والوصلة والقطعة، كلها - كما يقول ابن عباد⁴ - ألقاظ يستعملها ابن عطاء الله، وغيره من الصوفية، في أمور معنوية بحتة فيستجوزون بها عن أمور حسية، ومروج ذلك كله إلى علوم ومعاملات تصف بها العبد لا غير. ومن كلام ابن عباد يبين أيضا أن كل ما يتعلق بالطريق الصوفي من أحوال وعلوم هو من قبيل الأذواق الخاصة التي يتحقق بها السالك وحده.

الوالد إلى أبيه يتسبب المريد إلى شيخه، بل إن أبوة الطريق الصوفي أحق أن يرمي المريد نسبها من الأبوة العادية، وفي هذا يقول: «...ومن نسب تلميذا إلى غير أستاذه، فهو كمن نسب ولدا إلى غير أبيه، وهذه الأبوة أحق أن يراعى نسبها ويحفظ سببها، إذ تلك الأبوة تنظر إلى هذه، وهذه لا تنظر إلى تلك»¹⁶، ويشبه رأي ابن عطاء الله لهذا الصدد ما يقرره السهروردي الجهادي: «أن العلاقة بين المريد وشيخه كعلاقة الولد بوالده، وأن العلاقة الأولى علاقة معوية»¹⁷.

فإذا وثق المريد السالك إلى شيخ مرشد، وأراد مجاهدة نفسه والتخلص عن غيرها وأقاما فليس ثمرة حرج في أن يكشف لشيخه عن جميع هذه الآفات وتلك العيوب، وذلك لأن المريد كالمرض والشيخ كالطبيب، ومن حق الطبيب أن يتطلع على عورة المريض لضرورة العلاج، وفي هذا يقول ابن عطاء الله: «ينبغي للمشايع تفقد حال المريدين، ويجوز للمريدين إخبار الأستادين وأن لهم من ذلك كشف حال المريدين، لأن الأستاد كالطبيب، وحال المريد كالعورة، والعورة قد تبتلى للطبيب لضرورة العلاج»¹⁸، ويقول كذلك: «فمن حمله الصدق -من السالكين- على إظهار ما به حصل له الشفاء، فيما أن يقال له عندما يظهر ما به ما أن ظننته داء ليس بداء، وإما أن يدل على ما يزيل الداء»¹⁹.

هكذا يعطينا ابن عطاء الله صورة واضحة المعالم للعلاقة بين المريد وشيخه، والتأمل في هذه العلاقة، تبين له أن صلة الشيخ بالمريد صلة روحية، فالمريد ينبغي أن يكون محورا لشيخه كل الاحترام، ومنقلا لجميع ما يأمر به في السلوك، اعتقادا منه بأن شيخه متحقق بالكمال على اختلاف صورته تحقفا تاما، وأنه لذلك قادر على إزالة ما بنفسه من عيوب، ومستطيع حل مشاكله الوجدانية على اختلاف صورها، والمريد السالك كما صورته لنا ابن عطاء الله أيضا يكون عاجزا على الدوام لإملاءات شيخه.

2- تصفية النفس من العيوب:

تعتبر أول مرحلة من مراحل المجاهدة هي ترويض النفس من أجل تصفيها، ويعني ذلك الجهد الشاق الذي يبذله السالك ليصفي نفسه من الكبريات، ويخلصها من العيوب النجسة، كالغفد والحسد والرياء والفتاق والكبر وغير ذلك مما يسمى أمراض القلب، لأنها أكثر القواطع في السلوك إلى الله، ويتم ذلك بالترام أوامر القرآن وأخلاق الرسول صلى

يقول: «...ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدا...»¹⁰، ويقول أبو يزيد السطامي¹¹: «من لم يكن له أستاذ لإمامته الشيطان»¹²، ويقول أبو علي الدقاق: «الشجرة إذا بنت بنفسها من غير غارس فإنها تورق لكن لا تثمر، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسا ففسا، فهو عابد هواه، لا يجد نقاذ»¹³.

ووظيفة الشيخ بالنسبة للسالك عنده هي أن يعرفه برغوات نفسه وكماتاتها ودقاتها، ويذله على الله ويعلمه القرار عما سواه، ويسايره في طريقه حتى يوصله إلى غاية، والاقضاء لهذا الشيخ يكون بفضل من الله، فهو تعالى الذي يهدي السالك إليه، ويذله على ما يكون من الخصوصية لديه، وفي هذا كله يقول ابن عطاء الله للسالك: «الاقضاء لا يكون بولي مجهول العين في كرون الله إنما يكون الاقضاء بولي ذلك الله عليه، وأظلمك على ما أودعه من الخصوصية لديه، فطوى عنك شهود بشرته وجود خصوصيته، فأقيت إليه القياد فسلك به طريق الرشد، يعزك برغوات نفسك وكماتاتها، وبذلك على الجمع على الله، ويعلمك القرار عما سوى الله، ويسايرك في طريقك حتى تصل إلى الله، ويوقظك على إساءة نفسك، ويعزك بإحسان الله إليك، فبهيك معرفة إساءة نفسك الحروب منها وعلم الركون إليها، وفيهك العلم بإحسان الله إليك الإقبال عليه والقيام بالشكر إليه...»¹⁴.

والشيخ المرشد الدال على الله لا يدل عليه بعبارات أو أقوال يوجهها إلى السالك لحسب، وإنما يدل على الله بما يسري من إشاراته النورية وأحواله الباطنية في نفس السالك، بحيث يجزوه من هوى نفسه، ويجلو مرآة قلبه حتى يوصله إلى الله، يقول ابن عطاء الله مصورا حال الشيخ الصادق مع مریده: «ليس شيخك من سمعت منه، وإنما شيخك من أخذت عنه، وليس شيخك من واجهتك عبارته، وإنما شيخك الذي رفعت يديك وبينه الحجاب، وليس شيخك من دعاك إلى الباب، إنما شيخك الذي رفع يديك وبينك إشارته، وليس شيخك من واجهك مقالته، إنما شيخك الذي فحس بك حاله، شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى، ودخل بك على المولى، شيخك هو الذي مازال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيها أنوار ربك، فمضك إلى الله فتهتت إليه، وسار بك حتى وصلت إليه، ومازال عاذيا لك حتى ألقاك بين يديه، فرج بك في نور الحضرة وقال: ها أنت ورثك...»¹⁵.

يصور ابن عطاء الله العلاقة بين الشيخ والمريد على أنها علاقة أبوة، فكما يتسبب

الرياء من رأى بالإيمان، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ مِنَ مَعْصِيَتِكَ فَإِنَّهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُسَهِدُ اللَّهُ عَلَىٰ يَمِينِهِ قَلْبَهُ وَأَمْرُ اللَّهِ الْخَصَامُ﴾²⁷...

وقد يكون الرياء جلياً أو خفياً، فالجلي كان يراني الإنسان بطاعته وعبادته أمام

الناس، أما الخفي فهو رياءه بعمله بحيث لا يراه أحد، وإلى هذا النوع من الرياء يشير ابن

عطاء الله في الحكمة 160: «ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق إليك»²⁸.

ويشرح ابن عباد الرندي هذه العبارة ويقولنا على ما يمكن أن تتطوي عليه من المعاني

البيقية فيقول: «رياء العبد بالعمل حيث يكون مجرى من الناس لا يحتاج إلى امرأة عليه،

ورياءه بعمله حيث لا يراه أحد أمر غني لا يعرف إلا بالأمارات والعلامات، بل هو أغنى

من ديب المل، ومن أماراته أنه يلبس قلبه - أي قلب السالك - توقير الناس له

وتعظيمه وتقديره في الخافل والنجاس، ومسامحتهم إلى قضاء حوائجه، وإذا قصر أحدهم في

حقه الذي يستحقه عند نفسه استعذ ذلك واستكبره، وتجد تفرقة بين إكرامه وإكرام غيره

وراهناته وإهانة سواه، حتى ربما يظهر بعض سخفاء القول ذلك على ألسنتهم فيقولون

من قصر في حقهم بمعالجة الله له بالقربة، وأن الله تعالى لا يدهمهم حتى ينتصر لهم وأخذ

بأمرهم، فإذا وجد العبد هذه الأمارات من نفسه فليعلم أنه مرء بعمله وإن أخفاه عن أعين

الناس»³⁰.

وشرح ابن عباد الرندي معنى الرياء الخفي عند ابن عطاء الله مقصود به أن يرى

السالك لأعماله وطاعته مودة خاصة، حيث يطلب في مقابلها الموضع من الناس أو من

الله، فيشوب هذا جمع هذه الطاعات وتلك الأعمال.

ويعاد الرياء من الصفات الحميدة ما يعرف بالإخلاص، يقول ابن عطاء الله عن

الإخلاص: «اعلم أن كل شيء يصور أن يشوبه شيء فإذا صفي عن شوبه صفي خالصاً،

ويسمى الفعل الصفي إخلاصاً... والعادة جرت بتخصيص الإخلاص بتعريف قصد القرب

إلى الله عن جمع الشرائب»³¹.

ويقضي الإخلاص من السالك أن تكون كل أعماله وعبادته التي يتقرب بها إلى

الله خالصة نية عن جمع الشرائب، ويقضي منه كذلك أن يتكلم جميع أحواله الخاصة

ومواهبه التي يهبها له الحق تعالى عن جمع الناس، ولا يكون لديه تطلع إلى إعلامهم بها

الله عليه وسلم كما يقول ابن عباد: «والآداب اللازمة للمريد عامة في ظاهره وباطنه، وآداب الظاهر تبع لآداب الباطن، وآداب الباطن هي التحلي بمحاسن الأخلاق كلها، وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿أَتَيْتُ رَجُلًا فَاحْسَنَ ثَلَاثِينَ ثُمَّ أَمَرَنِي بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ﴾²⁰، وقال تعالى: ﴿خُذْ الثَّغُورَ وَاتْرُكِ الْغُرُفَ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ﴾²¹، ولا يحصل ذلك، بعد توفيق الله تعالى وتأييده إلا بالرياسة والمجاهدة»²².

وما يحلو السالك إلى السير من أجل التحلي بأخلاق الله هو شهود وصف الله تعالى

قال ابن عطاء الله في الحكمة 241: «لا يخرجك عن الوصف إلا شهود الوصف»²³.

والوصول إلى ذلك هو سبيل السعادة قال ابن عطاء الله: «...سعادة العبد وخصوصيته في

التحلي بأخلاق الله تعالى، والتحلي بمعاني أسمائه وصفاته يقتل ما يصور في حقه أن يتصف

بمحاسنها إلى أن يكون العبد قريباً من الرب جل وعلا... والمراد قرب الدرجات والمقامات، لا قرب الجهات والمسافات»²⁴.

أ- قواطع الطريق: يدل ابن عطاء الله السالك على آفات النفس القاطعة له عن

الوصول إلى الله فيقول: «آفات المسير إلى الله تعالى، القاطعة على بعض السالكين طريقهم،

عشرة: رؤية العمل، واعتداد الأمل، وتحدث النفس ببلوغ الولاية، والركون لإقبال الخلق،

والتقاع بمراتي الأحلام، والتأنس بالورد، والتلذذ بالورد، والسكون للوحد، والاختفاء بالرحم، والغرة بالله»²⁵.

ويقول عن علامات السقوط من عين الله: «علامات السقوط من عين الله ثلاث:

الرضا عن النفس، وعدم الرضا عن الله، ومواجهة الحق بالقضاء والقدر»²⁶.

ب- أمثلة لتصفية النفس: إن تصفية النفس من الكبريات هو إيصال أوصاف

ممنومة بأوصاف حميدة، وتخل بصورة تطبيقية لكيفية تخليص السالك من ثلاثة أوصاف

ذميمة، واستبدالها بأخلاقها في النفس وهي: الرياء والكبر والركون إلى الخلق، وما

يتبادرها على التوالي من: الإخلاص والتواضع ورفع الهمة، ولها يلي بيان ذلك:

1- الرياء: وهو عند ابن عطاء الله من أخطر الصفات الذميمة التي تعوق

السالك في طريقه إلى الله ويعرفه بقوله: «الرياء شرك، والشرك يحبط للعمل، وأعظم

ليعرفوا ما هو عليه من الخصوصية، وفي هذا المعنى يقول ابن عطاء الله ناصحا السالك في الحكمة 161: «استشرافك أن تعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عوديتك»³².

2- الكبر: ومن الصفات الذميمة التي تهوق السالك في سلوكه عدد ابن عطاء الله صفة الكبر، وهي صفة تقتضي استعلاء الإنسان على الخلق، كما يقول ابن عطاء الله: «إذا كان العبد معجبا ببطاعته متكبيرا على خلقه، بمننا عظيمة، يطلب من الخلق أن يوفروا حقوقه، ولا يوفي هو حقوقهم، فهذا يخشى عليه سوء الخاتمة»³³.

ومن ثم ينبغي على السالك أن يتأصل من نفسه صفة الكبر ليحل محلها صفة التواضع، وبين ابن عطاء الله للسالك آداب التواضع كما يلي:

- ألا يبت لنفسه تواضعا، أي لا يستشعر بأنه تواضع، وذلك لأن من يبت لنفسه تواضعا يبت لنفسه الرفعة ضمنا، لأن التواضع لا يكون إلا عن رفعة، وفي هذا المعنى يقول ابن عطاء الله للسالك في الحكمة 238: «من أثبت لنفسه تواضعا فهو الشكر حقا، إذ ليس التواضع إلا عن رفعة، فمضى أثبت لنفسك رفعة فأتيت الشكر حقا»³⁴، ويقول أيضا عن صفة التواضع في الحكمة 239: «ليس التواضع من إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع، ولكن التواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع»³⁵.

- ألا يكون له تطلع له إلى الشهرة وبعد الصمت، لأن هذا من أكثر المواقف في السلوك إلى الله، ومن أكثر حظوظ نفسه المأمور بمجاهدتها مجاهدة لا رضى فيها ولا انقطاع، ولعلنا نجمل ابن عطاء الله السالك أن يكون من طلاب الشهرة، ويتضح بالترام الحمول بمعنى التواضع، ويصور ذلك بقوله في الحكمة 11: «ادفن وجودك في أرض الحمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه»³⁶.

يقرر ابن عطاء الله بعد كل هذا أن التواضع الحقيقي لا ينشأ إلا عن شهود السالك لعظمة الله وتجليه تعالى بصفاته المختلفة، وعندئذ يستشعر السالك حقارة نفسه بالقياس إلى عظمة الله وما هو عليه من نوره الربوبية، فتحدد فيه دواعي الكبر، ويخرج بذلك إلى وصف التواضع، وفي هذا يقول في الحكمة 240: «التواضع الحقيقي ما كان ناشئا عن شهود عظمته تعالى وتجلي صفته»³⁷.

3- الركون إلى الخلق: وهي من أقيع الصفات الذميمة التي تقطع على السالك سبله إلى الله، والركون إلى الخلق يعني - في فكر ابن عطاء الله - الاعتداد على الخلق من دون الله، وهذا يدفع السالك إلى الانقياد إلى الناس طالبا مرضاهم، فيسائر أهواءهم ليحظى بإقبالهم عليه.

فعلى السالك طريق الصوفية، إذا أراد أن يصل إلى الله، أن يكون صادقا في جميع أحواله، وأن يتأصل هذا الميل من نفسه، ويجعل هدف أعماله النظر إلى الله وحده، والإقبال عليه من دون الخلق، لينظر الله إليه ويقبل عليه، وفي هذا المعنى يقول ابن عطاء الله في الحكمة 162: «غيب نظر الخلق إليك بنظر الله إليك، وغيب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك»³⁸.

ويرتب ابن عطاء الله على الركون إلى الخلق والانقياد إليهم صفتين أخريين هما: الطمع والذل، وهما من أقيع الصفات، وتاليا للمعوية الحقة لله.

فالطمع هو الطمع في الخلق والنظر إلى ما في أيديهم، وحيثما وجد الطمع في الخلق وجد الذل إليهم، وقد صرح بذلك في الحكمة 60 فقال: «ما بسقت أغصان ذل إلا على بئر طمع»³⁹. وبين للسالك أن الطمع في الخلق معناه المعوية التامة لهم، فيقول في الحكمة 62: «أنت حر ما أنت عنه آيس، وعبد لما أنت له طامع»⁴⁰.

ويضاد الركون إلى الخلق والطمع فيهم والذل إليهم، ما يسميه ابن عطاء الله برفع الهمة، ويعرف عند الصوفية أيضا باسم "الورع"، ورفع الهمة معناه ألا يكون للسالك تطلع إلى ما في أيدي الناس، ولا يكون منه التجاء إليهم بحال من الأحوال.

يسوق ابن عطاء الله آيات له عن رفع الهمة فيقول⁴¹:

لَسْتُ بِعَلَمٍ أَلَسِي ذُو هِمَّةٍ تَأْتِي الدُّنْيَا عِقَّةً وَتَطْرُقًا
لِمَ لَا أَصْرُونَ عَنِ السَّوْكَى دِيْبَاجِي وَأَرْبِهِمْ عَزَّ السُّلُوكُ وَأَشْرُقًا
أَرَبِهِمْ أَلَسِي الْفَقِيرُ إِلَيْهِمْ وَجِهْتُهُمْ لَا يَسْتَطِيعُ تَصَرُّفًا
أَمْ كَيْفَ أَسْأَلُ رِزْقَ مَنْ خَلَقَهُ هَذَا لَعْمَرِي إِنْ قُلْتُ هُوَ الْخَلَقُ

شكوى الضعيف إلى ضعيف مثله
 فاستَرْزَقَ اللّٰهَ الَّذِي أَحْسَنَهُ
 وَالْجَنَّا إِلَيْهِ تَجِدُهُ فَيَسِمًا تُرْسِي
 لا تَقْصُدُ عَنْ أَوْرَاسِهِ شَتْرَقًا

وهو يقول أيضا لمريده عما يوجب له رفع الهمة: «والذي يوجب لك رفع الهمة عما سوى الله علمك بأنه لم يخرجك إلى ملكته إلا وقد كفاك ومحك وأعطاك فلم يبق لك حاجة عند غيره فإذا كان قد اقتضى فهم الفهم عن الله - يقصد الصوفية - أن يكتفوا بعلمه عن مسأله، كيف لا يوجب فهم الفهم الاكثاء بعلمه عن سؤال خليفته...»⁴².

وبين في الحكم أن العارف لا يرفع إلى الخلق حاجته فيقول له الحكمة 191: «رعا استعيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه، فكيف لا يستحي أن يرفها إلى خليفته...»⁴³.

ولهذه الأمتلة توضح لدينا كيف تتم رياضة النفس من الوجهة الأخلاقية بتبديل صفاتها بالنسبة للسالك، وذلك لتحقيق مثل أخلاقية علمي يرفها له شيخه.

فرياضة النفس وتصفيتها هو تدريب شاق للسالك. وتغير كامل لأخلاق النفس، ولها مجهود شاق للغاية، فليست تقتصر على تغيير معنوي لباطن السالك يتم داخل ذاته، ولكنها تتجاوز ذلك إلى التزام عملية معينة في السلوك.

فالرباء والكبر والركون إلى الخلق، ليست عند ابن عطاء الله صفات ذميمة كامنة في النفس فحسب، وإنما هي مقتضية لقرب من السلوك مع الناس يسمى بعضها رياء، وبعضها كبر، وبعضها الآخر ركونا إلى الخلق. والإخلاص والواضع ورفع الهمة ليست صفات معنوية حميدة تحصل في النفس فحسب، وإنما كذلك مقتضية لأنماط من السلوك مع الناس يسمى بعضها إخلاصا، وبعضها تواضعا، وبعضها الآخر رفع همة.

ومن ثم يمكن القول بأن رياضة النفس هي تدريب شاق يقوم به الصوفي ليحقق به الكمال الأخلاقي في ذاته من ناحية، وفي سلوكه العملي في المجتمع الذي يعيش فيه من ناحية أخرى⁴⁴. وتتم رياضة النفس هذه على مراحل ثلاث: الفكرة، ثم الشعور بمضمونها، ثم السلوك العملي لتحقيقها، وتوضيح ذلك كما يلي:

- في المرحلة الأولى يقتنع السالك للطريق بفكرة التخلص عن صفاته النفسية

الذميمة للوصول إلى الله تعالى تاما، وذلك إما بإخاء من شيخه أو إخاء من ذاته.

- وفي مرحلة الثانية يبحث السالك في نفسه عن هذه الصفات الذميمة حتى يستشعر تمام وجودها فيه، فيحول بذلك من فكرة مجردة إلى شعور حقيقي.

- وفي المرحلة الثالثة يتبع السالك ضروبا مختلفة من السلوك يحقق بها نقائص هذه الصفات، فتلاشي في نظره صفاته الأولى.

وبعد أن يروض السالك للطريق لنفسه بتهايب أخلاقها، على المراحل التي سبقت، يلزمه شيخه بالعودة والخلوة، وتطبيق المجاهدات البدنية الشاقة كالجموع والعطش والسهر والصمت مع لزوم الذكر الذي هو ترويد مستمر لاسم الله، وذلك ليصفو قلبه تماما وينتهي للقضاء والمعرفة بالله معرفة ذوقية مباشرة، ولئلا يلبى تحدثت عن العزلة والخلوة، ثم عن الذكر وآدابه.

3- العزلة والخلوة:

بعد صفاء النفس وترويضها حتى تصبح الصفات المحمودة لها عادة، يلزم الشيخ السالك العزلة والخلوة، لينبأ للمعرفة وذلك بمجاهدات شاقة كالجموع والعطش والسهر والصمت مع لزوم الذكر، وذلك ليصفو قلبه تماما، وفي ذلك يقول ابن عطاء الله: «واعلم أنك إذا أردت الدخول إلى حضرة الحق والأخذ منه ترك الوسائل والأنس به، أنه لا يصح لك ذلك وفي قلبك رغبة لغوره، فإذن لمن حكم عليك سلطانه، فلا بد لك من العزلة عن الناس ولتأخر الخلوة عن الماء فإنه على قدر بعدك من الخلق يكون قربك من الحق ظاهرا وباطنا...»⁴⁵. ويقول مستحذا السالك على العزلة والخلوة: «لهليك بالخلوة والعزلة، فمن كانت العزلة دأبه كان العز له، ومن صدقت عزله ظفر بجواب الحق له بالئن، وعلاقتها كشف الغطاء وإحياء القلب وتحقيق الحق»⁴⁶.

والمصوفية سبق في تحديد العزلة عن الناس والخلوة في مكان للتعب⁴⁷، ويستلزمون في هذا المسالك إلى أساس من اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم ونخسته في "غار حراء" قبل نزول الوحي حتى صفت نفسه لزور النبوة⁴⁸.

يفرق ابن عطاء الله بين العزلة والخلوة كما يلي:

- فالمرلة عنده تعني الانقطاع الموي لا الحقيقي عن الحلقى، بحيث يكون السالك مرافقا نفسه على الدوام، ومخادرا من أن يشغل ذهنه بالعالم، أو يتعلق قلبه وسجواره بالناس، وفي هذا المعنى يقول: «وإذا اعتزلت عن الناس فاحلحز قصلهم إليك وإقبالهم عليك، فالمراد من عزلة الناس ترك معاشرهم وليس المراد ترك صورتهم، بل المراد أن لا يكون قلبك ولا أذنك وعاء لما يأتون به من فضول الكلام فلا يصفو من هذيان العالم».⁴⁹

ولابد للمرلة من أن يصحها الفكر المتصل واستيطان النفس لتعرف غيرها، مع الانصراف التام عن التفكير في شؤون الناس، والكف عن تناول أخبارهم وغيباتهم، والمرلة على هذا الوجه أنفع شيء للقلب، وفي هذا يقول ابن عطاء الله في الحكمة 12: «ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة»⁵⁰، ويقول أيضا عن الفكرة المصاحبة للمرلة في الحكمة 263: «الفكرة سراج القلب، فإذا ذهبت فلا إضاءة له»⁵¹. وقد تكون الفكرة المصاحبة للمرلة تفكرا في مصنوعات الله ليستدل السالك بذلك على قدرة صانها، وذلك هو المعنى في الحكمة 262: «الفكرة سبر القلب في ميادين الأغيار»⁵².

- وأما الخلوة فإنها تكون بعد أن يحكم السالك طريق عزله، وتألف نفسه الوحدة، ويحد منها القدرة للبعد عن الحلقى، فإنه يدخل الخلوة⁵³. ويعرف ابن عطاء الله الخلوة من حيث الغاية بأنها: محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره، ومن حيث هي وسيلة إلى هذه الغاية بأنها: التيسل إلى الله والانقطاع عن غيره تعالى⁵⁴.

ولتصح الخلوة في نظر ابن عطاء لابد وأن تسبقها هذه المراحل⁵⁵:

1- رياضة النفس بتهذيب الأخلاق وترك الرعونة (وهي المرحلة الأولى من مراحل المجاهدة).

2- تصحيح السالك لعقيدته على مذهب أهل الحق (أهل السنة).

3- تعلم ما يقيم العبادات.

4- التوبة عن جميع الذنوب.

ولائدة الخلوة إنما تجلو مرآة القلب جلاء تاما من أشكال انقضت فيها منذ غفل الإنسان وعاشر الدنيا وما فيها، وهي أشكال منظر بعضها فوق بعض ترتب فيحصل منها

صدا القلب⁵⁶.

أ- بيت الخلوة: يوضح لنا ابن عطاء الله ذلك فيقول: «فلما بيت الخلوة لله هبة خاصة، ويكون ارتفاعه قدر قمة الرجل، وطوله قدر سجوده، وعرضه قدر جلسته، ولا يكون فيه ثقب ينفذ الضوء منه إلى الخلوة وأن يكون بها عن الأصوات، وبابه وثيقا قصيرا في دار معصورة بالناس»⁵⁷، ويتألف ابن عطاء الله في هذا الصدد القول التالي إذ يرى شرطا واحدا لبيت الخلوة هو كونه مظلما، ويتجاوز أحيانا عن ضرورة وجود هذا البيت كما يظهر من قوله: «ولما الخلوة فقلنا دفع الشواغل وضبط السمع والبصر، فإنها دهليز القلب... وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم، وإن لم يكن له - أي للصوفي - مكان مظلم فليلق رأسه في جيبه أو يتستر بكساء أو إزار، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق، ويشاهد جلال الحضرة الربوبية، أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة قليل له: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ﴾⁵⁸، و﴿يَا أَيُّهَا الْمُنْذَرُ﴾⁵⁹...»⁶⁰.

ب- قواعد عملية لصاحب الخلوة:

وأما القواعد العلمية التي ينبغي أن يراعيها داخل الخلوة فالأهمها ما يلي⁶¹:

- 1- أن يوصل ويتطهر ويتطهّر ثيابه وينوي بخلوته القرب إلى الله.
- 2- ألا يعلم بها أحدا.
- 3- أن يقيد باطنه من الجولان في مراتب الكون، فالفكر أضمر شيء في جميع الخلوات، ولا يظهر لصاحبها ثغرة صحيحة، وهذا يعني أن يحصر السالك انتباهه في موضوع واحد بعينه وهو الله.
- 4- أن لا يكتر من الحركة.
- 5- أن يكون غذائه معادا معه، أو خلف باب الخلوة مخفوطا.
- 6- ألا يجوع الجوع المفرط أو يشبع الشبع الثقيل.
- 7- ألا يكون غذائه من حيوان أصلا، وأن يكون شرابه الماء مصفا.
- 8- أن يصنع غذاءه بنفسه.

- 9- أن يلبس من الثياب ما يكون به بدنه معتدلاً .
 - 10- ألا ينام في الخلوة إلا إذا غلبه النوم .
 - 11- أن يقطع نفسه مراراً .
 - 12- أن يقصر في العبادة على القرائن والرواتب .
- وينبغي كذلك على السالك في خلوته أن يكون متصفاً بالشجاعة والإقدام والنيات، كثير السكران، لا يفرح لمذبح ولا يأكل لذم، قائماً بما يحتاج إليه من أسباب خلوته، لا يتكلف له أحد ذلك.

فيذا لم يكن على هذه الصفة فليخرج من الخلوة إلى العرلة وترويض نفسه، حتى إذا روضها عاد مرة أخرى إلى خلوته مستريحاً منتشطاً طيب النفس، فارغاً من الجاهدة، خالي الخل من المكابدة، ويحذر ابن عطاء الله السالك من أن يكون له في خلوته شيء من رياضة النفس بأن يجعل رياضتها في العرلة قبل الخلوة حتى تأتس الوحدة، ولا يتكلف في خلوته شيئاً من سهو أو جموع أو عطش أو برد أو حر أو حديث نفس أو وحشة.

ويؤيد على السالك في خلوته - كما يقول ابن عطاء الله - ما يعرف بالواردات، فنعما ما هو شيطاني ومنها ما هو ملكي، وعلى السالك أن يعرف الفرق بينهما حتى لا يلتبس عليه أمرهما، ولذا يقول له منها إلى الفرق بين هذين النوعين من الواردات وأثرهما على السالك من الناحية النفسية: «الفرق بين الوارد الملكي والشيطاني أن للملكي يعقبه برد وللة ولا تجد له لئلاً، ولا يتغير لك صورته، ويترك علماً، والشيطاني يتبعه هوى في الأعضاء وأم وحشة، ويترك تخييطاً»⁶². وللخلوة ذكر خاص يورده السالك قبله، وهو التريديد المستمر لاسم "الله" أو اسم "هو"⁶³.

وبالتأمل في هذه القواعد العملية للخلوة، نجد كل المحرص أن يفرغ السالك ذهنه من التفكير في مراتب الكون، وهذا يعني أن يكف عن جميع الأفكار المتعلقة بالعالم الخارجي أياً كان نوعها، ليستقي فكرة واحدة هي الفناء في الله ولذلك نجده يردد في الخلوة اسم "الله" تريبدا مستمراً ليعينه هذا على عدم تجاوز مجال فكرته. ولجما يلي تعرض لرياضة الذكر وكيف عني بها ابن عطاء الله.

4/ الذكر وأنواعه ووظائفه:

ذكر ابن عطاء الله على رياضة الذكر مبيناً قواعده العملية فالرد له مصصفاً سماه: «مفتاح الفلاح إلى ذكر الله الكريم القناح»، والذكر هو التريديد المستمر لاسم الله، وهو من أهم الجاهدات العملية التي ينبغي على السالك أن يلتزمها. وقد فصل ابن عطاء الله آدابه تفصيلاً دقيقاً.

وتستند رياضة الذكر عند ابن عطاء السكوري وعند كثير من الصوفية إلى مصدر إسلامي من القرآن والسنة⁶⁴. ويعرف ابن عطاء الله الذكر: «بأنه التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق، أو هو تريديد اسم الله بالقلب أو اللسان، أو تريديد صفة من صفاته، أو حكم من أحكامه، أو فعل من أفعاله، أو غير ذلك مما يتقرب به إلى الله»⁶⁵. ولا يقل السالك على الذكر إلا بعد تخليب الأخلاقي بالرياضة، والعرلة عن الخلاقي وقطع كل عائق، وهي مراحل الجاهدة⁶⁶. وينقسم الذكر عنده إلى قسمين: التقيد والمطلق⁶⁷.

- فالتقيد كالذكر في الصلاة وعقبتها، وفي الحج، وقبل النوم، وبعد اليقظة، وقبل الأكل، وفي طرقي النهار، وغير هذا، ويعني به كل ذكر مقيد بزمان أو مكان.

- أما المطلق، فهو الذكر الذي لا يتقيد بزمان أو مكان، وقد يكون ثناء على الله، أو تلاوة آية، أو توجهاً إلى الله بجماعة.

وقد يكون الذكر بأسماء الله المحسنى⁶⁸ وهي كما يقول ابن عطاء الله أدوية لأمرض السالكين، ويحل كل اسم منها من حيث ما يمكن أن يتطوي عليه من المعاني ويقترح له فائدة معينة للسالك من الناحية الروحية، فيقول مثلاً: «اسم تعالى "الصادق" ذكره يعطي المحجوب صدق اللسان، والصوفي صدق القلب، والمعارف التحقيق. اسمه تعالى "الباعث" يذكره أهل الغفلة، ولا يذكره أهل طلب الفناء. اسمه تعالى "الغفور" يليق بأذكار العوام لأنه يصلحهم، وليس من شأن السالكين إلى الله، لأن فيه ذكر الذنب، وذكر القوم لا يكون فيه ذكر الذنب، بل ولا ذكر الحسنة...»⁶⁹.

وهكذا يضي ابن عطاء الله مع أسماء الله المحسنى ذكراً لكل اسم منها فائدة خاصة للسالك والذاكر. وبين بعد هذا أن الذكر قد يكون بقراءة الأوراد⁷⁰، تقرباً إلى الله وهذه الأوراد قد تكون أدعية خاصة بضمها الشيوخ لمريدتهم، أو تكون أجزاء من القرآن تلي

في أوقات معينة.

فالذكر بتلاوة الأوراد في فهم ابن عطاء الله هو شأن السالكين المبتدئين، وهو من أهم واجباتهم في السلوك، وإلى ذلك يشير بقوله: «ويبغي للمبتدئ أن يتخذ له وردين: ورد بعد صلاة الصبح وآخر بعد صلاة المغرب، وأما أهل الصكين والنهايات، فالذكر شغل قلوبهم في جميع الأوقات»⁷¹، إلا أن ابن عطاء الله يحذر السالك من أن يفتخر في سلوكه ويظن أنه من أهل الصكين والنهايات فيرك ورده، أو يرد عليه وارد فيدعوه هذا إلى احتقار ورده، إذ أن الورد مطلوب منه للتقرب به إلى الله، وليس كذلك الورد الذي يرد عليه فهو ليس مطلوباً منه، وأما هو الذي يطلبه من الله تحقيقاً لحظ من حظوظ نفسه، يقول ابن عطاء الله في المحكمة 112: «لا يستحق الورد إلا جهول، الورد يوجد في الدار الآخرة، والورد يتطوي بانطواء هذه الدار، وأولى ما يعتني به ما لا يخلف وجوده، الورد هو طالبه منك، والوارد أنت تطلبه منه، وأين ما هو طالبه منك ما هو مطلبك منه»⁷².

وضع ابن عطاء الله لبيان كيفية الذكر وسوماً خاصة بمجملها كما يلي:

«فالذكر إما أن يكون ذكرًا انفراديًا يخاره السالك في خلوته أو في غير خلوته، أو ذكرًا جماعيًا يؤديه في مجالس خاصة تعقد لذلك، وهذا الذكر إما أن يكون جهراً أو سراً، ويستحسن أن يكون خفياً إذا كان السالك وحده، أما إذا كان في جماعة، فلا بد من أن يجهر بالذكر، مع مراعاة ضرورة توافق صوته مع أصوات المداكرين بطريقة واحدة موزونة»⁷³.

وللجلوس أثناء الذكر هيئة خاصة وهي: «أن يجلس المداكر جلوساً مفترقاً ومواضع جاعلاً رأسه فوق ركبتيه، ويسد عن انخوسات عينيه، وهذه الجلسة يجتمع القلب ويتصفي من الأكدار وتائبه الأنوار واللوائح والأسرار»⁷⁴. وأما لباسه وطيبه فيقول عنه: «ينبغي أن يكون ملبس المداكر طاهراً مطيباً بالرائحة الطيبة»⁷⁵. وعن خصوصية شيخ الذكر يقول: «إذا كان المداكر تحت رعاية شيخ - أي شيخ طريقة - فواجبه أن يذكر أن يتخيل شيخه باستمرار، فإنه بمثابة رفيقه في الطريق وهاديه، وعليه أن يستمد من هذه شيخه في الذكر دائماً، معتقداً أن استمداده من شيخه هو استمداد من النبي - صلى الله عليه وسلم -»⁷⁶.

أ- أنواع الأذكار:

أما أنواع الأذكار من حيث ألقاؤها فخمسة⁷⁷:

1- الذكر بـ "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

2- الذكر بـ "لا إله إلا الله" ويسميه ابن عطاء الله بذكر الشهي والإجابات.

3- الذكر بـ "سبحان الله" ويسميه ابن عطاء الله بذكر التبريه.

4- الذكر بـ "الله" ويسميه ابن عطاء الله بالذكر المقدر.

5- الذكر "هو". ويعتبر الذكر بـ "هو" في نظر ابن عطاء الله أعلى مراتب الذكر، فهو إخبار عن نهاية التحقيق، ويكتفي به المداكر عن كل بيان يلو، وذلك لاستهلاكه في حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على سواه، فيما سواه لا شيء حتى تقع الإشارة إليه.

ب- وظائف الذكر:

وللذكر عند ابن عطاء الله ثلاث وظائف رئيسية:

1- الوظيفة الأولى وظيفة خلقية عملية من حيث أنه وسيلة إلى تطهير القلب عن صفاته الأخلاقية المذمومة وإحلال صفات أخرى حميدة محلها، فيرى ابن عطاء الله أن الذكر يجلو مرآة القلب ويظهرها عما يكون فيه من شوائب النفس وعيوبها، فهو جلجلا قوت الأرواح والقلوب⁷⁸ كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾⁷⁹، ويقول ابن عطاء الله عن تطهير الذكر لقلب السالك من الصفات المذمومة: «والقلب قد يكون مصروفاً لغير الله تعالى، والنفس متوجهة للخلق، أمارة بالسوء، متبعة للشهوات مائلة للأباطيل، وذلك كله أدناس تحجب القلب عن الإخلاص وعن الوجهة الصحيحة إلى الله تعالى، وهي - أي النفس - قابلة لأوامر الشيطان، ولو لم تكن قابلة منه لا وجد - الشيطان - مسلطاً للقلب، وقروفاً منه دليل على غفلتها وغيبها عن الله تعالى، والفتنة حجاب كثيف عن خالقها، والحجاب ظلمة، فاحاج السالك للدفع تلك الظلمة وزوال تلك الأدناس، والظلمة تزول بالنور، والنور هو الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿الصَّلَاةُ عَلَى نَفْسٍ...﴾⁸⁰، وروي في حديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿مَهَارَةُ قُلُوبِ السُّلُومِيِّينَ وَغَسَّالَتُهَا مِنَ الصَّنَاءِ الصَّالَةِ عَلَىَّ﴾⁸¹، فلذلك يؤمر السالك ابتداء بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لتطهير محل الإخلاص، إذ لا إخلاص مع بقاء

ليصل على جميع الموجودات صلاة الأموات»⁸⁵ ، وهو عنه أيضا: «سقوط الأكران شهودا»⁸⁶ وهذا أمر ذوقي بحث يشهر به الذاكر، ولا يشاركه فيه غيره من الناس، إذ لا يقوم على برهان عقلي.

يبين ابن عطاء الله أن الذاكر باسم "الله" وهو الاسم المقدس، ويتحقق به الذاكر في ذكره بسبعة أصول:

- 1/ استحقاق ما سوى الله حالا. 2/ والتعظيم لأوامر الله كشفا.
- 3/ وسقوط الأكران شهودا. 4/ والقضاء في الجمع⁸⁷ استغراقا.
- 5/ وتعلق أهمية بالله دأبا. 6/ ومراقبة الأفعال سرا.
- 7/ ثم حدوث الوله بأن يستغرق سر الذاكر في وجوده وفي حال شهوده بحيث لا يرى غير الله، ولا يحس بشيء سواه.

الحقاقة:

لقد عرفنا ابن عطاء الله السكندري كيف يتدرج المريد في مرحلتين من مراحل مجاهدته لنفسه، الأولى راضته لنفسه من الناحية الأخلاقية باستبدال صفاتها الخلقية الذميمة بأعدادها من الصفات الحميدة وذلك ليحقق الكمال الأخلاقي في ذاته من ناحية، وفي سلوكه العملي مع الناس في الجميع الذي يعيش فيه من ناحية أخرى، والثانية تكبده مجاهدات شاقة كالعزلة والخلوة والذكر وما إليها، وذلك ليهيئ نفسه لقبول أحوال الوجد والقضاء والمعرفة بالله تعالى.

ومن ثم أمكننا الاعتراف بما قدمه الصوفية في مجال علم النفس التربوي، واستطاعوا أن يسروا أغوارها وكشفوا عيوها، فقد أسسوا قواعد في التربية تستغني بها عن أقوال سواهم في هذا المجال، بل إنهم تعمقوا بالنفس الإنسانية في بحر النور حتى تصل إلى مرتبة القضاء فيفاض عليها ما يفاض، وهذا عمق لا يتحقق به إلا أفراد من الناس يسعون بالمعاريق، ولا يدرك ذلك بالبرهان العقلي أبدا، في حين أن هناك جانا إيجابيا يتحقق به عموم الناس من نحو الأخلاق الذميمة واستبدالها بالأخلاق الحميدة مما ينتج مجتمعا على درجة عالية من الخلق الرفيع.

المعل... والإكثار من الصلاة تمكن محبه من القلب، وتمكن محبه ينشر شدة الاعتناء به وعا كان عليه من الصفات والأخلاق...»⁸².

فتردد السالك لذكر "الصلاة على النبي" هو وسيلة لفهالة إلى قهر نفسه، وتوكية قلبه، والتحقق بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم، والاتصاف بما كان عليه من الأخلاق الحميدة.

2- أما الوظيفة الثانية للذكر فهي وظيفة عرفانية إذ أنه وسيلة إلى المعرفة بالله وبالأسرار الإلهية عن طريق الدوق، ويقسم ابن عطاء الله الذاكر على ثلاث مراتب: ذكر اللسان، وذكر القلب، وذكر السر، ويبين أن ذكر السر وحده الذي يتحقق فيه السالك بالمعرفة، ويسميه ابن عطاء الله أيضا بذكر القية عن الحضور أو الذكر الخفي، وهو الذكر الذي يغيب فيه الذاكر عن نفسه تماما وعن الذكر فيسا يعرف بحال القضاء، وعندئذ يكاشف الذاكر بالمعرفة عن طريق العالم العلوي، ويشرح ذلك فيقول: «... وإذا استمكن الذاكر من القلب وانغمى الذكر وخفي فلا يلفت الذاكر إلى الذكر ولا إلى القلب، فذلك حجاب شاغل، وذلك هو القضاء، وهو أن يغيب الإنسان عن نفسه فلا يحس بشيء من ظواهر جوارحه ولا الأشياء الخارجة عنه ولا العوارض الباطنة فيه... وهذا الاستغراق - أي القضاء - قلما يثبت ويعلم، فإن دام فصار عادة راسخة وهيئة ثابتة عرج به - أي الذاكر - إلى العالم الأعلى، وطالع الوجود الحقيقي الأصفى، وانطبع له نقش الملائكة، وتجلي له قس الاوهوت، وأول ما يتصل له من ذلك العالم جوهر الملائكة وأرواح الأنبياء في صورة جملة تفاض عليه بواسطتها الحقائق، وذلك في البداية إلى أن تملو درجته عن المثال، ويكافأ بتصريح الحق في كل شيء، فهذا ثمرة لباب الذكر...»⁸³.

فالذكر عند ابن عطاء الله إذن هو وسيلة السالك إلى التحقق بالمعرفة بالله، أو هو كما قال ابن عطاء الله: «يفتح باب المعرفة في القلب»⁸⁴، وفي هذا بيان لأهمية الكبرى بالنسبة للسالك في طريقه إلى الله، من حيث أنه موصل له إلى أسمى غاياته.

3- أما الوظيفة الثالثة للذكر فهي وظيفة شعورية ذوقية، إذ به يتحقق سقوط الأكران شهودا، ويثبت وجود واحد حقيقي هو وجود الله، ويقر ابن عطاء الله أن الذاكر ينظم له شمل العالم في نطاق واحد حتى لا يرى في الوجود بعين قلبه غير واحد، ويقول في ذلك: «ينظم له - للذاكر - شمل العالم في نطاق واحد ولا يرى بعين قلبه... غير الواحد،

- 1 - هو أحمد ابن عطاء الله السكندري المتوفى سنة 709هـ عالم وصولي مبرز صاحب كرسي بالأهر
- ثروي على يد أبي العباس المراسي وتروجم له ولشيخه الشاذلي في كتابه " لطائف المنن" بعد بحث منظر
- لصوفية عموما وللشاذلية خصوصا، مشهور بمصنفه " الحكم المتأدية".
- 2 - الكيمشخاري حياة الدين أحمد بن معصقي بن عبد الرحمان القنبري الجندلي
- (ت1311هـ)، جامع الأصول في الأولياء، تحقيق أحمد فريد الميزدي، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة
- الأولى 2002م، ص 125.
- 3 - ابن عباد الرندي، غيث المواب العلية، ص 303.
- 4 - المصدر نفسه، ص 303.
- 5 - ابن عطاء الله، تاج العروس لحازي لتهذيب النفوس، ص 7-8.
- 6 - ابن عباد الرندي، غيث المواب العلية، ص 197.
- 7 - ابن عطاء الله، تاج العروس، ص 24.
- 8 - ابن عطاء الله، مفتاح الفلاح، ص 30.
- 9 - ابن عطاء الله، لطائف المنن، ص 166.
- 10 - أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ص 181.
- 11 - البساطامي هو: أبو يزيد الأكبر طيطور بن عيسى (188-261هـ) من بساطم خراسان لم تزل
- عنه كتابات في التصوف، ولكن أقواله رصدها غيره وأصبحت مذهبها في التصوف. الموسوعة الصوفية
- القسم الأول رقم الترتيب 49.
- 12 - أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ص 181.
- 13 - المصدر نفسه، ص 181.
- 14 - ابن عطاء الله، لطائف المنن، ص 39-40.
- 15 - المصدر نفسه، ص 167.
- 16 - المصدر نفسه، ص 167.
- 17 - السهروردي، عوارف المعارف، ج 5 من الإحياء ص 16.
- 18 - ابن عطاء الله، لطائف المنن، ص 98.
- 19 - المصدر نفسه، ص 103.
- 20 - حديث: رآهني ربي فأحسن تأديهي ثم أمرني بمكارم الأخلاق، رواه العسكري عن علي رضي الله
- عنه وسنده ضعيف جدا، وقال ابن الأثير معناه صحيح لكن لم يأت من طريق صحيح، وذكره ابن الجوزي
- في الأحاديث الواهية، وقال ابن تيمية لا يعرف له سند ثابت. المعالي من إسماعيل بن محمد الجراسي
- (ت1162هـ)، كشف المحل ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تحقيق أحمد
- القلاني، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة 1405هـ، ج 1 ص 72 رقم 164.

- 21 - سورة الأعراف الآية 99.
- 22 - ابن عباد الرندي، غيث المواب العلية، ص 65.
- 23 - المصدر نفسه، ص 299.
- 24 - ابن عطاء الله، القصد المجرد في معرفة الاسم المقدس، القاهرة: طبعة محمد علي الصبح وأولاده،
- الطبعة الأولى 1950م، ص 24-25.
- 25 - ابن عطاء الله، مفتاح الفلاح، ص 46.
- 26 - المصدر نفسه، ص 47.
- 27 - سورة البقرة الآية 204.
- 28 - ابن عطاء الله، القصد المجرد في معرفة الاسم المقدس، ص 93.
- 29 - ابن عباد الرندي، غيث المواب العلية، ص 199.
- 30 - المصدر نفسه، ص 199.
- 31 - ابن عطاء الله، مفتاح الفلاح، ص 15.
- 32 - ابن عباد الرندي، غيث المواب العلية، ص 201.
- 33 - ابن عطاء الله، تاج العروس، ص 29.
- 34 - ابن عباد الرندي، غيث المواب العلية، ص 296.
- 35 - المصدر نفسه، ص 296.
- 36 - المصدر نفسه، ص 20.
- 37 - المصدر نفسه، ص 299.
- 38 - المصدر نفسه، ص 204.
- 39 - المصدر نفسه، ص 82.
- 40 - المصدر نفسه، ص 87.
- 41 - ابن عطاء الله، لطائف المنن، ص 76.
- 42 - المصدر نفسه، ص 75.
- 43 - ابن عباد الرندي، غيث المواب العلية، ص 236.
- 44 - أبو الوفا النخاساني، ابن عطاء الله وتصوفه، ص 126.
- 45 - ابن عطاء الله، مفتاح الفلاح، ص 35.
- 46 - ابن عطاء الله، تاج العروس، ص 45.
- 47 - الطوسي أبو نصر السراج، الجمع في التصوف، ص 207.
- أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ص 50-52.
- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 2 ص 200.
- السهروردي، عوارف المعارف، ج 5 ص 256.
- 48 - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 2 ص 202.

- 77 - المصدر نفسه، ص 28-27.
 78 - المصدر نفسه، ص 6.
 79 - سورة الرعد الآية 28.
 80 - لم ألق على ترجمته، غير أنه نقله يوسف بن إسماعيل البهاني في كتابه "أفضل الصلوات على يد السادات"، دار الفكر.
 81 - حديث: "في طهارة قلوب المؤمنين وغسلها من الصدا الصلاة على محمد لم أجده بهذا اللفظ، غير أنه ورد بلفظ (أكثر) من الصلاة على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في مسند أبي يعلى، تحقيق سليم أسد، دار المأمون للتراث دمشق، الطبعة الأولى 1404هـ-1984م، ج 11 ص 298.
 82 - ابن عطاء الله، مفتاح الفلاح، ص 30-31.
 83 - المصدر نفسه، ص 5-6.
 84 - المصدر نفسه، ص 20.
 85 - المصدر نفسه، ص 34.
 86 - المصدر نفسه، ص 75.
 87 - الجميع: من الألفاظ كثيرة التداول عند الصوفية، ومعناه جمع متفرقات فإذا قلت الله ولا سواه فقد جمعت وما يكون من قبل الحق من إبداء المعاني وإسداء اللطف والإحسان فهو جمع، وإذا اختلف العيد عن شهوة الحلق ونسي نفسه وأخذ بالكلية عن الإحسان بما حوله واستولى عليه سلطان الحقيقة فإن ذلك يسمى جمع الجميع الموسوعة الصوفية القسم الثاني من 708-709.

- السهروردي، عوارف المعارف، ج 5 ص 223.
 49 - ابن عطاء الله، مفتاح الفلاح، ص 36.
 50 - ابن عباد الرندي، غيث المواب العلية، ص 27.
 51 - المصدر نفسه، ص 325.
 52 - المصدر نفسه، ص 324.
 53 - ابن عطاء الله، مفتاح الفلاح، ص 36.
 54 - المصدر نفسه، ص 36.
 55 - المصدر نفسه، ص 41-42.
 56 - المصدر نفسه، ص 42.
 57 - المصدر نفسه، ص 37.
 58 - سورة المزمل الآية 1.
 59 - سورة المثلث الآية 1.
 60 - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 3 ص 66.
 61 - ابن عطاء الله، مفتاح الفلاح، ص 41-42.
 62 - ابن عطاء الله، مفتاح الفلاح، ص 28.
 63 - المصدر نفسه، ص 38.
 64 - ابن عطاء الله، مفتاح الفلاح، ص 8.
 - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 1 ص 264.
 65 - ابن عطاء الله، مفتاح الفلاح، ص 3.
 66 - المصدر نفسه، ص 17.
 67 - المصدر نفسه، ص 3.
 68 - المصدر نفسه، ص 22-23.
 69 - المصدر نفسه، ص 23.
 70 - الأوراد جمع ورد، ومعناه في اللغة الشرب قال تعالى: "يسس الورد المورود"، ويطلق الورد على الجزء من القرآن يقوم به الإنسان كل ليلة، وعند الصوفية هو ما يترتبه العبد على نفسه أو الشيخ على تلميذه من الأذكار والعبادات. ابن عجيبة، إيقاظ الغفم، ص 160.
 71 - ابن عطاء الله، مفتاح الفلاح، ص 34.
 72 - ابن عباد الرندي، غيث المواب العلية، ص 151 إلى 155.
 73 - ابن عطاء الله، مفتاح الفلاح، ص 13.
 74 - المصدر نفسه، ص 33.
 75 - المصدر نفسه، ص 17.
 76 - المصدر نفسه، ص 17.